مرکز القائمیة اصبهان للبحوث والتحریات الکمبیوتریة

السلام علیک یا صاحب الزمان

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

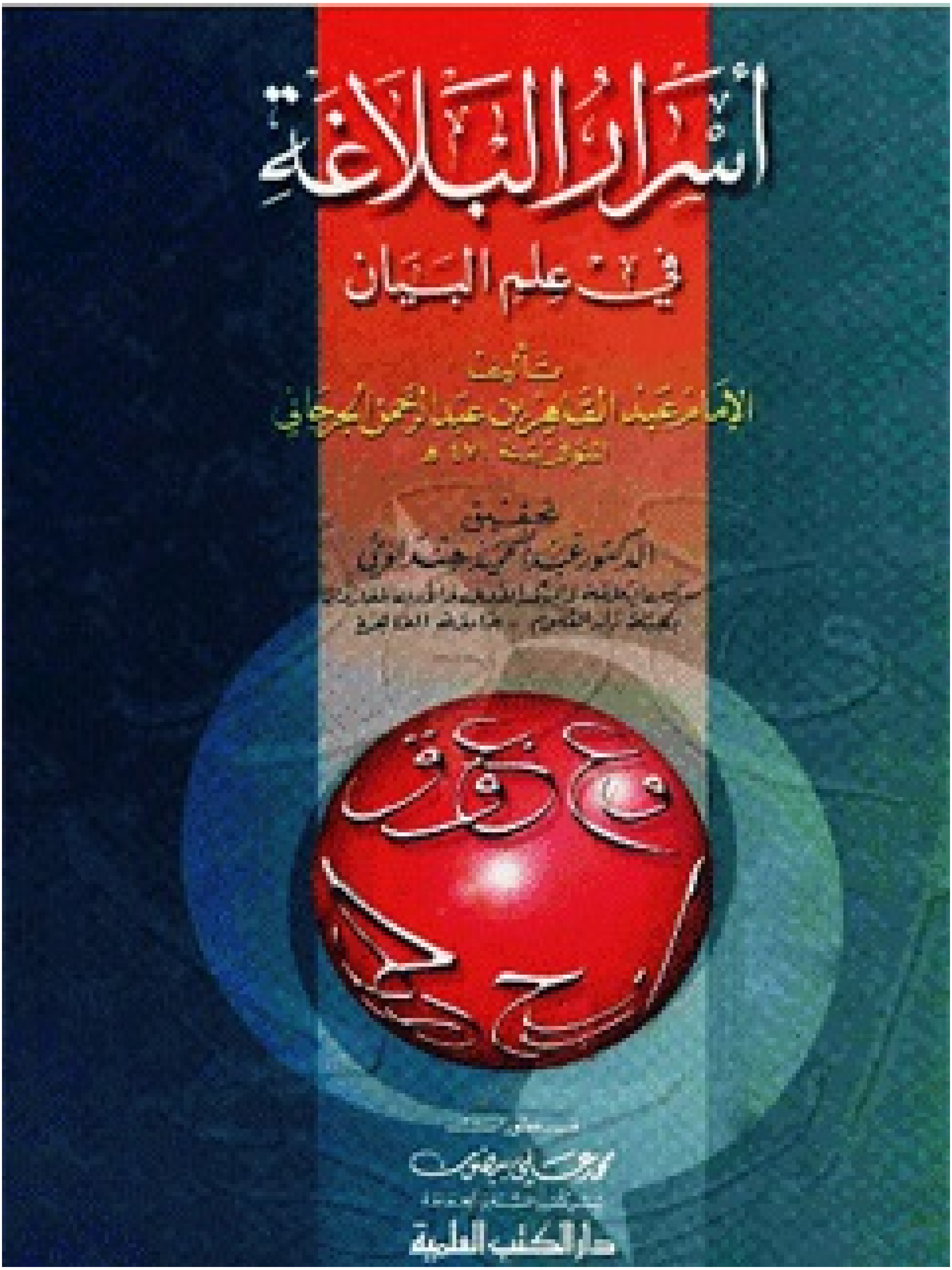
أسرار البلاغة
في علم البيان
تأليف
الإمام عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني
تحقيق
دار الكتب العلمية

بسم الله الرحمن الرحیم

اسرار البلاغه فى علم البيان

کاتب:

عبدالقاهر بن عبد الرحمن جرجانى

نشرت فى الطباعهٔ:

دار الکتب العلمیهٔ

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الفهرس ----- ۵

أسرار البلاغه فی علم البیان ----- ۸

اشاره ----- ۸

مقدمه السید محمد رشید رضا ----- ۸

مقدمه المحقق ----- ۱۷

اشاره ----- ۱۷

منهج التحقیق: ----- ۲۰

مقدمه المؤلف ----- ۲۱

القول فی التجنیس ----- ۲۶

فصل فی قسمه التجنیس و تنویعه ----- ۴۲

المقصد ----- ۴۹

تعریف الاستعاره ----- ۵۳

تقسیم الاستعاره ----- ۵۳

القول فی الاستعاره المفیده ----- ۶۷

فصل ----- ۶۹

فصل ----- ۷۹

فصل ----- ۱۱۵

اشاره ----- ۱۱۵

التشبیه و التمثیل أقسام التشبیه ----- ۱۱۸

الفرق بین التشبیه و التمثیل ----- ۱۲۳

فصل ----- ۱۲۸

فصل ----- ۱۳۰

فصل ----- ۱۳۳

فصل فی مواقع التمثیل و تأثیره ----- ۱۴۴

فصل ۱۸۶
فصل هذا فن آخر من القول يجمع التشبيه و التمثيل جميعا ۲۰۸
فصل ۲۳۶
فصل فی التشبیه المتعدّد و الفرق بینه و بین المرکّب ۲۵۰
فصل هذا فنّ غیر ما تقدّم فی الموازنه بین التشبیه و التمثیل ۲۶۵
فصل فی الفرق بین الاستعاره و التمثیل ۳۰۷
فصل ۳۳۰
فصل فی الأخذ و السرقه و ما فی ذلک من التعلیل، و ضروب الحقیقه و التخییل ۳۳۴
القسم العقلی ۳۳۴
القسم التخییلی ۳۳۹
فصل نوع آخر فی التعلیل ۳۷۸
فصل فی تخییل بغیر تعلیل ۳۸۵
فصل فی الفرق بین التشبیه و الاستعاره ۴۰۹
فصل «فی الاتّفاق فی الأخذ و السّرقه و الاستمداد و الاستعانه» ۴۲۸
فصل «فی حدّی الحقیقه و المجاز» ۴۴۲
فصل «فی المجاز العقلی و المجاز اللغوی و الفرق بینهما» ۴۶۰
فصل ۴۷۷
هذا کلام فی ذکر المجاز و فی بیان معناه و حقیقته ۴۹۳
اشاره ۴۹۳
فصل فی تقسیم المجاز إلی اللغوی و العقلی، و اللغوی إلی الاستعاره و غیرها ۵۰۷
فصل فی الحذف و الزیاده، و هل هما من المجاز أم لا ۵۱۶
فهارس الکتاب ۵۲۳
فهرس الآیات القرآنیه ۵۲۳
فهرس الأحادیث النبویه ۵۲۶
فهرس بعض الأقوال و الأمثال ۵۲۷
فهرس الأبیات الشعریه ۵۲۹

فهرس الرجز يتضمن الرجز من بحر الرجز، و الرجز من بحر السريع ----- ۵۴۶

فهرس الموضوعات ----- ۵۴۷

تعريف مركز ----- ۵۴۹

أسرار البلاغه فی علم البیان

اشاره

نام کتاب: أسرار البلاغه فی علم البیان

نویسنده: عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانی

موضوع: اعجاز بیانی

تاریخ وفات مؤلف: ۴۷۱ ق

زبان: عربی

تعداد جلد: ۱

ناشر: دار الکتب العلمیه

مکان چاپ: بیروت

سال چاپ: ۱۴۲۲ / ۲۰۰۱

نوبت چاپ: اوّل

مقدمه السید محمد رشید رضا

مقدمه السید محمد رشید رضا

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم الرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ* خَلَقَ الْإِنْسانَ عَلَّمَهُ الْبَیانَ فله الحمد أن علم، و الشکر علی ما أنعم، و منه الصلاه و التسلیم، علی نبیه الرءوف الرحیم، الذی جاء بتوحید اللغه و الدین، و جعل الکتاب و الحکمه فی الأمیین، فکانوا بذلک أئمه و کانوا هم الوارثین.

الإنسان یمتاز بالعلم، و إنما العلم بالتعلم، و التعلم باللغه، و اللغات تتفاضل فی حقیقتها و جوهرها بالبیان، و هو تأدیه المعانی التی تقوم بالنفس تامه علی وجه یکون أقرب إلی القبول و أدعی إلی التأثیر. و فی صورتها و أجراس کلمها بعذوبه النطق، و سهوله اللفظ و الإلقاء، و الخفه علی السمع. و إن للغه العربیه من هذه الممیزات المیزان الراجح، و الجواد القارح، یعرف ذلک من أخذها بحق، و جری فیها علی عرق، فکان من مفرداتها علی علم، و ضرب فی أسالیبها بسهم. و من آیه ذلک لعیر العارف، أن أولئک الشراذم و الأوزاع من أهلها قد حملوها إلی الأمم التی کان للغاتها فی العلوم قدم، و لم یحملوهم علیها بالإلزام، و لا بالتعلیم العام. و کان من أمرها مع هذا أن نسخت بطبیعتها لغه المصریین من مصرهم، و الرومانیین من شامهم، و استعلت علی

الفارسيه العذبه فی مهدها و موطنها، و امتد شعاعها إلی الأندلس فی غربی أوربه.

بعد ما طاف ساحل إفريقيا الشمالی، و إلی جدار الصين من الشرق- كل ذلک فی زمن قريب لم يعرف فی

التاريخ مثله للغه أخرى من لغات الفاتحين الذين يتخذون كل الوسائل لنشر لغاتهم، و تعميمها بالتعليم العام، و ضرب الترغيب و الترهيب.

كانت لغه أميين و ثنيين جاهليين، فظهر فيها أكمل الأديان، فكانت له أكمل مظهر، و تجلى لها العلم فكانت له خير مجلى. و صارت بذلك لغه الدين و الشريعه، و علوم العقل و الطبيعه، و لكن عدت على أهلها عواد كونيه، و طرأت عليهم أمراض اجتماعيه، فضعف فيهم كل مقوم من مقومات الأمم الحيه. و من تلك المقومات الحقيقيه اللغه فقد فسدت ملكتها فی الألسنه، و التوى طريق تعليمها فی المدارس، حتى كادت تكون من اللغات الدوارس.

أسرار البلاغه فی علم البيان، ص: ۴

ظهر ضعف اللغه فی القرن الخامس، و كانت فی ريعان شبابها، و أوج عزها و شرفها، و كان أول مرض ألم بها الوقوف عند ظواهر قوانين النحو، و مدلول الألفاظ المفرده، و الجمل المركبه، و الانصراف عن معانی الأساليب، و مغازی التركيب، و عدم الاحتفال بتصريف القول و مناحيه، و ضروب التجوز و الكنايه فيه- و هذا ما بعث عزيمه الشيخ عبد القاهر الجرجانی إمام علوم اللغه فی عصره إلى تدوين علم البلاغه، و وضع قوانين للمعانی و البيان، كما وضعت قوانين النحو عند ظهور الخطأ فی الإعراب. فوضع هذا الكتاب فی البيان، و من فاتحته يتنسم القارئ أن دوله الألفاظ كانت قد تحكمت فی عصره، و استبدت على المعانی، و أنه يحاول بكتابه تأييد المعانی و نصرها، و تعزيز جانبها و شد أزرها.

كتب قبل عبد القاهر

فى مسائل من البيان بعض البلغاء كالجاحظ و ابن دريد و قدامه الكاتب، و لكنهم لم يبلغوا فيما بنوه أن جعلوه فنا مرفوع القواعد مفتح الأبواب كما فعل عبد القاهر من بعدهم فهو واضع علم البلاغه كما صرح به بعض علمائها، و إن لم يذكر له هذه المنقبه المؤرخون الذين رأينا ترجمته فى كتبهم، حتى أن ابن خلدون الذى تصدى دون القوم للإلمام بتاريخ الفنون أهمل ذكره، و زعم أن الذى هذب الفن بعد أولئك الذين كتبوا فى مسائل متفرقه منه هو السكاكى، و ما كان السكاكى إلا عيالا على عبد القاهر، تلا- تلوه، و أخذ عنه، مع المخالفه فى شى ء من الترتيب و التبويب، و لكنه لم يسلم من التكلف فى بعض عباراته، و التعقيد فى بعض منازعه، فإذا جاز لنا أن نقول: إنه فاق لتأخره بالترتيب المعلوم، و بما حرره من الحدود و الرسوم. فإننا لا ننسى من فضل المتقدم سلامه عبارته، و صفاء ديباجته، و غوصه على أسرار الكلام، و وضع دررها فى أبدع نظام.

كان السكاكى وسطا بين عبد القاهر الذى جمع فى البلاغه بين العلم و العمل و أضرابه من البلغاء العاملين، و بين المتكلفين من المتأخرين الذين سلكوا بالبيان مسلك العلوم النظريه، و فسروا اصطلاحاته كما يفسرون المفردات اللغويه، ثم تنافسوا فى الاختصار و الإيجاز، حتى صارت كتب البيان أشبه بالمعميات و الألغاز، فضاعت حدود بتلك الحدود. و درست رسومه بهاتيك الرسوم «١»، و كان من أثر فساد ذوق

---

(١) توسط الشيخ هنا فى حقّ السكاكى و جعله قد سلك مسلكا وسطا بين مسلك عبد القاهر و المتأخرين الذين غالوا فى الطريقه التى سنها لهم السكاكى فى تعقيد البلاغه بالمبالغه

فى تعقيدها. انظر كلامنا بالتفصيل على منهج السكاكى فى كتابه مفتاح العلوم بتحقيقنا (ط) (دار الكتب العلميه- بيروت).

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۵

اللغه اختيار هذه الكتب التى ملكت العجمه عليها أمرها، على الكتب التى ملكت العجمه عليها أمرها، على الكتب التى تهديك إلى العلم الصحيح بمعانيها، و تهدى إليك الذوق السليم بأساليبها، فكادت كتب عبد القاهر تمحى و تنسخ، و صارت حواشى السعد تطبع و تنسخ، و هذا هو حظ العلم النافع إذا ألقى إلى الأمه فى طور التدلى و الضعف، فمثل عبد القاهر فى أسرار بلاغته و دلائل إعجازه، كمثل ابن خلدون فى مقدمته و السلطان سليمان العثمانى فى قوانينه.

رب غذاء طيب نافع عافته النفس لمرض ألم بها حتى إذا نقهت أو أبلت اشتهته و طلبته. و هذا هو مثلنا أمس و اليوم، فقد كنا متفقهين على أخذ العلم من كتب علمائنا المتأخرين كما يختار المريض الغذاء الضار، فظهر فينا هداه مرشدون يسعون فى إحياء ما أماته الجهل من آثار سلفنا و مصنفات أئمتنا، و يدلوننا على العلم الحى الذى تفجر من ينابيع النفوس الحيه، لنفرق بينه و بين الرسوم الميته التى سماها الجهل علما.

و لما هاجرت إلى مصر فى سنه ۱۳۱۵ لإنشاء (المنار) الإسلامى ألفيت إمام النهضه الإسلاميه الحديثه الأستاذ الحكيم الشيخ محمدا عبده رئيس جمعيه إحياء العلوم العربيه و مفتى الديار المصريه، اليوم مشتغلا فى بعض وقته بتصحيح كتاب دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجانى. و قد استحضر نسخه من المدينه المنوره و من بغداد ليقابلها

على النسخه التى عنده، فسألته عن كتاب (أسرار البلاغه) للإمام المذكور فقال: إنه لا يوجد فى هذه الديار فأخبرته بأن فى أحد بيوت العلم فى طرابلس الشام نسخه منه، فحثنى على استحضارها و طبعها فطلبتها من صديقى الحميم العالم الأديب عبد القادر أفندى المغربى، و هى مما تركه والده فلبى الطلب.

و علمنا أن نسخه أخرى من الكتاب فى إحدى دور الكتب السلطانيه فى دار السلطنه السنيه، فندبنا بعض طلاب العلم الأذكياء لمقابله نسختنا بتلك النسخه، فخرج لنا من مجموعهما نسخه صحيحه سرعنا فى طبعها و وضعنا فى ذيل المطبوع شرحا لطيفا ضبطنا فيها الكلمات الغريبه و فسرنا منها و من جمل الكتاب ما رأيناه يستحق التفسير. و أشرنا إلى الخلاف بين النسختين، فيما يحتمل صحه الاثنتين.

أما كون عبد القاهر واضع الفن و مؤسسه. فقد صرح به غير واحد من العلماء الأعلام، أجلهم قدرا، و أرفعهم ذكرا، أمير المؤمنين محيى علوم اللغه و الدين، السيد يحيى بن حمزه الحسينى صاحب كتاب (الطراز، فى علوم حقائق الإعجاز)، فقد

قال فى فاتحه كتابه هذا و هو من أحسن ما كتب فى البلاغه بعد عبد القاهر ما نصه:

«و أول من أسس من هذا الفن قواعده و أوضح براهينه، و أظهر فرائده و رتب أفانينه، الشيخ العالم النحرير علم المحققين عبد القاهر الجرجانى، فلقد فك قيد الغرائب بالتقييد، و هد من سور المشكلات بالتسوير المشيد، و فتح أزهاره من أكمامها. و فتق أزراره بعد استغلاقها و استبهامها، فجزاه اللّه

عن الإسلام أفضل الجزاء، و جعل نصيبه من ثوابه أوفر النصيب و الإجزاء، و له من المصنفات فيه كتابان أحدهما لقبه بدلائل الإعجاز. و الآخر لقبه بأسرار البلاغه، و لم أقف على شى ء منهما. مع شغفى بحبهما و شده إعجابى بهما، إلا ما نقله العلماء فى تعاليقهم منهما» «١».

و أما مكانه هذا الكتاب و بيان ما يمتاز به على كتب البيان فحسبى فى بيانها عرضه على الأنظار مع التنبيه على مسألتين نافعتين (إحداهما) أن العلم هو صوره المعلوم مأخوذه عنه بواسطه الإدراك كما تؤخذ الصوره الشمسيه بالآله المعروفه فإن كان المعنى المنتزع من الجزئيات قانونا كليا يرشد إليها فهو القاعده. و إن كان صوره تناسبها و تقربها من الفهم فهو المثل. (و الثانيه) أن القاعده الكليه هى صوره إجماليه للمعلومات الجزئيه، و الأمثله و الشواهد صور تفصيليه لها. و التعليم النافع إنما يكون بقرن الصور المفصله بالصوره المجمله، إذ بالتفصيل تعرف المسائل، و بالإجمال تحفظ فى العقل. و بهذه الطريقه يجمع بين العلم و العمل الذى يثبت به العلم، و هى طريقه عبد القاهر فى كتابه هذا و كتاب دلائل الإعجاز، على أن كلام الشيخ رحمه اللّه تعالى كله من آيات البلاغه فهو يعطيك علمها بمعانيه، و عملها بمبانيه، و بهذه المميزات يفضل هذا الكتاب جميع ما بين أيدينا من كتب الفن لأنها إنما تقتصر على سرد القواعد و الأحكام بعبارات اصطلاحيه، تنكرها بلاغه الأساليب العربيه. و لا تذكر من الشواهد و الأمثله إلا القليل النادر، الذى أدلى به السابق إلى اللاحق و الأول إلى الآخر.

لهذا بادر الإمام، مفتى الديار المصريه فى هذه الأعوام، إلى تدريس الكتاب فى الأزهر الشريف عقيب شروعنا فى طبعه فأقبل

على حضور درسه مع أذكياء الطلاب كثيرون من العلماء و المدرسين و أساتذه المدارس الأميريه. و قد قال أحد فضلاء هؤلاء

---

(١) انظر كلامه بنصّه فى الطراز للعلوى بتحقيق د. عبد الحميد هنداوى (ط) المكتبه العصريه (بيروت).

الأستاذين «١» بعد حضور الدرس الأول «إننا قد اكتشفنا فى هذه الليله معنى علم البيان».

و قد ظهر للأستاذ فى غضون التدريس و المطالعه أغلاط فى الكتاب بعضها من الطبع، و بعضها من تحريف النساخ فى الأصل، و أغلاط أخرى فى التعليقات فأحصيناها كلها من نسخته، و وضعنا لها جدولا فى آخر الكتاب إتماما للفائده و مما يجب التنبيه عليه أن بعض تراجم فصول الكتاب هى من وضعنا فإن المصنف رحمه اللّه تعالى كان يكتفى فى كثير منها بكلمه (فصل).

و نختم هذه المقدمه بملخص ترجمه المصنف رحمه اللّه تعالى فنقول:

اتفق المؤرخون على الثناء عليه بالعلم و الدين، و لقبوه بالإمام، و اشتهر بالنحوى من قبل أن يضع علم البلاغه. على أنه كان متكلما و فقيها أيضا، قال الحافظ الذهبى فى تاريخه (دول الإسلام): «و فى سنه إحدى و سبعين و أربعمائه مات إمام النحاه أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانى صاحب التصانيف» و قال تاج الدين السبكى فى (طبقات الشافعيه الكبرى): عبد القاهر بن عبد الرحمن الشيخ الكبير أبو بكر الجرجانى النحوى المتكلم على مذهب الأشعرى الفقيه على مذهب الشافعى أخذ النحو بجرجان عن أبى الحسين محمد بن الحسن الفارسى ابن أخت الشيخ أبى على الفارسى، و

صار الإمام المشهور المقصود من جميع الجهات، مع الدين المتين، و الورع و السكون». قال السلفى: كان ورعا قانعا دخل عليه لص و هو فى الصلاه فأخذ ما وجد و عبد القاهر ينظر و لم يقطع صلاته. (ثم قال السبكى):

«و من مصنفاته كتاب (المغنى على شرح الإيضاح) فى نحو ثلاثين مجلدا، و كتاب (المقصد فى شرح الإيضاح) أيضا ثلاث مجلدات، و كتاب (إعجاز القرآن الصغير) و (العوامل المائه). و (المفتاح)، و (شرح الفاتحه)، و (العمده فى التصريف)، و كتاب (الجمل المختصر المشهور).

و فى كتاب (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب) نحو من ذلك و زاد فى ذكر المصنفات شرح كتاب الجمل، و ذكر أن على بن أبى زيد الفصيحى أخذ عنه و ذكروا له شعرا فمنه ما أورده الصلاح الكتبى فى فوات الوفيات:

---

(۱) هو المرحوم الشيخ محمد مهدى بك مدرس البلاغه و آداب اللغه العربيه فى المدارس العليا: دار العلوم فمدرسه القضاء الشرعى و الجامعه المصريه. (رشيد).

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۸

لا تأمن النفثه من شاعر ما دام حيا سالما ناطقا

فإن من يمدحكم كاذبا يحسن أن يهجوكم صدقا

و اتفقوا على أنه توفى سنه ۴۷۱، قال السبكى: (و قيل: ۴۷۴) رحمه

اللّه تعالی.

السید محمد رشید رضا منشئ مجله (المنار)

أسرار البلاغه فی علم البیان، ص: ۹

مقدمه المحقق

اشاره

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم

مقدمه المحقق

الحمد للّه الذی شرفنا بعد أخذ آیات القرآن، بتعلم علوم البلاغه و البیان؛ فلا جرم أنها تقع من سائر العلوم اللغویه بمنزله الرأس من الجسد، فهی باسمی منزله، و أعلی مکان، و ذلک لتعلقها ببیان أسرار الکتاب المجید، و من ثم بیان مقصود اللّه و مراده من العبید.

و بعد؛ فإن کتاب (أسرار البلاغه) یعد و هو و کتاب (دلائل الإعجاز) لشیخ البلاغیین- بلا منازع- الإمام عبد القاهر الجرجانی، یعدان بالمقام الأول من کتب البلاغه بلا نزاع بین أهل العلم بهذا الفن، و لم أر فی کلام أحد من المتقدمین أو المتأخرین من یقدم علیهما کتابا فی هذا الفن؛ بل إنک إذا سألت أحدا عن کتاب جید یحفظ للبلاغه رونقها و طلاوتها غیر هذین الکتابین فإنه یقف باهتا متحیرا فلا- یعیرک جوابا، غیر النفی القاطع، فإن سألته عن أجود الکتب بعدهما، فإنه یتردد و یتلعثم من جهه عظم الهوّه و عظم الفارق و البون، بین هذین الکتابین و ما یجعل تالیا لهما و ما ذلک إلا لأن کتب المتقدمین قبل عبد القاهر کانت عباره عن مباحث متفرقه، و إشارات خاطفه، و عبارات متناثره، تکد فی جمعها من هنا و هناک، فجاء ذلک الإمام فجمع أصول هذا العلم، و ردّ إلیها فروعه، و وضع له قواعده و أصوله، بغیر جفاف و لا تعقید، و بغیر مبالغه فی الحصر و الإحصاء و التفریع و التمییز،

و التحديد، مما عرف عن المتأخرين كالسكاكى و من تابعه من صرامه المنطق و المبالغه فى التحديد و التجريد.

فكانت طريقته قصدا بين الطريقه الأدبيه القديمه فى تحليل النصوص و ترك الأمور هملا دون تقييد و لا تعقيد و لا تجريد لقواعد العلم و أصوله، و بين طريقه المتأخرين الذين غلب عليهم جفاف المنطق و صرامته، و شده التجريد و التعقيد و قوته. و يأتى هذا الكتاب الجليل (أسرار البلاغه) ليفرده الشيخ لمعالجه أكثر

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ١٠

مباحث علمى البديع و البيان بحسب التقسيم الثلاثى للبلاغه عند المتأخرين، كما اشتمل كتابه دلائل الإعجاز على أكثر مباحث (علم المعانى).

و تأتى قيمه هذا الكتاب الجليل (أسرار البلاغه) فى أنه يبين وجه الحق فى قضيه المحسنات البديعيه التى اعتبرها البلاغيون المتأخرون أمرا خارجا عن مطابقه الكلام لمقتضى الحال، فهى مجرد زينه لفظيه يؤتى بها بعد استيفاء الكلام وجوه المطابقه، فيؤتى به لمجرد الزخرف و الزينه و الكلام فى غنى عنه.

هذه النظره الخاطئه هى التى جعلت من البديع حجر عثره فى سبيل ارتقاء النصوص الأدبيه فى العصر الذى شاعت فيه تلك النظره العقيمه حيث تبارى قارضو الشعر فى تدبيج قصائدهم بصور الزخرف اللفظى الكثيره المتعدده التى تبارى هؤلاء البلاغيون فى تعدادها و بيانها و الإيصاء بها.

فكانت سمه تلك العصور هى الإكثار من تلك المحسنات و الزخارف دون أن يكون لها دور فى التعبير عن المعانى أو الأفكار التى صيغت لها تلك النصوص و الأشعار، و لعل هذه النظره الخاطئه قد ظهرت بوادرها فى

عصر الإمام عبد القاهر الجرجانى بدليل ما استشهد به من الأبيات الداله على التكلف فى استخدام صور الجناس و غيرها من فنون البديع.

الأمر الذى دعاه إلى أن يرد الأمر إلى نصابه، و يكشف النقاب عن الدور الذى يمكن أن تضطلع به تلك المحسنات إذا ما أتى بها مواكبه للمعنى، موافقه له، و ذلك إذا أرسلت النفوس على سجيتها، و لم يتكلف فى إيراد تلك الوجوه من المحسنات.

و لذا فقد اجتهاد الإمام عبد القاهر فى وضع ضوابط توظيف تلك المحسنات، و بيان متى تحسن، و متى تقبح؛ فمن ذلك قوله: «أما التجنيس؛ فإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعا حميدا، و لم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا ... إلخ».

و تراه ينعى على المتأخرين فى زمانه المغالاه فى أمر تلك المحسنات فيقول:

«و قد تجد فى كلام المتأخرين الآن كلاما حمل صاحبه فرط شغفه بأمور ترجع إلى ما له اسم فى البديع إلى أن ينسى أنه يتكلم ليفهم، و يقول ليبين، و يخيل إليه أنه إذا جمع بين أقسام البديع فى بيت فلا ضير أن يقع ما عناه فى عمياء، و أن يوقع

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ١١

السامع من طلبه فى خبط عشواء، و ربما طمس بكثره ما يتكلفه على المعنى و أفسده، كمن ثقل العروس بأصناف الحلى حتى ينالها من ذلك مكروه فى نفسها».

هذا و قد فصلت الكلام على هذه القضيه مرارا فى تعليقاتى على هذا الكتاب، و فيما كتبته من قبل فى

رسالتى للماجستير عن الجهود البلاغيه للإمام الطيبى «١»، و غيرها من كتبى، و أمر آخر مما يحمد لعبد القاهر فى هذا الكتاب و هو تناوله لمباحث علمى البديع و البيان بلا فصل بينهما فهى لديه جميعا مجرد أساليب لغويه بلاغيه ينبغى على البلاغى أن يقف أمامها بالتحليل الأدبى البلاغى الذى يوازن فيها بين الصياغه التعبيريه الأسلوبيه التى تشكلت بها تلك الفنون و الأساليب و بين المعانى الفنيه التى تدل عليها، بلا تفريق بين تلك المباحث و بغير تشتيت للنظر بوضع الحدود المصطنعه بينها بلا داع و لا ضروره تملها النظره البلاغيه الأدبيه، اللهم إلا أن تكون النظره المنطقيه العقلانيه المتجرده المهوّمه فى خيالات العقول بغير مطابقه لحقيقه تلك الفنون، و لا مناسبه لطبيعتها. و الحق أننا هنا لسنا بصدد تعداد مظاهر الجوده و التوفيق فى هذا السفر العظيم فهى عديده تنأى عن الحصر، و قد كتب فى دراستها و تحليلها أسفار عديده، و سيقف القارئ بنفسه على كثير من تلك الفوائد و الأسرار كلما نظر فى هذا الكتاب ثم راح يوازن بينه و بين ما انتهت إليه أحدث النظريات الأسلوبيه و البلاغيه فى علوم البلاغه و الأسلوب.

منهج التحقيق:

منهج التحقيق:

أما عن منهجنا فى تحقيق هذا الكتاب فيتلخص فى تلك النقاط:

١- ضبط متن الكتاب اعتمادا على نسخه المتداوله لا سيما نسختى الشيخ (رشيد رضا) و نسخه الشيخ (محمود شاكر) و هى أجود طبعات الكتاب و تحقيقاته.

٢- تخريج جميع شواهد الكتاب و نصوصه القرآنيه و الحديثيه و الشعريه فى مصادرها الأصليه ما أمكن مع الاهتمام بعزو الشواهد الشعريه إلى مصادرها التى استشهدت بها فى كتب البلاغه العربيه لخدمه القارئ إذا ما أراد الوقوف على وجه الاستشهاد بالبيت أو

جمع كلام البلاغيين فى الاستشهاد به.

---

(١) ط مكتبه نزار الباز (المكتبه التجاريه) مكه المكرمه.

٣- شرح الغريب.

٤- إثبات أهم فروق النسخ المؤثره فى إحاله المعانى.

٥- إثبات أهم تعليقات الشيخ رشيد رضا، و شيخه محمد عبده لأهميتها و جلالتها، مع الانتفاع بتعليقات الشيخ محمود شاكر كذلك، و قد رمزت لتعليقات الشيخ رشيد بكلمه (رشيد) بين قوسين بعد تمام النقل. و لشيخه محمد عبده برمز (ش) و لكلام الشيخ محمود شاكر برمز (شاكر).

و وضحت تعليقاتى و إضافاتى لما عقبت به بعد أحدهم بقولى (قلت) بين قوسين.

هذا، و لا يفوتنا فى هذا المقام أن نتوجه بالشكر لدار الكتب العلميه على ما قامت به من جهد مشكور فى مراجعه تجارب الكتاب و تصحيحه و طباعته تلك الطباعه اللائقه.

هذا، و اللّه نسأل أن يجزل لنا المثوبه فى هذا العمل، و لكل من شارك فيه بجهد مشكور، و أن ينفع به و يعين على معرفه أسرار كتابه العزيز، إنه سبحانه مولى ذلك و هو القادر عليه.

و كتبه د. عبد الحميد هنداوى المدرس بقسم البلاغه و النقد الأدبى و الأدب المقارن بكليه دار العلوم- جامعه القاهره الجيزه فى رجب ١٤٢١ ه.

مقدمه المؤلف

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

[مقدمه المؤلف]

قال الشيخ الإمام مجد الإسلام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانى النحوى

رحمه اللّه عليه و رضوانه:

الحمد للّه رب العالمين، و صلواته على سيدنا محمد النبى و آله أجمعين.

اعلم أن الكلام هو الذى يعطى العلوم منازلها، و يبيّن مراتبها، و يكشف عن صورها، و يجنى صنوف ثمرها، و يدلّ على سرائرها، و يبرز مكنون ضمائرها، و به أبان اللّه تعالى الإنسان من سائر الحيوان، و نبّه فيه على عظم الامتنان، فقال عزّ من قائل:

الرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسانَ، عَلَّمَهُ الْبَيانَ [الرحمن ١- ۴]، فلولاه لم تكن لتتعدّى فوائد العلم عالمه، و لا صحّ من العاقل أن يفتق عن أزاهير العقل كمائمه، و لتعطّلت قوى الخواطر و الأفكار من معانيها، و استوت القضيّه فى موجودها و فانيها.

نعم، و لوقع الحىّ الحسّاس فى مرتبه الجماد، و لكان الإدراک كالذى ينافيه من الأضداد، و لبقيت القلوب مقفله على ودائعها، و المعانى مسجونه فى مواضعها، و لصارت القرائح عن تصرّفها معقوله، و الأذهان عن سلطانها معزوله، و لما عرف كفر من إيمان، و إساءه من إحسان، و لما ظهر فرق بين مدح و تزيين، و ذمّ و تهجين. ثم إنّ الوصف الخاصّ به، و المعنى المثبت لنسبه، أنه يريک المعلومات بأوصافها التى وجدها العلم عليها، و يقرّر كيفياتها التى تناولها «۱» المعرفه إذا سمت إليها.

و إذا كان هذا الوصف مقوّم ذاته و أخصّ صفاته، كان أشرف أنواعه ما كان فيه أجلى و أظهر، و به أولى و أجدر. و من هاهنا يبيّن للمحصل، و يتقرّر فى نفس المتأمّل، كيف ينبغى أن يحكم فى تفاضل الأقوال إذا أراد أن يقسّم بينها حظوظها من الاستحسان، و يعدّل القسمه بصائب القسطاس و الميزان.

و من البيّن الجلىّ أن التباين فى هذه الفضيله، و التباعد عنها

إلى ما ينافيها من

---

(١) تناولها: أصله تتناولها على المضارع: حذفت إحدى التاءين تخفيفا، و فى نسخه: (تناولتها) على المضى.

الرذيله، ليس بمجرّد اللفظ «١». كيف؟ و الألفاظ لا تفيد حتى تؤلّف ضربا خاصّا من التأليف، و يعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب و الترتيب. فلو أنك عمدت إلى بيت شعر أو فصل نثر فعددت كلماته عدّا كيف جاء و اتّفق، و أبطلت نضده «٢» و نظامه الذى عليه بنى، و فيه أفرغ المعنى و أجرى، و غيّرت ترتيبه الذى بخصوصيته أفاد ما أفاد، و بنسقه المخصوص أبان المراد، نحو أن تقول فى: [من الطويل] قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل «٣» «منزل قفا ذكرى من نبك حبيب»، أخرجته من كمال البيان، إلى مجال الهذيان. نعم و أسقطت نسبته من صاحبه، و قطعت الرّحم بينه و بين منشئه، بل أحلت أن يكون له إضافه إلى قائل، و نسب يختصّ بمتكلم. و فى ثبوت هذا الأصل ما تعلم به أنّ المعنى الذى له كانت هذه الكلم بيت شعر أو فصل خطاب، هو ترتيبها على طريقه معلومه، و حصولها على صوره من التأليف مخصوصه. و هذا الحكم- أعنى الاختصاص فى الترتيب- يقع فى الألفاظ مرتّبا على المعانى المرتّبه فى النفس، المنتظمه فيها على قضيّه العقل «۴». و لا يتصوّر فى الألفاظ وجوب تقديم و تأخير، و تخصّص فى ترتيب و تنزيل، و على ذلك وضعت المراتب و المنازل فى الجمل المركّبه، و أقسام الكلام

المدوّنه، فقيل: من حق هذا أن يسبق ذلك، و من حقّ ما هاهنا أن يقع هنالك، كما قيل فى المبتدأ و الخبر و المفعول و الفاعل، حتى حظر

---

(۱) و فى نسخه: الألفاظ، قلت: و لعله هو الأولى لاتفاقه مع ما بعده.

(۲) أى: نسقه و نظامه.

(۳) البيت لامرئ القيس من معلقته الشهيره و هو فى ديوانه: ۱۱۰، و انظر شرحه فى شرح المعلقات العشر للشنقيطى: ۵۸، و شرح القصائد العشر للتبريزى: ۲۰، و تمامه:

بسقط اللّوى بين الدخول فحومل و البيت من مفتاح العلوم تحقيق د. عبد الحميد هنداوى، طبعه دار الكتب العلميه: ۶۲۵، و الأزهيه: ۲۴۴، و خزانه الأدب: ۱/ ۳۳۲، ۳/ ۲۲۴، و الدرر: ۶/ ۷۱، و لسان العرب: ۲۰۹ (لوى)، و الإيضاح: ۳۶۹، تحقيق د. عبد الحميد هنداوى.

المعنى: قفا: يخاطب الشاعر نفسه أو صاحبه أو صاحبيه لأن العرب قد يخاطب الواحد منهم صاحبه مخاطبه الاثنين كما يخاطب الجماعه كذلك، ذكرى حبيب، و منزل: تذكر الحبيب و منزله الذى ألف النزول به. سقط اللوى: منقطع الرمل، و يقال للوى وحده كذلك: منقطع الرمل، و الدخول و حومل: قيل: إنهما موضعان من شرق اليمامه.

(۴) كلام المصنف هنا على قضيه النظم، و قد فصل الكلام عليها، و أشرنا إلى ذلك فى كتابه الآخر دلائل الإعجاز فراجعه.

فى جنس من الكلم بعينه أن يقع إلّا سابقا، و فى آخر أن يوجد إلا مبنيّا على غيره و به لاحقا، كقولنا: إن الاستفهام له صدر الكلام،

و إن الصفه لا تتقدم على الموصوف إلا أن تزال عن الوصفيه إلى غيرها من الأحكام.

فإذا رأيت البصير بجواهر الكلام يستحسن شعرا أو يستجيد نثرا، ثم يجعل الثناء عليه من حيث اللّفظ فيقول: حلو رشيق، و حسن أنيق، و عذب سائغ، و خلوب رائع، فاعلم أنه ليس ينبئك عن أحوال ترجع إلى أجراس الحروف «۱»، و إلى ظاهر الوضع اللغوىّ، بل إلى أمر يقع من المرء فى فؤاده، و فضل يقتدحه العقل من زناده.

و أمّا رجوع الاستحسان إلى اللفظ من غير شرك من المعنى فيه، و كونه من أسبابه و دواعيه، فلا يكاد يعدو نمطا واحدا، و هو أن تكون اللفظه مما يتعارفه الناس فى استعمالهم، و يتداولونه فى زمانهم، و لا يكون وحشيا غريبا، أو عامّيا سخيفا، سخفه بإزالته عن موضوع اللغه، و إخراجه عما فرضته من الحكم و الصفه، كقول العامه «أشغلت» و «انفسد». و إنما شرطت هذا الشرط، فإنه ربما استسخف اللفظ بأمر يرجع إلى المعنى دون مجرّد اللفظ، كما يحكى من قول عبيد اللّه بن زياد لما دهش: «افتحوا لى سيفى»، و ذلك أن «الفتح» خلاف «الإغلاق»، فحقّه أن يتناول شيئا هو فى حكم المغلق و المسدود، و ليس السّيف بمسدود، و أقصى أحواله أن يكون كونه فى الغمد بمنزله كون الثوب فى العكم «۲»، و الدرهم فى الكيس، و المتاع فى الصندوق. و «الفتح» فى هذا الجنس «۳» يتعدّى أبدا إلى الوعاء المسدود على الشى ء الحاوى له لا إلى ما فيه، فلا يقال: «افتح الثوب»، و إنما يقال: «افتح العكم» و «أخرج الثوب» و «افتح الكيس».

و هاهنا أقسام قد يتوهّم فى بدء الفكره، و قبل إتمام العبره، أنّ الحسن و

القبح فيها لا- يتعدّى اللفظ و الجرس، إلى ما يناجى فيه العقل النفس، و لها إذا حقّق النظر مرجع إلى ذلك، و منصرف فيما هنالك، منها: «التجنيس» و «الحشو».

---

(۱) جمع جرس- بكسر الجيم و بفتحها- و هو الصوت، أو الخفى منه.

(۲) العكم- بالكسر- كالعدل وزنا و معنى، و المراد بالعدل هنا الغراره و الجوالق، و هو نصف الحمل يكون على أحد جانبى البعير، أى: يكون على جانبى البعير عدلان، و قد سمى عدلا لتعادله و تماثله مع نظيره فى الشق الآخر. و العكم أيضا: نمط تجعل المرأه فيه ذخيرتها.

(۳) و فى نسخه: المعنى.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۱۶

القول فى التجنيس

القول فى التجنيس

أما «التجنيس» فإنك لا- تستحسن تجانس اللفظتين إلا- إذا كان وقع معنييهما من العقل موقعا حميدا، و لم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا، أتراك استضعفت تجنيس أبى تمام فى قوله: [من الكامل]

ذهبت بمذهبه السّماحه فالتوت فيه الظّنون: أ مذهب أم مذهب «۱»

و استحسنت تجنيس القائل: [من الرجز] حتى نجا من خوفه و ما نجا «۲» و قول المحدث: [من الخفيف]

ناظراه فيما جنى ناظراه أو دعانى أمت بما أو دعانى «۳»

لأمر يرجع إلى اللفظ؟ أم لأنك رأيت الفائده ضعفت عن

الأوّل و قويت فى الثانى؟ و رأيتك لم يزدك «بمذهب و مذهب» على أن أسمعك حروفا مكرره، تروم فائده فلا تجدها إلا مجهوله منكره، و رأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظه كأنه يخدعك عن الفائده و قد أعطاها، و يوهمك كأنه لم يزدك و قد أحسن الزياده و وفّاها، فبهذه السريره صار «التجنيس»- و خصوصا المستوفى منه المتّفق فى الصوره- من حلى الشّعر، و مذكورا فى أقسام البديع.

فقد تبين لك أن ما يعطى «التجنيس» من الفضيله، أمر لم يتمّ إلا بنصره المعنى، إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه مستحسن، و لما وجد فيه معيب مستهجن. و لذلك ذمّ الاستكثار منه و الولوع به.

و ذلك أن المعانى لا تدين فى كل موضع لما يجذبها التجنيس إليه، إذ الألفاظ

---

(١) البيت هو فى ديوانه: ٤٣، من قصيده يمدح بها الحسن بن وهب و يصف غلاما أهداه إليه، و البيت من دلائل الإعجاز: ٥٢٣.

(٢) البيت هو من إعجاز القرآن: ٥٢٣، و البيان و التبيين ١/ ١٥٠، و الحيوان: ٣/ ٧٥، و «نجا» الأولى بمعنى أحدث، و الثانيه بمعنى خلص (رشيد). قلت: «نجا» الأولى من النجو و هو ما يخرج من البطن من الغائط، يريد أنه من خوفه أحدث، ثم لم ينج من النجاه.

(٣) البيت هو ثانى بيتين يرويان لشمسويه البصرى، و لشداد بن إبراهيم الجزرى، و لأبى الفتح البستى، و هو فى دلائل الإعجاز: ٥٢٣. و قبله:

قيل للقلب ما دهاك؟ أجبنى قال لى: بائع الفرانى فرانى

و كان حق المصنف أن يذكره كذلك

فهو شاهد لما هو فيه من الجناس كذلك.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۱۷

خدم المعانى و المصرّفه فى حكمها، و كانت المعانى هى المالكه سياستها، المستحقّه طاعتها. فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشى ء عن جهته، و أحاله عن طبيعته، و ذلك مظنّه من الاستكراه، و فيه فتح أبواب العيب، و التّعرّض للشّين.

و لهذه الحاله كان كلام المتقدّمين الذين تركوا فضل العنايه بالسجع، و لزموا سجيّه الطبع، أمكن فى العقول، و أبعد من القلق، و أوضح للمراد، و أفضل عند ذوى التّحصيل، و أسلم من التفاوت، و أكشف عن الأغراض، و أنصر للجهه التى تنحو نحو العقل، و أبعد من التّعمّد الذى هو ضرب من الخداع بالتزويق، و الرضى بأن تقع النقيصه فى نفس الصّوره. و إنّ الخلقه، إذا أكثر فيها من الوشم و النقش، و أثقل صاحبها بالحلى و الوشى، قياس الحلى على السيف الدّدان «۱»، و التوسّع فى الدعوى بغير برهان، كما قال: [من الطويل]

إذا لم تشاهد غير حسن شياتها و أعضائها فالحسن عنك مغيّب «۲»

و قد تجد فى كلام المتأخرين الآن كلاما حمل صاحبه فرط شغفه بأمور ترجع إلى ما له اسم فى البديع، إلى أن ينسى أنّه يتكلم ليفهم، و يقول ليبين، و يخيّل إليه أنه إذا جمع بين أقسام البديع فى بيت فلا ضير أن يقع ما عناه فى عمياء،

و أن يوقع السامع من طلبه فى خبط عشواء، و ربّما طمس بكثره ما يتكلّفه على المعنى و أفسده، كمن ثقّل العروس بأصناف الحلى حتى ينالها من ذلك مكروه فى نفسها »(۳).

---

(۱) الددان من السيوف: نحو الكهام. و قال ثعلب: هو الذى يقطع به الشجر، و هو عند غيره إنما هو المعضد، و سيف كهام و ددان بمعنى واحد.

(۲) البيت للمتنبى فى ديوانه: ۲/ ۲۳۰، من قصيده أغالب فيك الشوق، و قبله:

و ما الخيل إلا كالصديق قليله و إن كثرت فى عين من لا يجرب

و البيت فى الإيضاح: ۳۴۶، تحقيق د. عبد الحميد هنداوى، طبعه مؤسسه المختار. و الشيات:

جمع شيه و هى كل لون فى الشى ء مخالف معظم لونه الأصلى و الضمير للخيل التى يصفها.

(۳) لا يفهم من هذا الكلام أن عبد القاهر يمنع من التحسين اللفظى أو يقف معارضا له، بل إن ذمه منصب على من بالغ فى هذا الأمر حتى جعل هذا التحسين همّه و دأبه و نسى غرضه، و تناسى وظيفه هذا التحسين و دوره فى تحقيق مطابقه الكلام لمقتضى الحال خلافا لمتأخرى البلاغيين الذين قصروا دور المحسنات اللفظيه على وظيفه التزيين و التحسين دون أن يكون لها أدنى دور فى تحقيق المطابقه، شأنها فى ذلك شأن العلمين الآخرين (المعانى و البيان) و قد فصلت القول فى هذه القضيه فى أكثر من موضع من كتبى، من ذلك الفصل الذى عقدته لذلك فى رسالتى للماجستير عن الجهود البلاغيه للإمام الطيبى، ط مكتبه نزار الباز، مكه المكرمه. و قد

بينت فيها أن تلك المحسنات منها ما هو بليغ، و منها ما هو مطابق، و منها ما هو متكلف، فليراجع ما كتبناه هنالك.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ١٨

فإن أردت أن تعرف مثالا فيما ذكرت لك، من أن العارفين بجواهر الكلام لا يعرّجون على هذا الفنّ إلا بعد الثقه بسلامه المعنى و صحّته، و إلا حيث يأمنون جنايه منه عليه، و انتقاصا له و تعويقا دونه، فانظر إلى خطب الجاحظ فى أوائل كتبه هذا- و الخطب من شأنها أن يعتمد فيها الأوزان و الأسجاع، فإنها تروى و تتناقل تناقل الأشعار، و محلّها محلّ النسيب و التشبيب «١» من الشعر الذى هو كأنه لا يراد منه إلّا الاحتفال فى الصنعه، و الدّلاله على مقدار شوط القريحه «٢»، و الإخبار عن فضل القوه، و الاقتدار على التفنّن فى الصنعه- قال فى أول كتاب الحيوان:

«جنّبک اللّه الشّبهه، و عصمک من الحيره، و جعل بينک و بين المعرفه سببا، و بين الصدق نسبا، و حبّب إليک التثبّت، و زيّن فى عينک الإنصاف، و أذاقک حلاوه التقوى، و أشعر قلبک عزّ الحق، و أودع صدرک برد اليقين و طرد عنک ذلّ اليأس، و عرّفک ما فى الباطل من الذلّه، و ما فى الجهل من القلّه».

فقد ترک أوّلا- أن يوفّق بين «الشبهه» و «الحيره» فى الإعراب، و لم ير أن يقرن «الخلاف» إلى «الإنصاف»، و يشفع «الحق» «بالصدق»، و لم يعن بأن يطلب «لليأس» قرينه تصل جناحه، و شيئا يكون رديفا له، لأنه رأى التوفيق

بين المعانی أحقّ، و الموازنه فيها أحسن، و رأی العنايه بها حتی تكون إخوه من أب و أمّ؛ و يذرها علی ذلک تتّفق بالوداد، علی حسب اتّفاقها بالميلاد، أولی من أن يدعها، لنصره السجع و طلب الوزن، أولاد علّه «۳»، عسی أن لا يوجد بينها وفاق إلا فی الظواهر، فأما أن يتعدّی ذلک إلی الضمائر، و يخلص إلی العقائد و السّرائر، ففی الأقلّ النادر.

و علی الجمله فإنک لا تجد تجنيسا مقبولا، و لا سجعا حسنا، حتی يكون المعنی هو الذی طلبه و استدعاه و ساق نحوه، و حتی تجده لا تبتغی به بدلا، و لا تجد عنه حولا، و من هاهنا كان أحلی تجنيس تسمعه و أعلاه، و أحقّه بالحسن و أولاه، ما وقع من غير قصد من المتكلم إلی اجتلابه، و تأهّب لطلبه، أو ما هو- لحسن ملاءمته، و إن كان مطلوبا- بهذه المنزله و فی هذه الصوره، و ذلک كما يمثّلون به أبدا من قول الشافعی رحمه اللّه تعالی و قد سئل عن النّبيذ فقال: «أجمع

---

(۱) نسب بالمرأه:- كنصر و ضرب- وصف محاسنها بالشعر، و النسيب و التشبيب بالنساء واحد.

(۲) الشوط: هو الجری مره واحده إلی غايه.

(۳) أولاد العله و العلات: هم الذين أبوهم واحد، و أمهاتهم شتی، و قد ورد فی الحديث: «نحن معشر الأنبياء إخوه لعلات» يقصد أن الدين واحد و الشرائع شتّی.

أهل الحرمين علی تحريمه». و مما تجده كذلک قول البحتری: [من الكامل]

يعشى عن المجد الغبىّ و لن ترى فى سؤدد أربا لغير أريب «۱»

و قوله: [من الوافر]

فقد أصبحت أغلب تغلبيّا على أيدى العشيره و القلوب «۲»

و مما هو شبيه به قوله: [من الكامل]

و هوى هوى بدموعه فتبادرت نسقا يطأن تجلّدا مغلوبا «۳»

و قوله: [من الكامل]

ما زلت تقرع باب بابل بالقنا و تزوره فى غاره شعواء «۴»

و قوله: [من الكامل]

ذهب الأعالى حيث تذهب مقله فيه بناظرها حديد الأسفل «۵»

و مثال ما جاء من السجع هذا المجى ء و جرى هذا المجرى فى لين مقادته، و حل هذا المحلّ من القبول قول القائل: «اللّهم هب لى حمدا، و هب لى مجدا، فلا مجد إلا بفعال، و لا فعال إلّا بمال» «۶»، و قول ابن العميد: «فإن الإبقاء على خدم السلطان عدل الإبقاء على ماله، و الإشفاق على حاشيته و حشمه، عدل الإشفاق على ديناره و درهمه».

---

(۱) البيت هو فى ديوانه، و الإيضاح: ۳۳۷، تحقيق د. عبد الحميد

هنداوى، يعشـى: أراد يعمى، و القصد أنه لا يشغل به و طريقه الكنايه. السؤدد: رفعه القدر و كرم المنصب. أرب: غايه، و مأرب، أريب: عاقل لبيب.

(٢) البيت فى ديوانه.

(٣) البيت من الكامل، و هو فى ديوانه.

(۴) البيت فى ديوانه.

(۵) البيت فى ديوانه فى وصف الفرس، و قبله:

جذلان ينفض عذره فى غره يقق تسيل حجولا فى جندل

كالرائح النشوان أكثر مشيه عرضا على السنن البعيد الأطول

(۶) هو مشـهور من دعـاء قيس بن سـعد بن عباده الخزرجى رضـى اللّه عنه، صـحابى، و هـذا الـدعاء أورده الجاحظ فى البيان و التبيين ٣/ ٢٨۴، و هو مـذكور فى ترجمته أيضا. و لكن أصح منه أنه من دعاء أبيه سـعد بن عباده، رواه ابن سـعد قال: أخبرنا أبو أسامه قال: حدثنا هشام بن عروه عن أبيه أن سـعدا بن عباده كان يدعو» و ذكر الدعاء، و تمامه عنده: «اللهم لا يصلحنى القليل و لا أصلح عليه»، طبقات ابن سعد ٣/ ١۴٣ [محمود شاكر].

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٢٠

و لست تجد هذا الضرب يكثر فى شى ء، و يستمرّ كثرته و استمراره فى كلام القدماء، كقول خالد: «ما الإنسان، لو لا اللسان، إلا صوره ممثله، و

بهيمه مهمله»، و قول الفضل بن عيسى الرقاشى: «سل الأرض فقل: من شقّ أنهارك، و غرس أشجارك، و جنى ثمارك، فإن لم تجبك حوارا، أجابتك اعتبارا».

و إن أنت تتبّعته من الأثر و كلام النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، تثق كلّ الثقه بوجودك له على الصّفه التى قدمت، و ذلك كقول النبى عليه السلام: «الظّلم ظلمات يوم القيامه»، و قوله صلوات اللّه عليه: «لا تزال أمّتى بخير ما لم تر الغنى مغنما، و الصدقه مغرما»، و قوله: «يا أيّها الناس؛ أفشوا السلام، و أطعموا الطعام، و صلوا الأرحام، و صلّوا بالليل، و الناس نيام، تدخلوا الجنّه بسلام».

فأنت لا تجد فى جميع ما ذكرت لفظا اجتلب من أجل السجع، و ترك له ما هو أحقّ بالمعنى منه و أبرّ به، و أهدى إلى مذهبه.

و لذلك أنكر الأعرابى حين شكا إلى عامل ألما بقوله: «حلأت «۱» ركابى، و شقّقت ثيابى، و ضربت صحابى»، فقال له العامل: «أو تسجع أيضا» إنكار العامل السجع حتى قال: «فكيف أقول؟»، و ذاك أنّه لم يعلم أصلح لما أراد من هذه الألفاظ و لم يره بالسجع مخلّا بمعنى، أو محدثا فى الكلام استكراها، أو خارجا إلى تكلّف و استعمال لما ليس بمعتاد فى غرضه. و قال الجاحظ: «لأنه لو قال: «حلّئت إبلى» أو «جمالى» أو «نوقى» أو «بعرانى» أو «صرمتى» «۲» لكان لم يعبّر عن حقّ معناه، و إنما حلّئت ركابه، فكيف يدع «الركاب» إلى غير الرّكاب؟ و كذلك قوله: «و شقّقت ثيابى، و ضربت صحابى».

فقد تبين من هذه الجمله أن المعنى المقتضى اختصاص هذا النّحو بالقبول:

هو أنّ المتكلم لم يقد المعنى نحو التجنيس و السّجع، بل قاده المعنى إليهما، و عبر

(۱) الرّكاب بالكسر: الإبل التى يسار عليها، واحدتها: راحله، و لا واحد لها من لفظها، و جمعها «ركب» بضم الكاف مثل «كتب» و فى حديث النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: «إذا سافرتم فى الخصب فأعطوا الرّكاب أسنتها» أى: أمكنوها من الرعى، و أما قوله: (حلأت ركابى) فيقال: حلأ الإبل و الماشيه عن الماء تحليئا و تحلئه: طردها أو حبسها عن الورود و منعها أن ترده.

(۲) الصّرمه بالكسر: القطعه من الإبل، قيل: هى ما بين العشرين إلى الثلاثين، و قيل: ما بين الثلاثين إلى الخمسين و الأربعين، فإذا بلغت الستين فهى: «الصّدعه»، و قيل: ما بين العشره إلى الأربعين، و قيل: ما بين عشره إلى بضع عشره.

به الفرق عليهما، حتى إنه لو رام تركهما إلى خلافهما مما لا تجنيس فيه و لا سجع، لدخل من عقوق المعنى و إدخال الوحشه عليه، فى شبيه بما ينسب إليه المتكلف للتّجنيس المستكره، و السجع النّافر. و لن تجد أيمن طائرا، و أحسن أوّلا و آخرا، و أهدى إلى الإحسان، و أجلب للاستحسان، من أن ترسل المعانى على سجيّتها، و تدعها تطلب لأنفسها الألفاظ، فإنها إذا تركت و ما تريد لم تكتس إلا ما يليق بها، و لم تلبس من المعارض إلا ما يزينها. فأمّا أن تضع فى نفسك أنه لا بدّ من أن تجنس أو تسجع بلفظين مخصوصين، فهو الذى أنت منه بعرض الاستكراه «۱»، و على خطر من الخطأ و الوقوع فى الذّمّ، فإن ساعدك

الجدّ كما ساعد فى قوله: «أو دعانى أمت بما أو دعانى»، و كما ساعد أبا تمام فى نحو قوله: [من الطويل]

و أنجدتم من بعد إتهام داركم فيا دمع أنجدنى على ساكنى نجد «٢»

و قوله: [من الكامل]

هنّ الحمام، فإن كسرت عيافه من حائهن فإنهنّ حمام «٣»

فذاك، و إلّا أطلقت ألسنه العيب، و أفضى بك طلب الإحسان من حيث لم يحسن الطلب، إلى أفحش الإساءه و أكبر الذنب، و وقعت فيما ترى من ينصرك، لا يرى أحسن من أن لا يرويه لك، و يودّ لو قدر على نفيه عنك، و ذلك كما تجده لأبى

---

(١) أى: بجانب الاستكراه، و المقصود ذم تكلف التجنيس و طلب التحسين و تعمده و استكراه اللفظ عليه دون أن يقتضيه المعنى، و تنقاد له النفس، و يستلذه الحسّ؛ و ليس معنى ذلك أن اختيار التجنيس و أشباهه من المحسنات مذموم إذا كان موافقا للمعنى، مطابقا للمقتضى، فإذا حضرك لفظان أحدهما يوافق المعنى بلا تجنيس، و الآخر يوافقه مع زياده التجنيس أو التحسين؛ فإن حق البلاغه و الفصاحه هنا اختيار اللفظ الذى هو آنق فى السمع، و أوفق للنفس و الحسّ؛ فإن التحسين و التزيين المطابق لا يخفى أنه يقع من البلاغه بمكان، و أنه هو الذى يجذب النفس إلى المعانى، و يهون عليها ثقل اللفظ و رتابته.

(٢) البيت فى ديوانه: ١٢٠ من قصيده قالها فى

مدح موسى بن إبراهيم الرافقىّ و يعتذر إليه، و قبله:

شهدت لقد أقوت مغانيكم بعدى و محّت كما محّت و شائع من برد

و البيت فى الإيضاح: ۳۳۷، تحقيق د. عبد الحميد هنداوى.

أنجدتم: سكنتم نجدا. إتهام داركم: اتخاذها فى تهامه. أنجدنى: ساعدنى و عاونى.

(۳) البيت لأبى تمام فى ديوانه: ۲۶۳، عن قصيده فى مدح المأمون، و قبله:

أ تحدّرت عبرات عينك أن دعت ورقاء حين تصعصع الإظلام

لا تنشجينّ لها فإن بكاءها ضحكك و إن بكاءك استغرام

العيافه: زجر الطير. و الحمام: الموت. استغرام: أى: داع للغرام و هو الهلاك.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۲

تمام إذا أسلم نفسه للتكلف، و يرى أنه إن مرّ على اسم موضع يحتاج إلى ذكره أو يتصل بقصه يذكرها فى شعره، من دون أن يشتقّ منه تجنيسا، أو يعمل فيه بديعا، فقد باء بإثم، و أخلّ بفرض حتم، من نحو قوله: [من البسيط]

سيف الإمام الذى سمّته هبّته

لمّا تخرّم أهل الكفر مخترما

إنّ الخليفه لمّا صال كنت له خليفه الموت فيمن جار أو ظلما

قرّت بقرّان عين الدين و اشتترت بالأشترين عيون الشّرک فاصطلما «۱»

و كقول بعض المتأخرين: [من الكامل]

البس جلابيب القنا عه إنّها أوقى رداء

ينجيک من داء الحرى ص معا و من أوقار داء «۲»

و كقول أبى الفتح البستى: [من السريع]

جفّوا فما فى طينهم للذى يعصره من بلّه بلّه «۳»

و قوله: [من الوافر]

أخ لى لفظه درّ و كلّ فعاله برّ

تلقّانى فحيّانى بوجه بشره بشر «۴»

لم يساعدهما حسن التوفيق كما ساعد فى نحو قوله:

[من الوافر]

و كلّ غنى يتيه به غنيّ فمرتجع بموت أو زوال

---

(١) الأبيات لأبى تمام فى ديوانه: ٢٨۴، من قصيده قالها فى مدح إسحاق بن إبراهيم المصعبى.

و الشتر: انقلاب الجفن من أعلى و أسفل قلما يكون خلقه، و قيل: هو أن ينشق الجفن حتى ينفصل الحتار. و قرّان (بالضم و تشديد الراء) و الأشتران: مواضع فى بلاد الخرميه بين نهاوند و همدان. و الجناس فى البيت الأخير يسمونه المطلق.

(٢) أوقار داء: الأوقار: جمع وقر بالفتح و هو الحمل الثقيل، أى: أثقال داء، و الجناس فى قافيه البيتين يسمونه المركب و تركيبه فى الطرفين (رشيد رضا).

(٣) فى المخطوطه و المطبوعتين: «من بله باللّه» و هو كلام بلا معنى، و الصواب ما فى ترجمته فى يتيمه الدهر للثعالبى، و البلّه الأولى: البلل. و البله الثانيه: الخير و الرزق و ما ينتفع به (محمود شاكر).

(۴) البيتان هما لأبى الفتح البستى فى ديوانه. و البشر (بالتحريك) جمع بشره: و هى ظاهر الجلد و سكن الشين للضروره.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٢٣

و هب جدّى طوى لى الأرض طرّا أ ليس الموت يزوى ما زوى لى «١»

و نحوه: [من السريع]

منزلتى تحفظ من ذلّتى و باحتى تكرم ديباجتى «۲»

و اعلم أنّ النكته التى ذكرتها فى التجنيس، و جعلتها العلّه فى استيجابه الفضيله و هى حسن الإفاده، مع أنّ الصوره صوره التكرير و الإعاده و إن كانت لا تظهر الظهور التامّ الذى لا يمكن دفعه، إلا فى المستوفى المتفق الصوره منه كقوله: [من الكامل]

ما مات من كرم الزمان فإنه يحيى لدى يحيى بن عبد اللّه «۳»

أو المرفوّ الجارى هذا المجرى كقوله: «أو دعانى أمت بما أو دعانى». فقد يتصوّر فى غير ذلك من أقسامه أيضا، فمما يظهر ذاك فيه ما كان نحو قول أبى تمام:

[من الطويل]

يمدّون من أيد عواص عواصم تصول بأسياف قواض قواضب «۴»

و قول البحترى: [من الطويل]

لئن صدفت عنّا فربّت أنفس صواد إلى تلك الوجوه الصّوادف «۵»

---

(۱) البيتان هما لأبى الفتح البستى فى ديوانه، و أخطأ من نسبهما لأبى الفضل الميكالىّ، و روايه الديوان: «طوى لى الأرض طيا» و هى أجود [محمود شاكر].

(۲) البيت لأبى الفتح البستى فى ديوانه، و فى مطبوعه محمود شاكر: «منزلتى يحفظها منزلى».

و الديباجه: صفحه الوجه، و الباجه: الكيس تكون فيه الدراهم، فهى التى تحفظ

على الوجه ديباجه وجهه.

(۳) البيت لأبى تمام فى ديوانه، و المصباح: ۱۸۴، و الإيضاح: ۵۳۶، و التجنيس بين الفعل «يحيا» و الاسم «يحيى».

(۴) البيت فى ديوانه: ۴۶، من قصيده قالها يمدح أبا دلف القاسم بن عيسى العجلى، و قبله:

جحافل لا يتركن ذا جبريه سليما و لا يحربن من لم يحارب

و البيت فى الإيضاح: ۳۳۵، تحقيق د. عبد الحميد هنداوى، و الطراز: ۲/ ۳۶۲، و المصباح:

۱۸۷، و إعجاز القرآن: ۸۷، و كتاب الصناعتين: ۳۴۳، و نهايه الإعجاز: ۱۲۸، و الشاهد فى قوله:

عواص عواصم، و قواض قواضب.

القواضب: السيوف القاطعه.

(۵) البيت فى ديوانه. و الصوادف: الإبل التى تأتى على الحوض فتقف عند أعجازها تنتظر انصراف الشاربه لتدخل.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۴

و ذلك أنك تتوهم قبل أن يرد عليك آخر الكلمه كالميم من «عواصم» و الباء من «قواضب»، أنها هى التى مضت، و قد أرادت أن تجيئك ثانيه، و تعود إليك مؤكّده، حتى إذا تمكن فى نفسك تمامها، و وعى سمعك آخرها، انصرفت عن ظنّك الأول، و زلت عن الذى سبق من التخيّل، و فى ذلك ما ذكرت لك من طلوع الفائده بعد أن يخالطك اليأس منها، و حصول الربح بعد أن تغالط فيه حتى ترى أنه رأس المال.

فأما ما يقع التجانس فيه على العكس من هذا، و ذلك أن تختلف الكلمات من أوّلها كقول البحترى: [من

الخفيف]

بسيوف إيماضها أوجال للأعادى و وقعها آجال «۱»

و كذا قول المتأخر: [من الطويل]

و كم سبقت منه إلىّ عوارف ثنائى من تلك العوارف وارف

و كم غرر من برّه و لطائف لشكرى على تلك اللّطائف طائف

و ذلک أنّ زياده «عوارف» على «وارف» بحرف اختلاف من مبدأ الكلمه فى الجمله، فإنه لا يبعد كلّ البعد عن اعتراض طرف من هذا التخيّل فيه، و إن كان لا يقوى تلك القوه، كأنك ترى أن اللفظه أعيدت عليك مبدلا من بعض حروفها غيره أو محذوفا منها. و يبقى فى تتبّع هذا الموضع كلام حقّه غير هذا الفصل و ذلک حيث يوضع.

فصل فى قسمه التجنيس و تنويعه

فصل فى قسمه التجنيس و تنويعه

فالذى يجب عليه الاعتماد فى هذا الفنّ، أن التوهّم على ضربين: ضرب يستحكم حتى يبلغ أن يصير اعتقادا.

و ضرب لا- يبلغ ذلک المبلغ، و لكنه شى ء يجرى فى الخاطر، و أنت تعرف ذلک و تتصور وزنه إذا نظرت إلى الفرق بين الشيئين يشتبهان الشبه التامّ؛ و الشيئين يشبه أحدهما بالآخر على ضرب من التقريب، فاعرفه.

و أما «الحشو» فإنما كره و ذمّ و أنكر و ردّ، لأنه خلا من الفائده، و لم يحل منه

---

(۱) البيت فى ديوانه.

بعائده، و لو أفاد لم يكن حشوا، و لم يدع لغوا. و قد تراه مع إطلاق هذا الاسم عليه واقعا من القبول أحسن موقع، و مدركا من الرّضى أجزل حظّ، و ذاك لإفادته إيّاك، على مجيئه مجى ء ما لا يعوّل فى الإفاده عليه، و لا طائل للسامع لديه، فيكون مثله مثل الحسنه تأتيك من حيث لم ترقبها، و النافعه أتتك و لم تحتسبها، و ربّما رزق الطّفيلىّ ظرفا يحظى به حتى يحلّ محلّ الأضياف الذين وقع الاحتشاد لهم، و الأحباب الذين وثق بالأنس منهم و بهم.

و أما التطبيق و الاستعاره و سائر أقسام البديع، فلا شبهه أنّ الحسن و القبح لا يعترض الكلام بهما إلّا من جهه المعانى خاصّه، من غير أن يكون للألفاظ فى ذلك نصيب، أو يكون لها فى التحسين أو خلاف التحسين تصعيد و تصويب.

أما «الاستعاره»، فهى ضرب من التشبيه، و نمط من التمثيل، و التشبيه قياس، و القياس يجرى فيما تعيه القلوب، و تدركه العقول، و تستفتى فيه الأفهام و الأذهان، لا الأسماع و الآذان.

و أما «التطبيق»، فأمره أبين، و كونه معنويا أجلى و أظهر، فهو مقابله الشى ء بضده، و التضادّ بين الألفاظ المركّبه محال، و ليس لأحكام المقابله ثمّ مجال.

فخذ إليك الآن بيت الفرزدق الذى يضرب به المثل فى تعسّف اللفظ: [من الطويل]

و ما مثله فى الناس إلا مملّكا أبو أمّه حىّ أبوه يقاربه «۱»

فانظر أ تتصوّر أن يكون ذلك للفظه من حيث إنّك أنكرت شيئا، من حروفه، أو صادفت وحشيّا غريبا، أو سوقيّا ضعيفا؟ أم ليس إلّا لأنه لم يرتّب الألفاظ فى الذكر، على موجب ترتيب المعانى فى الفكر، فكدّ و كدّر، و منع السامع أن يفهم الغرض إلّا بأن يقدّم و يؤخّر، ثم أسرف فى إبطال النّظام، و إبعاد المرام، و صار كمن رمى بأجزاء تتألّف منها صوره، و لكن بعد أن يراجع فيها بابا من الهندسه، لفرط ما عادى بين أشكالها، و شدّه ما خالف بين أوضاعها.

و إذا وجدت ذلك أمرا بيّنا لا يعارضك فيه شكّ، و لا يملكك معه امتراء، فانظر

---

(١) البيت للفرزدق، و موجود فى الإشارات و التنبيهات: ١١، الخصائص: ١/ ١٤٦، الإيضاح: ٧٦، الكتاب لسيبويه: ١/ ٣٢، و الكامل للمبرد: ١/ ١٨، و الموشح للمرزبانى: ٩٤، و معاهد التنصيص للعباسى: ١/ ١٦، و نهايه الإيجاز: ٢٧٩.

إلى الأشعار التى أثنوا عليها من جهه الألفاظ، و وصفوها بالسلامه، و نسبوها إلى الدّماثه، و قالوا: كأنّها الماء جريانا، و الهواء لطفا، و الرياض حسنا، و كأنها النّسيم، و كأنها الرّحيق مزاجها التّسنيم، و كأنها الديباج الخسروانىّ فى مرامى الأبصار، و وشى اليمن منشورا على أذرع التّجار، كقوله: [من الطويل]

و لمّا قضينا من منى كلّ حاجه و مسّح بالأركان من هو ماسح

و شدّت على دهم المهارى رحالنا و لم ينظر الغادى الّذى هو رائح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا و سالت بأعناق المطىّ الأباطح «١»

ثم راجع فكرتك، و اشحذ بصيرتك، و أحسن التأمّل، و دع عنك التجوّز فى الرأى، ثم انظر هل تجد لاستحسانهم و حمدهم و ثنائهم و مدحهم منصرفا، إلّا إلى استعاره وقعت موقعها، و أصابت غرضها، أو حسن ترتيب تكامل معه البيان حتى وصل المعنى إلى القلب مع وصول اللفظ إلى السمع، و استقرّ فى الفهم مع وقوع العباره فى الأذن، و إلا إلى سلامه الكلام من الحشو غير المفيد، و الفضل الذى هو كالزياده فى التحديد، و شى ء داخل المعانى المقصوده مداخله الطفيلىّ الذى يستثقل مكانه، و الأجنبىّ الذى يكره حضوره، و سلامته من التقصير الذى يفتقر معه السامع إلى تطلّب زياده بقيت فى نفس المتكلم، فلم يدلّ عليها بلفظها الخاصّ بها، و اعتمد دليل حال غير مفصح، أو نيابه مذكور ليس لتلك النّيابه بمستصلح.

و ذلك أن أوّل ما يتلقّاك من محاسن هذا الشعر أنه قال:

و لمّا قضينا من منى كلّ حاجه فعبّر عن قضاء المناسک بأجمعها و الخروج من فروضها و سننها، من طريق أمكنه أن يقصّر معه اللفظ، و هو طريقه العموم، ثم نبّه بقوله:

---

(١) الأبيات فى الإيضاح: ١٧٥- ١٧۶، تحقيق د. عبد الحميد هنداوى. و دلائل الإعجاز: ٧۴، ٧۵، ٢٩۵. و

هى تروى لكثير و ليزيد بن الطثريه و لعقبه بن كعب بن زهير بن أبى سلمى، و انظر تخريجها فى ديوان كثير، و فى هامش المخطوطه فى لسان العرب: كل مختار طرف و الجمع أطراف، قال ابن سيده: عنى بأطراف الأحاديث مختاره، و ما يتعاطاه المحبون، و يتفاوضه ذوو الصبابه المتيمون، من التعريض و التلويح و الإيماء دون التصريح و ذلك أحلى و أخف و أغزل و أنسب من أن يكون مشافهه و كشفا و مصارحه و جهرا. و طرائف الحديث: مختاره و هذا نص ما فى لسان العرب (طرف)، فى شرح هذا البيت، و كل ذلك اختطفه ابن سيده من كلام ابن جنى فى الخصائص: ۱/ ۲۲۰، ثم انظر أيضا شرح الأبيات فى الخصائص لابن جنى: ۱/ ۲۱۷، ۲۲۱، و هو فصل جيد جدا. [محمود شاكر].

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۷

و مسّح بالأركان من هو ماسح على طواف الوداع الذى هو آخر الأمر، و دليل المسير الذى هو مقصوده من الشعر. ثم قال:

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا فوصل بذكر مسح الأركان، ما وليه من زمّ الركاب و ركوب الرّكبان، ثم دلّ بلفظه «الأطراف» على الصّفه التى يختصّ بها الرّفاق فى السّفر، من التصرف فى فنون القول و شجون الحديث، أو ما هو عاده المتظرّفين، من الإشاره و التلويح و الرّمز و الإيماء، و أنبأ بذلك عن طيب النفوس، و قوّه النشاط، و فضل الاغتباط، كما توجبه ألفه الأصحاب و أنسه الأحباب، و كما يليق بحال من وفّق لقضاء العباده

الشريفه و رجا حسن الإياب، و تنسّم روائح الأحبّه و الأوطان، و استماع التهانى و التّحايا من الخلّان و الإخوان.

ثم زان ذلك كلّه باستعاره لطيفه طبّق فيها مفصل التشبيه، و أفاد كثيرا من الفوائد بلطف الوحى و التنبيه، فصرّح أوّلا بما أومأ إليه فى الأخذ بأطراف الأحاديث، من أنهم تنازعوا أحاديثهم على ظهور الرّواحل، و فى حال التوجّه إلى المنازل، و أخبر بعد بسرعه السير، و وطاءه الظّهر، إذ جعل سلاسه سيرها بهم كالماء تسيل به الأباطح، و كان فى ذلك ما يؤكّد ما قبله، لأن الظّهور إذا كانت وطيئه و كان سيرها السّير السهل السريع، زاد ذلك فى نشاط الرّكبان، و مع ازدياد النشاط يزداد الحديث طيبا.

ثم قال: «بأعناق المطىّ»، و لم يقل «بالمطىّ»، لأن السرعه و البطء يظهران غالبا فى أعناقها، و يبين أمرهما من هواديها و صدورها، و سائر أجزائها تستند إليها فى الحركه، و تتبعها فى الثّقل و الخفّه، و يعبّر عن المرح و النشاط، إذا كانا فى أنفسها، بأفاعيل لها خاصّه فى العنق و الرأس، و تدلّ عليهما بشمائل مخصوصه فى المقاديم.

فقل الآن: هل بقيت عليك حسنه تحيل فيها على لفظه من ألفاظها حتى إنّ فضل تلك الحسنه يبقى لتلك اللفظه لو ذكرت على الانفراد، و أزيلت عن موقعها من نظم الشاعر و نسجه و تأليفه و ترصيفه، و حتى تكون فى ذلك كالجوهره التى هى، و إن ازدادت حسنا بمصاحبه أخواتها، و اكتست بهاء بمضامّه أترابها، فإنها إذا جليت للعين فرده، و تركت فى الخيط فذّه، لم تعدم الفضيله الذاتيه، و البهجه التى فى نفسها مطويّه و الشّذره من الذهب تراها بصحبه الجواهر لها فى القلاده، و اكتنافها لها

فی عنق الغاده، و وصلها بریق جمرتها و التهاب جوهرها، بأنوار تلک الدّرر التی

أسرار البلاغه فی علم البیان، ص: ۲۸

تجاورها، و لألاء اللآلئ تناظرها تزداد جمالا فی العین، و لطف موقع من حقیقه الزین. ثم هی إن حرمت صحبه تلک العقائل، و فرّق الدهر الخئون بینها و بین هاتیک النفائس، لم تعر من بهجتها الأصیله، و لم تذهب عنها فضیله الذّهبیه. کلّا، لیس هذا بقیاس الشعر الموصوف بحسن اللفظ، و إن کان لا یبعد أن یتخیّله من لا ینعم النظر، و لا یتمّ التدبّر، بل حقّ هذا المثل أن یوضع فی نصره بعض المعانی «۱» الحکمیه و التشبیهیه بعضا، و ازدیاد الحسن منها بأن یجامع شکل منها شکلا، و أن یصل الذّکر بین متدانیات فی ولاده العقول إیاها، و متجاورات فی تنزیل الأفهام لها.

و اعلم أن هذه الفصول التی قدّمتها و إن کانت قضایا لا یکاد یخالف فیها من به طرق، فإنه قد یذکر الأمر المتّفق علیه، لیبنی علیه المختلف فیه. هذا و ربّ وفاق من موافق قد بقیت علیه زیادات أغفل النظر فیها، و ضروب من التلخیص و التهذیب لم یبحث عن أوائلها و ثوانیها، و طریقه فی العباره عن المغزی فی تلک الموافقه لم یمهّدها، و دقیقه فی الکشف عن الحجه علی مخالف لو عرض من المتکلفین لم یجدها، حتی تراه یطلق فی عرض کلامه ما یبرز به وفاقا فی معرض خلاف، و یعطیک إنکارا و قد هم باعتراف، و ربّ صدیق والاک قلبه، و عاداک فعله، فترکک

مكدودا لا تشتفى من دائك بعلاج، و تبقى منه فى سوء مزاج.

المقصد

المقصد

و اعلم أن غرضى فى هذا الكلام الذى ابتدأته، و الأساس الذى وضعته، أن أتوصّل إلى بيان أمر المعانى كيف تختلف و تتفق، و من أين تجتمع و تفترق، و أفصل أجناسها و أنواعها، و أتتبع خاصّها و مشاعها، و أبين أحوالها فى كرم منصبها من العقل، و تمكّنها فى نصابه، و قرب رحمها منه، أو بعدها حين تنسب عنه، و كونها كالحليف الجارى مجرى النّسب، أو الزّنيم الملصق بالقوم لا يقبلونه، و لا يمتعضون له و لا يذبّون دونه.

و إنّ من الكلام ما هو كما هو شريف فى جوهره كالذهب الإبريز الذى تختلف

---

(١) أى: فالحسن دائما راجع إلى المعانى اه. (رشيد). قلت: ليس معنى ذلك انعدام المزيه عن التحسين و التزيين بل عن اللفظ غير المطابق للمعنى فكأن التحسين اللفظى لما كان حسنه موقوفا على اتساقه مع المعنى، كان المرجع فى الحسن إلى المعانى، و لكن دون انتقاص لحق اللفظ و مزيته فتأمل. (عبد الحميد).

عليه الصور و تتعاقب عليه الصناعات، و جلّ المعوّل فى شرفه على ذاته، و إن كان التصوير قد يزيد فى قيمته و يرفع من قدره، و منه ما هو كالمصنوعات العجيبه من موادّ غير شريفه، فلها، ما دامت الصوره محفوظه عليها لم تنتقض، و أثر الصنعه باقيا معها لم يبطل قيمه تغلو، و منزله تعلو، و للرغبه إليها انصباب، و للنفوس بها إعجاب، حتى إذا خانت

الأيام فيها أصحابها، و ضامت الحادثات أربابها، و فجعتهم فيها بما يسلب حسنها المكتسب بالصّنعه، و جمالها المستفاد من طريق العرض، فلم يبق إلاـ المادّه العاريه من التصوير، و الطّينه الخاليه من التشكيل سقطت قيمتها، و انحطت رتبتها، و عادت الرّغبات التى كانت فيها زهدا، و أوسعتها عيون كانت تطمح إليها إعراضا دونها، و صدّا، و صارت كمن أحظاه الجدّ «۱» بغير فضل كان يرجع إليه فى نفسه، و قدّمه البخت من غير معنى يقضى بتقدّمه، ثم أفاق فيه الدهر عن رقدته، و تنبّه لغلطته، فأعاده إلى دقّه أصله، و قلّه فضله.

و هذا غرض لا ينال على وجهه، و طلبه لا تدرك كما ينبغى، إلا بعد مقدّمات تقدّم، و أصول تمهّد، و أشياء هى كالأدوات فيه حقّها أن تجمع، و ضروب من القول هى كالمسافات دونه، يجب أن يسار فيها بالفكر و تقطع.

و أوّل ذلك و أولاه، و أحقّه بأن يستوفيه النظر و يتقصّاه، القول على «التشبيه» و «التمثيل» و «الاستعاره»، فإن هذه أصول كبيره، كأنّ جلّ محاسن الكلام إن لم نقل: كلّها، متفرّعه عنها، و راجعه إليها، و كأنها أقطاب تدور عليها المعانى فى متصرّفاتها، و أقطار تحيط بها من جهاتها، و لا يقنع طالب التحقيق أن يقتصر فيها على أمثله تذكر، و نظائر تعدّ، نحو أن يقال: «الاستعاره» مثل قولهم «الفكره فخّ العمل»، و قوله: [من الطويل] و عرّى أفراس الصّبا و رواحله «۲» و قوله: «السفر ميزان القوم»، و قول الأعرابى: «كانوا إذا اصطفّوا سفرت بينهم

---

(۱) فى تاج العروس: أحظيت فلانا على فلان: فضلته عليه (رشيد) و الجد: بالفتح- الحظ و البخت.

(۲) البيت لزهير بن أبى سلمى فى ديوانه، و

صدره:

صحا القلب عن سلمى و أقصر باطله و البيت فی مفتاح العلوم: ۴۸۶، تحقیق د. عبد الحمید هنداوی، و أورده بدر الدین بن مالک فی المصباح: ۱۳۲، و عزاه إلیه، و القزوینی فی الإیضاح: ۴۴۶، و الطیبی فی التبیان: ۱ / ۳۰۲، و شرحه علی مشکاه المصابیح: ۱/ ۱۱۸، و العلوی فی الطراز: ۱/ ۲۳۳.

أسرار البلاغه فی علم البیان، ص: ۳۰

السهام، و إذا تصافحوا بالسیوف قفز الحمام»، و «التمثیل» کقوله:

فإنک کاللّیل الّذی هو مدرکی «۱» و یؤتی بأمثله إذا حقّق النّظر فی الأشیاء یجمعها الاسم الأعمّ، و ینفرد کل منها بخاصّه، من لم یقف «۲» علیها کان قصیر الهمّه فی طلب الحقائق، ضعیف المنّه فی البحث عن الدقائق، قلیل التّوق إلی معرفه اللطائف، یرضی بالجمل و الظواهر، و یری أن لا یطیل سفر الخاطر، و لعمری إنّ ذلک أروح للنفس، و أقلّ للشّغل، إلا أنّ من طلب الراحه ما یعقب تعبا، و من اختیار ما تقلّ معه الکلفه ما یفضی إلی أشدّ الکلفه، و ذلک أن الأمور التی تلتقی عند الجمله و تتباین لدی التفصیل، و تجتمع فی جذم ثم یذهب بها التشعّب و یقسمها قبیلا بعد قبیل، إذا لم تعرف حقیقه الحال فی تلاقیها حیث التقت، و افتراقها حیث افترقت، کان قیاس من یحکم فیها، إذا توسّط الأمر قیاس من أراد الحکم بین رجلین فی شرفهما و کرم أصلهما و ذهاب عرقهما فی الفضل، لیعلم أیّهما أقعد فی السؤدد، و أحقّ بالفخر، و أرسخ فی أرومه المجد، و هو لا

يعرف من نسبتهما أكثر من ولاده الأب الأعلى و الجد الأكبر، لجواز أنّ يكون واحد منهما قرشيا أو تميميا، فيكون فى العجز عن أن يبرم قضيه فى معناهما، و يبيّن فضلا أو نقصا فى منتماهما فى حكم من لا يعلم أكثر من أن كل واحد منهما آدميّ، ذكر، أو خلق مصوّر.

و اعلم أن الذى يوجبه ظاهر الأمر، و ما يسبق إلى الفكر، أن يبدأ بجمله من القول فى «الحقيقه» و «المجاز» و يتبع ذلك القول فى «التشبيه» و «التمثيل»، ثم ينسّق ذكر «الاستعاره» عليهما، و يؤتى بها فى أثرهما. و ذلك أن «المجاز» أعمّ من «الاستعاره»، و الواجب فى قضايا المراتب أن يبدأ بالعامّ قبل الخاصّ، و «التشبيه» كالأصل فى «الاستعاره»، و هى شبيه بالفرع له، أو صوره مقتضبه من صوره إلّا أنّ

---

(۱) البيت للنابغه الذبيانى فى ديوانه و تمامه:

«و إن خلت أن المنتأى عنك واسع» و البيت أورده القزوينى فى الإيضاح: ۱۷۷، تحقيق د. عبد الحميد هنداوى، و أورده محمد بن على الجرجانى فى الإشارات: ۱۶۶. و فى الكلام إشاره إلى تشبيه النعمان بالسيل فى اندفاعه و قوته بعد تشبيهه بالليل تشبيها يلاحظ من وجهه الرهبه و الخوف مع ضروره اللحاق و الإدراك، و البيت من إحدى الاعتذاريات التى نبغ فيها النابغه.

(۲) جمله «من لم يقف عليها» فى محل خفض صفه «خاصه». (رشيد).

هاهنا أمورا اقتضت أن تقع البدايه بالاستعاره، و بيان صدر منها، و التنبيه على طريق الانقسام فيها، حتى

إذا عرف بعض ما يكشف عن حالها، و يقف على سعه مجالها، عطف عنان الشرح إلى الفصلين الآخرين، فوفّيا حقوقها، و بيّن فروقهما، ثم ينصرف إلى استقصاء الكلام فى «الاستعاره».

تعريف الاستعاره

تعريف الاستعاره

اعلم أن «الاستعاره» فى الجمله أن يكون للّفظ أصل فى الوضع اللغوى معروف تدلّ الشواهد على أنه اختصّ به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر فى غير ذلك الأصل، و ينقله إليه نقلا غير لازم، فيكون هناك كالعاريه.

تقسيم الاستعاره

تقسيم الاستعاره

ثم إنها تنقسم أوّلا قسمين:

أحدهما: أن يكون لنقله فائده.

و الثانى: أن لا يكون له فائده، و أنا أبدأ بذكر غير المفيد، فإنه قصير الباع، قليل الاتساع، ثم أتكلم على المفيد الذى هو المقصود.

و موضع هذا الذى لا يفيد نقله، حيث يكون اختصاص الاسم بما وضع له من طريق أريد به التوسّع فى أوضاع اللغه، و التنوّق «۱» فى مراعاه دقائق فى الفروق فى المعانى المدلول عليها، كوضعهم للعضو الواحد أسامى كثيره بحسب اختلاف أجناس الحيوان، نحو وضع «الشفه» للإنسان و «المشفر» للبعير و «الجحفله» للفرس، و ما شاكل ذلك من فروق ربما وجدت فى غير لغه العرب و ربما لم توجد، فإذا استعمل الشاعر شيئا منها فى غير الجنس الذى وضع له، فقد استعاره منه و نقله عن أصله و جاز به موضعه، كقول العجّاج: [من الرجز] و فاحما، و مرسنا مسرّجا «۲» يعنى أنفا يبرق كالسّراج، و «المرسن» فى الأصل للحيوان، لأنه الموضع الذى يقع عليه «الرسن» و قال آخر: يصف إبلا: [من الرجز]

---

(۱) التنوق: تنوّق فى الأمر أى: تأنّق فيه، و بعضهم لا يقول: تنوّق و الاسم منه: النيقه، و فى المثل:

خرقاء ذات نيقه، يضرب للجاهل بالأمر، و هو مع جهله يدّعى المعرفه و يتأنق فى الإراده. ذكره أبو عبيد. ابن سيده: تنوق فى أموره: تجوّد و بالغ مثل تأنّق فيها.

(۲) فى ديوانه، و قوله هذا معطوف على ما

قبله، يذكر صاحبته ليلى. و الفاحم: شعرها الأسود.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۳۲

تسمع للماء كصوت المسحل بين وريديها و بين الجحفل «۱»

و قال آخر: [من الرجز] و الحشو من حفّانها كالحنظل «۲» فأجرى «الحفّان» على صغار الإبل، و هو موضوع لصغار النعام، و قال الآخر:

[من المتقارب]

فبتنا جلوسا لدى مهرنا ننزّع من شفتيه الصّفارا «۳»

فاستعمل «الشفه» فى الفرس، و هى موضوعه للإنسان. فهذا و نحوه لا يفيدک شيئا، لو لزمت الأصلىّ لم يحصل لک، فلا فرق من جهه المعنى بين قوله «من شفتيه» و قوله «من جحفلتيه» لو قاله، إنما يعطيک كلا الاسمين العضو المعلوم فحسب، بل الاستعاره هاهنا بأن تنقصک جزءا من الفائده أشبه، و ذلک أنّ الاسم فى هذا النحو، إذا نفيت عن نفسک دخول الاشتراک عليه بالاستعاره، دلّ ذكره على العضو و ما هو منه، فإذا قلت «الشفه» دلّ على الإنسان، أعنى يدلّ على أنک قصدت هذا العضو من الإنسان دون غيره، فإذا توهمت جرى الاستعاره فى الاسم، زالت عنها هذه الدلاله بانقلاب اختصاصها إلى الاشتراک. فإذا قلت «الشفه» فى موضع قد جرى فيه ذكر الإنسان و الفرس، دخل على السامع بعض الشبهه، لتجويزه أن تكون استعرت الاسم للفرس، و لو

فرضنا أن تعدم هذه الاستعاره من أصلها و تحظر، لما كان لهذه الشبهه طريق على المخاطب، فاعرفه.

و أمّا «المفيد» فقد بان لك باستعارته فائده و معنى من المعانى و غرض من الأغراض، لو لا مكان تلك الاستعاره لم يحصل لك. و جمله تلك الفائده و ذلك الغرض «التشبيه»، إلا أنّ طرقه تختلف حتى تفوت النهايه، و مذاهبه تتشعب حتى لا غايه، و لا يمكن الانفصال «۴» منه إلا بفصول جمّه، و قسمه بعد قسمه. و أنا أرى أن

---

(۱) لأبى النجم العجلى فى ديوانه، و فى الطرائف الأدبيه للراجكوتى- رحمه اللّه- فى لاميته المشهوره. و المسحل: حمار الوحش، سمّى باسم سحيله و هو صوت نهاقه.

(۲) الرجز من لاميه أبى النجم فى صفه الإبل أيضا، و حشو الإبل و حاشيتها صغارها.

(۳) البيت من شعر أبى دؤاد الإيادى يصف فرسا فى ديوانه، و فى الأصمعيات رقم: ۶۶، و فى المعانى الكبير لابن قتيبه. و الصّيفار: بفتح الصاد، و هو يبيس البهمى، و هو من أحرار البقول ترعاه الإبل، و يخرج لها إذا يبست شوك، إذا وقع فى أنوف الإبل و الخيل و الغنم أنفت منه حتى ينزعه الناس من أفواهها و أنوفها.

(۴) و فى نسخه: الانتصاف، بدل الانفصال.

أقتصر الآن على إشاره تعرّف صورته على الجمله بقدر ما تراه، و قد قابل خلافه الذى هو «غير المفيد»، فيتمّ تصوّرك للغرض و المراد، فإن الأشياء تزداد بيانا بالأضداد.

و مثاله قولنا: «رأيت أسدا»، و أنت تعنى

رجلا شجاعا، و «بحرا»، تريد رجلا جوادا و «بدرا» و «شمسا»، تريد إنسانا مضى ء الوجه متهلّلا و «سللت سيفا على العدوّ» تريد رجلا ماضيا فى نصرتك، أو رأيا نافذا و ما شاكل ذلك، فقد استعرت اسم الأسد للرجل، و معلوم أنك أفدت بهذه الاستعاره ما لولاها لم يحصل لك، و هو المبالغه فى وصف المقصود بالشجاعه، و إيقاعك منه فى نفس السامع صوره الأسد فى بطشه و إقدامه و بأسه و شدّته، و سائر المعانى المركوزه فى طبيعته، مما يعود إلى الجرأه. و هكذا أفدت باستعاره «البحر» سعته فى الجود و فيض الكفّ، و «بالشمس و البدر» ما لهما من الجمال و البهاء و الحسن المالئ للعيون الباهر للنواظر.

و إذ قد عرفت المثال فى كون الاستعاره مفيده على الجمله، و تبيّن لك مخالفه هذا الضرب للضرب الأوّل الذى هو «غير المفيد»، فإنى أذكر بقيه قول مما يتعلق به، أعنى بغير المفيد، ثم أعطف على أقسام المفيد و أنواعه، و ما يتصل به و يدخل فى جملته من فنون القول بتوفيق اللّه عز و جل. و أسأله عز اسمه المعونه، و أبرأ إليه من الحول و القوه، و أرغب إليه فى أن يجعل كل ما نتصرّف فيه منصرفا إلى ما يتصل برضاه «۱»، و مصروفا عمّا يؤدّى إلى سخطه.

اعلم أنه إذا ثبت أن اختصاص «المرسن» بغير الآدمى لا يفيد أكثر مما يفيد الأنف فى الآدمى و هو فصل هذا العضو من غيره و لم تكن باستعارته للآدمىّ مفيدا ما لا تفيده بالأنف لم يتصوّر «۲» أن يكون استعاره من جهه المعنى. و إذا كان مدار أمره على اللفظ لم يتصور أن يكون فى غير لغه العرب.

بلى، إن وجد فى لغه الفرس مراعاه نحو هذه الفروق، ثم نقلوا الشى ء من الجنس المخصوص به إلى جنس آخر، كانوا قد سلكوا فى لغتهم مسلك العرب فى لغتها.

و ليس كذلك «المفيد»، فإن الكثير منه تراه فى عداد ما يشترك فيه أجيال الناس، و يجرى به العرف فى جميع اللغات. فقولك «رأيت أسدا»، تريد وصف رجل بالشجاعه و تشبيهه بالأسد على المبالغه، أمر يستوى فيه العربىّ و العجمىّ، و تجده فى كل جيل، و تسمعه من كل قبيل، كما أن قولنا «زيد كالأسد» على التصريح

---

(۱) و فى نسخه: إلى ما يرضاه.

(۲) قوله: «لم يتصور» جواب «إذا ثبت» (رشيد).

بالتشبيه كذلك. فلا يمكن أن يدّعى أنا إذا استعملنا هذا النحو من الاستعاره، فقد عمدنا إلى طريقه فى المعقولات لا يعرفها غير العرب، أو لم تتفق لمن سواهم، لأن ذلك بمنزله أن تقول: إن تركيب الكلام من الاسمين، أو من الفعل و الاسم، يختصّ بلغه العرب، و إنّ الحقائق التى تذكر فى أقسام الخبر و نحوه، مما لا نعقله إلّا من لغه العرب، و ذلك مما لا يخفى فساده.

فإذا ذكر المجاز، و أريد أن يعدّ هذا النحو من الاستعاره فيه، فالوجه أن يضاف إلى العقلاء جمله، و لا تستعمل لفظه توهم أنه من عرف هذه اللغه و طرقها الخاصه بها، كما تقول مثلا-فيما يختصّ باللغه العربيه من الأحكام، نحو الإعراب بالحركات، و الصّرف و منع الصّرف، و وضع المصدر مثلا مواضع اسم الفاعل نحو

«رجل صوم» و «ضيف»، و جمع الاسم على ضروب، نحو جمع السلامه و التكسير و جمع الجمع، و إعطاء الاسم الواحد فى التكسير عدّه أمثله نحو «فرخ» و «أفرخ» و «فراخ» و «فروخ»، و كالفرق بين المذكّر و المؤنّث فى الخطاب و جمله الضمائر و ما شاكل ذلك. و لإغفال هذا الموضع و التجوّز فى العباره عنه، دخل الغلط على من جعل الشى ء من هذا الباب سرقه و أخذا حتى نعى عليه. و بيّن أنه من المعانى العاميّه و الأمور المشتركه التى لا فضل فيها للعربىّ على العجمىّ، و لا اختصاص له بجيل دون جيل، على ما ترى القول فيه، إن شاء اللّه تعالى فى موضعه. و هو تعالى ولىّ المنّ بالتوفيق له بفضله و جوده.

و لو أن مترجما ترجم قوله: [من المتقارب] و إلّا النّعام و حفّانه «١» ففسّر «الحفّان» باللفظ المشترك الذى هو كالأولاد و الصغار، لأنه لا يجد فى اللغه التى بها يترجم لفظا خاصّا، لكان مصيبا و مؤدّيا للكلام كما هو. و لو أنه ترجم قولنا: «رأيت أسدا»، تريد رجلا شجاعا، فذكر ما معناه معنى قولك: «شجاعا شديدا»، و ترك أن يذكر الاسم الخاص فى تلك اللغه بالأسد على هذه الصوره، لم يكن مترجما للكلام، بل كان مستأنفا من عند نفسه كلاما.

و هذا باب من الاعتبار يحتاج إليه، فحقّه أن يحفظ، و عسى أن يجى ء له زياده بسط فيما يستقبل.

---

(١) هو لأسامه بن أبى الصلت و تمامه:

و طغيا من اللهق الناشط يعنى و نبذا من البقر البيض التى تخرج من أرض إلى أرض.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٣٥

فاعلم أنک قد تجد الشی ء یخلط بالضّرب الأول الذی هو استعاره من طریق اللفظ و یعدّ فی قبیله، و هو إذا حقّقت ناظر إلی الضرب الآخر الذی هو مستعار من جهه المعنی و جار فی سبیله. فمن ذلک قولهم: «إنه لغلیظ الجحافل، و غلیظ المشافر»، و ذلک أنه کلام یصدر عنهم فی مواضع الذّمّ، فصار بمنزله أن یقال: کأنّ شفته فی الغلظ مشفر البعیر و جحفله الفرس، و علی ذلک قول الفرزدق: [من الطویل]

فلو کنت ضبّیّا عرفت قرابتی و لکنّ زنجیّا غلیظ المشافر «۱»

فهذا یتضمّن معنی قولک: «و لکن زنجیا کأنه جمل لا یعرفنی و لا یهتدی لشرفی». و هکذا ینبغی أن یکون القول فی قولهم: «أنشب فیه مخالبه»، لأنّ المعنی علی أن یجعل له فی التعلّق بالشی ء و الاستیلاء علیه، حاله کحاله الأسد مع فریسته، و البازی مع صیده.

و کذا قول الحطیئه: [من الطویل]

قروا جارک العیمان لمّا جفوته و قلّص عن برد الشّراب مشافره «۲»

حقّه، إذا حقّقت، أن یکون فی القبیل المعنویّ، و ذلک أنه و إن کان عنی نفسه بالجار، فقد یجوز أن یقصد إلی وصف نفسه بنوع من سوء الحال، و یعطیها صفه من صفات النقص، لیزید بذلک فی التهکم بالزّبرقان، و یؤکّد ما قصده من رمیه بإضاعه الضیف و اطراحه و إسلامه

للضرّ و البؤس، و ليس ببعيد من هذه الطريقه من ابتدأ شعرا فى ذمّ نفسه، و لم يرض فى وصف وجهه بالتقبيح و التشويه إلا بالتصريح الصريح دون الإشاره و التنبيه:

و أما قول مزرّد: [من الطويل]

فما رقد الولدان حتى رأيته على البكر يمريه بساق و حافر «٣»

---

(١) البيت للفرزدق. و هكذا يدور فى كتب البلاغه و النحو و صوابه: «غليظا مشافره». و هو أول تسعه أبيات فى هجاء أيوب بن عيسى الضبى لما حبسه.

(٢) البيت فى ديوانه. العيمان: المشتهى للبن، عام الرجل إلى اللبن يعام و يعيم عيما و عيمه: اشتهاه.

(٣) البيت ليس لمزرد بن ضرار، بل هو لجبيها الأشجعى (و اسمه يزيد بن خيثمه بن عبيد)، نشأ و توفى فى أيام بنى أميه، و إن كان الأصمعى نسب البيت لمزرد بن ضرار. و معنى يمريه: المرى:

مسح ضرع الناقه لتدرّ، مرى الناقه مريا. و الاسم: المريه، و أمرت هى درّ لبنها. الكسائى: المرىّ:

الناقه التى تدرّ على من يمسح ضروعها، و قيل: هى الناقه الكثيره اللبن، و قد أمرت، و جمعها مرايا. ابن الأنبارىّ: فى قولهم مارى فلان فلانا، معناه قد استخرج ما عنده من الكلام و الحجّه، مأخوذ من قولهم: مريت الناقه إذا مسحت ضرعها لتدرّ. [لسان العرب- ماده: مرا].

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٣٦

فقد قالوا إنه أراد أن يقول: «بساق و قدم»، فلما

لم تطاوعه القافيه وضع الحافر موضع القدم. و هو و إن كان قد قال بعد هذا البيت ما يدلّ على قصده أن يحسن القول فى الضيف، و يباعده من أن يكون قصد الزرايه عليه، أو يحول حول الهزء به و الاحتقار له، و ذلك قوله:

فقلت له أهلا و سهلا و مرحبا بهذا المحيّا من محىّ و زائر

فليس بالبعيد أن يكون فيه شوب مما مضى، و أن يكون الذى أفضى به إلى ذكر الحافر، قصده أن يصفه بسوء الحال فى مسيره، و تقاذف نواحى الأرض به، و أن يبالغ فى ذكره بشدّه الحرص على تحريك بكره، و استفراغ مجهوده فى سيره، و يؤنس بذلك أن تنظر إلى قوله قبل:

و أشعث مسترخى العلابى طوّحت به الأرض من باد عريض و حاضر

فأبصر نارى و هى شقراء أوقدت بعلياء نشز للعيون النّواظر «١»

و بعده «فما رقد الولدان»، فإذا جعله «أشعث مسترخى العلابىّ»، فقد قربت المسافه بينه و بين أن يجعل قدمه حافرا، ليعطيه، من الصلابه و شده الوقع على جنب البكر حظّا وافرا.

و هكذا قول الآخر: [من الطويل]

سأمنعها أو سوف أجعل أمرها

إلى ملك أظلافه لم تشقّق «٢»

هو فى حد التشبيه و الاستعاره، لأن المعنى على أن الأظلاف لمن يربأ بالملك عن مشابهته، كأنه قال: «أجعل أمرها إلى ملك، لا إلى عبد جاف متشقق الأظلاف». و يدلّ على ذلك أن أبا بكر بن دريد قال فى أول الباب الذى وضعه للاستعاره: «يقولون للرجل إذا عابوه: جاءنا حافيا متشقّق الأظلاف» ثم أنشد البيت. فإذا كان من شرط هذه الاستعاره أن يؤتى بها فى موضع العيب و النقص، فلا شك فى أنها معنويه.

---

(١) العلابى: جمع علباء: ممدود بالكسر، و هو عصب العنق، قال الأزهرى: الغليظ خاصه، قال ابن سيده: و هو العقب، و قال اللحيانى: العلباء مذكر لا غير له. و هما علباوان، يمينا و شمالا بينهما منبت العنق. [لسان العرب- ماده: علب].

(٢) البيت لعقفان بن قيس بن عاصم بن عبيد اليربوعى، جاهلى و يعنى بالملك: النعمان بن المنذر.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٣٧

و كذا قوله: [من المنسرح]

و ذات هدم عار نواشرها تصمت بالماء تولبا جدعا «١»

فأجرى «التولب» على ولد المرأه، و هو لولد الحمار فى الأصل، و ذلك لأنه يصف حال ضرّ و بؤس، و يذكر امرأه بائسه فقيره، و العاده فى مثل ذلك الصفه بأوصاف البهائم، ليكون أبلغ فى سوء الحال و شدّه الاختلال.

و مثله سواء قول الآخر: [من مجزوء الكامل]

و ذكرت أهلى بالعرا ء و حاجه الشعث التّوالب «٢»

كـأنه قال: «الشعث التى لو رأيتها حسبتها توالب»، لما بها من الغبره و بذاذه الهيئه «٣». و «الجدع» فى البيت بالدال غير معجمه. حكى شيخنا رحمه اللّه قال:

أنشد المفضّل «تصمت بالماء تولبا جذعا» بالذال المعجمه، فأنكره الأصمعى و قال:

إنما هو «تصمت بالماء تولبا جدعا» و هو السيّئ الغذاء. قال: فجعل المفضّل يصيح، فقال الأصمعى: لو نفخت فى الشّبّور «٤» ما نفعك، تكلّم بكلام الحكل «٥» و أصب!.

---

(١) البيت لأوس بن حجر فى مرثيه فضاله بن كلده الأسدى و هو معطوف على الذى قبله:

ليبكك الشرب و المدامه و الفتيان طرّا و طامع طمعا

و الهدم بالكسر: الثوب الخلق المرقّع، و قيل: هو الكساء الذى ضوعفت رقاعه، و خصّ ابن الأعرابى به الكساء البالى من الصوف دون الثوب، و الجمع: أهدام و هدم (الأخيره عن أبى حنيفه و هى نادره). [لسان العرب- ماده: هدم]. و النواشر: عصب الذراع من داخل و خارج أو عروق و عصب باطن الذراع أو العصب فى ظاهرها، واحدتها ناشره. [القاموس المحيط]. الجدع: جدع الغلام يجدع جدعا، فهو جدع: ساء غذاؤه. [لسان العرب- ماده: جدع].

(٢) البيت للأعلم الهذلى فى شرح أشعار الهذليين. و العراء: ما اتسع من فضاء الأرض، و قال ابن سيده: هو المكان الفضاء لا يستتر فيه شى ء، و قيل: هى الأرض الواسعه، و فى التنزيل: «فنبذناه

بالعراء و هو مليم» و جمعه أعراء، و قال أبو عبيده: إنما قيل له: عراء لأنه لا شجر فيه و لا شى ء يغطيه، و قيل: إن العراء وجه الأرض الخالى. [لسان العرب- ماده: عرا].

(۳) بذاذه الهيئه: رثاثتها، و فى الحديث: «البذاذه من الإيمان» صحيح الجامع للألبانى.

(۴) الشّبّور: شى ء ينفخ فيه، و ليس بعربى صحيح، و الشّبّور على وزن تنور: البوق، و يقال: هو معرب.

و فى حديث الأذان ذكر له الشبور، قال ابن الأثير: جاء فى تفسيره أنه البوق، و فسروه أيضا بالقبع، و اللقطه عبرانيه. [لسان العرب- ماده: شبر].

(۵) الحكل: الحكله كالعجمه لا يبين صاحبها الكلام. و الحكله و الحكيله: اللثغه، ابن الأعرابى فى لسانه حكله أى: عجمه لا يبين الكلام، و الحكل: العجم من الطيور البهائم. قال ابن سيده:

و الحكل من الحيوان ما لا يسمع له صوت كالذّرّ و النمل، و كلام الحكل: كلام لا يفهم. [لسان العرب- ماده: حكل].

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۳۸

و أما قول الأعرابى: «كيف الطلا و أمّه؟» فمن جنس «المفيد» أيضا، لأنه أشار إلى شى ء من تشبيه المولود بولد الظبى، أ لا تراه قال ذاك بعد أن انصرف عن السخط إلى الرضى، و بعد أن سكن عنه فوره الجوع الذى دعاه إلى أن قال: «ما أصنع به؟

آكله أم أشربه» حتى قالت المرأه «غرثان فاربكوا له» «۱».

و أمّا قوله: [من البسيط]

إذا أشرف الدّيك يدعو بعض أسرته

عند الصّباح، و هم قوم معازيل «۲»

فاستعاره «القوم» هاهنا، و إن كانت فى الظاهر لا تفيد أكثر من معنى الجمع، فإنها مفيده من حيث أراد أن يعطيها شبها مما يعقل. على أن هذا إذا حقّقنا فى غير ما نحن فيه و بصدده فى هذا الفصل، و ذلك أنه لم يجتلب الاسم المخصوص بالآدميين حتى قدّم تنزيلها منزلتهم فقال: «هم»، فأتى بضمير من يعقل. و إذا كان الأمر كذلك، كان «القوم» جاريا مجرى الحقيقه. و نظيره أنك تقول: «أين الأسود الضّاريه»؟ و أنت تعنى قوما من الشجعان، فيلزم فى الصفه حكم ما لا يعقل، فتقول:

«الضاريه»، و لا تقول «الضارون» البته، لأنك وضعت كلامك على أنك كأنك تحدّث عن الأسود فى الحقيقه.

و على هذه الطريقه ينبغى أن يجرى بيت المتنبى: [من الكامل]

زحل، على أنّ الكواكب قومه لو كان منك لكان أكرم معشرا «۳»

---

(۱) أصل المثل. أن ابن لسان الحمره دخل على أهله و هو جائع عطشان فبشروه بمولود و أتوه به، فقال ما أدرى أ آكله أم أشربه؟ فقالت امرأته (غرثان فاربكوا له) من الربيكه و هو شى ء من حساء و أقط و فى روايه (فابكلوا له) من البكيله و هى أقط يلت بسمن فلما طعم و شرب قال: (كيف الطلا و أمه) فأرسلها مثلا يضرب لمن ذهب همه و تفرغ لغيره و ضبط شيخنا «الحمره» (بضم الحاء و تشديد الميم المفتوحه) قال و اسمه عبد اللّه بن حسنين أو ورقاء بن الأشعر. (رشيد).

(۲)

البيت لعبده بن الطبيب حين كان فی جيش النعمان بن مقرّن و هو يحارب الفرس. و قبله:

و قد غدوت و قرن الشمس منفتق و دونه من سواد الليل تجليل

المعازيل: الـذين لا سـلاح معهم. جمع معزال. [لسان العرب- ماده: عزل]. و المعزال: الـذى ينزل ناحيه من السّـفر ينزل وحده، و هو ذم عند العرب بهذا المعنى، و المعزال: الراعى المنفرد، قال الأعشى:

تخرج الشيخ عن بنيه و تلوى بلبون المعزابه المعزال

و هذا المعنى ليس بذم عندهم لأن هذا من فعل الشجعان و ذوى البأس و النجده من الرجال.

(۳) البيت فی ديوانه. و المعنی: إن زحل شيخ النجوم و لو كان من عشيرتک لكان أكرم معشرا منه الآن، و النجوم قومه، و ذلک أن قومک أشرف من النجوم فلو كان من قومک كان أشرف مما هو فيه مع أن معشره النجوم. التبيان: ۱/ ۳۸۳.

أسرار البلاغه فی علم البيان، ص: ۳۹

و إن لم يكن معنـا اسم آخر سـابق حكـم مـا يعقـل للكواكب، كالضـمير فی قوله «و هم قوم»، و ذلک أنّ ما يفصـح به الحال من قصـده أن يـدّعی للكواكب هذه المنزله يجری مجری التصـريح بذلک. أ لا تری أنه لا يتّضح وجه المدح فيه إلا بدعوی أحوال الآدميين

و معارفهم للكواكب، لأنه يفاضل بينه و بينها فى الأوصاف العقليه بدلاله قوله: «لكان أكرم معشرا»، و لن يتحصّل ثبوت وصف شريف معقول لها و لا الكرم على الوجه الذى يتعارف فى الناس حتى تجعل كأنها تعقل و تميز، و لو كانت المفاضله فى النور و البهاء و علوّ المحلّ و ما شاكل ذلك، لكان لا يلزم حينئذ ما ذكرت. و حقّ القول فى هذا القبيل أعنى ما يدّعى فيه لما لا يعقل العقل فصل يفرد به، و لعله يجى ء فى موضعه بمشيئه اللّه و توفيقه.

القول فى الاستعاره المفيده

القول فى الاستعاره المفيده

اعلم أنّ الاستعاره فى الحقيقه هى هذا الضرب دون الأول، و هى أمدّ ميدانا، و أشدّ افتنانا، و أكثر جريانا، و أعجب حسنا و إحسانا، و أوسع سعه و أبعد غورا، و أذهب نجدا فى الصّناعه و غورا، من أن تجمع شعبها و شعوبها، و تحصر فنونها و ضروبها، نعم، و أسحر سحرا، و أملأ بكل ما يملأ صدرا، و يمتع عقلا، و يؤنس نفسا، و يوفر أنسا، و أهدى إلى أن تهدى إليك أبدا عذارى قد تخيّر لها الجمال، و عنى بها الكمال، و أن تخرج لك من بحرها جواهر إن باهتها الجواهر مدّت فى الشرف و الفضيله باعا لا يقصر، و أبدت من الأوصاف الجليله محاسن لا تنكر، و ردّت تلك بصفره الخجل، و وكلتها إلى نسبتها من الحجر و أن تثير من معدنها تبرأ لم تر مثله، ثم تصوغ فيها صياغات تعطّل الحلىّ، و تريك الحلى الحقيقى و أن تأتيك على الجمله بعقائل «۱» يأنس إليها الدين و الدنيا، و شرائف «۲» لها من الشرف الرّتبه العليا، و هى أجلّ من أن تأتى

الصفه على حقيقه حالها، و تستوفى جمله جمالها.

و من الفضيله الجامعه فيها أنها تبرز هذا البيان أبدا فى صوره مستجدّه تزيد قدره نبلا، و توجب له بعد الفضل فضلا، و إنّك لتجد اللفظه الواحده قد اكتسبت بها فوائد حتى تراها مكرّره فى مواضع، و لها فى كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد، و شرف منفرد، و فضيله مرموقه، و خلابه مومومقه.

---

(۱) هو جمع عقيله كسفينه، و هى من النساء الكريمه المخدره، و من القوم سيدهم، و من كل شى ء أكرمه. و عقيله البحر: درته.

(۲) و فى نسخه: و فضائل بدل و شرائف.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۴۰

و من خصائصها التى تذكر بها، و هى عنوان مناقبها، أنّها تعطيك الكثير من المعانى باليسير من اللفظ، حتى تخرج من الصدفه الواحده عدّه من الدّرر، و تجنى من الغصن الواحد أنواعا من الثّمر. و إذا تأمّلت أقسام الصّنعه التى بها يكون الكلام فى حدّ البلاغه، و معها يستحق وصف البراعه، وجدتها تفتقر إلى أن تعيرها حلاها، و تقصر عن أن تنازعها مداها و صادفتها نجوما هى بدرها، و روضا هى زهرها، و عرائس ما لم تعرها حليها فهى عواطل، و كواعب ما لم تحسّنها فليس لها فى الحسن حظّ كامل.

فإنك لترى بها الجماد حيّا ناطقا، و الأعجم فصيحا، و الأجسام الخرس مبينه، و المعانى الخفيّه باديه جليّه، و إذا نظرت فى أمر المقاييس وجدتها و لا ناصر لها أعزّ منها، و لا رونق لها ما لم تزنها، و تجد

التشبيهات على الجمله غير معجبه ما لم تكنها. إن شئت أرتك المعانى اللطيفه التى هى من خبايا العقل، كأنها قد جسّمت حتى رأتها العيون، و إن شئت لطّفت الأوصاف الجسمانيه حتى تعود روحانيه لا تنالها إلّا الظنون.

و هذه إشارات و تلويحات فى بدائعها، و إنما ينجلى الغرض منها و يبين، إذا تكلّم على هذه التفاصيل، و أفرد كلّ فن بالتمثيل، و سترى ذلك إن شاء اللّه، و إليه الرغبه فى أن توفّق للبلوغ إليه و التوفّر عليه.

و إذ قد عرّفتك أن لها هذا المجال الفسيح، و الشّأو البعيد، فإنى أضع لك فصلا، بعد فصل، و أجتهد بقدر الطاقه فى الكشف و البحث.

فصل

فصل

و هذا فصل قسّمتها فيه قسمه عاميه. و معنى «العاميه»، أنك لا تجد فى هذه الاستعاره قسمه إلا أخصّ من هذه القسمه، و أنها قسيمه الاستعاره من حيث المعقول المتعارف فى طبقات الناس و أصناف اللغات، و ما تجد و تسمع أبدا نظيره من عوامّ الناس كما تسمع من خواصهم.

اعلم أن كل لفظه دخلتها الاستعاره المفيده، فإنها لا تخلو من أن تكون اسما أو فعلا، فإذا كانت اسما فإنه يقع مستعارا على قسمين:

أحدهما: أن تنقله عن مسمّاه الأصلى إلى شى ء آخر ثابت معلوم فتجريه عليه، و تجعله متناولا له تناول الصفه مثلا للموصوف، و ذلك قولك «رأيت أسدا» و أنت تعنى «رجلا شجاعا» و «عنّت لنا ظبيه» و أنت تعنى امرأه و «أبديت نورا» و أنت

تعنى هدى و بيانا و حجّه و

ما شاكل ذلك، فالاسم فى هذا كله كما تراه متناول «شيئا معلوما» يمكن أن ينصّ عليه فيقال: إنه عنى بالاسم و كنى به عنه و نقل عن مسمّاه الأصلى فجعل اسما له على سبيل الإعاره و المبالغه فى التشبيه.

و الثانى: أن يؤخذ الاسم على حقيقته، و يوضع موضعا لا يبين فيه شى ء يشار إليه فيقال: هذا هو المراد بالاسم و الذى استعير له، و جعل خليفه لاسمه الأصلى و نائبا منابه، و مثاله قول لبيد: [من الكامل]

و غداه ريح قد كشفت و قرّه إذ أصبحت بيد الشّمال زمامها «۱»

و ذلك أنه جعل للشمال يدا، و معلوم أنه ليس هناك مشار إليه يمكن أن تجرى اليد عليه، كإجراء «الأسد» و «السيف» على الرجل فى قولك «انبرى لى أسد يزئر» و «سللت سيفا على العدوّ لا يفلّ»، و «الظباء» على «النساء» فى قوله:

الظباء الغيد و «النور» على الهدى و البيان فى قولك «أبديت نورا ساطعا» و كإجراء «اليد نفسها على من يعزّ مكانه كقولك «أ تناز عنى فى يد بها أبطش، و عين بها أبصر» تريد إنسانا له حكم اليد و فعلها، و غناؤها و دفعها، و خاصّه «العين» و فائدتها، و عزّه موقعها، و لطف موضعها لأنّ معك فى هذا كله ذاتا ينصّ عليها، ترى مكانها فى النفس، إذا لم تجد ذكرها فى اللفظ.

و ليس لك شى ء من ذلك فى بيت لبيد، بل ليس أكثر من أن تخيّل إلى نفسك أن «الشّمال» فى تصريف «الغداه» على حكم طبيعتها، كالمدبّر المصرّف لما زمامه بيده،

و مقـادته فى كفّه، و ذلـك كلّه لاـ يتعـدّى التخيّل و الوهم و التقـدير فى النفس، من غير أن يكون هناك شـى ء يحسّ، و ذات تتحصّل. و لا سبيل لك أن تقول: كنى باليـد عن كذا، و أراد باليد هذا الشـى ء، أو جعل الشـى ء الفلانىّ «يدا» كما تقول: «كنى بالأسـد عن زيـد، و عنى به زيـدا، و جعـل زيـدا أسـدا»، و إنما غايتك التى لا مطّلع وراءها أن تقول: «أراد أن يثبت للشـمال فى الغداه تصرّفا كتصرّف الإنسان فى الشى ء يقلّبه، فاستعار لها «اليد» حتى يبالغ فى تحقيق الشبه، و حكم «الزمام» فى

---

(١) البيت من معلقته الشـهيره. و قوله: و غـداه ريـح إلـخ: هـذه روايه الخطيب. و روى إذا أصـبحت موضع قـد أصـبحت. و روى محمد بن خطاب: و غداه ريح قد كشفت و قره إذ أصبحت إلخ. شرح المعلقات العشر للشنقيطى ص ٩٣.

اسـتعارته للغداه حكم «اليد» فى اسـتعارتها للشـمال، إذ ليس هناك مشار إليه يكون الزمام كنايه عنه، و لكنه وفّى المبالغه شرطها من الطرفين، فجعل على «الغداه» «زماما»، ليكون أتمّ فى إثباتها مصرّفه، كما جعل للشمال «يدا»، ليكون أبلغ فى تصييرها مصرّفه.

و يفصل بين القسـمين أنك إذا رجعت فى القسم الأول إلى التشبيه الذى هو المغزى من كل استعاره تفيد، وجدته يأتيك عفوا، كقولك فى «رأيت أسـدا» «رأيت رجلا كالأسـد» أو «رأيت مثل الأسـد» أو «شبيها بالأسـد» و إن رمته فى القسم الثانى وجدته لا يؤاتيك تلك المؤاتاه، إذ لا وجه

لأن تقول: «إذا أصبح شى ء مثل اليد للشمال» أو «حصل شبيه باليد للشّمال»، و إنما يتراءى لك التشبيه بعد أن تخرق إليه سترا، و تعمل تأمّلا و فكرا، و بعد أن تغيّر الطريقه، و تخرج على الحد الأول «١»، كقولك: «إذ أصبحت الشّمال و لها فى قوه تأثيرها فى الغداه شبه المالك تصريف الشى ء بيده، و إجراءه على موافقته، و جذبه نحو الجهه التى تقتضيها طبيعته، و تنحوها إرادته»، فأنت كما ترى تجد الشّبه المنتزع هاهنا إذا رجعت إلى الحقيقه، و وضعت الاسم المستعار فى موضعه الأصلى لا يلقاك من المستعار نفسه، بل مما يضاف إليه. أ لا ترى أنك لم ترد أن تجعل الشّمال كاليد و مشبهه باليد، كما جعلت الرجل كالأسد و مشبّها بالأسد، و لكنك أردت أن تجعل «الشمال» كذى اليد من الأحياء، فأنت تجعل فى هذا الضرب المستعار له و هو نحو «الشمال» ذا شى ء، و غرضك أن تثبت له حكم من يكون له ذلك الشى ء فى فعل أو غيره، لا نفس ذلك الشى ء، فاعرفه.

و هكذا قول زهير: [من الطويل] و عرّى أفراس الصّبا و رواحله «٢» لا تستطيع أن تثبت ذواتا أو شبه الذوات تتناولها الأفراس و الرّواحل فى البيت،

---

(١) و فى نسخه: الحذو الأول.

(٢) البيت و صدره:

«صحا القلب عن سلمى و أقصر باطله» صحا: انكشف عنه ما كان من سكر الباطل. و أقصر: كفّ. و تقول: قد أقصرت عن ذلك، أى:

كففت. و عرّى أفراس، مثل ضربه أى: تركت الصبا فلا أركبه و لا آتيه. و صبا: مال إلى الشى ء و كل مائل صاب. و هذا البيت مطلع قصيده لزهير بن أبى سلمى يمدح فيها حصن بن

حذيفه بن بدر.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۴۳

على حدّ تناول الأسد الرجل الموصوف بالشجاعه، و البدر الموصوف بالحسن أو البهاء، و السحاب المذكور بالسخاء و السماحه، و النور العلم، و الهدى و البيان، و ليس إلّا أنك أردت أن الصّبا قد ترك و أهمل، و فقد نزاع النفس إليه و بطل، فصار كالأمر ينصرف عنه فتعطّل آلاته، و تطرح أداته كالجهه من جهات المسير نحو الحج أو الغزو أو التجاره يقضى منها الوطر، فتحطّ عن الخيل التى كانت تركب إليها لبودها، و تلقى عن الإبل التى كانت تحمّل لها قتودها «۱».

و قد يجى ء و إن كان كالتكلّف أن تقول إن «الأفراس» عباره عن دواعى النفوس و شهواتها، و قواها فى لذّاتها، أو الأسباب التى تفتل فى حبل الصبا، و تنصر جانب الهوى، و تلهب أريحيّه النشاط، و تحرّك مرح الشّباب، كما قال: [من الوافر] و نعم مطيّه الجهل الشباب و قال: [من الكامل] كان الشباب مطيّه الجهل و ليس من حقّك أن تتكلّف هذا فى كل موضع، فإنه ربّما خرج بك إلى ما يضرّ المعنى و ينبو عنه طبع الشعر، و قد يتعاطاه من يخالطه شى ء من طباع التعمّق، فتجد ما يفسد أكثر مما يصلح.

و لو أنك تطلبت «للمطيه» فى بيت الفرزدق: [من الطويل]

لعمرى لئن قيّدت نفسى لطالما سعيت و أوضعت المطيّه فى الجهل «۲»

مثل هذا

التأوّل، تباعدت عن الصواب، و عدلت عما يسبق إلى القلب، و ذلك أن المعنى على قولك: «لطالما سعيت فى الباطل، و قديما كنت فى الإسراع إلى الجهل بصوره من يوضع المطيّه فى سفره».

---

(١) جمع قتد بالتحريك و بالكسر: خشب الرحل.

(٢) البيت من قصيده للفرزدق قالها فى جرير عند ما بلغ نساء بنى مجاشع فحش جرير بهن فأتين الفرزدق مقيدا فقلن: قبح اللّه قيدك، فقد هتك جرير عورات نسائك فلحيت شاعر قوم! فأحفظنه ففض قيده، و قد قيد نفسه قبل ذلک و حلف أن لا يطلق قيده حتى يجمع القرآن فقال:

ألا استهزأت منى هنيده أن رأت أسيرا يدانى خطوه حلق الحجل

و لو علمت أن الوثائق أشدّه إلى النار قالت لى مقاله ذى عقل

لعمرى لئن قيدت ....

ديوان الفرزدق: ص ١٥٢.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۴۴

و سرّ هذا الموضع يتجلّى تمام التجلّى إذا تكلّم على الفرق بين التشبيه و التمثيل، و سيأتيک ذلک إن شاء اللّه تعالى.

و كذا قولهم: «هو مرخى العنان، و ملقى الزّمام»، لا

وجه لأن تروم شيئا تجرى العنان عليه و يتناوله، بل المعنى على انتزاع الشبه من الفرس فى حال ما يرخى عنانه، و أن ينظر إلى الصوره التى توجد من حاله تلك فى العقل، ثم يجاء بها فيعارها الرجل، و يتصوّر بمقتضاها فى النفس و يتمثّل، و لو قلت: إن «العنان» هاهنا بمعنى النهى، و أن المراد أن النهى قد أبعد عنه و نحو ذلك، دخلت فى ظاهر من التكلّف، و أتعبت نفسك فى غير جدوى، و عادت زيادتك نقصانا، و طلبك الإحسان إساءه.

و اعلم أن إغفال هذا الأصل الذى عرّفتك من أن الاستعاره تكون على هذا الوجه الثانى كما تكون على الأوّل مما يعدو إلى مثل هذا التعمّق، فإنه نفسه قد يصير سببا إلى أن يقع قوم فى التشبيه، و ذلك أنهم إذا وضعوا فى أنفسهم أن كل اسم يستعار فلا بد من أن يكون هناك شى ء يمكن الإشاره إليه يتناوله فى حال المجاز، كما يتناول مسمّاه فى حال الحقيقه، ثم نظروا فى نحو قوله تعالى: وَ لِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي [طه: ٣٩] و وَ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا [هود: ٣٧]، فلما لم يجدوا للفظه «العين» ما يتناوله على حدّ تناول «النّور» مثلا- للهدى و البيان ارتبكوا فى الشكّ و حاموا حول الظاهر، و حملوا أنفسهم على لزومه، حتى يفضى بهم إلى الضلال البعيد، و ارتكاب ما يقدح فى التوحيد، و نعوذ باللّه من الخذلان.

و طريقه أخرى، فى بيان الفرق بين القسمين، و هو أن الشبه فى القسم الأول الذى هو نحو «رأيت أسدا» تريد رجلا شجاعا، وصف موجود فى الشى ء الذى له استعرت، و اليد ليست توصف لشبه، و لكنه صفته تكسبها اليد صاحبها، و تحصل

له بها، و هى التصرف على وجه مخصوص و كذا قولك «أفراس الصّبا»، ليس الشبه الذى له استعرت الأفراس موجودا فى الأفراس، بل هو شبه يحصل لما يضاف إليه الأفراس، حيث يراد الحقيقه نحو قولنا: «عرّى أفراس الغزو»، و «أجمّت خيل الجهاد»، و ذلك ما يوجبه الفعل الواقع على الأفراس، نحو أنّ وقوع الفعل الذى هو «عرّى» على أفراس الغزو، يوجب الإمساك عن الغزو و الترک له و على هذا القياس.

و إذ قد تقرر أمر الاسم فى كون استعارته على هذين القسمين، فمن حقّنا أن ننظر فى «الفعل» هل يحتمل هذا الانقسام. و الذى يجب العمل عليه أن الفعل لا يتصوّر فيه أن يتناول ذات شى ء، كما يتصور فى الاسم، و لكن شأن الفعل أن يثبت

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۴۵

المعنى الذى اشتقّ منه للشى ء فى الزمان الذى تدل صيغته عليه. فإذا قلت: «ضرب زيد»، أثبتّ الضرب لزيد فى زمان ماض، و إذا كان كذلك، فإذا استعير الفعل لما ليس له فى الأصل، فإنه يثبت باستعارته له وصفا هو شبيه بالمعنى الذى ذلك الفعل مشتق منه.

بيان ذلك أن تقول: «نطقت الحال بكذا»، و «أخبرتنى أسارير وجهه بما فى ضميره»، و «كلّمتنى عيناه بما يحوى قلبه»، فتجد الحال وصفا هو شبيه بالنطق من الإنسان، و ذلك أن «الحال» تدلّ على الأمر و يكون فيها أمارات يعرف بها الشى ء، كما أن النطق كذلك. و كذلك «العين» فيها وصف شبيه بالكلام، و هو دلالتها بالعلامات التى تظهر فيها و فى نظرها و

خواصّ أوصاف يحدس بها على ما فى القلوب من الإنكار و القبول.

أ لا ترى إلى حديث الجمحى؟ حكى عن بعضهم أنه قال: أتيت الجمحى أستشيره فى امرأه أردت التزوج بها فقال: أ قصيره هى أم غير قصيره؟ قال: فلم أفهم ذلك. فقال لى: كأنك لم تفهم ما قلت، إنّى لأعرف فى عين الرّجل إذا عرف، و أعرف فيها إذا أنكر، و أعرف إذا لم يعرف و لم ينكر، أمّا إذا عرف، فإنها تخاوص، و إذا لم يعرف و لم ينكر فإنها تسجو، و إذا أنكر فإنها تجحظ «١». أردت بقولى «قصيره»، أى هى قصيره النسب تعرف بأبيها أو جدّها.

قال الشيخ أبو الحسن: و هذا من قول النسّابه البكرى لرؤبه بن العجاج لما أتاه، فقال لرؤبه: قصرت و عرفت. قال: و على هذا المعنى قول رؤبه: [من الرجز]

قد رفع العجّاج ذكرى، فادعنى باسم إذا الأنساب طالت يكفنى «٢»

و أمر «العين» أظهر من أن تحتاج فيه إلى دليل، و لكن إذا جرى الشى ء فى الكلام هو دعوى فى الجمله، كان الآنس للقارئ أن يقترن به ما هو شاهد فيه، فلم ير شى ء أحسن من إيصال دعوى ببرهان.

---

(١) تخاوص: أصله تتخاوص مضارع من تخاوص إذا غض من بصره قليلا- مع تحديق كمن يقوم سهما، و تسجو: تسكن، تجحظ: من جحظت العين إذا عظمت مقلتها و نتأت و جاء «جحظ إليه» بالتشديد: أى حدد النظر.

(٢) البيت لرؤبه بن العجاج. و هو الراجز المعروف، و قد اختلف فى معنى اسمه و اتهم بأنه لا يعرف

معنى اسمه و ذلک أمر بعيد الاحتمال.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۴۶

و إذا كان أمر الفعل فى الاستعاره على هذه الجمله، رجع بنا التحقيق إلى أنّ وصف الفعل بأنه مستعار، حكم يرجع إلى مصدره الذى اشتقّ منه، فإذا قلنا فى قولهم: «نطقت الحال»، أن «نطق» مستعار، فالحكم بمعنى أن «النّطق» مستعار، و إذا كانت الاستعاره تنصرف إلى المصدر كان الكلام فيه على ما مضى.

و مما تجب مراعاته أن الفعل يكون استعاره مرّه من جهه فاعله الذى رفع به، و مثاله ما مضى و يكون أخرى استعاره من جهه مفعوله، و ذلک نحو قول ابن المعتزّ:

[من المديد]

جمع الحقّ لنا فى إمام قتل البخل و أحيى السّماحا «۱»

«فقتل» و «أحيى» إنّما صارا مستعارين بأن عدّيا إلى البخل و السماح، و لو قال: «قتل الأعداء و أحيى»، لم يكن «قتل» استعاره بوجه، و لم يكن «أحيى» استعاره على هذا الوجه و كذا قوله: [من الطويل] و أقرى الهموم الطارقات حزامه «۲» هو استعاره من جهه المفعولين جميعا. فأما من جهه الفاعل فهو محتمل للحقيقه، و ذلک أن تقول: «أقرى الأضياف النازلين اللحم العبيط «۳»» و مثله قوله:

[من الطويل] قرى الهمّ إذ ضاف الزّماع «۴» و قد يكون الذى يعطيه حكم الاستعاره أحد المفعولين دون الآخر كقوله:

[من البسيط]

---

(۱) البيت من ديوانه: ص ۱۴۱. و ابن المعتز

هو عبد اللّه بن المعتز، الخليفه العباسى، ولد فى بغداد و نشأ فيها بعيدا عن البلاط و دسائسه، مات سنه ۲۹۶ ه.

(۲) الشطر من البيت للذهلول بن كعب العنبرى، و تمام هذا البيت كما فى شرح الحماسه: ۲/ ۱۱۶.

إذا كثرت لطارقات الوساوس أقرى: من قرى للضيف قرى و قراء: أضافه، و استقرانى و اقترانى و أقرانى: طلب منى القرى. و إنه لقرىّ للضيف و الأنثى قريّه. لسان العرب- ماده: قرا.

(۳) العبيط: الطرى.

(۴) تمام البيت:

قرى الهم إذ ضاف الزماع فأصبحت منازله تعتس فيها الثعالب

شرح الحماسه ۲/ ۱۰۰ للقتال الكلابى.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۴۷

نقريهم لهذميّات نقدّ بها ما كان خاط عليهم كلّ زرّاد «۱»

فصل

فصل

اعلم أن الاستعاره كما علمت تعتمد التشبيه أبدا، و قد قلت: إنّ طرقه تختلف، و وعدتك الكلام فيه، و هذا الفصل يعطى بعض القول فى ذلك بإذن اللّه تعالى، و أنا أريد أن أدرّجها من الضّعف إلى القوه، و أبدأ فى تنزيلها بالأدنى، ثم بما يزيد فى الارتفاع، لأن التقسيم إذا أريغ فى خارج من الأصل، فالواجب أن يبدأ بما كان أقلّ خروجا منه، و أدنى مدى فى مفارقته.

و إذا كان الأمر كذلك، فالذى يستحقّ بحكم هذه الجمله أن يكون

أوّلا من ضروب الاستعاره، أن يرى معنى الكلمه المستعاره موجودا فى المستعار له من حيث عموم جنسه على الحقيقه، إلا أنّ لذلك الجنس خصائص و مراتب فى الفضيله و النقص و القوّه و الضعف، فأنت تستعير لفظ الأفضل لما هو دونه.

و مثاله استعاره «الطيران» لغير ذى الجناح، إذا أردت السرعه، و «انقضاض الكواكب» للفرس إذا أسرع فى حركته من علوّ، و «السباحه» له إذا عدا عدوا كان حاله فيه شبيها بحاله السابح فى الماء. و معلوم أن الطيران و الانقضاض و السباحه و العدو كلها جنس واحد من حيث الحركه على الإطلاق، إلا أنهم نظروا إلى خصائص الأجسام فى حركتها، فأفردوا حركه كل نوع منها باسم، ثم إنهم إذا وجدوا فى الشى ء فى بعض الأحوال شبها من حركه غير جنسه، استعاروا له العباره من ذلك الجنس، فقالوا فى غير ذى الجناح «طار» كقوله: [من الوافر] و طرت بمنصلى فى يعملات «٢»

---

(١) البيت للقطامى فى ديوانه، و فى الكامل للمبرد ١/ ٨٢، ٨٣. الزّرّاد: من الزرده و هى حلقه الدرع، و السّرد ثقبها و الجمع: زرود. و الزراد: صانعيها، و قيل الزاى فى ذلك كله بدل من السين فى السّرد و السّرّاد، و الزّرد مثل السّرد و هو تداخل حلق الدرع بعضها فى بعض. لسان العرب- ماده: زرد.

(٢) الشطر لمضرس بن ربعى فى شرح أبيات سيبويه ١/ ٦٢، و شرح شواهد الشافيه: ص ٤٨١، و لسان العرب ١٣/ ٨١ (ثمن)، ١٥/ ٤٢٠ (يدى)، و له أو ليزيد بن الطثريّه فى شرح شواهد المغنى:

ص ٥٩٨، و لسان العرب ٥/ ٣٢٠ (جزز)، و المقاصد النحويه ٤/ ٥٩١، و بلا نسبه فى الأشباه و النظائر: ٢/ ٦٠،

و الإنصاف ۲/ ۵۴۵، و جمهره اللغه ص ۵۱۲، و خزانه الأدب ۱/ ۲۴۲، و الخصائص ۲/ ۲۶۹، و سر صناعه الإعراب ص ۵۱۹، ۷۷۲، و الكتاب ۱/ ۲۷، ۴/ ۱۹۰، و لسان العرب ۷/ ۲۸۱ (ضبط)، و مغنى اللبيب ۱/ ۲۲۵، و المنصف ۲/ ۷۳، و تمامه و بيت قبله:

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۴۸

و كما جاء فى الخبر: «كلّما سمع هيعه طار إليها» «۱»، و كما قال: [من الرمل]

لو يشا طار به ذو ميعه لاحق الآطال نهد ذو خصل «۲»

و من ذلك أن «فاض» موضوع لحركه الماء على وجه مخصوص، و ذلك أن يفارق مكانه دفعه فينبسط، ثم إنه استعير للفجر، كقوله: [من الكامل] كالفجر فاض على نجوم الغيهب «۳» لأن للفجر انبساطا و حاله شبيهه بانبساط الماء و حركته فى فيضه.

فأما استعاره «فاض» بمعنى الجود، فنوع آخر غير ما هو المقصود هاهنا، لأن القصد الآن إلى المستعار الذى توجد حقيقه معناه من حيث الجنس فى المستعار له.

و كذلك قول أبى تمام: [من الطويل]

و قد نثرتهم روعه ثمّ أحدقوا به مثلما ألّفت عقدا منظّما «۴»

و ضيف جاءنا و الليل داج

و ريح القرّ تحفز منه روحا

فطرت بمنصلى فى يعملات و وامى الأيد يخبطن السّريحا

يقول: غشيهم الضيف، و برد الشتاء تدفع روحه للخروج لضعفه. فأسرع لسيفه إلى نوق يعقرها ليقريه. و المنصل، بضم الميم و الصاد، و المنصل: السيف اسم له. قال ابن سيده: لا نعرف فى الكلام اسما على مفعل و مفعل إلا هذا. اليعملات: جمع يعمله، و اليعمله من الإبل: النجيبه المعتمله المطبوعه على العمل و لا يقال ذلك إلا للأنثى. هذا قول أهل اللغه و قد حكى أبو علىّ يعمل و يعمله. السريح: جمع سريحه: و كل قطعه من خرقه متمزقه أو دم سائل مستطيل يابس، فهو و ما أشبهه سريحه، و تجمع أيضا على سرائح، و السريحه: الطريقه من الدم إذا كانت مستطيله. لسان العرب: نصل- عمل- سرح.

(١) جزء من حديث رواه أبو هريره عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أنه قال: «من خير معاش الناس لهم رجل ممسك بعنان فرسه فى سبيل اللّه، يطير على متنه كلّما سمع هيعه، أو فزعه طار على متنه، يبتغى القتل أو الموت مظانّه ...» الحديث رواه مسلم (١٨٨٩)، و مظانّه: أى فى المكان الذى يظن وجوده فيه.

(٢) البيت لامرأه من بنى الحارث بن كعب ترثى بعض من يخصها، فى شرح الحماسه ٣/ ٧٣، و الخزانه ١١/ ٢٩٨- ٣٠٣، و هو من ثلاثه أبيات هو ثانيها، و أوله:

فارس ما

غادروه ملحما غير زميل و لا نكس و كل

الميعه: أول جرى الفرس و أنشطه. النهد: فرس نهد: جسيم، مشرف، تقول منه: نهد الفرس، بالضم، نهوده، و قيل: كثير اللحم حسن الجسم. الخصل: جمع خصله: الشعر المجتمع. الليث:

الخصله بالضم: لفيفه من الشعر. لسان العرب: ميع، نهد، خصل.

(٣) البيت للبحترى فى ديوانه و صدره:

يتراكمون على الأسنه فى الوغى

(۴) البيت فى ديوانه.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۴۹

و قول المتنبى: [من الطويل]

نثرتهم فوق الأحيدب نثره كما نثرت فوق العروس الدّراهم «۱»

استعاره، لأن «النثر» فى الأصل للأجسام الصغار، كالدراهم و الدنانير و الجواهر و الحبوب و نحوها، لأن لها هيئه مخصوصه فى التفرق لا تأتى فى الأجسام الكبار، و لأن القصد «بالنثر» أن تجمع أشياء فى كفّ أو وعاء، ثم يقع فعل تتفرّق معه دفعه واحده، و الأجسام الكبار لا يكون فيها ذلك، لكنه لمّا اتّفق فى الحرب تساقط المنهزمين على غير ترتيب و نظام، كما يكون فى الشى ء المنثور، عبّر عنه بالنثر، و نسب ذلك الفعل إلى الممدوح، إذ كان هو سبب ذلك الانتثار، فالتفرّق الذى هو حقيقه «النثر» من حيث جنس المعنى و عمومه، موجود فى المستعار له بلا شبهه.

و يبيّنه أن «النّظم» فى الأصل لجمع الجواهر و ما كان مثلها فى السلوك، ثم

لمّـا حصل فى الشّخصين من الرجال أن يجمعهما الحاذق المبدع فى الطعن فى رمح واحد ذلك الضرب من الجمع، عبّر عنه «بالنّظم»، كقولهم: «انتظمها برمحه»، و كقوله: [من الكامل] قالوا: و ينظم فارسين بطعنه «٢» و كان ذلك استعاره، لأن اللفظه وقعت فى الأصل لما يجمع فى السّـلوك من الحبوب و الأجسام الصغار، إذ كانت تلك الهيئه فى الجمع تخصّـها فى الغالب، و كان حصولها فى أشخاص الرجال من النادر الذى لا يكاد يقع، و إلا فلو فرضنا أن يكثر وجوده فى الأشخاص الكبيره، لكان لفظ «النظم» أصلا و حقيقه فيها، كما يكون حقيقه فى نحو الحبوب، و هذا النحو لشده الشّبه فيه، يكاد يلحق بالحقيقه.

و من هذا الحدّ قوله: [من الطويل]

---

(١) البيت فى ديوانه. الأحيدب: جبل، و النثر: التفريق، يقول: فرقتهم على هذا الجبل مقتولين، و نثرتهم نثر الدراهم على العروس، فتفرقت مصارعهم على هذا الجبل، كما تتفرق مواقع الدراهم إذا انتثرت، و هذا من محاسن أبى الطيب، و قد أشار بهذا إلى أن سيف الدوله تحكّم فى الروم قتلا و أسرا و نثر جيشهم فوق هذا الجبل نثرا. التبيان ٢/ ٣٠١.

(٢) الشعر لبكر بن النطاح فى أبى دلف العجلى، و هو فى قصه ذكرها صاحب الأغانى ١٩/ ١٠٩، و تمامه:

قالوا: و ينظم فارسين بطعنه يوم اللقاء و لا يراه جليلا

لا تعجبوا فلو أن طول قناته

میل، إذا نظم الفوارس میلا

أسرار البلاغه فی علم البیان، ص: ۵۰

و فی یدک السّیف الّذی امتنعت به صفاه الهدی من أن ترقّ فتخرقا «۱»

و ذلک أن أصل «الخرق» أن یکون فی الثوب، و هو فی الصفاه استعاره، لأنه لمّا قال «ترقّ»، قربت حالها من حال الثوب، و علی ذلک فإنّا نعلم أن «الشق» و «الصدع» حقیقه فی الصّفاه، و نعلم أن «الخرق» یجامعهما فی الجنس، لأن الکلّ تفریق و قطع.

و لو لم یکن «الخرق» و «الشق» واحدا، لما قلت: «شققت الثوب»، و «الشقّ عیب فی الثوب»، و «تشقّق الثوب» قول من لا یستعیر.

و لکن لو قلت: «خرق الحشمه»، لم یکن من الحقیقه فی شی ء، و کان خارجا من هذا الفن الذی نحن فیه، لأنه لیس هناک شق. و لو جاء «شقّ الحشمه» أو «صدع» مثلا، کان کذلک أعنی لا یکون له أصل فی الحقیقه و لا شبه بها.

و من هذا الضرب قوله تعالی: وَ مَزَّقْناهُمْ کُلَّ مُمَزَّقٍ [سبأ: ۱۹] یعدّ استعاره من حیث إن «التمزیق» للثوب فی أصل اللغه، إلا أنه علی ذاک راجع إلی الحقیقه، من حیث إنه تفریق علی کل حال، و لیس بجنس غیره، إلّا أنهم خصّوا ما کان مثل الثوب بالتمزیق، کما خصّوه بالخرق، و إلا فأنت تعلم أن تمزیق الثوب تفریق بعضه من بعض.

و مثله أن «القطع» إذا أطلق، فهو لإزاله الاتصال من

الأجسام التى تلتزق أجزاؤها. و إذا جاء فى تفريق الجماعه و إبعاد بعضهم عن بعض، كقوله تعالى:

وَ قَطَّعْناهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَماً [الأعراف: ١٦٨]، كان شبه الاستعاره، و إن كان المعنى فى الموضعين على إزاله الاجتماع و نفيه.

فإن قلت: «قطع عليه كلامه»، أو قلت: «نقطع الوقت بكذا»، كان نوعا آخر.

و من الاستعاره القريبه فى الحقيقه قولهم: «أثرى فلان من المجد»، و «أفلس من المروءه»، و كقوله: [من الكامل]

إن كان أغناها السلوّ، فإنّنى أمسيت من كبدى و منها معدما «٢»

---

(١) البيت للبحترى فى ديوانه.

(٢) البيت للمتنبى فى ديوانه. السلو: البغض و السآمه، و المعدم: الفقير، و روى ابن جنى مصرما و هو بمعنى واحد، و المصرم و المعدم و الممحق و المبلط و المعسر و المقتر و المفلس الذى لا- مال له و لا- شى ء له، و من كلام العرب: كلأ ييجع له كبد المصرم، و هو الذى لا مال له، فيرعاه فأوجعته كبده. و معنى البيت: إن كان السلو تركها غنيه عن وصالى و لا تحتاج إلى وصلى فأنا محتاج إليها، قد عدمتها و عدمت كبدى، يريد أنها غنيه عنى و أنا فقير إليها. التبيان ٢/ ٣٢٩.

و ذلك أن حقيقه «الإثراء من الشى ء»، كثرته عندك. و وصف الرجل بأنه كثير المجد أو قليل المروءه، كوصفه بأنه كثير العلم أو قليل المعرفه،

فی کونه حقیقه.

و کذلک إذا قلت: «أثری من الشوق» أو «الحزن» کما قال: [من الخفیف]

و فی الرّکب خریب من الغرام و مثری «۱»

فهو کقولک: «کثر شوقه و حزنه و غرامه»، و إذا کان کذلک، فهو فی أنه نقل إلی شی ء جنسه جنس الذی هو حقیقه فیه، بمنزله «طار»، أو أظهر أمرا منه، و کذا معنی «أعدم من المال»، أنه خلا منه، و أن المال یزول عنه فإذا أخبر أن کبده قد ذهبت عنه، فهو فی حقیقه من ذهب ماله و عدمه. و العدم فی المال و فی غیر المال بمنزله واحده لا تتغیّر له فائده، و «المعدم» موضوع لمن عدم ما یحتاج إلیه، فالکبد مما یحتاج إلیه، و کذلک المحبوبه، فإنما تقع هذه العباره فی نفسک موقع الغریب من حیث أن العرف جری فی «الإعدام» بأن یطلق علی من عدم ما جنسه جنس المال، و یؤنّسک بما قلت، أنک لو قلت: «عدم کبده»، لم یکن مجازا، و لم تجد بینه و بین «خلا من کبده» و «زالت عنه کبده» کبیر فرق. أ لا تراک تقول: «الفرس عادم للطّحال» ترید: لیس له طحال، و هذا کلام لا استعاره فیه، کما أنک لو قلت:

«الطحال معدوم فی الفرس» کان کذلک.

و من اللائق بهذا الباب البیّن أمره، ما أنشده أبو العباس فی الکامل من قول الشاعر: [من البسیط]

لم تلق قوما هم شرّ لإخوتهم

منّا عشيّه يجرى بالدّم الوادى

تقريهم لهذميّات نقدّ بها ما كان خاط عليهم كلّ زرّاد «۲»

---

(۱) البيت للبحترى فى ديوانه، و هو من المجتث. و فى نسخه محمود شاكر:

قد وقفنا على الديار و فى الرك ب حريب من الغرام و مثرى

و البيت بهذا الشكل من الخفيف.

الحريب: من حربه يحربه: إذا أخذ ماله، و حريبته: ماله الذى سلبه لا يسمى بذلك إلا بعد ما يسلبه، و الحريب الذى سلب حريبته. لسان العرب، ماده: حرب.

(۲) البيتان هما للقطامى فى ديوانه. اللهذميات: جمع لهذم: سيف لهذم حاد، و كذلك السّنان و الناب و لهذم الشى ء: قطعه، الليث: اللهذم: كل شى ء من سنان أو سيف قاطع. لسان العرب، ماده:

لهذم.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۵۲

قال: لأن «الخياطه»، تضمّ خرق القميص و السّرد يضمّ حلق الدرع». أ فلا تراه بيّن أن جنسهما واحد، و أن كلّا منهما ضمّ و وصل و إنما يقع الفرق من حيث أن «الخياطه» ضمّ أطراف الخرق بخيط يسلك فيها على الوجه المعلوم، و «الزّرد» ضمّ حلق الدرع بمداخله توجد بينها، إلّا أن الشّكال الذى يلزم أحد طرفى الحلقه الآخر بدخوله فى ثقبتيها، فى صوره الخيط الذى يذهب فى منافذ الإبره.

و استقصاء القول

فی هـذا الضـرب، و البحث عن أسـراره، لاـ یمکن إلا بعـد أن تقرّر الضـروب المخالفه له من الاسـتعاره، فأقتصـر منه علی القـدر المذکور، و أعود إلی القسمه.

ضرب ثان یشبه هذا الضرب الذی مضی، و إن لم یکن إیاه، و ذلک أن یکون الشبه مأخوذا من صفه هی موجوده فی کل واحد من المسـتعار له و المسـتعار منه علی الحقیقه. و ذلک قولک: «رأیت شـمسا»، تریـد إنسانا یتهلّل وجهه کالشـمس. فهـذا له شـبه باسـتعاره «طـار» لغیر ذی الجناح و ذلک أن الشـبه مراعی فی التلألؤ، و هو کما تعلم موجود فی نفس الإنسان المتهلل، لأنّ رونق الـوجه الحسن من حیث حسن البصـر، مجـانس لضوء الأجسـام النّیره. و کـذلک إذا قلت: «رأیت أسـدا» تریـد رجلاـ فالوصـف الجـامع بینهما هو الشـجاعه، و هی علی حقیقتها موجوده فی الإنسان، و إنما یقع الفرق بینه و بین السّـبع الـذی اسـتعرت اسـمه له فیهـا، من جهه القوّه و الضـعف و الزیـاده و النقصـان، و ربما ادّعی لبعض الکماه و البهم مساواه الأسـد فی حقیقه الشـجاعه التی عمود صورتهـا انتفـاء المخـافه عن القلب حتی لاـ تخامره، و تفرّق خواطره و تحلّل عزیمته فی الإقـدام علی الـذی یباطشه و یرید قهره، و ربمـا کفّ الشّـجاع عن الإقـدام علی العـدوّ لاـ لخوف یملـک قلبه و یسـلبه قواه، و لکن کما یکفّ المنهیّ عن الفعل، لا تخونه فی تعـاطیه قوّه. و ذلـک أن العاقـل من حیث الشـرع منهیّ عن أن یهلـک نفسه، أ تری أنّ البطـل الکمیّ إذا عـدم سـلاحا یقاتل به، فلم ینهض إلی العدوّ، کان فاقدا شجاعته و بأسه، و متبرّئا من النّجده التی یعرف بها.

ثم إن الفرق بین هذا الضرب و بین

الأول أن الاشتراک هاهنا فی صفه توجد فی جنسین مختلفین، مثل أنّ جنس الإنسان غیر جنس الشمس، و کذلک جنسه غیر جنس الأسد، و لیس کذلک «الطیران» و «جری الفرس»، فإنهما جنس واحد بلا شبهه،

أسرار البلاغه فی علم البیان، ص: ۵۳

و کلاهما مرور و قطع للمسافه. و إنما یقع الاختلاف بالسرعه، و حقیقه «السرعه» قلّه تخلّل السکون للحرکات، و ذلک لا یوجب اختلافا فی الجنس «۱».

فإن قلت: فإذن لا فرق بین استعاره «طار» للفرس و بین استعاره «الشفه» للفرس، فهلّا عددت هذا فی القسم اللّفظیّ غیر المفید؟ ثم إنک إن اعتذرت بأنّ فی «طار» خصوص وصف لیس فی «عدا» و «جری»، فکذلک فی «الشفه» خصوص وصف لیس فی «الجحفله».

فالجواب: أنّی لم أعدّه فی ذلک القسم، لأجل أنّ خصوص الوصف الکائن فی «طار» مراعی فی استعارته للفرس، أ لا تراک لا تقوله فی کل حال، بل فی حال مخصوصه و کذا «السباحه»، لأنک لا تستعیرها للفرس فی کل أحوال حربه. نعم، و تأبی أن تعطیها کلّ فرس، فالقطوف «۲» البلید لا یوصف بأنه سابح.

و أما استعاره اسم لعضو نحو «الشفه» و «الأنف» فلم یراع فیه خصوص الوصف. أ لا ترى أن العجّاج لم یرد بقوله: «و مرسنا مسرّجا»، أن یشبّه أنف المرأه بأنف نوع من الحیوان، لأن هذا العضو من غیر الإنسان لا یوصف بالحسن، کما یکون ذلک فی العین و الجید. و هکذا استعاره «الفرسن» للشاه فی قول عائشه رضی اللّه عنها: «و لو فرسن شاه» «۳»، و هو للبعیر

فى الأصل ليس لأن يشبّه هذا العضو من

---

(١) تقدم أن من ذلك النوع المستعار لحركه الفرس مستعارا من انقضاض الكواكب و الظاهر أن الجنس مختلف هنا و الجواب أن الكلام فى اختلاف المستعار و المستعار له من حيث وجه الشبه فاختلاف الجنس واقع فى وجه الشبه أيضا فإن تلألؤ الشمس غير تلألؤ الوجه فى الجنس، و شجاعه الأسد ليست مثل شجاعه الإنسان فإن شجاعه الإنسان يدخل فيها العقل بخلاف شجاعه الأسد و أما الحركات التى ذكرها فإنها جنس واحد و الخلاف فى عرض و هو السرعه و الجواب الأفضل أن الضرب الأول يكون فيه المستعار له على قرب من الشبه فى مفهوم المستعار منه لو لا غلبه التفرق بالتخصيص و أما فى الضرب الثانى فذلك القرب فى وجه الشبه أتم فشجاعه البطل تدخل فى حد شجاعه الأسد لكن المستعار له لا يمكن أن يدخل فى جنس المستعار منه على وجه الحقيقه بحال، فلا يدخل الرجل فى الأسد و لا فى الشمس إلخ. هذا الذى يظهر من عباره المصنف اه (رشيد).

(٢) القطوف: سيّئ السير بطيئه.

(٣) الحديث متفق عليه رواه البخارى ٥/ ١٤٤، ١٤٥، و مسلم فى ١٠٣٠، و المراد: أى: «لا- تمتنع جاره من الصدقه و الهديه لجارتها لاستقلالها و احتقارها الموجود عندها؛ بل تجود بما تيسر؛ و إن كان قليلا كفرسن الشاه (و هو خف البعير، و يستعار لظلف الشاه كما فى الحديث) فهذا خير من عدمه، قال تعالى: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ بتصرف من شرح رياض الصالحين لابن علان ١/ ٣٤٥- ٣٤٦.

الشاه به من البعير، كيف و لا شبه هناك، و ليس إذن فى مجى ء «الفرسن» بدل «الظلف» أمر أكثر من العضو نفسه.

ضرب ثالث، و هو الصّميم الخالص من «الاستعاره». و حدّه أن يكون الشبه مأخوذا من الصّور العقليه، و ذلك كاستعاره «النّور» للبيان و الحجه الكاشفه عن الحق، المزيله للشكّ النافيه للرّيب، كما جاء فى التّنزيل من نحو قوله عزّ و جلّ:

وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ [الأعراف: ۱۵۷] و كاستعاره «الصراط» للدّين فى قوله تعالى: اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ [الفاتحه: ۵]، و وَ إِنَّكَ لَتَهْدِى إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ [الشورى: ۵۲]، فإنك لا تشكّ فى أنه ليس بين «النور» و الحجه ما بين «طيران الطائر» و «جرى الفرس» من الاشتراك فى عموم الجنس، لأن «النور» صفه من صفات الأجسام محسوسه، و الحجه كلام و كذا ليس بينهما ما بين «الرجل» و «الأسد» من الاشتراك فى طبيعه معلومه تكون فى الحيوان كالشجاعه. فليس الشبه الحاصل من «النور» فى البيان و الحجه و نحوهما، إلّا أنّ القلب إذا وردت عليه الحجّه صار فى حاله شبيهه بحال البصر إذا صادف النور، و وجّهت طلائعه نحوه، و جال فى معارفه «۱» و انتشر، و انبثّ فى المسافه التى يسافر طرف الإنسان فيها. و هذا كما تعلم شبه لست تحصل منه على جنس و لا على طبيعه و غريزه، و لا على هيئه و صوره تدخل فى الخلقه، و إنما هو صوره عقليه.

و اعلم أن هذا الضرب هو المنزله التى تبلغ عندها الاستعاره غايه شرفها، و يتسع لها كيف شاءت المجال فى تفنّنها و تصرّفها، و هاهنا تخلص

لطيفه روحانيه، فلا يبصرها إلا ذوو الأذهان الصافيه، و العقول النافذه، و الطباع السليمه، و النفوس المستعدّه لأن تعى الحكمه، و تعرف فصل الخطاب.

و لها هاهنا أساليب كثيره، و مسالك دقيقه مختلفه، و القول الذى يجرى مجرى القانون و القسمه يغمض فيها، إلا أنّ ما يجب أن تعلم فى معنى التقسيم لها أنها على أصول:

أحدها: أن يؤخذ الشّبه من الأشياء المشاهده و المدركه بالحواسّ على الجمله للمعانى المعقوله.

---

(١) معارف الإنسان ما يعرف به و يتميز به من غيره فى شكل وجهه. و كتب شيخنا فى نسخه الدرس هنا ما نصه: المعارف من الضياء ما يظهر فيه و أصلها ما يظهر من المرأه و الوجوه و المعروفون (كذا) من الناس. و قد يعود الضمير فى معارفه على البصر أى: جال فى الأشياء التى يعرفها البصر و يفسره قوله: و انبث فى المسافه إلخ. أو معارف البصر ما يعرف منه كالمقله اه. (رشيد).

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٥٥

و الثانى: أن يؤخذ الشبه من الأشياء المحسوسه لمثلها، إلا أن الشّبه مع ذلک عقلىّ.

و الأصل الثالث: أن يؤخذ الشّبه من المعقول للمعقول.

فمثال ما جرى على (الأصل الأول) ما ذکرت لک من استعاره «النور» للبيان و الحجّه، فهذا شبه أخذ من محسوس لمعقول، أ لا ترى أن «النور» مشاهد محسوس بالبصر، و البيان و الحجّه مما يؤدّيه إليک العقل من غير واسطه من العين أو غيرها من الحواس. و ذلک أن الشّبه ينصرف إلى المفهوم من الحروف و الأصوات، و مدلول الألفاظ هو

الـذى ينوّر القلب لا الألفاظ. هـذا و «النور» يسـتعار للعلم نفسه أيضا و الإيمان، و كذلك حكم «الظلمه»، إذا اسـتعيرت للشّـبهه و الجهل و الكفر، لأنه لا شـبهه فى أن الشّـبه و الشـكوك من المعقول، و وجه التشبيه أن القلب يحصل بالشبهه و الجهل، فى صفه البصـر إذا قيّده دجى الليل فلم يجد منصـرفا و إن اسـتعيرت للضـلاله و الكفر، فلأنّ صاحبهما كمن يسـعى فى الظلمه فيذهب فى غير الطريق، و ربما دفع إلى هلك و تردّى فى أهويّه.

و من ذلك اسـتعاره «القسطاس» للعدل و نحو ذلك من المعانى المعقوله التى تعطى غيرها صفه الاستقامه و السّداد، كما استعاره الجاحظ فى فصل يذكر فيه علم الكلام، فقال: «هو العيار على كل صـناعه»، و الزّمام على كل عباره، و القسطاس الذى به يستبان كل شى ء و رجحانه و الراووق الذى به يعرف صفاء كل شى ء و كدره».

و هكـذا إذا قيل فى النّحو: «إنه ميزان الكلام و معياره»، فهو أخذ شـبه من شـى ء هو جسم يحسّ و يشاهد، لمعنى يعلم و يعقل و لا يدخل فى الحاسّه، و ذلك أظهر و أبين من أن يحتاج فيه إلى فضل بيان.

و أما تفنّنه و سعته و تصرّفه من مرضىّ و مسخوط، و مقبول و مرذول، فحقّ الكلام فيه بعد أن يقع الفراغ من تقرير الأصول.

و مثال (الأصل الثانى)، و هو أخـذ الشّـبه من المحسوس للمحسوس، ثم الشـبه عقلىّ، قول النبىّ صـلّى اللّه عليه و سـلّم: «إياكم و خضراء الدّمن» «۱»، الشبه مأخوذ للمرأه من النبات

---

(۱) تتمه الحديث: قيل و ما ذاك قال: المرأه الحسناء فى المنبت السوء» شبه المرأه بما ينبت فى الدمن من الكلأ يكون له غضاره

و هو ربئ المرعى منتن الأصل قال زفر بن الحارث:

و قد ينبت المرعى على دمن الثرى و تبقى حزازات النفوس كما هيا

و الدمنه: الموضع الذى فيه السرقين (الزبل) و كذلك هو ما اختلط من الماء و الطين عند الحوض (رشيد). قلت: و لكن الحديث لا تصح نسبته للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم (عبد الحميد).

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۵۶

كما لا يخفى و كلاهما جسم، إلا أنه لم يقصد بالتشبيه لون النبات و خضرته، و لا طعمه و لا رائحته، و لا شكله و صورته و لا ما شاكل ذلك و لا ما يسمّى طبعا كالحراره و البروده المنسوبتين فى العاده إلى العقاقير و غيرها مما يسخّن بدن الحيوان و يبرد بحصوله فيها، و لا شى ء من هذا الباب بل القصد شبه عقلىّ بين المرأه الحسناء فى المنبت السوء، و بين تلك النابته على الدّمنه، و هو حسن الظاهر فى رأى العين مع فساد الباطن، و طيب الفرع مع خبث الأصل.

و كما أنهم إذا قالوا:

هو عسل إذا ياسرته و إن عاسرته فهو صاب» «۱»

كما قال: [من الرمل]

عسل الأخلاق ما ياسرته

فإذا عاسرت ذقت السّلعا «۲»

فالتشبيه عقلىّ، إذ ليس الغرض الحلاوه و المراره اللتين تصفهما لك المذاقه و يحسّهما الفم و اللسان، و إنما المعنى أنك تجد منه فى حاله الرّضى و الموافقه ما يملؤك سرورا و بهجه، حسب ما يجد ذائق العسل من لذّه الحلاوه و يهجم عليك فى حاله السّخط و الإباء ما يشدّد كراهتك و يكسبك كربا، و يجعلك فى حال من يذوق المرّ الشديد المراره. و هذا أظهر من أن يخفى.

و من هذا الأصل استعاره «الشمس» للرجل تصفه بالنباهه و الرّفعه و الشّرف و الشهره و ما شاكل ذلك من الأوصاف العقليه المحضه التى لا تلابسها إلّا بغريزه العقل، و لا تعقلها إلا بنظر القلب.

و يظهر من هاهنا (أصل آخر) و هو أنّ اللفظه الواحده تستعار على طريقين مختلفين، و يذهب بها فى القياس و التشبيه مذهبين، أحدهما يفضى إلى ما تناله العيون، و الآخر يومئ إلى ما تمثّله الظنون.

---

(۱) الصاب: هو عصاره شجر مر، و قيل: هو شجر إذا اعتصر خرج منه كهيئه اللبن، و ربما نزت منه نزيّه، أى: قطره، فنقع فى العين كأنها شهاب نار، و ربما أضعف البصر، قال أبو ذؤيب الهذلى:

إنى أرقت فبتّ الليل مشتجرا كأن عينى فيها الصّاب مذبوح

و قيل: الصاب شجر مر، واحدته صابه، و قيل: هو عصاره الصبر. لسان العرب، ماده: صوب.

(۲) البيت لا نعرف قائله. السّلع: شجر مثل السّنعبق إلا أنه يرتقى حبالا خضرا لا ورق لها، و لكن لها قضبان

تلتف على الغصون و تتشبک، و له ثمر مثل عناقيد العنب صغار، فإذا أينع اسود فتأكله القرود فقط. لسان العرب، ماده: سلع.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۵۷

و مثال ذلک قولک: «نجوم الهدى»، تعنى أصحاب الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم و رضى عنهم، فإنه استعاره توجب شبها عقليّا، لأن المعنى أنّ الخلق بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم اهتدوا بهم فى الدين كما يهتدى السارون بالنجوم، و هذا الشبه باق لهم إلى يوم القيامه، فبالرجوع إلى علومهم و آثارهم و فعالهم و هديهم تنال النجاه من الضلاله، و من لم يطلب الهدى من جهتهم فقد حرم الهدى و وقع فى الضلال، كما أنّ من لم ينظر إلى النجوم فى ظلام اللّيل و لم يتلقّ عنها دلالتها على المسالک التى تفضى إلى العماره و معادن السلامه و خالفها، وقع فى غير الطريق، و صار بتركه الاهتداء بها إلى الضلال البعيد، و الهلک المبيد.

فالقياس على النجوم فى هذا، ليس على حدّ تشبيه المصابيح بالنجوم، أو النيران فى الأماكن المتفرقه، لأن الشّبه هناک من حيث الحس و المشاهده، لأن القصد إلى نفس الضوء و اللّمعان، و الشّبه هاهنا من حيث العقل، لأن القصد إلى مقتضى ضوء النجوم و حكمه و عائدته، ثم ما فيها من الدلاله على المنهاج، و الأمن من الزيغ عنه و الاعوجاج، و الوصول بهذه الجمله منها إلى دار القرار و محل الكرامه نسأل اللّه تعالى أن يرزقنا ذلک، و يديم توفيقنا للزوم ذلک الاهتداء، و التصرف

فى هذا الضياء، إنه عزّ و جلّ ولىّ ذلك و القادر عليه.

و مما لا يكون الشبه فيه إلا عقليا، قولنا فى أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم «ملح الأنام»، و هو مأخوذ من قوله عليه السلام: «مثل أصحابى كمثل الملح فى الطّعام، لا يصلح الطّعام إلا بالملح»، قالوا: فكان الحسن رحمه اللّه عليه يقول: «فقد ذهب ملحنا، فكيف نصنع؟».

فأنت تعلم أن لا وجه هاهنا للتشبيه إلا من طريق الصّوره العقليه، و هو أن الناس يصلحون بهم كما يصلح الطعام بالملح، و الشّبه بين صلاح العامّه بالخاصّه و بين صلاح الطعام بالملح، لا يتصوّر أن يكون محسوسا. و ينطوى هذا التشبيه على وجوب موالاه الصحابه رضى اللّه عنهم، و أن تمزج محبّتهم بالقلوب و الأرواح، كما يمزج الملح بالطعام، فباتّحاده به و مداخلته لأجزائه يطيب طعمه، و تذهب عنه و وخامته، و يصير نافعا مغذيا، كذلك بمحبّه الصحابه رضى اللّه عنهم تصلح الاعتقادات، و تنتفى عنها الأوصاف المذمومه، و تطيب و تغذو القلوب، و تنمّى حياتها، و تحفظ صحتها و سلامتها، و تقيها الزّيغ و الضلال و الشك و الشبهه و الحيره، و ما حكمه فى حال القلب من حيث العقل، حكم الفساد الذى يعرض لمزاج البدن

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۵۸

من أكل الطعام الذى لم يصلح بالملح، و لم تنتف عنه المضار التى من شأن الملح أن يزيلها، و على ذلك جاء فى صفتهم أنّ: «حبّهم إيمان و بغضهم نفاق». هذا، و لا معنى لصلاح الرجل بالرجل

إلّا صلاح نيّته و اعتقاده، و محال أن تصلح نيّتك و اعتقادك بصاحبك و أنت لا تراه معدن الخير و معانه، و موضع الرّشد و مكانه و من علمته كذلك، مازجتك محبّته لا محاله، وسيط ودّه بلحمك و دمك، و هل تحصل من المحبّه إلّا على الطاعه و الموافقه فى الإراده و الاعتقاد، قياسه قياس الممازجه بين الأجسام، أ لا ـ تراك تقول: «فلان قريب من قلبى»، تريد الوفاق و المحبّه.

و على هذه الطريقه جرى تمثيل «النحو» فى قولهم: «النحو فى الكلام، كالملح فى الطعام، إذ المعنى أن الكلام لا يستقيم و لا تحصل منافعه التى هى الدلالات على المقاصد، إلّا بمراعاه أحكام النحو فيه، من الإعراب و الترتيب الخاصّ، كما لا يجدى الطعام و لا تحصل المنفعه المطلوبه منه، و هى التغذيه، ما لم يصلح بالملح.

فأمّا ما يتخيّلونه من أن معنى ذلك: أن القليل من النحو يغنى، و أن الكثير منه يفسد الكلام كما يفسد الملح الطعام إذا كثر فيه، فتحريف، و قول بما لا يتحصّل على البحث، و ذلك أنه لا يتصوّر الزياده و النقصان فى جريان أحكام النحو فى الكلام. أ لا ترى أنه إذا كان من حكمه فى قولنا: «كان زيد ذاهبا»، أن يرفع الاسم و ينصب الخبر، لم يخل هذا الحكم من أن يوجد أو لا يوجد، فإن وجد فقد حصل النحو فى الكلام، و عدل مزاجه به، و نفى عنه الفساد، و أن يكون كالطعام الذى لا يغذو البدن و إن لم يوجد فيه فهو فاسد كائن بمنزله طعام لم يصلح بالملح، فسامعه لا ينتفع به بل يستضرّ، لوقوعه فى عمياء و هجوم الوحشه عليه، كما يوجبه الكلام الفاسد العارى

من الفائده.

و ليس بين هاتين المنزلتين واسطه يكون استعمال النحو فيها مذموما و هكذا القول فى كلّ كلام، و ذلك أن إصلاح الكلام الأول بإجرائه على حكم النحو، لا يغنى عنه فى الكلام الثانى و الثالث، حتى يتوّهم أن حصول النحو فى جمله واحده من قصيده أو رساله يصلح سائر الجمل، و حتى يكون إفراد كل جمله بحكمها منه تكريرا له و تكثيرا لأجزائه، فيكون مثله مثل زياده أجزاء الملح على قدر الكفايه.

و كذلك لا يتصور فى قولنا: «كان زيد منطلقا»، أن يتكرّر هذا الحكم و يتكثّر على هذا الكلام، فيصير النحو كذلك موصوفا بأن له كثيرا هو مذموم، و أن المحمود منه القليل. و إنما وزانه فى الكلام وزان وقوف لسان الميزان حتى ينبئ عن مساواه ما

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۵۹

فى إحدى الكفتين الأخرى، فكما لا يتصور فى تلك الصفه زياده و نقصان، حتى يكون كثيرها مذموما و قليلها محمودا، كذلك الحكم فى الصّيفه زياده و نقصان، حتى يكون كثيرها مذموما و قليلها محمودا، كذلك الحكم فى الصّيفه التى تحصل للكلام بإجرائه على حكم النحو و وزنه بميزان، فقول أبى بكر الخوارزمى: [من السريع] و البغض عندى كثره الإعراب كلام لا يحصل منه على طائل، لأنّ الإعراب لا يقع فيه قله و كثره، إن اعتبرنا الكلام الواحد و الجمله الواحده، و إن اعتبرنا الجمل الكثيره و جعلنا إعراب هذه الجمله مضموما إلى إعراب تلك، فهى الكثره التى لا بدّ منها، و لا صلاح مع تركها، و الخليق

بالبغض من ذمّها «۱» و إن كان أراد نحو قول الفرزدق:

و ما مثله فى النّاس إلّا مملّكا أبو أمّه حىّ أبوه يقاربه «۲»

و مـا كان من الكلام معقّـدا موضوعا على التأويلات المتكلّفه، فليس ذلك بكثره و زياده فى الإعراب، بل هو بأن يكون نقصا له و نقضا أولى، لأن «الإعراب» هو أن يعرب المتكلم عما فى نفسه و يبيّنه و يوضّـح الغرض و يكشف اللّبس، و الواضع كلامه على المجـازفه فى التقـديم و التـأخير زائـل عن الإعـراب، زائغ عن الصواب، متعرّض للتلبيس و التعميه. فكيف يكون ذلـك كثره فى الإعراب؟ إنما هو كثره عناء على من رام أن يردّه إلى الإعراب، لا كثره الإعراب.

و هـذا هو كالاعتراض على طريق شـجون الحـديث، و يحتـاج إليه فى أصل كبير، و هو أن من حق العاقل أن لا يتعـدّى بالتشبيه الجهه المقصوده، و لا سيما فى العقليات. و أرجع إلى النّسق.

مثال (الأصل الثالث)، و هو أخذ الشبه من المعقول للمعقول.

أوّل ذلك و أعمّه تشبيه الوجود من الشى ء مره بالعدم، و العدم مره بالوجود.

أمّا الأول: فعلى معنى أنه لما قلّ فى المعانى التى بها يظهر للشى ء قدر، و يصير له ذكر، صار وجوده كلا وجود «۳».

---

(۱) مبتدأ و خبر. (رشيد).

(۲) سبق تخريجه: ص ۲۵.

(۳) (رشيد) نظم هذا المعنى بعضهم فقال:

خلقوا و ما خلقوا لمكرمه فكأنهم خلقوا و ما خلقوا

رزقوا و ما رزقوا سماح يد فكأنهم رزقوا و ما رزقوا

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۶۰

و أمّا الثانى: فعلى معنى أن الفانى كان موجودا ثم فقد و عدم، إلاـ أنه لما خلّف آثارا جميله تحيى ذكره، و تديم فى الناس اسمه، صار لذلك كأنه لم يعدم.

و أما ما عداهما من الأوصاف فيجى ء فيها طريقان:

أحدهما: هذا، و ذلك فى كلّ موضع كان موضوع التشبيه فيه على ترك الاعتداد بالصفه، و إن كانت موجوده، لخلوّها مما هو ثمرتها و المقصود منها، و الذى إذا خلت منه لم تستحق الشّرف و الفضل.

تفسير هذا: أنك إذا وصفت الجاهل بأنه «ميّت»، و جعلت «الجهل» كأنه موت، على معنى أن فائده الحياه و المقصود منها هو «العلم» و «الإحساس»، فمتى عدمهما الحىّ فكأنه قد خرج عن حكم الحىّ، و لذلك جعل النّوم موتا، إذ كان النائم لا يشعر بما بحضرته، كما لا يشعر الميّت.

و الدرجه الأولى فى هذا أن يقال: «فلان لا يعقل» و «هو بهيمه» و «حمار» و ما أشبه ذلك، مما يحطّه عن معانى المعرفه الشريفه، ثم أن يقال: «فلان لاـ يعلم و لاـ يفقه و لاـ يحسّ»، فينفى عنه العلم و الإحساس جمله لضعف أمره فيه، و غلبه الجهل عليه، ثم يجعل التعريض تصريحا فيقال: «هو ميّت خارج من الحياه» و «هو جماد»، توكيدا و تناهيا فى إبعاده عن العلم و المعرفه،

و تشدّدا فى الحكم بأن لا مطمع فى انحسار غيابه الجهل عنه «١»، و إفاقته مما به من سكره الغىّ و الغفله و أن يؤثّر فيه الوعظ و التنبيه.

ثم لما كان هذا مستقرا فى العاده، أعنى جعل الجاهل ميّتا، خرج منه أن يكون المستحقّ لصفه الحياه هو العالم المتيقظ لوجه الرّشد. ثم لمّا لم يكن علم أشرف و أعلى من العلم بوحدانيه اللّه تعالى، و بما نزّله على النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم، جعل من حصل له «٢» هذا العلم بعد أن لم يكن، كأنه وجد الحياه و صارت صفه له، مع وجود نور الإيمان فى قلبه، و جعل حالته السابقه التى خلا فيها من الإيمان كحاله الموت التى تعدم معه الحياه، و ذلك قوله تعالى: أَ وَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ [الأنعام: ١٢٢]، و أشباه ذلك.

من هذا الباب قولهم: «فلان حىّ» و «حىّ القلب» يريدون أنه ثاقب الفهم

---

(١) الغيابه: كل ما أظل الإنسان من فوق رأسه كالسحابه.

(٢) المناسب هذا العلم.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٦١

جيّد النظر، مستعدّ لتمييز الحق من الباطل فيما يرد عليه، بعيد من الغفله التى كالموت و يذهبون به فى وجه آخر، و هو أنه حرك «١» نافذ فى الأمور غير بطى ء النهوض و ذلك أن هذه الأوصاف من أمارات الصحه و اعتدال المزاج و توقّد نار الحياه، و هذا يصلح فى الإنسان و البهيمه، لأنه تعريض بالقدره و القوه. و المذهب الأول إشاره فى العلم و العقل، و كلتا الصفتين أعنى القدره

و العلم مما يشرف به الحيّ، و مما يضادّه الموت و ينافيه.

و لما كان الأمر كـذلك صار إطلاق «الحياه» مره عباره عن العلم، و أخرى عن القـدره و إطلاق الموت إشاره إلى عدم القدره و ضعفها تاره، و إلى عدم العلم و ضعفه أخرى.

و القول الجامع فى هـذا: أنّ تنزيل الوجود منزله العـدم إذا أريـد المبالغه فى حطّ الشـى ء و الوضع منه و خروجه عن أن يعتدّ به، كقولهم: «هو و العـدم سواء» معروف متمكن فى العـادات، و ربما دعاهم الإيغال و حبّ السّـرف إلى أن يطلبوا بعـد العـدم منزله هى أدون منه، حتى يقعوا فى ضـرب من التهوّس، كقول أبى تمام: [من البسيط] و أنت أنزر من لا شى ء فى العدد «٢» و قال ابن نباته: [من البسيط]

ما زلت أعطف أيّامى فتمنحنى نيلا أدقّ من المعدوم فى العدم «٣»

و يتفرع على هذا إثبات الفضيله للمذكور بإثبات اسم الشى ء له، و يكون ذلك على وجهين:

أحدهما: أن تريد المدح و إثبات المزيّه و الفضل على غايه المبالغه، حتى لا تحصل عليه مزيدا. فإذا أردت ذلك جعلت الإثبات كأنه مقصور عليه لا يشارك فيه، و ذلك قولك: «هذا هو الشى ء و ما عداه فليس بشى ء»، أى: إن ما عداه إذا قيس إليه

---

(١) غلام حرك: بوزن فرح خفيف ذكى.

(٢) البيت فى ديوانه، و صدره:

أ فىّ تنظيم قول الزور و الفند و الفند: الخرف و إنكار العقل من الهرم أو المرض، و الفند: الخطأ فى الرأى و القول، و أفنده خطّأ رأيه، و فى

التنزيل العزيز حكايه عن يعقوب عليه السلام: لَوْ لا أَنْ تُفَنِّدُونِ. قال الفراء: يقول لو لا أن تكذبونى و تعجزونى و تضعّفونى.

(۳) البيت من أبيات قالها فى صباه، ذكرها الثعالبى فى يتيمه الدهر ۲/ ۳۵۶. و ابن نباته: هو أبو نصر عبد العزيز بن عمر بن محمد بن أحمد الملقب بالسعدى.

صغر و حقر حتى لا يدخل فى اعتداد، و حتى يكون وجدانه كفقدانه، فقد نزّلت الوجود فيمن عدا المذكور منزله العدم.

و أما أن يكون التفضيل على توسّط، و يكون القصد الإخبار بأنه غير ناقص على الجمله، و لا ملغى منزّل منزله المعدوم، و ذلك قولك: «هذا شى ء»، أى: داخل فى الاعتداد.

و فى هذه الطريقه أيضا تفاوت، فإنك تقول مره: «هذا إمّا لا، شى ء»، تريد أن تقول: إن الآخر ليس بشى ء و لا اعتداد به أصلا. و تقول أخرى: «هذا شى ء»، تريد:

شى ء له قدر و خطر. و تجرى لك هذه الوجوه فى أسماء الأجناس كلها تقول: «هذا هو الرجل و من عداه فليس من الرجوليه فى شى ء»، و «هذا هو الشعر فحسب»، تبالغ فى التفضيل، و تجعل حقيقه الجنسيه مقصوره على المذكور. و تقول: «هذا رجل» تريد: كامل من الرجال، لا أن من عداه فليس برجل على الكمال. و قد تقول: «هذا، إمّا لا، رجل»، تريد: يستحقّ أن يعدّ فى الرجال، و يكون قصدك أن تشير إلى أنّ هناك واحدا آخر لا يدخل فى الاعتداد أصلا و لا يستحق اسم الرجل.

و إذا كان هذا

هو الطريق المهيع فى الوضع من الشى ء و ترک الاعتداد به، و التفضيل له و المبالغه فى الاعتداد به، فکل صفتين تضادّتا، ثم أريد نقص الفاضله منهما، عبّر عن نقصها باسم ضدّها، فجعلت الحياه العاريه من فضيله العلم و القدره «موتا»، و البصر و السمع إذا لم ينتفع صاحبهما بما يسمع و يبصر فلم يفهم معنى المسموع و لم يعتبر بالمبصر أو لم يعرف حقيقته عمى و صمما، و قيل للرجل: «هو أعمى أصمّ»، يراد أنه لا يستفيد شيئا مما يسمع و يبصر، فکأنه لم يسمع و لم يبصر. و سواء عبّرت عن نقص الصفه بوجود ضدّها، أو وصفها بمجرّد العدم، و ذلک أنّ فى إثبات أحد الضدّين وصفا للشى ء، نفيا للضدّ الآخر، لاستحاله أن يوجدا معا فيه، فيکون الشّخص حيّا ميّتا معا، أصمّ سمعيا فى حاله واحده. فقولک فى الجاهل:

«هو ميّت»، بمنزله قولک: «ليس بحيّ»، و أن الوجود فى حياته بمنزله العدم.

هذا هو ظاهر المذهب فى الأمر و الحکم إذا أطلق القول، فأما إذا قيّد کقوله:

[من السريع] أصمّ عمّا ساءه سميع فتثبت له الصفتان معا على الجمله، إلّا أن مرجع ذلک إلى أن يقال إنه کان يفقد السمع فى حال و يعود إليه فى حال أو أنه فى حقّ هذا الجنس فاقد الإدراک مسلوبه،

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۶۳

و فيما عداه کائن على حکم السميع. فلم يثبت له الصم على الجمله، إلّا للحکم بأن وجود سمعه کالعدم، إلا أن ذلک فى شى ء دون شى ء، و على

التقييد دون الإطلاق.

فقد تبيّن أن أصل هذا الباب تنزيل الموجود منزله المعدوم، لكونه بحيث لا يعتدّ به و خلوّه من الفضيله.

و الطريق الثانى فى شبه المعقول من المعقول: أن لا يكون على تنزيل الوجود منزله العدم، و لكن على اعتبار صفه معقوله يتصوّر وجودها مع ضدّ ما استعرت اسمه.

فمن ذلك أن يراد وصف الأمر بالشده و الصعوبه، و بالبلوغ فى كونه مكروها إلى الغايه القصوى، فيقال: «لقى الموت»، يريدون لقى الأمر الأشدّ الصعب الذى هو فى كراهه النّفس له كالموت. و معلوم أنّ كون الشى ء شديدا صعبا مكروها صفه معلومه لا تنافى الحياه، و لا يمنع وجودها معه، كما يمنع وجود الموت مع الحياه أ لا ترى أن كراهه الموت موجوده فى الإنسان قبل حصوله، كيف و أكره ما يكون الموت إذا صفت مشاعر الحياه، و خصبت مسارح اللذّات. فكلما كانت الحياه أمكن و أتمّ، كانت الكراهه للموت أقوى و أشدّ، و لم تخفّ كراهته على العارفين إلا لرغبتهم فى الحياه الدائمه الصافيه من الشوائب، بعد أن تزول عنه هذه الحياه الفانيه و يدركهم الموت فيها، فتصوّرهم لذّه الأمن منه، قلّل كراهتهم له، كما أن ثقه العالم بما يعقبه الدواء من الصحه، تهوّن عليه مرارته. فقد عبرت هاهنا عن شدّه الأمر بالموت، و استعرته له من أجلها. و الشّده و محصولها الكراهه، موجوده فى كل واحد من المستعار له و المستعار منه فليس التشبيه إذن من طريق الحكم على الوجود بالعدم، و تنزيل ما هو موجود كأنه قد خلع صفه الوجود. و ذلك أن هذا الحكم إنما جرى فى تشبيه الجهل بالموت، و جعل الجاهل ميّتا من حيث كان للجهل ضدّ ينافى الموت و يضادّه

و هو العلم. فلما أردت أن تبالغ فى نفى العلم الذى يجب مع نفيه الجهل، و جعلت الجهل موتا لتؤيس من حصول العلم للمذكور. و ليس لك هذا فى وصف الأمر الشديد المكروه بأنه موت، أ لا ترى أن قوله: [من السريع]

لا تحسبنّ الموت موت البلى و إنما الموت سؤال الرجال «۱»

---

(۱) هذا البيت و الذى يليه فى كتاب الحيوان ۳/ ۱۳۰- ۱۳۲، و البيان و التبيين ۲/ ۱۷۱، و دلائل الإعجاز ۲۵۶ و نسخته:

أشد من ذاک على کل حال.

و البيتان لم يعرف لهما قائل فى دلائل الإعجاز.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۶۴

لا يفيد أنّ للسّؤال ضدّا ينافى الموت أو يضادّه على الحقيقه، و أن هذا القائل قصد بجعل السؤال موتا نفى ذلك الضدّ، و أن يؤيس من وجوده و حصوله، بل أراد أن فى السؤال كراهه و مراره مثل ما فى الموت، و أن نفس الحرّ تنفر عنه كما تنفر نفوس الحيوان جمله من الموت، و تطلب الحياه ما أمكن فى الخلاص منه.

فإن قلت: المعنى فيه أن السؤال يكسب الذلّ و ينفى العزّ، و الذليل كالميت لفقد القدره و التصرّف، فصار كتسميتهم خمول الذكر موتا، و الذكر بعد الموت حياه، كما قال أمير المؤمنين على رضى اللّه عنه: «مات خزّان المال، و العلماء باقون ما بقى الدهر، أعيانهم مفقوده، و أمثالهم فى القلوب موجوده».

قلت: إنى

آنس أنهم لم يقصدوا هذا المعنى فى السؤال، و إنما أرادوا الكراهه، و لذلک قال بعد البيت الذى كتبته:

كلاهما موت، و لكنّ ذا أشدّ من ذاک لذلّ السّؤال «۱»

هذا، و ليس كل ما يعبّر عنه بالموت لأنه يكره و يصعب و لا يستسلم له العاقل إلّا بعد أن تعوزه الحيل فإنه يحمل هذا المحمل، و ينقاد لهذا التأويل، أ ترى المتنبى فى قوله: [من المتقارب]

و قد متّ أمس بها موته و لا يشتهى الموت من ذاقه «۲»

أراد شيئا غير أنه لقى شدّه. و أمّا العباره عن خمول الذكر بالموت، فإنه و إن كان يدخل فى تنزيل الوجود منزله العدم، من حيث يقال: إن الخامل لمّا لم يذكر و لم يبن منه ما يتحدّث به، صار كالميت الذى لا يكون منه قول، بل و لا فعل يدلّ على وجوده فليس دخوله فيه ذلک الدخول. و ذلک أن الجهل ينافى العلم و يضادّه كما لا يخفى، و العلم إذا وجد فقد وجدت الحياه حتما واجبا، و ليس كذلک خمول

---

(۱) و فى نسخه. أشد من ذاک على كل حال.

(۲) الضمير راجع إلى الخمر فإن الكلام فيها، و البيت فى ديوانه، و قال قبل هذا البيت:

وجدت المدامه غلابه تهيّج للقلب أشواقه

تسى ء من المرء تأديبه و لكن تحسّن أخلاقه

و أنفس ما للفتى لبّه و ذو اللب يكره إنفاقه

قال شيخنا فى قوله تسى ء المرء تأديبه إلخ: أى تغلبه فتخرجه عن قيود الحشمه فى اللفظ و الحركات، و لكنها تغلب منه الخوف و البخل فيشجع و يسخو هذا ما يريده تحسينها لأخلاقه.

(رشيد).

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۶۵

الذكر و الذكر، لأنه ليس إذا وجد الذكر فقد وجدت الحياه، لأنك تحدّث عن الميت بأفعاله التى كانت منه فى حال الحياه، فيتصوّر الذكر و لا حياه على الحقيقه، و لا يتصوّر العلم و لا حياه على الحقيقه.

و هكذا القول فى الطرف الآخر، و هو تسميه من لا يعلم ميّتا. و ذلك أن الموت هاهنا عباره عن عدم العلم و انتفائه، و عدم العلم على الإطلاق، حتى لا يوجد منه شى ء أصلا، و حتى لا يصحّ وجوده، يقتضى وجود الموت على الحقيقه و لا يمكن أن يقال إنّ خمول الذكر يوجب الموت على الحقيقه. فأنت إذن فى هذا تنزّل الوجود منزله العدم على وجه لا ينصرف إلى الحقيقه و لا يصير إليها. و إنما يمثّل و يخيّل.

و أما فى الضرب الأول و هو جعل من

لا يعلم ميّتا و من يعلم هو الحىّ فإنک تلاحظ الحقيقه و تشير إليها و تحطب فى حبلها «۱»، فاعرفه.

و أمّا قولهم فى الغنىّ إذا كان بخيلا لا ينتفع بماله: «إنّ غناه فقر»، فهو فى الضرب الأول أعنى تنزيل الوجود منزله العدم لتعرّى الوجود مما هو المقصود منه.

و ذلک أن المال لا يراد لذاته، و إنما يراد للانتفاع به فى الوجوه التى تعدّها العقلاء انتفاعا، فإذا حرم مالكه هذه الجدوى و هذه الفائده، فملكه له و عدم الملک سواء، و الغنى إذا صرف إلى المال، فلا معنى له سوى ملک الإنسان الشى ء الكثير منه، أ لا تراه يذكر مع الثروه فيقال: «غنىّ مثر مكثر»؟ فإذا تبين بالعله التى مضت أنه لا يستفيد بملكه هذا المال معنى، و أن لا طائل له فيه، فقد ثبت أن غناه و الفقر سواء، لأن الفقر أن لا يملک المال الكثير. و أمّا قول اللؤماء: إن انتفاعه فى اعتقاده أنّه متى شاء انتفع به، و ما يجد فى نفسه من عزّه الاستظهار، و أنه يهاب و يكرم من أجله، فمن أضاليل المنى، و قد يهان و يذلّ و يعذّب بسببه حتى تنزع الروح دونه.

ثم إن هذا كلام وضعه العقلاء الذين عرفوا ما الانتفاع، و هذا المخالف لا ينكر أن الانتفاع لو عدم كان ملكه الآن لمال و عدم ملكه سواء، و إنما جاء يتطلّب عذرا، و يرخى دون لؤمه سترا.

و نظير هذا أنک ترى الظالم المجترئ على الأفعال القبيحه، يدّعى لنفسه الفضيله بأنه مديد الباع طويل اليد، و أنه قادر على أن يلجئ غيره إلى التّطامن له، ثم لا يزيده احتجاجه إلا خزيا و ذلا عند اللّه و عند الناس،

و ترى المصدّق له فى دعواه

---

(١) أى: تنصرها و تميل إليها. و حطب من باب ضرب. (رشيد).

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۶۶

أذمّ له و أهجى من المكذّب، لأن الذى صدّقه أيس من أن ينزع إلى الإنسانيه بحال، و الذى كذّب رجا أن ينزع عند التنبيه و الكشف عن صوره القبيح.

و أما قولهم فى «القناعه» إنها الغنى كقوله: [من البسيط] إنّ القنوع الغنى لا كثره المال «١» يريد القناعه، و كما قال الآخر: [من الكامل]

إنّ القناعه فاعلمنّ غنى و الحرص يورث أهله الفقرا «٢»

و جعلهم الكثير المال، إذا كان شرها حريصا على الازدياد، فقيرا، فممّا يرجع إلى الحقيقه المحضه. و إن كان فى ظاهر الكلام كالتشبيه و التمثيل، و ذلك أن حقيقه الغنى هو انتفاء الحاجه و الحاجه أن تريد الشى ء و لا تجده، و الكثير المال إذا كان الحرص عليه غالبا، و الشّره له أبدا صاحبا، كان حاله كحال من به كلب الجوع يأكل و لا يشبع، أو من به البغر يشرب و لا يروى. فكما إنّ إصابته من الطعام و الشراب القدر الذى يشبع و يروى، إذا كان المزاج معتدلا و الصّحه صحيحه، لا تنفى عنه صفه الجائع و الظمآن لوجود الشهوه و دوام مطالبه النفس و بقاء لهيب الظمأ و جهد العطش.

كذلك الكثير المال لا تحصل له صفه الغنى و لا تزول عنه

صفه الفقر، مع بقاء حرصه الذی یدیم له القرم و الشّره و الحاجه و الطلب و الضجر حین یفقد الزیاده التی یریدها، و حین یفوته بعض الرّبح من تجاراته و سائر متصرّفاته، و حتی لا یکاد یفصل بین حاله و قد فاته ما طلب، و بینها و قد أخذ بعض ماله و غصب. و من أین تحصل حقیقه الغنی لذی المال الکثیر؟ و قد تراه من بخله و شحّه کالمقیّد دون ما ملکه، و المغلول الید یموت صبرا و یعانی بؤسا، و لا تمتدّ یده إلی ما یزعم أنه یملکه فینفقه فی لذّه نفس، أو فیما یکسب حمدا الیوم و أجرا غدا، ذاک لأنه عدم کرما یبسط أنامله، وجودا ینصر أمله، و عقلا یبصّره، و همّه تمکّنه مما لدیه، و تسلّطه علیه، کما قال البحتری:

و واجد مال أعوزته سجیّه تسلّطه یوما علی ذلک الوجد «۳»

فقولهم إذن: «إن القناعه هی الغنی لا کثره المال»، إخبار عن حقیقه نفّذتها

---

(۱) البیت لمحمد بن یسیر الحمیری. و القنوع: السؤال؛ القانع: السائل، قال اللّه تعالی: فَکُلُوا مِنْها وَ أَطْعِمُوا الْقانِعَ وَ الْمُعْتَرَّ [الحج: ۳۶].

(۲) البیت غیر معروف قائله.

(۳) البیت للبحتری فی دیوانه. الوجد و الوجد و الوجد: الیسار و السعه. و فی التنزیل العزیز: أَسْکِنُوهُنَّ مِنْ حَیْثُ سَکَنْتُمْ مِنْ وُجْدِکُمْ، و قد قرئ بالثلاث. و الواجد: الغنی، قال الشاعر: الحمد للّه الغنی الواجد. [لسان العرب: وجد].

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۶۷

قضايا العقول، و صحّحتها الخبره و العبره، و لكن ربّ قضيه من العقل نافذه قد صارت كأنها من الأمور المتجوّز فيها، أو دون ذلک فى الصحه، لغلبه الجهل و السفه على الطباع، و ذهاب من يعمل بالعقل و يذعن له، و يطرح الهوى، و يصبو إلى الجميل، و يأنف من القبيح، و لذهاب الحياء و بطلانه، و خروج الناس من سلطانه، و يأس العاقل من أن يصادف عندهم، إن نبّه أو ذكّر، سمعا يعى، و عقلا يراعى، فجرى «الغنى» على كثره المال، و «الفقر» على قلّته، مما يزيله العرف عن حقيقته فى اللغه. و لما كان الظاهر من حال الكثير المال أنه لا يعجز عن شى ء يريده من لذّاته و سائر مطالبه، سمّى المال الكثير «غنى»، و كذلک لمّا من كان قلّ ماله، عجز عن إرادته، سمّى قلّه المال «فقرا»، فهو من جنس تسميه السبب باسم المسبّب، و إلا فحقيقه «الغنى» انتفاء الاحتياج، و حقيقه «الفقر» الاحتياج، و اللّه تعالى الغنىّ على الحقيقه، لاستحاله الاحتياج عليه جلّ و تعالى عن صفات المخلوقين.

و على ذاک ما جاء فى الخبر من أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قال: «أ تدرون من المفلس؟

قالوا: المفلس فينا يا رسول اللّه من لا درهم له و لا متاع. قال: المفلس من أمّتى من يأتى يوم القيامه بصلاته و زكاته و صيامه، فيأتى و قد شتم هذا، و أكل مال هذا، و قذف هذا، و ضرب هذا، و سفک دم هذا، فيعطى هذا من حسناته، و هذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يفنى ما عليه من الخطايا،

أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح فى النار».

ذاک أنه صلّى اللّه عليه و سلّم بيّن الحکم فى الآخره. فلما کان الإنسان إنما يعدّ غنيّا فى الدنيا بماله، لأنه يجتلب به المسرّه و يدفع المضرّه، و کان هذا الحکم فى الآخره، للعمل الصالح، ثبت لا محاله أن يکون الخالى، نعوذ باللّه، من ذلک، هو «المفلس»، إذ قد عرى مما لأجله يسمّى الخالى من المال فى الدنيا «مفلسا»، و هو عدم ما يوصله إلى الخير و النعيم، و يقيه الشرّ و العذاب، نسأل اللّه التوفيق لما يؤمن من عقابه.

و إذا کان البحث و النظر يقتضى أن «الغنى» و «الفقر» فى هذا الوجه دالّان على حقيقه هذا الترکيب فى اللغه «۱»، کقولک: «غنيت عن الشى ء» و «استغنيت عنه، إذا لم تحتج إليه و «افتقرت إلى کذا»، إذا احتجت إليه وجب أن لا يعدواها هاهنا فى المستعار و المنقول عن أصله.

---

(۱) قوله: «حقيقه هذا الترکيب» أى: الحاجه إلى الشى ء أو عدم الحاجه إليه قال شيخنا: و المراد من هذا الترکيب ما ذکره بقوله: غنيت عن الشى ء و استغنيت عنه. (رشيد).

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۶۸

فصل

اشاره

فصل

إن قال قائل: إنّ تنزيل الوجود منزله العدم، أو العدم منزله الوجود، ليس من حديث التشبيه فى شى ء، لأن التشبيه أن تثبت لهذا معنى من معانى ذاک، أو حکما من أحکامه، کإثباتک للرجل شجاعه الأسد، و للحجه حکم النّور، فى أنک تفصل بها بين الحق و الباطل، کما يفصل بالنور بين الأشياء. و إذا قلت فى

الرجل القليل المعانى: «هو معدوم»، أو قلت: «هو و العدم سواء»، فلست تأخذ له شبها من شى ء، و لكنك تنفيه و تبطل وجوده، كما أنك إذا قلت: «ليس هو بشى ء» أو «ليس برجل»، كان كذلك. و كما لا يسمّى أحد نحو قولنا: «ليس بشى ء» تشبيها، كذلك ينبغى أن لا يكون قولك: و أنت تقلّل الشى ء أخبرت عنه «معدوم» تشبيها. و كذلك إذا جعلت المعدوم موجودا كقولك مثلا للمال يذهب و يفنى و يثمر صاحبه ذكرا جميلا و ثناء حسنا: «إنه باق لك موجود». لم يكن ذلك تشبيها، بل إنكارا لقول من نفى عنه الوجود، حتى كأنك تقول: «عينه باقيه كما كانت، و إنما استبدل بصوره صوره فصار جمالا، بعد ما كان مالا، و مكارم، بعد أن كان دراهم».

و إذا ثبت هذا فى نفس الوجود و العدم، ثبت فى كل ما كان على طريق تنزيل الصفه الموجوده كأنها غير موجوده، نحو ما ذكرت من جعل الموت عباره عن الجهل، فلم يكن ذلك تشبيها، لأنه إذا كان لا يراد بجعل الجاهل ميّتا إلا نفى الحياه عنه مبالغه، و نفى العلم و التمييز و الإحساس الذى لا يكون إلا مع الحياه، كان محصوله أنك لم تعتدّ بحياته، و ترك الاعتداد بالصفه لا يكون تشبيها، إنما نفى لها و إنكار لقول من أثبتها.

فالجواب: إن الأمر كما ذكرت، و لكنّى تتبّعت فيما وضعته ظاهر الحال، و نظرت إلى قولهم: «موجود كالمعدوم»، و «شى ء كلا شى ء»، و «وجود شبيه بالعدم»، فإن أبيت أن تعمل على هذا الظاهر لم أضايق فيه، إلا أن من حقّك أن تعلم أنه لا غنى بك عن حفظ الترتيب الذى رتّبته فى إعطاء المعقول اسم معقول آخر

أعنى لا بدّ من أن تعلم أنه يجى ء على طريقين: أحدهما: تنزيل الوجود منزله العدم، كما مضى من أنّ جعل الموت عباره عن الجهل، و إيقاع اسمه عليه يرجع إلى تنزيل حياته الموجوده كأنها معدومه، و الثانى: أن لا يكون هذا المعنى، و لكن على أنّ لأحد المعنيين شبها من الآخر، نحو أن السؤال يشبه، فى كراهته و صعوبته على نفس الحرّ، الموت.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۶۹

و اعلم أنى ذكرت لك فى تمثيل هذه الأصول الواضح الظاهر القريب المتناول الكائن من قبيل المتعارف فى كل لسان، و ما تجد اعترافا به و موافقه عليه من كل إنسان، أو ما يشابه هذا الحدّ و يشاكله، و يداخل هذا الضّرب و يشاركه، و لم أذكر ما يدقّ و يغمض، و يلطف و يغرب، و ما هو من الأسرار التى أثارتها الصنعه، و غاصت عليها فكره الأفراد من ذوى البراعه فى الشّعر، لأن القصد إذا كان لتمهيد الأساس، و وضع قواعد القياس، كان الأولى أن يعمد إلى ما هو أظهر و أجلى من الأمثله، لتكون الحجه بها عامّه لا يصرف وجهها بحال، و الشهاده تامه لا تجد من السامعين غير قبول و إقبال، حتى إذا تمهّدت القواعد، و أحكمت العرى و المعاقد، أخذ حينئذ فى تتبع ما اخترعته القرائح، و عمد إلى حل المشكلات عن ثقه بأن هيّئت المفاتح، هذا و فى الاستعاره بعد من جهه القوانين و الأصول، شغل للفكر، و مذهب للقول، و خفايا و لطائف تبرز من حجبها

بالرّفق و التدريج و التلطّف و التأنّى.

و لكنى أظنّ أنّ الصواب أن أنقل الكلام إلى القول على التشبيه و التمثيل و حقيقتهما و المراد منهما، خصوصا فى كلام من يتكلم على الشعر، و نتعرّف أ هما متساويان فى المعنى، أو مختلفان، أم جنسهما واحد، إلا أن أحدهما أخصّ من الآخر؟ و أنا أضع لك جمله من القول تبين بها هذه الأمور.

التشبيه و التمثيل أقسام التشبيه

التشبيه و التمثيل أقسام التشبيه

اعلم أن الشيئين إذا شبّه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين:

أحدهما: أن يكون من جهه أمر بيّن لا يحتاج إلى تأوّل.

و الثانى: أن يكون الشبه محصّلا بضرب من التأوّل.

فمثال الأول: تشبيه الشى ء بالشى ء من جهه الصّوره و الشكل، نحو أن يشبّه الشى ء إذا استدار بالكره فى وجه، و بالحلقه فى وجه آخر و كالتشبيه من جهه اللّون، كتشبيه الخدود بالورد، و الشعر بالليل، و الوجه بالنهار، و تشبيه سقط النار «۱» بعين الديك، و ما جرى فى هذا الطريق أو جمع الصّوره و اللون معا، كتشبيه الثّريّا بعنقود

---

(۱) السقط- مثلثه و الكسر أشهر- ما يسقط بين الزندين عقد القدح، و زاد بعضهم: قبل استحكام الورى، و هو القدح.

الكرم المنوّر، و النرجس بمداهن درّ حشوهن عقيق، و كذلك التشبيه من جهه الهيئه نحو: أنه مستو منتصب مديد، كتشبيه قامه الرّجل بالرمح، و القدّ اللطيف بالغصن و يدخل فى الهيئه حال الحركات فى أجسامها، كتشبيه الذاهب على الاستقامه بالسّهم السديد، و من تأخذه الأريحيّه فيهتزّ بالغصن تحت البارح، و نحو

ذلک و کذلک کل تشبیه جمع بین شیئین فیما یدخل تحت الحواسّ، نحو تشبیهک صوت بعض الأشیاء بصوت غیره، کتشبیه أطیط الرحل بأصوات الفراریج، کما قال:

[من البسیط]

کأنّ أصوات، من إیغالهنّ بنا، أواخر المیس إنقاض الفراریج «۱»

تقدیر البیت «کأن أصوات أواخر المیس أصوات الفراریج من إیغالهن بنا» ثم فصل بین المضاف و المضاف إلیه بقوله: «من إیغالهن» و کتشبیه صریف أنیاب البعیر بصیاح البوازی، کما قال: [من الطویل]

کأنّ علی أنیابها سحره صیاح البوازی من صریف اللّوائک «۲»

و أشباه ذلک من الأصوات المشبهه له و کتشبیه بعض الفواکه الحلوه بالعسل و السکّر و تشبیه اللّین الناعم بالخزّ، و الخشن بالمسح، أو رائحه بعض الریاحین برائحه الکافور أو رائحه بعضها ببعض کما لا یخفی، و هکذا التشبیه من جهه الغریزه و الطباع، کتشبیه الرجل بالأسد فی الشجاعه، و بالذئب فی النکر. و الأخلاق کلّها تدخل فی الغریزه نحو السّخاء و الکرم و اللؤم، و کذلک تشبیه الرجل بالرجل فی الشده و القوه و ما یتصل بهما.

فالشبه فی هذا کلّه بیّن لا یجری فیه التأوّل، و لا یفتقر إلیه فی تحصیله، و أیّ

---

(۱) البیت لذی الرمه فی قصیده: «کأنها بکره أدماء». ص ۴۲. الإیغال: التقدم و الدخول؛ المیس: شجر تعمل منه الرحال، و یعنی: الرحل.

(۲) البیت لذی الرمه فی دیوانه ص ۱۹۲، و صیغته هکذا:

كأن على أنيابه كل سدفه صياح البوازى من صريف اللوائك

السّحر و السّحر: آخر الليل قبيل الصبح، و الجمع أسحار. و السّحره: السّحر، و قيل: أعلى السحر، و قيل: هو من ثلث الليل الآخر إلى طلوع الفجر. و اللوائک. جمع لائک، و لائکه: و اللوک: أهون المضغ، و قيل: هو مضغ الشی ء الصلب الممضغه تديره فی فيک، قال الشاعر:

و لو كهم جدل الحصى بشفاههم كأنّ على أكتافهم فلقا صخرا

و اللّوك: إداره الشی ء فی الفم. [لسان العرب: لوک].

أسرار البلاغه فی علم البيان، ص: ۷۱

تأوّل يجری فی مشابهه الخدّ للورد فی الحمره، و أنت تراها هاهنا كما تراها هناک؟

و كذلک تعلم الشّجاعه فی الأسد كما تعلمها فی الرجل.

و مثال الثانی: و هو أشبه الذی يحصل بضرب من التأوّل، كقولک: «هذه حجّه كالشمس فی الظهور»، و قد شبّهت الحجه بالشمس من جهه ظهورها، كما شبّهت فيما مضى الشی ء بالشی ء من جهه ما أردت من لون أو صوره أو غيرهما. إلا أنک تعلم أن هذا التشبيه لا يتمّ لک إلا بتأوّل، و ذلک أن تقول: حقيقه ظهور الشمس و غيرها من الأجسام أن لا يكون دونها حجاب و نحوه، مما يحول بين العين و بين رؤيتها، و لذلک يظهر الشی ء لک إذا لم يكن بينک

و بينه حجاب، و لا يظهر لك إذا كنت من وراء حجاب.

ثم تقول: إن الشبهه نظير الحجاب فيما يدرك بالعقول، لأنها تمنع القلب رؤيه ما هى شبهه فيه، كما يمنع الحجاب العين أن ترى ما هو من ورائه. و لذلك توصف الشبهه بأنها اعترضت دون الذى يروم القلب إدراكه، و يصرف فكره للوصول إليه من صحّه حكم أو فساده. فإذا ارتفعت الشبهه و حصل العلم بمعنى الكلام الذى هو الحجّه على صحّه ما ادّعى من الحكم قيل: «هذا ظاهر كالشمس»، أى ليس هاهنا مانع عن العلم به، لا للتوقف و الشكّ فيه مساغ، و أنّ المنكر له إمّا مدخول فى عقله أو جاحد مباهت، و مسرف فى العناد، كما أن الشمس الطالعه لا يشكّ فيها ذو بصر، و لا ينكرها إلّا من لا عذر له فى إنكاره. فقد احتجت فى تحصيل الشبه الذى أثبته بين الحجّه و الشمس إلى مثل هذا التأوّل كما ترى.

ثم إنّ ما طريقه التأوّل يتفاوت تفاوتا شديدا، فمنه ما يقرب مأخذه و يسهل الوصول إليه، و يعطى المقاده طوعا، حتى إنه يكاد يداخل الضرب الأول الذى ليس من التأول فى شى ء، و هو ما ذكرته لك و منه ما يحتاج فيه إلى قدر من التأمّل، و منه ما يدقّ و يغمض حتى يحتاج فى استخراجه إلى فضل رويّه و لطف فكره.

فمما يشبه الذى بدأت به فى قرب المأخذ و سهوله المأتى، قوله فى صفه الكلام: «ألفاظه كالماء فى السلاسه»، و «كالنسيم فى الرّقه»، و «كالعسل فى الحلاوه»، يريدون أن اللفظ لا يستغلق و لا يشتبه معناه و لا يصعب الوقوف عليه، و ليس هو بغريب وحشىّ يستكره، لكونه غير مألوف، أو

ليس فى حروفه تكرير و تنافر يكدّ

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۷۲

اللسان من أجلهما «۱»، فصارت لذلك كالماء الذى يسوغ فى الحلق، و النسيم يسرى فى البدن، و يتخلّل المسالك اللطيفه منه، و يهدى إلى القلب روحا، و يوجد فى الصدر انشراحا، و يفيد النفس نشاطا، و كالعسل الذى يلذّ طعمه، و تهشّ النفس له، و يميل الطبع إليه، و يحبّ وروده عليه، فهذا كله تأوّل، و ردّ شى ء إلى شى ء بضرب من التلطف، و هو أدخل قليلا فى حقيقه التأوّل، و أقوى حالا فى الحاجه إليه، من تشبيه الحجّه بالشمس.

و أما ما تقوى فيه الحاجه إلى التأوّل حتى لا- يعرف المقصود من التشبيه فيه ببديهه السماع، فنحو قول كعب الأشقرىّ، و قد أوفده المهلّب على الحجّاج، فوصف له بنيه و ذكر مكانهم من الفضل و البأس، فسأله فى آخر القصّه قال: «فكيف كان بنو المهلب فيهم «۲»؟ قال: كانوا حماه السرح نهارا، فإذا أليلوا ففرسان البيات «۳»، قال:

فأيّهم كان أنجد؟ قال: كانوا كالحلقه المفرغه لا يدرى أين طرفاها» «۴».

فهذا كما ترى ظاهر الأمر فى فقره إلى فضل الرّفق به و النظر. أ لا ترى أنه لا يفهمه حقّ فهمه إلا من له ذهن و نظر يرتفع به عن طبقه العامّه؟ و ليس كذلك تشبيه الحجّه بالشمس، فإنه كالمشترك البيّن الاشتراك، حتى يستوى فى معرفته، اللبيب و اليقظ و المضعوف المغفّل، و هكذا تشبيه الألفاظ بما ذكرت، قد تجده فى كلام العامى.

فأمّا ما كان مذهبه فى اللّطف مذهب قوله:

«هم كالحلقه»، فلا تراه إلا فى الآداب و الحكم المأثوره عن الفضلاء و ذوى العقول الكامله.

---

(١) الكد: الإتعاب. و يقال: كد لسانه تجوزا كما فى الأساس.

(٢) أى: فى القوم المحاربين.

(٣) السرح: المال السائم من الأنعام. و أليلوا (كأكرموا) دخلوا فى الليل و البيات الهجوم على العدو ليلا. قال شيخنا أى: يقظون لا يطرقهم طارق إلا كانوا على صهوات خير لهم لملاقاته و أنهم يتبعون العدو ليلا فيفجعونه اه. (رشيد).

(۴) هذا المثل من كلام فاطمه بنت الخرشب (بضم فسكون فضم) الأنماريه إحدى المنجبات فى الجاهليه و هى أم الكمله من بنى عبس الربيع و عماره و أنس الفوارس و إخوتهم. سألها أبو سفيان حين قدمت عليه مكه حاجه فى الجاهليه «أى بنيك أفضل؟» فقالت: الربيع لا ـ بل عماره لا ـ بل أنس الفوارس، ثكلتهم إن كنت أدرى أيهم أفضل، هم كالحلقه المفرغه إلخ. فقد أخذه كعب الأشقرى و وصف به بنى المهلب. (رشيد).

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٧٣

الفرق بين التشبيه و التمثيل

الفرق بين التشبيه و التمثيل

و إذ قد عرفت الفرق بين الضّربين، فاعلم أن التشبيه عامّ و التمثيل أخصّ منه، فكل تمثيل تشبيه، و ليس كلّ تشبيه تمثيلا، فأنت تقول فى قول قيس بن الخطيم:

[من الطويل]

و قد لاح فى الصّبح الثريّا لمن رأى كعنقود ملّاحيّه حين نوّرا «١»

«إنّه تشبيه حسن»، و لا تقول: «هو تمثيل»، و

كذلك تقول: «ابن المعتزّ حسن التشبيهات بديعها»، لأنك تعنى تشبيهه المبصرات بعضها ببعض، و كلّ ما لا يوجد الشبه فيه من طريق التأوّل، كقوله: [من الطويل]

كأنّ عيون النّرجس الغضّ حولها مداهن درّ حشوهنّ عقيق «٢»

و قوله: [من الكامل]

و أرى الثّريّا فى السّماء كأنّها قد تبدّت من ثياب حداد «٣»

و قوله: [من مجزوء الخفيف]

و تروم الثّريا فى الغروب مراما

كانكباب طمرّ كاد يلقى اللّجاما «۴»

و قوله: [من المنسرح]

---

(١) البيت هو فى الأغانى لأبى قيس بن الأسلت. الأغانى: ١٧/ ١٣۴. و فى لسان العرب لأبى قيس أيضا، ماده: (ملح). و الملّاحيه: الملّاحى بالضم و تشديد اللام: ضرب من العنب أبيض فى حبه طول، و هو من الملحه. [لسان العرب: ملح].

(٢) البيت لابن المعتز، (و هو غير موجود فى ديوانه طبعه دار صادر). المداهن: جمع مدهن: و هو آله الدهن، و هو أحد ما شذّ من هذا الضرب على مفعل مما يستعمل من الأدوات. الليث: المدهن كان فى الأصل مدهنا فلما كثر الاستعمال ضموه. [لسان العرب: دهن].

(٣) البيت لابن المعتز فى ديوانه

۱۷۷ (طبعه دار صادر) و قبله:

قم یا ندیمی نصطبح بسواد قد کان یبدو الصبح أو هو باد

و أری الثریا ....

(۴) البیتان لابن المعتز فی دیوانه ص ۴۰۲، و صیغتهما و البیت قبلهما (طبعه دار صادر):

یا خلیلیّ هبّا و اسقیانی المداما

إذ تروم الثریّا فی الغروب مراما

کاسیات طمرّ کاد یلقی اللجاما

و الطّمرّ: بتشدید الراء، الطمریر و الطمرور: الفرس الجواد و قیل: المشمّر الخلق، و قیل: المستفزّ للوثب و العدو، و قیل: هو الطویل القوائم الخفیف، و قیل: المستعدّ للعدو، و الأنثی: طمرّه.

[لسان العرب: طمر].

أسرار البلاغه فی علم البیان، ص: ۷۴

قد انقضت دوله الصیام و قد

بشّر سقم الهلال بالعيد

يتلو الثريا كفاغر شره يفتح فاه لأكل عنقود «۱»

و قوله: [من السريع]

لمّا تعرّى أفق الضّياء مثل ابتسام الشّفه اللّمياء

و شمطت ذوائب الظّلماء قدنا لعين الوحش و الظّباء

داهيه محذوره اللّقاء و يعرف الزّجر من الدّعاء

بأذن ساقطه الأرجاء كورده السّوسنه الشّهباء

ذا برثن كمثقب الحذّاء و مقله قليله الأقذاء

صافيه كقطره من ماء «۲» و ما كان من هذا الجنس و لا تريد نحو قوله: [من الكامل]

اصبر على مضض الحسو د فإنّ صبرک قاتله

فالنّار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله «٣»

و ذلك أن إحسانه فى النوع الأول أكثر، و هو به أشهر.

و كل ما لا يصحّ أن يسمّى «تمثيلا» فلفظ «المثل» لا يستعمل فيه أيضا، فلا يقال: «ابن المعتزّ حسن الأمثال»، تريد به نحو الأبيات التى قدّمتها، و إنما يقال:

«صالح بن عبد القدّوس كثير الأمثال فى شعره»، يراد نحو قوله: [من السريع]

و إنّ من أدّبته فى الصّبا كالعود يسقى الماء فى غرسه

حتّى تراه مورقا ناضرا بعد الذى أبصرت من يبسه «٤»

و ما أشبهه، مما الشبه فيه من قبيل ما يجرى فى التأوّل، و لكن إن قلت فى قول ابن المعتز:

فالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله

إنه «تمثيل»، فمثل الذى قلت ينبغى أن يقال، لأن تشبيه الحسود إذا صبر

---

(١) البيتان لابن المعتز فى ديوانه ص ١٨١، و البيت الثانى فى الديوان (دار صادر) هكذا:

علّلانى بصوت ناى و عود و اسقيانى دم ابنه العنقود

(٢) الأبيات

لابن المعتز، و هى غير متتاليه (انظر الديوان ص ١٨، ١٩).

(٣) البيتان لابن المعتز، و لم أجدهما فى الديوان (طبعه دار صادر).

(۴) البيتان لصالح بن عبد القدوس فى ديوانه ص ١۴٢، و فى التبيان فى المعانى و البيان ص ٢۶٨.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٧۵

و سكت عنه، و ترك غيظه يتردّد فيه بالنار التى لا تمدّ بالحطب حتى يأكل بعضها بعضا، مما حاجته إلى التأوّل ظاهره بيّنه.

فقد تبيّن بهذه الجمله وجه الفرق بين «التشبيه»، و «التمثيل». و فى تتبع ما أجملت من أمرهما، و سلوك طريق التحقيق فيهما، ضرب من القول ينشط له من يأنس بالحقائق.

فصل

فصل

اعلم أن الذى أوجب أن يكون فى التشبيه هذا الانقسام، أنّ الاشتراك فى الصفه يقع مرّه فى نفسها و حقيقه جنسها، و مره فى حكم لها و مقتضى. فالخدّ يشارك الورد فى الحمره نفسها و تجدها فى الموضعين بحقيقتها و اللفظ يشارك العسل فى الحلاوه، لا من حيث جنسه، بل من جهه حكم و أمر يقتضيه، و هو ما يجده الذائق فى نفسه من اللّذّه، و الحاله التى تحصل فى النفس إذا صادفت بحاسّه الذّوق ما يميل إليه الطبع و يقع منه بالموافقه، فلمّا كان كذلك، احتيج لا محاله إذا شبّه بالعسل فى الحلاوه أن يبيّن أنّ هذا التشبيه ليس من جهه الحلاوه نفسها و جنسها، و لكن من مقتضى لها، و صفه تتجدّد فى النفس بسببها، و أنّ القصد أن يخبر بأنّ السامع يجد عند وقوع هذا اللفظ فى سمعه

حاله فى نفسه، شبيهه بالحاله التى يجدها الذائق للحلاوه من العسل، حتى لو تمثّلت الحالتان للعيون، لكانتا تريان على صوره واحده، و لوجدتا من التناسب على حدّ الحمره من الخدّ، و الحمره من الورد.

و ليس هاهنا عباره أخصّ بهذا البيان من «التأوّل»، لأن حقيقه قولنا: «تأوّلت الشى ء»، أنک تطلّبت ما يؤول إليه من الحقيقه، أو الموضع الذى يؤول إليه من العقل، لأن «أوّلت و تأوّلت» فعّلت و تفعّلت من «آل الأمر إلى كذا يؤول»، إذا انتهى إليه، و «المآل»، المرجع و ليس قول من جعل «أوّلت و تأوّلت» من «أوّل» بشى ء، لأن ما فاؤه و عينه من وضع واحد «ككوكب» و «ددن» لا يصرّف منه فعل، و «أوّل» «أفعل» بدلاله قولنا: «أوّل منه»، كقولنا: «أسبق منه و أقدم». فالواو الأولى فاء و الثانيه عين و ليس هذا موضع الكلام فى ذلک فيستقصى.

و أما الضرب الأول، فإذا كان المثبت من الشبه فى الفرع من جنس المثبت فى الأصل، كان أصلا بنفسه، و كان ظاهر أمره و باطنه واحدا، و كان حاصل جمعک بين الورد و الخد، أنک وجدت فى هذا و ذاک حمره، و الجنس لا تتغير حقيقته بأن يوجد

فى شيئين، و إنما يتصوّر فيه التفاوت بالكثره و القلّه و الضعف و القوه، نحو أن حمره هذا الشى ء أكثر و أشد من حمره ذاک.

و إذا تقرّرت هذه الجمله، حصل من العلم بها أن التشبيه الحقيقى الأصلى هو الضرب الأول، و أن هذا الضرب فرع له

و مرتّب عليه.

و يزيد ذلك بيانا: أنّ مدار التشبيه على أنه يقتضى ضربا من الاشتراك، و معلوم أن الاشتراك فى نفس الصفه، أسبق فى التصوّر من الاشتراك فى مقتضى الصفه كما أن الصفه نفسها مقدّمه فى الوهم على مقتضاها، فالحلاوه أوّلا، ثم إنها تقتضى اللذّه فى نفس الذائق لها.

و إذا تأملنا متصرّف «١» تركيبه، وجدناه يقتضى أن يكون الشيئان من الاتفاق و الاشتراك فى الوصف، بحيث يجوز أن يتوهّم أن أحدهما الآخر. و هكذا تراه فى العرف و المعقول، فإنّ العقلاء يؤكّدون أبدا أمر المشابهه بأن يقولوا: «لا يمكنك أن تفرق بينهما»، و لو رأيت هذا بعد أن رأيت ذاك لم تعلم أنك رأيت شيئا غير الأوّل، حتى تستدلّ بأمر خارج عن الصّوره. و معلوم أن هذه القضيه إنما توجد على الإطلاق و الوجود الحقيقى فى الضرب الأول و أمّا الضرب الثانى، فإنما يجى ء فيه على سبيل التقدير و التنزيل، فأما أن لا تجد فصلا بين ما يقتضيه العسل فى نفس الذائق، و ما يحصل باللفظ المرضىّ و الكلام المقبول فى نفس السامع، فما لا يمكن ادّعاؤه إلّا على نوع من المقاربه أو المجازفه، فأمّا على التحقيق و القطع فلا.

فالمشابهات المتأوّله التى ينتزعها العقل من الشى ء للشى ء، لا تكون فى حدّ المشابهات الأصليه الظاهره، بل الشبه العقلى كأنّ الشى ء «٢» به يكون شبيها بالمشبّه.

فصل

فصل

ثم إن هذا الشبه العقلى ربما انتزع من شى ء واحد، كما مضى انتزاع الشّبه للفظ من حلاوه العسل و ربما انتزع من عدّه أمور يجمع بعضها إلى بعض، ثم يستخرج من مجموعها الشبه، فيكون سبيله سبيل الشيئين يمزج أحدهما بالآخر، حتى تحدث صوره غير ما كان لهما فى حال الإفراد، لا

سبيل الشيئين يجمع بينهما و تحفظ صورتهما.

---

(١) و فى نسخه: منصرف بالنون.

(٢) و فى نسخه «كاد الشى ء» بدل كان الشى ء.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٧٧

و مثال ذلك قوله عزّ و جلّ: مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً [الجمعه: ٥]، الشبه منتزع من أحوال الحمار، و هو أنه يحمل الأسفار التى هى أوعيه العلوم و مستودع ثمر العقول، ثم لا يحسّ بما فيها و لا يشعر بمضمونها، و لا يفرّق بينها و بين سائر الأحمال التى ليست من العلم فى شى ء، و لا من الدّلاله عليه بسبيل، فليس له مما يحمل حظّ سوى أنه يثقل عليه، و يكدّ جنبيه فهو كما ترى مقتضى أمور مجموعه، و نتيجه لأشياء ألّفت و قرن بعضها إلى بعض.

بيان ذلك: أنه احتيج إلى أن يراعى من الحمار فعل مخصوص، و هو الحمل، و أن يكون المحمول شيئا مخصوصا، و هو الأسفار التى فيها أمارات تدلّ على العلوم، و أن يثلّث ذلك بجهل الحمار ما فيها، حتى يحصل الشبه المقصود. ثم إنه لا يحصل من كل واحد من هذه الأمور على الانفراد، و لا يتصوّر أن يقال إنه تشبيه بعد تشبيه، من غير أن يقف الأول على الثّانى، و يدخل الثانى فى الأول، لأن الشّبه لا يتعلق بالحمل حتى يكون من الحمار، ثم لا يتعلق أيضا بحمل الحمار حتى يكون المحمول الأسفار، ثم لا يتعلق بهذا كله حتى يقترن به جهل الحمار بالأسفار المحموله على ظهره فما لم تجعله

كالخيط الممدود، و لم يمزج حتى يكون القياس قياس أشياء يبالغ فى مزاجها حتى تتحد و تخرج عن أن تعرف صوره كلّ واحد منها على الانفراد، بل تبطل صورها المفرده التى كانت قبل المزاج، و تحدث صوره خاصه غير اللواتى عهدت، و يحصل مذاقها «۱» حتى لو فرضت حصولها لك فى تلك الأشياء من غير امتزاج، فرضت ما لا- يكون لم يتمّ المقصود، و لم تحصل النتيجه المطلوبه، و هى الذمّ بالشقاء فى شى ء يتعلق به غرض جليل و فائده شريفه، مع حرمان ذلك الغرض و عدم الوصول إلى تلك الفائده، و استصحاب ما يتضمن المنافع العظيمه و النعم الخطيره، من غير أن يكون ذلك الاستصحاب سببا إلى نيل شى ء من تلك المنافع و النّعم.

و مثال ما يجى ء فيه التشبيه معقودا على أمرين إلا أنهما لا يتشابكان هذا التشابك قولهم: «هو يصفو و يكدر» و «يمرّ و يحلو» و «يشجّ و يأسو»، و «يسرح و يلجم»، لأنك و إن كنت أردت أن تجمع له الصّفتين، فليست إحداهما ممتزجه بالأخرى، لأنك لو قلت: «هو يصفو»، و لم تتعرض لذكر «الكدر» أو قلت:

---

(۱) و فى نسخه: تحصل بذاتها.

«يحلو»، و لم يسبق ذكر «يمرّ»، وجدت المعنى فى تشبيهك له بالماء فى الصّفاء و بالعسل فى الحلاوه بحاله و على حقيقته. و ليس كذلك الأمر فى الآيه لأنك لو قلت:

«كالحمار يحمل أسفارا»، و لم تعتبر أن يكون جهل الحمار مقرونا بحمله، و أن يكون متعدّيا

إلى ما تعدّى إليه الحمل، لم يتحصل لك المغزى منه.

و كذلك لو قلت: «هم كالحمار فى أنه يجهل الأسفار»، و لم تشرط أن يكون حمله الأسفار مقرونا بجهله لها لكان كذلك. و كذلك لو ذكرت الحمل و الجهل مطلقين، و لم تجعل لهما المفعول المخصوص الذى هو الأسفار، فقلت: «هو كالحمار فى أنه يحمل و يجهل»، وقعت من التشبيه المقصود فى الآيه بأبعد البعد، و النكته أن التشبيه بالحمل للأسفار، إنما كان بشرط أن يقترن به الجهل، و لم يكن الوصف بالصّفاء و التشبيه بالماء فيه بشرط أن يقترن به الكدر، و لذلك لو قلت:

«يصفو و لا يكدر» لم تزد فى صميم التشبيه و حقيقته شيئا، و إنما استدمت الصّفه كقولك: «يصفو أبدا و على كل حال».

فصل

فصل

اعلم أن الشّبه إذا انتزع من الوصف لم يخل من وجهين:

أحدهما: أن يكون لأمر يرجع إلى نفسه.

و الآخر: أن يكون لأمر لا يرجع إلى نفسه.

فالأوّل: ما مضى فى نحو تشبيه الكلام بالعسل فى الحلاوه، و ذلك أنّ وجه التشبيه هناك أنّ كل واحد منهما يوجب فى النفس لذّه و حاله محموده، و يصادف منها قبولا. و هذا حكم واجب للحلاوه من حيث هى حلاوه، أو للعسل من حيث هو عسل.

و أما الثانى: و هو ما ينتزع منه الشبه لأمر لا يرجع إلى نفسه، فمثاله أن يتعدّى الفعل إلى شى ء مخصوص يكون له من أجله حكم خاصّ، نحو كونه واقعا فى موقعه و على الصواب، أو واقعا غير موقعه، كقولهم: «هو كالقابض على الماء» و «الراقم فى الماء»، فالشبه هاهنا منتزع ممّا بين القبض و الماء، و ليس بمنزع من القبض نفسه، و ذلك أن فائده قبض اليد

على الشى ء أن يحصل فيها، فإذا كان الشى ء مما لا يتماسك، ففعلك القبض فى اليد لغو و كذلك القصد فى «الرّقم» أن يبقى أثر فى الشى ء، و إذا فعلته فيما لا يقبله، كان فعلك كلا فعل و كذلك قولهم: «يضرب فى حديد بارد» و ينفخ فى غير فحم».

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۷۹

و إذا ثبت هذا، فكل شبه كان هذا سبيله، فإنك لا تجد بين المعنى المذكور و بين المشبّه إذا أفردته، ملابسه البته. أ لا تراك تضرب الرّقم فى الماء و القبض عليه، لأمور لا شبه بينهما و بينها البته، من حيث هما رقم و قبض؟.

و إذا قد عرفت هذا فالحمل فى الآيه من هذا القبيل أيضا، لأنه تضمّن الشّبه من اليهود، لا لأمر يرجع إلى حقيقه الحمل، بل لأمرين آخرين: أحدهما تعدّيه إلى الأسفار، و الآخر اقتران الجهل للأسفار به. و إذا كان الأمر كذلك، كان قطعك الحمل عن هذين الأمرين فى البعد من الغرض، كقطعك القبض و الرّقم عن الماء، فى استحاله أن يعقل منها ما يعقل بعد تعدّيهما إلى الماء بوجه من الوجوه، فاعرفه.

فإن قلت: ففى اليهود شبه من الحمل، من حيث هو حمل على حال. و ذلك أن الحافظ للشى ء بقلبه، يشبه الحامل للشى ء على ظهره، و على ذلك يقال: «حمله الحديث»، و «حمله العلم» كما جاء فى الأثر: «يحمل هذا العلم من كلّ خلف عدوله» «۱»، و «ربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه».

فالجواب: أن الأمر و إن كان كذلك، فإنّ هذا

الشبه لم يقصدها هنا و إنما قصد ما يوجبه تعدّى الحمل إلى الأسفار، مع اقتران الجهل بها به، و هو العناء بلا منفعه.

يبيّن ذلك: أنك قد تقول للرجل يحمل فى كمّه أبدا دفاتر علم، و هو بليد لا يفهم، أو كسلان لا يتعلم: «إن كان يحمل كتب العلم فالحمار أيضا قد يحمل»، تريد أن تبطل دعواه أن له فى حمله فائده، و أن تسوّى بينه و بين الحمار فى فقد الفائده مما يحمل. فالحمل هاهنا نفسه موجود فى المشبّه بالحمار، ثم التشبيه لا ينصرف إليه من حيث هو حمل، و إنما ينصرف إلى ما ذكرت لك من عدم الجدوى و الفائده.

و إنما يتصوّر أن يكون الشّبه راجعا إلى الحمل من حيث هو حمل، حيث يوصف الرجل مثلا بكثره الحفظ للوظائف، أو جهد النفس فى الأشغال المتراكمه، و ذلك خارج عن الغرض مما نحن فيه.

---

(١) هذا الحديث و ما بعده حديث آخر. أما الأول فقد رواه ابن منده و غيره مرفوعا من حديث إبراهيم ابن عبد الرحمن العذرى و هو مختلف فى صحبته و لفظه «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين» و البيهقى فى المدخل مرسلا و ضعفه الكثيرون، و روى عن أحمد تصحيحه، و كتب شيخنا على حاشيه نسخته: قال القعنبى:

سمعت رجلا يحدث مالكا هذا الحديث فأعجبه. و الخلف بالتحريك و السكون: كل من يجى ء بعد من سبقه، إلا أنه بالتحريك فى الخير و بالتسكين فى الشر، و أما الآخر فهو من ضمن حديث رواه الترمذى و الضياء عن زيد بن ثابت بسند صحيح. (رشيد).

أسرار البلاغه فی علم البیان، ص: ۸۰

و من هذا الباب قولهم: «أخذ القوس باریها»، و ذلک أن المعنى على وقوع الأخذ فی موقعه و وجوده من أهله، فلست تشبّهه من حیث الأخذ نفسه و جنسه، و لکن من حیث الحکم الحاصل له بوقوعه من باری القوس على القوس.

و کذلک قولهم: «ما زال یفتل منه فی الذّروه و الغارب» الشبه مأخوذ ما بین الفتل و ما تعدّى إلیه من الذّروه و الغارب، و لو أفردته لم تجد شبها بینه و بین ما یضرب هذا الکلام مثلا له، لأنه یضرب فی الفعل أو القول یصرف به الإنسان عن الامتناع إلى الإجابه، و عن الإباء علیک مرادک، إلى موافقتک و المصیر إلى ما ترید منه.

و هذا لا یوجد فی الفتل من حیث هو فتل، و إنما یوجد فی الفتل إذا وقع فی الشّعر من ذروه البعیر و غاربه «۱».

و اعلم أن هذا الشبه حکمه واحد، سواء أخذته ما بین الفعل و المفعول الصریح، أو ما یجری مجرى المفعول.

فالمفعول کالقوس فی قولک: «أخذ القوس باریها».

و ما یجری مجرى المفعول، الجارّ مع المجرور، کقولک: «الرّقم فی الماء» و «هو کمن یخطّ فی الماء».

و کذلک الحال، کقولهم: «کالحادی و لیس له بعیر»، فقولک: «و لیس له بعیر»، جمله من الحال، و قد احتاج الشبه إلیها، لأنه مأخوذ ما بین المعنى الذی هو «الحدو»، و بین هذه الحال، کما کان مأخوذا بین الرقم و الماء، و ما بین الفتل و الذروه و الغارب.

و قد تجد بک حاجه إلى مفعول و إلى الجارّ مع المجرور کقولک: «و

هل يجمع السيفان فى غمد»، و «أنت كمن يجمع السيفين فى غمد»، أ لا ترى أن الجمع فيه لا يغنى بتعدّيه إلى السيفين، حتى يشترط كونه جمعا لهما فى الغمد؟ فمجموع ذلك كله يحصّل الغرض.

و هكذا نحو قول العامّه: «هو كثير الجور على إلفه»، و قولهم: «كمبتغى

---

(١) فى حديث الزبير: «سأل عائشه الخروج إلى البصره فأبت عليه فما زال يفتل فى الذروه و الغارب حتى أجابته» جعل وبر ذروه البعير و غاربه مثلا ـ لإزالتها عن رأيها كما يفعل بالجمل النفور إذا أريد تأنيسه و إزاله نفاره. و الذروه أعلى السنام من البعير، و الغارب: الكاهل من (ذى) الخف و هو ما بين السنام و العنق اه. (رشيد).

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٨١

الصّيد فى عرّيسه الأسد»، لأن «الصيد» مفعول و «فى عرّيسه» جارّ مع المجرور.

فإذا ثبت هذا، ظهر منه أنه لا بدّ لك فى هذا الضرب من الشّبه من جمله صريحه أو حكم الجمله. فالجمله الصريحه قولك: «أخذ القوس باريها» و حكم الجمله أن تقول: «هذا منك كالرّقم فى الماء»، و «كالقابض على الماء»، فتأتى باسم الفاعل. و ذاك أنّ المصدر و اسم الفاعل ليسا بجملتين صريحا و لكن حكم الجمله قائم فيهما، و هو أنك أعملتهما عمل الفعل. أ لا ترى أنك عدّيتهما على حسب ما تعدّى الفعل؟ و خصائص هذا النوع من «التمثيل» أكثر من أن تضبط، و قد وقفتك على الطريقه.

فهذا أحد الوجوه التى يكون الشّبه العقلى بها حاصلا لك من جمله من الكلام، و أظنّه

من أقوى الأسباب و العلل فيه.

و على الجمله، فينبغى أن تعلم أن المثل الحقيقى، و التشبيه الذى هو الأولى بأن يسمّى «تمثيلا» لبعده عن التشبيه الظاهر الصريح، ما تجده لا يحصل لك إلا من جمله من الكلام أو جملتين أو أكثر، حتى إنّ التشبيه كلما كان أوغل فى كونه عقليّا محضا، كانت الحاجه إلى الجمله أكثر.

أ لا ترى إلى نحو قوله عزّ و جلّ: إِنَّما مَثَلُ الْحَياهِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَ الْأَنْعامُ حَتَّى إِذا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَها وَ ازَّيَّنَتْ وَ ظَنَّ أَهْلُها أَنَّهُمْ قادِرُونَ عَلَيْها أَتاها أَمْرُنا لَيْلًا أَوْ نَهاراً فَجَعَلْناها حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ [يونس: ۲۴]، كيف كثرت الجمل فيه؟ حتى إنك ترى فى هذه الآيه عشر جمل إذا فصّلت. و هى و إن كان قد دخل بعضها فى بعض حتى كأنها جمله واحده، فإن ذلك لا يمنع من أن تكون صور الجمل معنا حاصله تشير إليها واحده واحده. ثم إنّ الشبه منتزع من مجموعها، من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض، و إفراد شطر من شطر، حتى إنك لو حذفت منها جمله واحده من أىّ موضع كان، أخلّ ذلك بالمغزى من التشبيه.

و لا ينبغى أن تعدّ الجمل فى هذا النحو بعدّ التشبيهات التى يضمّ بعضها إلى بعض، و الأغراض الكثيره التى كل واحد منها منفرد بنفسه، بل بعدّ جمل تنسق ثانيه منها على أوّله، و ثالثه على ثانيه، و هكذا. فإنّ ما كان من هذا الجنس لم تترتّب فيه الجمل ترتيبا مخصوصا حتى يجب أن تكون هذه سابقه و تلك تاليه و الثالثه بعدهما. أ لا ترى أنك إذا قلت: «زيد كالأسد

بأسا، و البحر جودا، و السيف مضاء، و البدر بهاء»، لم يجب عليك أن تحفظ فى هذه التشبيهات نظاما مخصوصا؟ بل لو

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۸۲

بدأت بالبدر و تشبيهه به فى الحسن، و أخّرت تشبيهه بالأسد فى الشجاعه، كان المعنى بحاله، و قوله: [من السريع]

النّشر مسک و الوجوه دنا نیر و أطراف الأكفّ عنم «۱»

إنما يجب حفظ هذا الترتيب فيها لأجل الشّعر، فأمّا أن تكون هذه الجمل متداخله كتداخل الجمل فى الآيه، و واجبا فيها أن يكون لها نسق مخصوص كالنسق فى الأشياء إذا رتّبت ترتيبا مخصوصا كان لمجموعها صوره خاصّه فلا «۲».

و قد يجى ء الشى ء من هذا القبيل يتوهّم فيه أن إحدى الجملتين أو الجمل تنفرد و تستعمل بنفسها تشبيها و تمثيلا، ثم لا يكون كذلک عند حسن التأمل، مثال ذلک قوله: [من الطويل]

كما أبرقت قوما عطاشا غمامه فلما رجوها أقشعت و تجلّت «۳»

هذا مثل فى أن يظهر للمضطرّ إلى الشى ء، الشديد الحاجه إليه، أماره وجوده، ثم يفوته و يبقى لذلک بحسره و زياده ترح.

و قد يمكن أن يقال: «إن قولک: «أبرقت قوما عطاشا غمامه»، تشبيه مستقلّ بنفسه، لا حاجه به إلى ما بعده من تمام البيت فى إفاده المقصود الذى

هو ظهور أمر مطمع لمن هو شديد الحاجه، إلّا أنه و إن كان كذلك، فإن حقّنا أن ننظر فی مغزی المتكلم فی تشبيهه. و نحن نعلم أن المغزی أن يصل ابتداء مطمعا بانتهاء مؤيس، و ذلك يقتضی وقوف الجمله الأوّله علی ما بعدها من تمام البيت.

و وزان هذا أن الشرط و الجزاء جملتان، و لكنا نقول: إنّ حكمهما حكم جمله

---

(١) البيت للمرقش الأكبر فی المفضليات، و فی لسان العرب (ماده: نشر). النّشر: الريح الطيبه، العنم: شجر لين الأغصان لطيفها يشبه به البنان كأنه بنان العذاری، واحدتها عنمه، و هو مما يستاك به، و قيل: العنم أغصان تنبت فی سوق العضاه رطبه لا تشبه سائر أغصانها، حمر اللون، و قيل: هو ضرب من الشجر له نور أحمر تشبّه به الأصابع المخضوبه. [لسان العرب: عنم]. و أراد النشر مثل ريح المسك، لا يكون إلا علی ذلك، لأن النشر عرض، و المسك جوهر، و قوله: و الوجوه دنانير، الوجه أيضا لا يكون دينارا، إنما أراد مثل الدنانير، و كذلك قال: و أطراف الأكف عنم إنما أراد مثل العنم لأن الجوهر لا يتحول إلی جوهر آخر. [لسان العرب: نشر].

(٢) و فی نسخه زياده لفظ (مقرره) بعد خاصه.

(٣) البيت لكثير عزه فی ديوانه ص ١٠٧، و فی التبيان فی المعانی و البيان ص ٢٦٨. أبرقت: جاءت ببرق، أقشعت: انقشع عنه الشیء و تقشّع غشيه ثم انجلی عنه، كالظلام عن الصبح، و الهم عن القلب، و السحاب عن الجو.

واحـده، من حيث دخل فى الكلام معنى يربط إحـداهما بالأخرى، حتى صارت الجمله لـذلك بمنزله الاسم المفرد فى امتناع أن تحصل به الفائده. فلو قلت: «إن تأتنى» و سكتّ، لم تفد كما لا تفيد إذا قلت: «زيد» و سكتّ، فلم تذكر اسما آخر و لا فعلا، و لا كـان منويّا فى النفس معلومـا من دليـل الحـال. ثم إن الأـمر، و إن كان كـذلك، فقـد يجوز أن تخرج الكلام عن الجزاء فتقول: «تأتينى»، فتعود الجمله على الإفاده، لإغنائك لها عن أن ترتبط بأخرى، و إزالتك المعنى الـذى أوجب فقرها إلى صاحبه لها، إلا أن الغرض الأـوّل يبطـل و المعنى يتبـدّل، فكـذلك الاقتصار على الجمله التى هى: «أبرقت قوما عطاشا غمامه»، يخرج عن غرض الشاعر.

فإن قلت: فهـذا يلزمك فى قولك: «هو يصـفو و يكـدر». و ذلك أن الاقتصار على أحد الأمرين يبطل غرض القائل، و قصده أن يصف الرجل بأنه يجمع الصفتين، و أن الصفاء لا يدوم.

فالجواب: أن بين الموضـعين فرقا، و إن كان يغمض قليلا، و هو أن الغرض فى البيت أن يثبت ابتداء مطمعا مؤنسا أدّى إلى انتهاء مؤيس موحش، و كون الشى ء ابتداء لآخر هو له انتهاء، معنى زائد على الجمع بين الأمرين، و الوصف بأن كلّ واحد منها يوجد فى المقصود. و ليس لـك فى قولك: «يصـفو و يكـدر»، أكثر من الجمع بين الوصـفين. و نظير هـذا أن تقول: «هو كالصّـفو بعد الكدر»، فى حصول معنى يجب «١» معه ربط أحد الوصفين بالآخر فى الذكر و يتعيّن به الغرض، حتى لو قلت:

«يكدر ثم يصفو»، فجئت بثمّ التى توجب الثانى مرتّبا على الأوّل، و أنّ أحدهما مبتدأ و الآخر بعده، صرت بالجمله

إلى حد ما نحن عليه من الارتباط، و وجوب أن يتعلّق الحكم بمجموعهما، و يوجد الشبه إن شبّهت ما بينهما، على التشابک و التداخل، دون التباين و التزايل.

و من الواضح فى کون الشّبه معلّقا بمجموع الجملتين، حتى لا يقع فى الوهم تميّز إحداهما على الأخرى قوله: «بلغنى أنک تقدّم رجلا و تؤخّر أخرى، فإذا أتاک کتابى هذا فاعتمد على أيّهما شئت و السّلام» ٢، و ذلک أن المقصود من هذا الکلام:

التردّد بين الأمرين، و ترجيح الرأى فيهما، و لا يتصوّر التردّد و الترجيح فى الشى ء الواحد، فلو جهدت وهمک أن تتصوّر لقولک: «تقدّم رجلا» معنى و فائده ما لم تقل: «و تؤخّر أخرى»، أو تنوه فى قلبک، کلّفت نفسک شططا.

---

(١) و فى نسخه: يوجب بدل يجب.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٨۴

و ذکر أبو أحمد العسکرى أن هذا النحو من الکلام يسمّى: «المماثله»، و هذه التسميه توهم أنه شى ء غير المراد «بالمثل» و «التمثيل» و ليس الأمر کذلک، کيف و أنت تقول: «مثلک مثل من يقدم رجلا و يؤخّر أخرى»؟ و وزان هذا أنک تقول: «زيد الأسد»، فيکون تشبيها على الحقيقه و إن کنت لم تصرّح بحرف التشبيه و مثله أنک تقول: «أنت ترقم فى الماء»، و «تضرب فى حديد بارد»، و «تنفخ فى غير فحم»، فلا تذکر ما يدلّ صريحا على أنک تشبّه، و لکنک تعلم أن المعنى على قولک: «أنت کمن يرقم فى الماء، و کمن يضرب فى حديد بارد، و کمن ينفخ فى غير فحم»، و

ما أشبه ذلك مما تجى ء فيه بمشّبه به ظاهر تقع هذه الأفعال فى صله اسمه أو صفته.

و اعلم أن «المثل» قد يضرب بجمل لا بدّ فيها من أن يتقدّمها مذكور يكون مشبّها به، و لا يمكن حذف المشبّه به و الاقتصار على ذكر المشبّه، و نقل الكلام إليه حتى كأنه صاحب الجمله، إلا أنه مشبّه بمن صفته و حكمه مضمون تلك الجمله.

بيان هذا، أن قول النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: «النّاس كإبل مائه لا تكاد تجد فيها راحله» «۱»، لا بدّ فيه من المحافظه على ذكر المشبّه به الذى هو «الإبل»، فلو قلت: «الناس لا تجد فيهم راحله أو «لا تجد فى الناس راحله»، كان ظاهر التعسّف.

و هاهنا ما هو أشدّ اقتضاء للمحافظه على ذكر ما تعلّق الجمله به و تسند إليه، و ذلك مثل قوله عزّ و جلّ: إِنَّما مَثَلُ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ [يونس: ۲۴]، لو أردت أن تحذف «الماء» الذى هو المشبّه به، و تنقل الكلام إلى المشبّه الذى هو «الحياه»، أردت ما لا- تحصل منه على كلام يعقل، لأن الأفعال المذكوره المحدّث بها عن الماء، لا يصحّ إجراؤها على الحياه فاحفظ هذا الأصل فإنك تحتاج إليه، و خصوصا فى الاستعاره، على ما يجى ء القول فيه إن شاء اللّه تعالى.

و الجمله إذا جاءت بعد المشبّه به، لم تخل من ثلاثه أوجه:

أحدها: أن يكون المشبّه به معبّرا عنه بلفظ موصول، و تكون الجمله صله،

---

(۱) رواه مسلم عن ابن عمر بلفظ: «تجدون الناس كإبل مائه لا يجد الرجل فيها راحله» و اختلفوا فيه على أقوال: قال النووى: أجودها أن معناه: المرضى الأحوال من الناس الكامل الأوصاف الحسن المنظر القوى على

الأحمال و الأسفار، و سميت راحله لأنها ترحل أى: يجعل عليها الرحل، فهى فاعله: بمعنى مفعوله كعيشه راضيه بمعنى مرضيه و نظائره اه. (رشيد).

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۸۵

كقولك: «أنت الذى من شأنه كيت و كيت»، كقوله تعالى: مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ ناراً فَلَمَّا أَضاءَتْ ما حَوْلَهُ [البقره: ۱۷].

و الثانى: أن يكون المشبّه به نكره تقع الجمله صفه له، كقولنا: «أنت كرجل من أمره كذا و كذا»، و قول النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: «النّاس كإبل مائه لا تجد فيها راحله»، و أشباه ذلك.

و الثالث: أن تجى ء مبتدأه، و ذلك إذا كان المشبّه به معرفه، و لم يكن هناك «الذى»، كقوله تعالى: كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً [العنكبوت: ۴۱].

فصل فى مواقع التمثيل و تأثيره

فصل فى مواقع التمثيل و تأثيره

و اعلم أنّ مما اتفق العقلاء عليه، أن «التمثيل» إذا جاء فى أعقاب المعانى، أو برزت هى باختصار فى معرضه «۱»، و نقلت عن صورها الأصليه إلى صورته، كساها أبّهه، و كسبها منقبه، و رفع من أقدارها، و شبّ من نارها، و ضاعف قواها فى تحريك النّفوس لها، و دعا القلوب إليها، و استثار لها من أقاصى الأفئده صبابه و كلفا، و قسر الطّباع على أن تعطيها محبّه و شغفا.

فإن كان مدحا، كان أبهى و أفخم، و أنبل فى النفوس و أعظم، و أهزّ للعطف،

---

(۱) يقول إن للتمثيل مظهرين، و يتجلى للأنظار فى ثوبين (أحدهما) أن يجى ء المعنى ابتداء فى صوره التمثيل، و هو النادر القليل. و لكنه على قلته فى كلام البلغاء كثير

فى القرآن العزيز، فمنه قوله تعالى: مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ ناراً الآيه، و قوله بعدها: أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماءِ الآيه. و قوله عز و جل: وَ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِما لا يَسْمَعُ إِلَّا دُعاءً وَ نِداءً، و قوله تبارك و تعالى: مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِياءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً الآيه، و قوله: تبارك اسمه أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رابِياً وَ مِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى النَّارِ ابْتِغاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ الآيه. و غير ذلك. (و ثانيهما) ما يتأثر المعانى و يجى ء فى أعقابها لإيضاحها و تقريرها فى النفوس و إيداعها التأثير المخصوص، و هو الذى جعله المصنف أولا، مثاله من القرآن قوله تعالى: ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكاءُ مُتَشاكِسُونَ وَ رَجُلًا سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا؟ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ فقد أورده بعد ما قرر أمر التوحيد من أول السوره و شنع على الذين اتخذوا من دونه أولياء يقربونهم إليه زلفى، و نصب الدلائل على نفى هذا الشرك و ذكر الجزاء. و مثله من الشعر ما يجى ء فى ضروب الكلام الآتيه.

(رشيد).

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۸۶

و أسرع للإلف، و أجلب للفرح، و أغلب على الممتدح، و أوجب شفاعه للمادح، و أقضى له بغرّ المواهب و المنائح، و أسير على الألسن و أذكر، و أولى بأن تعلقه القلوب و أجدر «۱».

و إن كان ذمّا، كان مسّه أوجع، و ميسمه ألذع، و وقعه أشده،

و حدّه أحدّ «۲».

و إن كان حجابا، كان برهانه أنور، و سلطانه أقهر، و بيانه أبهر «۳».

---

(۱) مثاله من القرآن قوله تعالى فى وصف الصحابه: وَ مَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوى عَلى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ و من الشعر قولنا فى المقصوره:

و إن قسا و ديده لان و إن يكدر عليه راق وردا و صفا

يؤمن منه الطيش فى شرته و الحلم و الإغضاء منه يرتجى

تواضع عن شمم و رفعه ورقه من غير عجز و ونى

أ لم تر الهواء فى رقته و لطفه أوتى شده القوى

يكاد يلمس الثريا رفعه من حيث تلقاه يصافح الثرى

و التمثيل فى البيتين الأخيرين و هو من النوع الأول، و منها قول بعضهم:

فتى عيش فى معروفه بعد موته

كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

(رشيد).

(۲) مثاله من القرآن قوله تعالى فى الذى أوتى الآيات فانسلخ منها: فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ أى: يخرج لسانه من العطش أو التعب و هو من باب منع، و قوله تعالى: إِنَّا جَعَلْنا فِی أَعْناقِهِمْ أَغْلالًا فَهِیَ إِلَى الْأَذْقانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ* وَ جَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ و مقمحون من أقمح الغل الأسير: ترك رأسه مرفوعا لضيقه، و من الشعر قوله:

رأيتكم تبدون للحرب عده و لا يمنع الأسلاب منكم مقاتل

فأنتم كمثل النخل يشرع شوكه و لا يمنع الخراف ما هو حامل

الخراف بالتشديد صيغه مبالغه اسم الفاعل من حرف الثمار إذا جناها و منه المثل:

و لو لبس الحمار ثياب خز لقال الناس يا لک من حمار

(رشيد).

(۳) مثاله من القرآن ما تقدم من الآيات فى بيان طريقتى التمثيل و من الشعر قول أبى العتاهيه:

ترجو النجاه و لم تسلک مسالکها إن السفينه لا تجرى على اليبس

و قول غيره:

و نار لو نفخت بها أضاءت و لكن أنت تنفخ فى رماد

و من الأمثال: «إن العوان لا تعلم الخمره» و هى بكسر المعجمه الهيئه من الخمار و العوان بالفتح النصف من النساء أى التى بين الشابه و العجوز، و المثل يضرب فى المجرب العارف المستغنى عن التعليم. و منها كدابغه و قد حلم الأديم، أى: أفسده الحلم و هو بالتحريك دود صغير و قيل:

الحلمه الصغيره من القردان و الضخمه ضد. (رشيد).

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۸۷

و إن كان افتخارا، كان شأوه أمدّ، و شرفه أجدّ، و لسانه ألدّ «۱».

و إن كان اعتذارا، كان إلى القبول أقرب، و للقلوب أخلب، و للسّخائم أسلّ، و لغرب الغضب أفلّ، و فى عقد العقود أنفث، و على حسن الرجوع أبعث «۲».

و إن كان وعظا، كان أشفى للصدر، و أدعى إلى الفكر، و أبلغ فى التنبيه و الزّجر،

---

(۱) الشأو: السبق و الغايه و الأمد. و قوله أجد أى: أعظم. و الألد: الشديد الخصومه. ما يجى ء فى القرآن من بيان عظمه اللّه تعالى و كماله لا يسمى افتخارا و مثال هذا الضرب من الكلام العزيز و إن اختلفت التسميه قوله: وَ ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَهِ، وَ السَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ و مثاله من الشعر قول عبد المطلب:

لا

ينزل المجد إلا فى منازلنا كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

(رشيد).

(٢) السخائم: الضغائن، و سلها: نزعها و استخرجها، و غرب السيف: حده، و فل السيف: ثلمه، و للنفث فى العقد هو النفخ فيها مع إلقاء شى ء من الريق عليها لأجل تسهيل حلها. و منه نفث الراقى فى العقده التى يعقدها ثم يحلها يوهم بذلك الناس أنه أبرم بعقدها رابطه المحبه بين فلان و فلانه و بحلها أنه حل ذلك العقد و أبطل ذلك الارتباط بسحره؟ و إن الكلام البليغ ليفعل بحسن التمثيل فى حل عقد العقود ما لا يفعل السحر، و إن من البيان لسحرا. و الاعتذار لا يوجد فى القرآن إلا حكايه عن أصحاب المعاذير الكاذبه ليكون الاعتذار حجه عليهم فهو اعتذار فى الظاهر و احتجاج فى المعنى و أثره ما ذكر فى الاحتجاج دون ما ذكر هنا كقوله تعالى: وَ قالُوا: قُلُوبُنا فِى أَكِنَّهٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ وَ فِى آذانِنا وَقْرٌ وَ مِنْ بَيْنِنا وَ بَيْنِكَ حِجابٌ و أما أمثلته فى الشعر فكثيره منها:

لا تحسبوا أن رقصى بينكم طرب فالطير يرقص مذبوحا من الألم

و منها فى الاعتذار عن صدود الحبيب:

بأبى حبيبا زارنى فى غفله فبدا الوشاه له قولى معرضا

فكأننى و كأنه و كأنهم

أمل و نیل حال بینهما القضا

و من الاعتذار بذکر التمثیل ما وقع لأبی تمام فی قصیده یمدح بها أحمد بن المعتصم قیل: إنه کان ینشده إیاها فبلغ قوله:

إقدام عمرو فی سماحه حاتم فی حلم أحنف فی ذکاء إیاس

فلامه بعض الناس قائلا: قد شبهت ابن عم النبی صلّی اللّه علیه و سلّم بأجلاف العرب (أو ما هذا معناه) فأطرق هنیهه و قال و لم یکونا من القصیده:

لا تنکروا ضربی له من دونه مثلا شرودا فی الندی و الباس

فاللّه قد ضرب الأقل لنوره مثلا من المشکاه و النبراس

و عمرو هذا هو ابن جابر بن هلال الفزاری و یقال العمران له و لبدر بن عمرو بن جؤبه الفزاری- و مما یصلح للاعتذار من الأمثال قولهم: «کل امرئ فی بیته صبی» یعتذر به عن الدعابه و الاسترسال فی المباسطه فی الخلوه و قولهم: «لو ترک القطا لیلا لنام». (رشید).

أسرار البلاغه فی علم البیان، ص: ۸۸

و أجدر بأن یجلّی الغیایه «۱»، و یبصّر

الغايه، و يبرئ العليل، و يشفى الغليل «٢».

و هكذا الحكم إذا استقريت فنون القول و ضروبه، و تتبعت أبوابه و شعوبه «٣».

---

(١) الغيايه بياءين مثناتين: كل ما أظلك من فوق رأسك كالسحاب و نحوه.

(٢) مثاله من القرآن الكريم قوله تعالى فى وصف نعيم الدنيا: كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَباتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطاماً الكفار الزراع لأنهم يكفرون الحب أى: يسترونه بالتراب، و قوله تعالى: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسَلَكَهُ يَنابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ الآيه. و قوله تعالى: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا و قوله عز و جل: لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ، و قوله سبحانه: فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ، و قوله: مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ، و قوله فى الآيه الأخرى: كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصابَها وابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَها ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْها وابِلٌ فَطَلٌّ، و قوله فى تمثيل من يحبط عمله الصالح بالإيذاء أو الرياء:

أَ يَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ لَهُ فِيها مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ وَ أَصابَهُ الْكِبَرُ وَ لَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفاءُ فَأَصابَها إِعْصارٌ فِيهِ نارٌ فَاحْتَرَقَتْ، و فى معناه قوله تعالى: مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمالُهُمْ كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلى شَيْ ءٍ ذلِكَ

هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ.

و من الأمثال حديث: «إن المنبت لا أرضا قطع و لا ظهرا أبقى» و حديث: «حفت الجنه بالمكاره و حفت النار بالشهوات»، و من الشعر قول ابن النبيه:

الناس للموت كخيل الطراد فالسابق السابق منها الجواد

و قول غيره:

و غير تقى يأمر الناس بالتقى طبيب يداوى و الطبيب مريض

(رشيد).

(۳) يشير المصنف إلى سائر مناحى الكلام كالغزل و الرثاء و الوصف و الشكوى و هى مع الذى ذكر وشائج متشابكه، و أمشاج متمازجه. و أعمها الوصف فهو الطويل الذيل، المتدفق السيل، و من أمثلته فى القرآن قوله تعالى: ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَ هِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ و مثله قوله تعالى: وَ قِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ وَ يا سَماءُ أَقْلِعِي الآيه. و منها قوله تعالى: أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُها ثابِتٌ وَ فَرْعُها فِي السَّماءِ تُؤْتِي أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّها، و قوله بعده: وَ مَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ما لَها مِنْ قَرارٍ و هكذا الحق يثبت و الباطل يزهق. و من ذلك الرؤى فإنها تمثيل الواقع الذى تعبر به كالرؤى المذكوره فى سوره يوسف عليه السلام. و مثاله من الشعر قول ابن النبيه:

و الليل تجرى الدرارى فى بحرته

كالروض تطفو على نهر أزاهره

و قول بعضهم فى وصف الكأس يعلوها الحباب و الساقى. (أو هذا من تعدد التشبيه):

و كأنها و كأن حامل كأسها إذ قام يجلوها على الندماء

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٨٩

و إن أردت أن تعرف ذلك و إن كان تقلّ الحاجه فيه إلى التعريف، و يستغنى فى

شمس الضحى رقصت فنقط وجهها بدر الدجى بكواكب الجوزاء

و فى وصف الأمير و الجيش:

يهز الجيش حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العقاب

و منه قولنا فى المقصوره فى وصف الرفاق:

لم تختلف فى مبتدأ مسأله إلا و كان للوفاق المنتهى

كمن على المحيط من دائره أنى تفارقا فبعد ملتقى

و قولنا منه فى وصف روضه:

و الشمس تبدو من خلال دوحها آونه تخفى و طورا تجتلى

كغاده وضاحه قد تلعت من خلل السجوف ترنو و الكوى

تلقى على الروض تثير عسجد فتحسب الروض عروسا تجتلى

و قولنا منها:

و الباسقات رفعت أكفها تستنزل الغيث و تطلب الندى

ثبت فى العلوم الطبيعيه أن الأشجار تكون سببا لنزول المطر فمثلت هنا بحال المستسقين يجاب دعاؤهم. و يليه قولنا:

تمتلج الكربون من ضرع الهوا تؤثرنا بالأكسجين المنتقى

و معناه أن الأشجار الباسقه ترضع غاز الكربون و تمتصه من الهواء تتغذى به و هو سام لنا و تترك لنا أكسجين الهواء المطهر للدم فى أبداننا باستنشاقنا له فى الهواء فمثلت بحال ما يضر الناس و يؤثرهم بما ينفعهم. و قول ابن دريد فى وصف النوق:

يرسبن فى بحر الدجى بالضحى يطفون فى الآل إذا الآل طفا

و من أحسن ما يدخل فى

التمثيل باب الغراميات قول المجنون:

و قد كنت أعلو حب ليلى فلم يزل بى النقص و الإبرام حتى علانيا

و قوله:

كأن القلب ليله قيل يغدى بليلى العامريه أو يراح

قطاه عزها شرك فباتت تجاذبه و قد علق الجناح

و قول بعضهم:

ويلاه إن نظرت و إن هى أعرضت وقع السهام و نزعهن أليم

و قول الآخر:

إنى و إياك كالصادى رأى نهلا و دونه هوه يخشى بها التلفا

رأى بعينيه ماء عز مورده و ليس يملك دون الماء منصرفا

و من الأمثال التى تدخل من باب الشكوى: «ليس لها راع و لكن حلبه» حلبه بالتحريك جمع حالب، و المثل يضرب للأمه المظلومه. «و لو كويت على داء لم أكره» و يضرب لمن يعاقب غير ذنب. «سال بهم و جاش بنا البحر». (رشيد).

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٩٠

الوقوف عليه عن التوقيف فانظر إلى نحو قول البحترى «١»: [من الكامل]

دان على أيدى العفاه، و شاسع عن كل ندّ فى النّدى و ضريب

كالبدر أفرط فى العلوّ وضوءه للعصبه السّارين جدّ قريب

و فكّر فى حالك و حال المعنى معك، و أنت فى البيت الأول لم تنته إلى الثانى و لم تتدبّر نصرته إيّاه، و تمثيله له فيما يملى على الإنسان عيناه، و يؤدّى إليه ناظراه، ثم قسهما على الحال و قد وقفت عليه، و تأمّلت طرفيه، فإنك تعلم بعد ما بين حالتيك، و شدّه تفاوتهما فى تمكّن المعنى لديك، و تحبّبه إليك، و نبله فى نفسك، و توفيره لأنسك، و تحكم لى بالصدق فيما قلت، و الحقّ فيما ادّعيت و كذلك فتعهّد الفرق بين أن تقول: «فلان يكدّ نفسه فى قراءه الكتب و لا يفهم منها شيئا» و تسكت، و بين أن تتلو الآيه، و تنشد نحو قول الشاعر «٢»: [من الطويل]

زوامل للأشعار لا علم عندهم بجيّدها إلّا كعلم الأباعر

لعمرك ما يدرى البعير إذا غدا بأوساقه أو راح، ما فى الغرائر

و الفصل بين أن تقول: «أرى قوما لهم بهاء و منظر، و ليس هناك مخبر، بل فى الأخلاق دقّه، و فى الكرم ضعف و قلّه» و تقطع الكلام، و بين أن تتبعه نحو قول الحكيم: «أما البيت فحسن، و أما السّاكن فردى ء»، و قول ابن لنكك «٣»: [من المنسرح]

فى شجر السرو منهم مثل له رواء و ما له ثمر

و قول ابن الرّومى «۴»: [من الخفيف]

فغدا كالخلاف يورق للعى ن و يأبى الإثمار كلّ الإباء

---

(١) البيتان فى ديوانه، الضريب: المثل و النظير (راجع هامش رقم ۴ ص ١٠١).

(٢) البيتان لمروان بن سليمان بن يحيى بن أبى حفصه. يهجو قوما من رواه الشعر، و هو فى دلائل الإعجاز: ٢۵۴، و الكامل للمبرد، و اللسان (زمل). الزوامل: جمع زامله: بعير يستظهر به الرجل يحمل عليه متاعه و طعامه. الأوساق: جمع وسق، و هو الحمل. الغرائر: جمع الغراره: الجوالق.

(٣) البيت هو أحد ثلاثه أبيات ذكرها الثعالبى فى يتيمه الدهر ٢/ ٣٢٣، قال:

لا تخدعنك اللّحى و لا الصور تسعه أعشار من ترى بقر

تراهم كالسحاب منتشرا و ليس فيه لطالب مطر

فى شجر ....

و السّرو: شجر، واحدته سروه.

(۴) البيت فى ديوانه: و الخلاف: الصفصاف، و هو بأرض العرب كثير، و يسمى السّوحر و هو شجر عظام و أصنافه كثيره، و كلها خوّار خفيف. [لسان العرب: خلف].

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۹۱

و قول الآخر: [من الطويل]

فإن طرّه راقتک فانظر فربّما أمرّ مذاق العود و العود أخضر «۱»

و انظر إلى المعنى فى الحاله الثانيه كيف يورق شجره و يثمر، و يفترّ ثغره و يبسم، و كيف تشتار الأرى من مذاقته، كما ترى الحسن فى شارته.

و أنشد قول ابن لنكک: [من البسيط]

إذا أخو الحسن أضحى فعله سمجا رأيت صورته من أقبح الصور «۲»

و تبيّن المعنى و اعرف مقداره، ثم أنشد البيت بعده:

و هبک كالشّمس فى حسن، أ لم ترنا

نفرّ منها إذا مالت إلى الضّرر

و انظر كيف يزيد شرفه عندك؟.

و هكذا فتأمّل بيت أبى تمام: [من الكامل]

و إذا أراد اللّه نشر فضيله طويت أتاح لها لسان حسود «۳»

مقطوعا عن البيت الذى يليه، و التّمثيل الذى يؤدّيه، و استقص فى تعرّف قيمته، على وضوح معناه و حسن بزّته، ثم أتبعه إياه:

لو لا اشتعال النّار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

و انظر هل نشر المعنى تمام حلّته، و أظهر المكنون من حسنه، و زينته، و عطّرك بعرف عوده، و أراك النضره فى عوده، و طلع عليك من طلع سعوده، و استكمل فضله فى النفس و نبله، و استحقّ التقديم كلّه، إلا بالبيت الأخير، و ما فيه من التمثيل و التصوير؟.

و كذلك فرق فى بيت المتنبى: [من الوافر]

و من يك ذا فم مرّ مريض يجد مرّا به الماء الزّلالا «۴»

---

(۱) البيت فى دلائل الإعجاز ص ۵۵۵، غير معروف قائله. و الطّرّه: طره المزاده و الثوب: علمها، و قيل:

طره الثوب موضع هدبه، و هى حاشيته التى لا هدب لها، و طره الجاريه: أن يقطع لها فى مقدّم ناصيتها كالعلم أو كالطره تحت التاج، و الجمع:

طرر و طرار.

(۲) هذا البيت و الذى بعده فى يتيمه الدهر ۲/ ۲۳۰.

(۳) البيت و الذى يليه هما فى ديوانه (أ) ص ۲۷۷ (ب) ۱/ ۴۰۰. و العمده ۲/ ۱۶۷، سر الفصاحه ۱۳۵، المثل السائر ۳/ ۲۴، الإيضاح ۳۳۰، الطراز ۱/ ۱۹۱، الإتقان ۴/ ۲۵۸، معاهد التنصيص ۱/ ۱۴۲، أخبار أبى تمام للصولى ۷۷، نهايه الأرب ۳/ ۹۶، المصباح ۱۱۳.

(۴) البيت فى ديوانه، و التبيان ص ۱۸۳. الزلال: الذى نزل فى الحلق لعذوبته مثل السلسال. (المعنى):

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۹۲

لو كان سلكك بالمعنى الظاهر من العباره كقولك: «إن الجاهل الفاسد الطبع يتصوّر المعنى بغير صورته، و يخيّل إليه فى الصواب أنه خطأ»، هل كنت تجد هذه الروعه، و هل كان يبلغ من وقم الجاهل و وقذه، و قمعه و ردعه و التهجين له و الكشف عن نقصه، ما بلغ التمثيل فى البيت، و ينتهى إلى حيث انتهى؟.

و إن أردت اعتبار ذلك فى الفنّ الذى هو أكرم و أشرف، فقابل بين أن تقول:

«إن الذى يعظ و لا يتّعظ يضرّ بنفسه من حيث ينفع غيره»، و تقتصر عليه و بين أن تذكر المثل فيه على ما جاء فى الخبر من أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال: «مثل الّذى يعلّم الخير و لا يعمل به، مثل السّراج الذى يضى ء للناس و يحرق نفسه»، و يروى: «مثل الفتيله تضى ء للناس و تحرق نفسها» «۱».

و كذا فوازن بين قولك للرجل تعظه: «إنك لا تجزى السيئه حسنه، فلا

تغرّ نفسک» و تمسک، و بین أن تقول فی أثره: «إنک لا تجنی من الشّوک العنب، و إنما تحصد ما تزرع»، و أشباه ذلک.

و کذا بین أن تقول: «لا تکلّم الجاهل بما لا یعرفه» و نحوه، و بین أن تقول:

«لا تنثر الدّرّ قدّام الخنازیر» أو: «لا تجعل الدّرّ فی أفواه الکلاب»، و تنشد نحو قول الشافعی رحمه اللّه:

أ أنثر درّا بین سارحه الغنم «۲» و کذا بین أن تقول: «الدنیا لا تدوم و لا تبقی»، و بین أن تقول: «هی ظلّ زائل، و عاریّه تستردّ، و ودیعه تسترجع»، و تذکر قول النبی صلّی اللّه علیه و سلّم: «من فی الدنیا ضیف و ما فی یدیه عاریّه، و الضیف مرتحل، و العاریّه مؤدّاه»، و تنشد قول لبید: [من الطویل]

هذا مثل ضربه یقول مثلهم کمثل المریض الذی یجد الماء الزلال مرّا من مراره فیه، یقول: هم یذمونی لنقصهم و قلّه معرفتهم بی و بفضلی و بشعری، فالنقص فیهم لا فیّ، و لو صحت حواسهم لعرفوا فضلی، و لقد جود فی هذا المعنی لأن المریض یجد کل حلو فی فیه مرّا نقصا، فالمراره من فمه لا من الشی ء یدخله، و إنما العیب منه لا من الدواء، فأبو الطیب و الأعداء کذلک، و هو من قول الحکیم النفس الکریمه تری الأشیاء کذلک. [التبیان ۲/ ۱۸۴].

(۱) بهذا اللفظ رواه الطبرانی فی معجمه الکبیر عن أبی برزه بسند حسن. (رشید).

(۲) تمام البیت: و أنظم منثورا لراعیه الغنم. و هی أبیات قالها بمصر فی أثر مجیئه إلیها لما کلمه بعض أصحاب مالک، و آخرها:

فمن منح الجهال علما أضاعه

و من منع المستوجبين فقد ظلم

رواها السبكى فى طبقات الشافعيه ۱/ ۲۹۴.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۹۳

و ما المال و الأهلون إلّا وديعه و لا بدّ يوما أن تردّ الودائع «۱»

و قول الآخر: [من الرمل]

إنّما نعمه قوم متعه و حياه المرء ثوب مستعار «۲»

فهذه جمله من القول تخبر عن صيغ «التمثيل» و تخبر عن حال المعنى معه.

فأما القول فى العلّه و السبب، لم كان للتمثيل هذا التأثير؟ و بيان جهته و مأتاه، و ما الذى أوجبه و اقتضاه، فغيرها.

و إذا بحثنا عن ذلک، وجدنا له أسبابا و عللا، كلّ منها يقتضى أن يفخم المعنى بالتمثيل، و ينبل و يشرف و يكمل.

فأوّل ذلک و أظهره، أنّ أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفىّ إلى جلىّ، و تأتيها بصريح بعد مكنّى، و أن تردّها فى الشى ء تعلّمها إياه إلى شى ء آخر هى بشأنه أعلم، و ثقتها به فى المعرفه أحكم نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس و عما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار و الطبع، لأن العلم المستفاد من طرق الحواسّ أو المركوز فيها من جهه الطبع و على حدّ الضروره، يفضل

المستفاد من جهه النّظر و الفكر فى القوه و الاستحكام، و بلوغ الثقه فيه غايه التمام، كما قالوا:

«ليس الخبر كالمعاينه» «۳»، و «لا الظنّ كاليقين»، فلهذا يحصل بها العلم هذا الأنس أعنى الأنس من جهه الاستحكام و القوه.

---

(۱) البيت فى ديوانه: ص ۸۱، من قصيده فى رثاء أخيه، و فى الشعر و الشعراء ۱/ ۲۷۹، و الإيضاح ۲۰۴، و لسان العرب ۴/ ۶۰۳ [عمر]، و تاج العروس [سمم].

(۲) البيت للأفوه الأودى فى ديوانه، و فى الطرائف الأدبيه للراحكوتى، و الحماسه البصريه.

و الأفوه: لقب، و اسمه صلاءه بن عمرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن عوف بن منبّه بن أود بن الصعب بن سعد العشيره، و كان يقال لأبيه عمرو بن مالك فارس الشوهاء. [الأغانى ۱۲/ ۱۶۹].

(۳) هذه الجمله حديث نبوى رواه الطبرانى فى الأوسط و الخطيب عن أبى هريره و رويناه مسلسلا بالأشراف عن شيخنا أبى المحاسن القاوقجى، و لا أذكر له روايه بزياده و لا الظن كاليقين و رواه أحمد و الحاكم و الطبرانى فى الأوسط بسند صحيح عن ابن عباس بزياده «إن اللّه تعالى أخبر موسى بما صنع قومه فى العجل فلم يلق الألواح فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت».

(رشيد).

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۹۴

و ضرب آخر من الأنس، و هو ما يوجبه تقدّم الإلف، كما قيل «۱»: [من الكامل] ما الحبّ إلّا للحبيب الأوّل و معلوم أن العلم الأوّل أتى النفس أوّلا من طريق الحواسّ و الطباع، ثم من

جهه النظر و الرّويّه، فهو إذن أمسّ بها رحما، و أقوى لديها ذمما، و أقدم لها صحبه، و آكد عندها حرمه و إذ نقلتها فى الشى ء بمثله عن المدرك بالعقل المحض و بالفكره فى القلب، إلى ما يدرك بالحواسّ أو يعلم بالطّبع، و على حدّ الضروره، فأنت إذن مع الشاعر و غير الشاعر إذا وقع المعنى فى نفسك غير ممثّل ثم مثّله كمن يخبر عن شى ء من وراء حجاب، ثم يكشف عنه الحجاب و يقول: «ها هو ذا، فأبصر تجده على ما وصفت».

فإن قلت: إن الأنس بالمشاهده بعد الصفه و الخبر، إنما يكون لزوال الرّيب و الشكّ فى الأكثر، أ فتقول: إن التمثيل إنما أنس به، لأنه يصحّح المعنى المذكور و الصفه السابقه، و يثبت أن كونها جائز و وجودها صحيح غير مستحيل، حتى لا يكون تمثيل إلا كذلك؟.

فالجواب: إن المعانى التى يجى ء «التمثيل» فى عقبها على ضربين:

غريب بديع يمكن أن يخالف فيه، و يدّعى امتناعه و استحاله وجوده، و ذلك نحو قوله: [من الوافر]

فإن تفق الأنام و أنت منهم فإنّ المسك بعض دم الغزال «٢»

و ذلك أنه أراد أنه فاق الأنام و فاتهم إلى حدّ بطل معه أن يكون بينه و بينهم مشابهه و مقاربه، بل صار كأنه أصل بنفسه و جنس برأسه. و هذا أمر غريب، و هو أن يتناهى بعض أجزاء الجنس فى الفضائل الخاصّه به إلى أن يصير كأنه ليس من ذلك

---

(١) البيت لأبى تمام فى ديوانه، و صدره:

نقّل فؤادك حيث شئت من الهوى و هو فى

الإيضاح ۲۰۵، و دلائل الإعجاز: ۴۹۵، کما نسبه ابن جنی فی کتاب الخصائص للطائی الکبیر ص ۱۱۷.

(۲) البیت للمتنبی فی دیوانه، و فی التبیان ص ۳۱، و المعنی: یقول إن فضلت الناس و أنت من جملتهم فقد یفضل بعض الشی ء الکل جمله کالمسک، و هو بعض دم الغزال، یفضله فضلا کثیرا و المعنی: إن فاق الأنام و هو منهم و فضلهم مع مشارکته فی الجنس لهم فالمسک من دم الغزلان فی أصله و سائر دم الحیوان یقصر عنه. و رب واحد قد بذّ أمه و بعض قد فات جمله.

أسرار البلاغه فی علم البیان، ص: ۹۵

الجنس، و بالمدّعی له حاجه إلی أن یصحّح دعواه فی جواز وجوده علی الجمله إلی أن یجی ء إلی وجوده فی الممدوح. فإذا قال: «فإن المسک بعض دم الغزال»، فقد احتجّ لدعواه، و أبان أن لما ادّعاه أصلا فی الوجود، و برّأ نفسه من ضعه الکذب، و باعدها من سفه المقدم علی غیر بصیره، و المتوسّع فی الدعوی من غیر بیّنه. و ذلک أن المسک قد خرج عن صفه الدم و حقیقته، حتی لا یعدّ فی جنسه، إذ لا یوجد فی الدم شی ء من أوصافه الشریفه الخاصه بوجه من الوجوه، لا ما قلّ و لا ما کثر، و لا فی المسک شی ء من الأوصاف التی کان لها الدم دما البته.

و الضرب الثانی: أن لا یکون المعنی الممثّل غریبا نادرا یحتاج فی دعوی کونه علی الجمله إلی بیّنه و حجّه و إثبات. نظیر ذلک أن تنفی عن

فعل من الأفعال التى يفعلها الإنسان الفائده، و تدّعى أنه لا يحصل منه على طائل، ثم تمثّله فى ذلك بالقابض على الماء و الرّاقم فيه، فالذى مثّلت ليس بمنكر مستبعد، إذ لا ينكر خطأ الإنسان فى فعله أو ظنّه و أمله و طلبه. أ لا ترى أن المغزى من قوله «۱»: [من الطويل]

فأصبحت من ليلى الغداه كقابض على الماء خانته فروج الأصابع «۲»

أنّه قد خاب فى ظنّه أن يتمتّع بها و يسعد بوصلها، و ليس بمنكر و لا عجيب و لا ممتنع فى الوجود، خارج من المعروف المعهود، أن يخيب ظنّ الإنسان فى أشباه هذا من الأمور، حتى يستشهد على إمكانه، و تقام البيّنه على صدق المدّعى لوجدانه.

و إذا ثبت أن المعانى الممثّله تكون على هذين الضربين، فإن فائده «التمثيل» و سبب الأنس فى الضرب الأول بيّن لائح، لأنه يفيد فيه الصّحه و ينفى الرّيب و الشكّ، و يؤمن صاحبه من تكذيب المخالف، و تهجّم المنكر، و تهكّم المعترض، و موازنته بحاله كشف الحجاب عن الموصوف المخبر عنه حتى يرى و يبصر، و يعلم كونه على ما أثبتته الصّفه عليه موازنه ظاهره صحيحه.

و أمّا الضرب الثانى: فإن «التمثيل» و إن كان لا يفيد فيه هذا الضرب من الفائده، فهو يفيد أمرا آخر يجرى مجراه. و ذلك أن الوصف كما يحتاج إلى إقامه الحجه على صحه وجوده فى نفسه، و زياده التثبيت و التقرير فى ذاته و أصله، فقد يحتاج إلى بيان المقدار فيه، و وضع قياس من غيره يكشف عن حدّه و

مبلغه فى القوه و الضعف و الزياده و النقصان. و إذا أردت أن تعرف ذلك، فانظر أوّلا إلى التشبيه

---

(۱) و فى نسخه: المغزى فى قوله.

(۲) البيت فى الإيضاح ص ۲۲۱.

الصريح الذى ليس بتمثيل، كقياس الشى ء على الشى ء فى اللون مثلا: «كحنك الغراب» «۱»، تريد أن تعرّف مقدار الشده، لا أن تعرّف نفس السواد على الإطلاق.

و إذا تقرر هذا الأصل، فإن الأوصاف التى يردّ السامع فيها بالتمثيل من العقل إلى العيان و الحسّ، و هى فى أنفسها معروفه مشهوره صحيحه لا- تحتاج إلى الدلاله على أنها هل هى ممكنه موجوده أم لا- فإنّها و إن غنيت من هذه الجهه عن التمثيل بالمشاهدات و المحسوسات، فإنها تفتقر إليه من جهه المقدار، لأن مقاديرها فى العقل تختلف و تتفاوت. فقد يقال فى الفعل: إنه من حال الفائده على حدود مختلفه فى المبالغه و التوسط، فإذا رجعت إلى ما تبصر و تحسّ عرفت ذلك بحقيقته، و كما يوزن بالقسطاس، فالشاعر لمّا قال:

كقابض على الماء خانته فروج الأصابع أراك رؤيه لا- تشكّ معها و لا- ترتاب أنه بلغ فى خيبه ظنّه و بوار سعيه إلى أقصى المبالغ، و انتهى فيه إلى أبعد الغايات، حتى لم يحظ لا بما قلّ و لا ما كثر.

فهذا هو الجواب. و نحن «۲» بنوع من التسهّل و التسامح، نقع على أن الأنس الحاصل بانتقالك فى الشى ء عن الصفه و الخبر إلى العيان و رؤيه البصر، ليس له سبب سوى زوال الشكّ و

الرّيب.

فأما إذا رجعنا إلى التحقيق: فإنّا نعلم أن المشاهده تؤثّر فى النفوس مع العلم بصدق الخبر، كما أخبر اللّه تعالى عن إبراهيم عليه الصلاه و السلام فى قوله: قالَ بَلى وَ لكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي [سوره البقره: ۲۶۰]، و الشواهد فى ذلك كثيره، و الأمر فيه ظاهر، و لو لا أن الأمر كذلك، لما كان لنحو قول أبى تمام: [من الطويل]

و طول مقام المرء فى الحيّ مخلق لديباجتيه فاغترب تتجدّد

فإنّى رأيت الشّمس زيدت محبّه إلى النّاس أن ليست عليهم بسرمد «۳»

معنى، و ذلك أنّ هذا التجدّد لا معنى له، إذا كانت الرؤيه لا تفيد أنسا من حيث هى رؤيه، و كان الأنس لنفيها الشّكّ و الرّيب، أو لوقوع العلم بأمر زائد لم يعلم من قبل.

---

(۱) حنك الغراب بالتحريك: منقاره أو سواده قالهما (رشيد).

(۲) الجمله حاليه.

(۳) البيتان فى ديوانه، و هما فى الإيضاح ۲۰۴. و كذلك فى الإشارات و التنبيهات ۱۷۲، و البيت الأول فى دلائل الإعجاز ۴۹۸، بزياده واو فى صدره، و هما من قصيده يمدح بها يوسف الطائى مطلعها:

سرت تستجير الدمع خوف نوى غد و عاد قتادا عندها كلّ مرقد

و إذا كان الأمر كذلك، فأنت إذا قلت للرجل: «أنت مضيع للحزم فى سعيك، و مخطئ وجه الرشاد، و طالب لما لا تناله»، إذا كان الطّلب على هذه الصفه و من هذه الجهه، ثم عقّبته بقولك: «و هل يحصل فى كفّ القابض على الماء شى ء مما يقبض عليه؟». فلو تركنا حديث تعريف المقدار فى الشده و المبالغه و نفى الفائده من أصلها جانبا بقى لنا ما تقتضيه الرّؤيه للموصوف على ما وصف عليه من الحاله المتجدّده، مع العلم بصدق الصفه.

يبيّن ذلك، أنه لو كان الرجل مثلا- على طرف نهر فى وقت مخاطبه صاحبه و إخباره له بأنه لا يحصل من سعيه على شى ء، فأدخل يده فى الماء و قال: «انظر هل حصل فى كفّى من الماء شى ء؟ فكذلك أنت فى أمرك». كان لذلك ضرب من التأثير زائد على القول و النطق بذلك دون الفعل.

و لو أن رجلا- أراد أن يضرب لك مثلا فى تنافى الشيئين فقال: «هذا و ذاك هل يجتمعان؟»، و أشار إلى ماء و نار حاضرين، وجدت لتمثيله من التأثير ما لا- تجده إذا أخبرك بالقول فقال: «هل يجتمع الماء و النار؟». و ذلك الذى تفعل المشاهده من التحريك للنفس، و الذى يجب بها من تمكّن المعنى فى القلب إذا كان مستفاده من العيان، و متصرّفه حيث تتصرّف العينان و إلّا فلا حاجه بنا فى معرفه أن الماء و النار لا يجتمعان إلى ما يؤكده من رجوع إلى مشاهده و استيثاق تجربه.

و ممّا يدلّك على أن «التمثيل» بالمشاهده يزيدك أنسا، و إن لم يكن بك حاجه

إلى تصحيح المعنى، أو بيان لمقدار المبالغه فيه، أنك قد تعبّر عن المعنى بالعباره التى تؤدّيه، و تبالغ و تجتهد حتى لا تدع فى النفوس منزعا، نحو أن تقول و أنت تصف اليوم بالطول: «يوم كأطول ما يتوهّم» و «كأنّه لا آخر له»، و ما شاكل ذلك من نحو قوله: [من البسيط]

فى ليل صول تناهى العرض و الطّول كأنّما ليله باللّيل موصول «١»

فلا تجد له من الأنس ما تجده لقوله: [من الطويل] و يوم كظلّ الرّمح قصّر طوله «٢»

---

(١) البيت لحندج بن حندج المرى.

(٢) البيت هو لشبرمه بن الطفيل، و تمامه:

دم الزّقّ عنّا و اصطفاق المزاهر

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٩٨

على أن عبارتك الأولى أشدّ و أقوى فى المبالغه من هذا، فظلّ الرّمح على كل حال متناه تدرك العين نهايته، و أنت قد أخبرت عن اليوم بأنه كأنه لا آخر له، و كذلك تقول: «يوم كأقصر ما يتصوّر» و «كأنّه ساعه» و «كلمح البصر» و «كلا و لا»، فتجد هذا، مع كونه تمثيلا، لا يؤنسك إيناس قولهم: «أيام كأباهيم القطا»، و قول ابن المعتزّ: [من الكامل]

بدّلت من ليل كظلّ حصاه ليلا كظلّ الرمح غير موات «١»

و قول آخر: [من الوافر]

ظللنا عند باب أبى نعيم بيوم مثل سالفه الذّباب «٢»

و كذا تقول: «فلان إذا همّ بالشى ء لم يزل ذاك عن ذكره و قلبه، و قصر خواطره على إمضاء عزمه، و لم يشغله شى ء عنه»، فتحتاط للمعنى بأبلغ ما يمكن، ثم لا ترى فى نفسك له هزّه، و لا تصادف لما تسمع أريحيّه، و إنما تسمع حديثا ساذجا و خبرا غفلا، حتى إذا قلت: [من الطويل] إذا همّ ألقى بين عينيه عزمه «٣» امتلأت نفسك سرورا و أدركتك طربه كما يقول القاضى أبو الحسن لا- تملك دفعها عنك. و لا تقل إن ذلك لمكان الإيجاز، فإنه و إن كان يوجب شيئا منه، فليس الأصل له، بل لأن أراك العزم واقعا بين العينين، و فتح إلى مكان المعقول من قلبك بابا من العين.

و هاهنا، إذا تأمّلنا، مذهب آخر فى بيان السبب الموجب لذلك، هو ألطف مأخذا، و أمكن فى التحقيق، و أولى بأن يحيط بأطراف الباب. و هو أنّ لتصوير الشبه

---

(١) البيت هو فى ديوانه.

(٢) البيت هو فى الأزمنه و الأمكنه غير منسوب. و السّالفه: أعلى العنق، و قيل: ناحيه مقدّم العنق من لدن معلّق القرط إلى قلت الترقوه، و السالف: أعلى العنق، و قيل هى ناحيته من معلق القرط إلى الحاقنه، و حكى اللحيانى: إنها لوضاحه السوالف، جعلوا كل جزء منها سالفه. [لسان العرب:

سلف].

(٣) البيت لسعد بن ناسب المازنى، و تمامه:

و نكّب عن ذكر العواقب جانبا فى شرح الحماسه ١/ ٣٥، و انظر دلائل الإعجاز ٢٢٠، تحقيق محمود شاكر- طبعه المدنى.

من الشى ء فى غير جنسه و شكله، و التقاط ذلك له من غير محلّته، و اجتلابه إليه من الشّقّ البعيد، بابا آخر من الظّرف و اللّطف، و مذهبا من مذاهب الإحسان لا يخفى موضعه من العقل.

و أحضر شاهدا لك على هذا: أن تنظر إلى تشبيه المشاهدات بعضها ببعض، فإن التشبيهات سواء كانت عامّيه مشتركه، أم خاصيّه مقصوره على قائل دون قائل تراها لا يقع بها اعتداد، و لا يكون لها موقع من السامعين، و لا تهزّ و لا تحرّك حتى يكون الشبه مقرّرا بين شيئين مختلفين فى الجنس، فتشبيه العين بالنّرجس، عامّىّ مشترك معروف فى أجيال الناس، جار فى جميع العادات، و أنت ترى بعد ما بين العينين و بينه من حيث الجنس و تشبيه الثريّا بما شبّهت به من عنقود الكرم المنوّر، و اللجام المفضّض، و الوشاح المفصّل، و أشباه ذلك، خاصّىّ، و التباين بين المشبّه و المشبّه به فى الجنس على ما لا يخفى.

و هكذا إذا استقريت التشبيهات، وجدت التباعد بين الشيئين كلما كان أشدّ، كانت إلى النفوس أعجب، و كانت النفوس لها أطرب، و كان مكانها إلى أن تحدث الأريحيّه أقرب. و ذلك أن موضع الاستحسان، و مكان الاستظراف، و المثير للدفين من الارتياح، و المتألّف للنافر من المسره، و المؤلّف لأطراف البهجه أنك ترى بها الشيئين مثلين متباينين، و مؤتلفين مختلفين، و ترى الصوره الواحده فى السماء و لأرض، و فى خلقه الإنسان و خلال الروض، و هكذا، طرائف تنثال عليك إذا

فصّلت هذه الجمله، و تتبّعت هذه اللّحمه. و لذلک تجد تشبيه البنفسج فی قوله: [من البسيط]

و لازورديّه تزهو بزرقتها بين الرّياض على حمر اليواقيت

كأنّها فوق قامات ضعفن بها أوائل النار فی أطراف كبريت «۱»

أغرب و أعجب و أحقّ بالولوع و أجدر من تشبيه النرجس: «بمداهن درّ حشوهن عقيق»، لأنه أراک شبها لنبات غضّ يرفّ، و أوراق رطبه ترى الماء منها يشفّ، بلهب نار فی جسم مستول عليه اليبس، و باد فيه الكلف.

---

(۱) البيتان لابن المعتز فی الإيضاح (تحقيق د. عبد الحميد هنداوى) و التبيان ۱/ ۲۷۳ تحقيق الدكتور عبد الحميد أيضا، و العلوى فی الطراز ۱/ ۲۶۷، و يرجح الدكتور محمود شاكر أنهما للزاهى أبى القاسم على بن إسماعيل بن خلف البغدادى، كما نسبهما إليه أيضا ابن خلكان فی ترجمته ۳/ ۳۷۲. اللازورديه: البنفسجيه، نسبه إلى اللازورد، و هو حجر نفيس.

و مبنى الطباع و موضوع الجبلّه، على أن الشى ء إذا ظهر من مكان لم يعهد ظهوره منه، و خرج من موضع ليس بمعدن له، كانت صبابه النفوس به أكثر، و كان بالشّغف منها أجدر. فسواء فی إثاره التعجّب، و إخراجک إلى روعه المستغرب، وجودک الشى ء

من مكان ليس من أمكنته، و وجود شى ء لم يوجد و لم يعرف من أصله فى ذاته و صفته. و لو أنه شبّه البنفسج ببعض النبات، أو صادف له شبها فى شى ء من المتلوّنات، لم تجد له هذه الغرابه، و لم ينل من الحسن هذا الحظ.

و إذا ثبت هذا الأصل، و هو أنّ تصوير الشّبه بين المختلفين فى الجنس، مما يحرّك قوى الاستحسان، و يثير الكامن من الاستظراف، فإن «التمثيل» أخصّ شى ء بهذا الشأن، و أسبق جار فى هذا الرهان، و هذا الصّنيع صناعته التى هو الإمام فيها، و البادئ لها و الهادى إلى كيفيتها، و أمره فى ذلك أنك إذا قصدت ذكر ظرائفه، و عدّ محاسنه فى هذا المعنى، و البدع التى يخترعها بحذقه، و التأليفات التى يصل إليها برفقه، ازدحمت عليك، و غمرت جانبيك، فلم تدر أيّها تذكر، و لا عن أيّها تعبّر، كما قال: [من الرجز]

إذا أتاها طالب يستامها تكاثرت فى عينه كرامها «١»

و هل تشكّ فى أنه يعمل عمل السحر فى تأليف المتباينين حتى يختصر لك بعد ما بين المشرق و المغرب، و يجمع ما بين المشئم و المعرق. و هو يريك للمعانى الممثّله بالأوهام شبها فى الأشخاص الماثله، و الأشباح القائمه، و ينطق لك الأخرس، و يعطيك البيان من الأعجم، و يريك الحياه فى الجماد، و يريك التئام عين الأضداد، فيأتيك بالحياه و الموت مجموعين، و الماء و النار مجتمعين، كما يقال فى الممدوح هو حياه لأوليائه، موت لأعدائه، و يجعل الشى ء من جهه ماء، و من

أخرى نارا، كما يقال: [من الخفيف]

أنا نار فى مرتقى نظر الحا سد، ماء جار مع الإخوان «٢»

و كما يجعل الشى ء حلوا مرّا، و صابا عسلا و قبيحا حسنا، كما قال: [من الخفيف]

---

(١) البيت هو فى الأغانى ٥/ ٣۶۴ بلا نسبه.

(٢) البيت لم يقف عليه الدكتور محمود شاكر.

حسن فى وجوه أعدائه أق بح من ضيفه رأته السوام «١»

و يجعل الشى ء أسود أبيض فى حال، كنحو قوله: [من الطويل]

له منظر فى العين أبيض ناصع و لكنّه فى القلب أسود أسفع «٢»

و يجعل الشى ء كالمقلوب إلى حقيقه ضدّه، كما قال: [من الخفيف]

غرّه بهمه، ألا إنما كن ت أغرّ أيّام كنت بهيما «٣»

و يجعل الشى ء قريبا بعيدا معا، كقوله: [من الكامل] دان على أيدى العفاه و شاسع «۴» و حاضرا و غائبا، كما قال: [من المتقارب]

أيا غائبا حاضرا فى الفؤاد سلام على الحاضر الغائب «۵»

و مشرّقا مغرّبا، كقوله: [من المنسرح]

له إليكم نفس مشرّقه أن غاب عنكم مغرّبا بدنه «۶»

---

(۱) البيت هو للمتنبى فى ديوانه، و التبيـان للعكبرى ۳۷۶. و السّوام: المال الراعى، و سامت الراعيه و الماشـيه و الغنم تسوم سوما: رعت حيث شاءت فهى سائمه. [لسان العرب: سوم]. و المعنى:

يقـول هـو أقبـح فى عيون أعـدائه من ضـيفه فى عيون مـاله الراعى لأنه ينحر إبله للأضـياف فهى تكرههم، و هـذا كمـا قيـل فى الضيف.

(۲) البيت لأبى تمام فى ديوانه، و الإيضاح ۳۰۴، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوى. مؤسسه المختار. الأسفع: السّفعه و السّفع: السواد و الشحوب، و قيـل نوع من السواد ليس بـالكثير، و قيل السواد مع لون آخر، و قيل السواد المشـرب حمره، الـذكر أسـفع، الأنثى سفعاء. [اللسان: سفع].

(۳) البيت لأبى تمام فى ديوانه. الغره: الشعر الأبيض، البهمه: يعنى السواد المظلم. يصف الشيب بأنه غره شديده، و إنما كان أغر فى الوقت الذى كان فيه بهيما أى: أسود الشعر.

(۴) البيت للبحترى، و تمامه:

عن كل ند فى الندى و ضريب و هو فى الإيضاح ص ۲۰۳، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوى. (طبعه: مؤسسه المختار).

و شـرح عقود الجمان ۲/ ۶، و أوردهمـا محمـد بن على بن محمـد الجرجـانى فى كتابه الإشارات و التنبيهات ص ۱۷۲، منسوب للبحترى. و العفاه جمع عاف، و هو طالب الفضل أو سائل الرزق.

(۵) البيت قيل إنه

على قافيه الراء «سلام على الغائب الحاضر» فى كتاب سندبان للسمرقندى: ۱۸۵ مع أبيات للوأواء الدمشقى على تلك القافيه، و ليس البيت فى ديوانه المطبوع.

(۶) البيت هو للبحترى فى ديوانه.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۱۰۲

و سائرا مقيما، كما يجى ء فى وصف الشعر الحسن الذى يتداوله الرواه و تتهاداه الألسن، كما قال القاضى أبو الحسن: [من المتقارب]

و جوّابه الأفق موقوفه تسير و لم تبرح الحضره «۱»

و هل يخفى تقريبه المتباعدين، و تقريبه بين المختلفين، و أنت تجد إصابه الرجل فى الحجّه، و حسن تخليصه للكلام، و قد مثّلت تاره بالهناء و معالجه الإبل الجربى به، و أخرى بحزّ القصّاب اللحم و إعماله السكّين فى تقطيعه و تفريقه فى قولهم:

يضع الهناء مواضع النقب «۲» و «يصيب الحزّ» و «يطبّق المفصل»، فانظر: هل ترى مزيدا فى التناكر و التنافر على ما بين طلاء القطران، و جنس القول و البيان؟ ثم كرّر النظر و تأمّل: كيف حصل الائتلاف، و كيف جاء من جمع أحدهما إلى الآخر، ما يأنس إليه العقل و يحمده الطبع؟ حتى إنّك لربما وجدت لهذا المثل إذا ورد عليك فى أثناء الفصول، و حين تبيّن الفاضل فى البيان من المفضول قبولا، و لا ما تجد عند فوح المسك و نشر الغاليه، و قد وقع ذكر «الحزّ» و «التطبيق» منك موقع ما ينفى الحزازات عن القلب، و

يزيل أطباق الوحشه عن النفس.

و تكلّف القول فى أن للتمثيل فى هذا المعنى الذى لا يجارى إليه، و الباع الذى لا يطاول فيه، كالاحتجاج للضّرورات، و كفى دليلا على تصرفه فيه باليد الصّناع، و إيفائه على غايات الابتداع، أنه يريك العدم وجودا و الوجود عدما، و الميّت حيّا

---

(١) البيت للقاضى أبى الحسن شيخه على بن عبد العزيز الجرجانى صاحب الوساطه.

(٢) شطر بيت لدريد بن الصمه فى ديوانه ٤٣، و الأغانى ١٥/ ٧٢، قال صاحب الأغانى: مر دريد بن الصمه بالخنساء بنت عمرو بن الشريد، و هى تهنأ بعيرا لها، و قد تبذلت حتى فرغت منه، ثم نضّت عنها ثيابها فاغتسلت، و دريد بن الصمه يراها، و هى لا تشعر به فأعجبته فانصرف إلى رحله و أنشأ يقول:

حيوا تماضر و اربعوا صحبى و قفوا فإن وقوفكم حسبى

أخناس قد هام الفؤاد بكم و أصابه قبل من الحب

ما إن رأيت و لا سمعت بمثله كاليوم طالى أينق جرب

متبذّلا تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع النقب

النّقب: القطع المتفرقه من الجرب، الواحده

نقبه، و هى أول ما يبدو من الجرب عامه، و عجز البيت الأخير مثل يضرب لمن يضع الشى ء فى موضعه فيكون ماهرا مصيبا، أو للذى لا يتكلم إلا فيما يجب الكلام.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۱۰۳

و الحىّ ميّتا أعنى جعلهم الرجل إذا بقى له ذكر جميل و ثناء حسن بعد موته، كأنه لم يمت، و جعل الذكر حياه له، كما قال:

ذكر الفتى عمره الثّانى «۱» و حكمهم على الخامل الساقط القدر الجاهل الدنى ء بالموت، و تصييرهم إياه حين لم يكن ما يؤثر عنه و يعرف به، كأنه خارج عن الوجود إلى العدم، أو كأنه لم يدخل فى الوجود.

و لطيفه أخرى له فى هذا المعنى، هى، إذا نظرت، أعجب، و التعجّب بها أحقّ و منها أوجب، و ذلك جعل الموت نفسه حياه مستأنفه حتى يقال: إنه بالموت استكمل الحياه فى قولهم: «فلان عاش حين مات»، يراد الرجل تحمله الأبيّه و كرم النفس و الأنفه من العار، على أن يسخو بنفسه فى الجود و البأس، فيفعل ما فعل كعب بن مامه فى الإيثار على نفسه، أو ما يفعله الشجاع المذكور من القتال دون حريمه، و الصبر فى مواطن الإباء، و التصميم فى قتال الأعداء، حتى يكون له يوم لا- يزال يذكر، و حديث يعاد على مرّ الدهور و يشهر، كما قال ابن نباته «۲»: [من الكامل]

بأبى و أمّى كلّ ذى

نفس تعاف الضّيم مرّه

ترضى بأن ترد الرّدى فيميتها و يعيش ذكره

و إنه ليأتيک من الشى ء الواحد بأشباه عده، و يشتقّ من الأصل الواحد أغصانا فى كل غصن ثمر على حده، نحو أن «الزّند» بإيرائه يعطيک شبه الجواد، و الذكىّ الفطن، و شبه النجح فى الأمور و الظفر بالمراد و بإصلاده شبه البخيل لا يعطيک شيئا،

---

(١) شطر البيت للمتنبى فى ديوانه و تمامه:

ذكر الفتى عمره الثانى، و حاجته ما قاته، و فضول العيش أشغال

(٢) البيتان يمدح صمصام الدوله عند ورود القرامطه إلى الكوفه و يحرضه على لقائهم. الظاهر أن يقال فيفعل كما فعل كعب بن مامه قال شيخنا: هو الأباذى المشهور آثر رفيقه السعدى بالماء حتى مات عطشا و نجا السعدى و له يقول حبيب:

يجود بالنفس إذ ضن البخيل بها و الجود بالنفس أقصى غايه الجود

و قال له و لحاتم الطائى:

كعب و حاتم اللذان تقسما خطط العلى من طارف و تليد

و هذا الذى خلف السحاب و مات ذا

فی الجهد میته خضرم صندید

إلا یکن فیها الشهد فقومه لا یسمحون له بألف شهید (رشید)

أسرار البلاغه فی علم البیان، ص: ۱۰۴

و البلید الذی لا یکون له خاطر ینتج فائده و یخرج معنی و شبه من یخیب سعیه، و نحو ذلک و یعطیک من «القمر» الشهره فی الرجل و النباهه و العزّ و الرفعه، و یعطیک الکمال عن النقصان، و النقصان بعد الکمال، کقولهم: «هلا نما فعاد بدرا»، یراد بلوغ النجل الکریم المبلغ الذی یشبه أصله من الفضل و العقل و سائر معانی الشرف، کما قال أبو تمام «۱»: [من الکامل]

لهفی علی تلک الشواهد منهما لو أمهلت حتی تصیر شمائلا

لغدا سکونهما حجی، و صباهما کرما، و تلک الأریحیّه نائلا

إنّ الهلال إذا رأیت نموّه أیقنت أن سیصیر بدرا کاملا

و علی هذا المثل بعینه، یضرب

مثلا فى ارتفاع الرجل فى الشرف و العزّ من طبقه إلى أعلى منها، كما قال البحترى «٢»: [من الكامل]

شرف تزيّد بالعراق إلى الذى عهدوه بالبيضاء أو ببلنجرا

مثل الهلال بدا فلم يبرح به صوغ اللّيالى فيه حتى أقمرا

و يعطيك شبه الإنسان فى نشئه و نمائه إلى أن يبلغ حدّ التمام، ثم تراجعه إذا انقضت مدّه الشباب، كما قال «٣»: [من البسيط]

المرء مثل هلال حين تبصره يبدو ضئيلا ضعيفا ثم يتّسق

يزداد حتّى إذا ما تمّ أعقبه كرّ الجديدين نقصا ثم ينمحق

و كذلك يتفرّع من حالتى تمامه و نقصانه فروع لطيفه، فمن غريب ذلك قول ابن بابك «۴»: [من الكامل]

و أعرت شطر الملك ثوب كماله و البدر فى شطر المسافه يكمل

---

(١) الأبيات فى ديوانه فى مرثيه ابنين لعبد اللّه بن طاهر، ماتا صغيرين، و الإيضاح: ٢٠۶، تحقيق الدكتور هنداوى، و منسوبه لأبى تمام فى الإشارات و التنبيهات لمحمد بن

على الجرجانى ص ۱۷۳.

(۲) البيتان هما فى ديوانه من قصيده قالها فى مدح إسحاق بن كنداج الخزرى القائد الكبير عند ما توج و قلد السيفين، البيضاء، بلنجر: مدينتان فى بلاد الخزر.

(۳) البيتان لمحمد بن يزداد بن سويد الكاتب المروزى وزير المأمون. اتسق القمر: استوى، و فى التنزيل: وَ اللَّيْلِ وَ ما وَسَقَ، وَ الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ. قال الفرّاء: و ما وسق أى: و ما جمع و ضم، و اتساق القمر: امتلاؤه و اجتماعه و استواؤه ليله ثلاث عشره و أربع عشره، و قال الفراء: إلى ستّ عشره فيهن امتلاؤه و اتساقه. [اللسان: وسق].

(۴) البيت هو فى الإيضاح تحقيق الدكتور هنداوى و منسوب لابن بابك فى الإشارات و التنبيهات ص ۱۷۴.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۱۰۵

قاله فى الأستاذ أبى على، و قد استوزره فخر الدوله بعد وفاه الصاحب و أبا العباس الضبىّ و خلع عليهما و قول أبى بكر الخوارزمى «۱»: [من الطويل]

أراک إذا أيسرت خيّمت عندنا مقيما و إن أعسرت زرت لماما

فما أنت إلا البدر إن قلّ ضوؤه أغبّ، و إن زاد الضياء أقاما

المعنى لطيف، و إن كانت العباره لم تساعده على الوجه الذى يجب، فإن الإغباب أن

يتخلل وقتى الحضور وقت يخلو منه، و إنما يصلح لأن يراد أن القمر إذا نقص نوره، لم يوال الطلوع كل ليله، بل يظهر فى بعض الليالى، و يمتنع من الظهور فى بعض. و ليس الأمر كذلك، لأنه على نقصانه يطلع كل ليله حتى يكون السّرار، و قال ابن بابك فى نحوه: [من المتقارب]

كذا البدر يسفر فى تمّه فإن خاف نقص المحاق انتقب

و هكذا ينظر إلى مقابلته الشّمس و استمداده من نورها، و إلى كون ذلك سبب زيادته و نقصه و امتلائه من النور و الائتلاق، و حصوله فى المحاق، و تفاوت حاله فى ذلك، فتصاغ منه أمثال، و تبيّن أشباه و مقاييس، فمن لطيف ذلك قول ابن نباته «٢»:

[من الخفيف]

قد سمعنا بالعزّ من آل ساسا ن و يونان فى العصور الخوالى

و الملوك الألى إذا ضاع ذكر وجدوا فى سوائر الأمثال

مكرمات إذا البليغ تعاطى وصفها لم يجده فى الأقوال

و إذا نحن لم نضفه إلى مد

حكَ كانت نهايه فى الكمال

إن جمعناهما أضرّ بها الجم ع و ضاعت فيه ضياع المحال

فهو كالشمس بعدها يملأ البد ر، و فى قربها محاق الهلال

---

(١) البيتـان فى الإيضاح ص ٢٠۶، تحقيق الـدكتور هنـداوى (طبعه مؤسـسه المختـار)، و الإشارات و التنبيهات ص ١٧۴، و يتيمه الدهر ٢/ ٢٢۴، و زهر الآداب ٢/ ٩٩. (لماما) بالكسـر: الإلمام النزول، و قد ألمّ به أى نزل به. ابن سيده: لمّ به و ألمّ و التمّ نزل به، و ألمّ به: زاره غبّا، الليث:

الإلمـام الزيـاره غبّـا، و الفعـل ألممت به، و ألممت عليه، و يقـال: فلاـن يزور فلانـا لمامـا أى: فى الأحـايين. و الغبّ: الإتيـان فى اليومين، و يكون أكثر، و أغبّ القوم و غب عنهم: جـاء يومـا و ترک يومـا، و أغبّ عطاؤه إذا لم يأتنا كل يوم، و أغبت الإبل إذا لم تأت كل يوم بلبن و أغبنا فلان: أتانا غبا. [اللسان: لمم، غبب].

(٢) الأبيات فى مدح عضد الدوله من قصيدته فى تاريخ اثنتين و سبعين و ثلاثمائه، مطلع القصيده:

دفع اللّه نائبات الليالى عنک، يا حامل الخطوب الثقال

و غير ذلک من أحواله: کنحو ما خرج من الشّبه من بعده و ارتفاعه، و قرب ضوئه و شعاعه، فى نحو ما مضى من قول البحترى:

دان على أيدى العفاه و من ظهوره بکل مکان، و رؤيته فى کل موضع، کقوله «۱»:

کالبدر من حيث التفتّ رأيته يهدى إلى عينيک نورا ثاقبا

فى أمثال لذلک تکثر. و لم أعرض لما يشبّه به من حيث المنظر، و ما تدرکه العين، نحو تشبيه الشى ء بتقويس الهلال و دقّته، و الوجه بنوره و بهجته، فإنّا فى ذکر ما کان «تمثيلا»، و کان الشّبه فيه معنويّا.

فصل

فصل

و إن کان ممّا مضى، إلا أن الأسلوب غيره، و هو أن المعنى إذا أتاک ممثّلا، فهو فى الأکثر ينجلى لک بعد أن يحوجک إلى غير طلبه بالفکره و تحريک الخاطر له و الهمّه فى طلبه. و ما کان منه ألطف، کان امتناعه عليک أکثر، و إباؤه أظهر، و احتجابه أشدّ.

و من المرکوز فى الطبع أن الشى ء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه، و معاناه الحنين نحوه، کان نيله أحلى، و بالمزيّه أولى، فکان موقعه من النفس أجلّ و ألطف، و کانت به أضنّ و أشغف، و لذلک ضرب المثل لکل ما لطف موقعه ببرد الماء على الظمأ، کما قال «۲»: [من البسيط]

و هنّ ينبذن من قول يصبن به

مواقع الماء من ذى الغلّه الصّادى

و أشباه ذلک مما ينال بعد مکابده الحاجه إليه، و تقدّم المطالبه من النفس به.

فإن قلت: فيجب على هذا أن يكون التعقيد و التعميه و تعمّد ما يكسب

---

(۱) البيت للمتنبى فى ديوانه و فى التبيان للعكبرى على شرح ديوان المتنبى ص ۹۵، و البيت من قصيده يمدح بها على بن منصور الحاطب و الإيضاح ص ۲۰۷، و فى نسخه التبيان «نورا ثاقبا»، و المعنى: هو مثل البدر حيثما كان ترى نوره، و كذلك حيثما كنت من البلاد ترى عطاءه، و قد غمر الناس قريبهم و بعيدهم، و الثاقب: المضى ء الذى يثقب ضوؤه الظلام و يبدّده.

(۲) البيت للقطامى فى ديوانه، و موجود فى لسان العرب (صدى). و الصدى: شده العطش، و قيل: هو العطش ما كان، صدى يصدى. صدى، فهو صد و صاد و صديان و الأنثى صديا. الغلّه: شده العطش و حرارته، قلّ أو كثر. [لسان العرب: صدى، غلل].

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۱۰۷

المعنى غموضا، مشرّفا له و زائدا فى فضله، و هذا خلاف ما عليه الناس، أ لا تراهم قالوا: إن خير الكلام ما كان معناه إلى قلبک أسبق من لفظه إلى سمعک؟.

فالجواب: أنى لم أرد هذا الحدّ من الفكر و التعب، و إنما أردت القدر الذى يحتاج إليه فى نحو قوله «۱»: [من الوافر] فإن المسک بعض دم الغزال و قوله «۲»: [من الوافر]

و ما التأنيث لاسم الشمس عيب و لا التذكير فخر للهلال

و قوله: [من الوافر]

رأيتك فى الذين أرى ملوكا كأنّك مستقيم فى محال

و قول النابغه «٣»:

فإنّك كاللّيل الّذى هو مدركى و إن خلت أنّ المتأدى عنك واسع

و قوله «۴»: [من الطويل]

فإنك شمس و الملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهنّ كوكب

و قول البحترى «۵»: [من الطويل]

ضحوك إلى الأبطال و هو يروعهم و للسيف حدّ حين يسطو و رونق

---

(۱) راجع هامش رقم (۲) ص ۹۴.

(۲) البيت و الذى يليه هما للمتنبى فى ديوانه و هما فى التبيان للعكبرى على ديوان أبى الطيب أحمد المتنبى، البيت الأول ۲/ ۲۹، و الثانى ۲/ ۳۱. المعنى: يقول: رب تأنيث يقصر التذكير عنه و لا يبلغ مبلغه، و لا ينال موضعه، ثم بيّن ذلك بأن الشمس مؤنثه، و الفضل لها و القمر مذكر. ثم يقول: بيان فضلك على الملوك كبيان فضل الاستقامه على المحال، و المعنى أنت تفضلهم كفضل المستقيم

على المعوج.

(٣) البيت للنابغه الذبيانى فى ديوانه، و فى الإيضاح تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوى، (طبعه مؤسسه المختار)، و أورده محمد بن على الجرجانى فى الإشارات ص ١۶۶، و فى الكلام إشاره إلى تشبيه النعمان بالسيل فى اندفاعه و قوته بعد تشبيهه بالليل تشبيها يلاحظ فى وجهه الرهبه و الخوف مع ضروره اللحاق و الإدراك، و البيت من إحدى الاعتذاريات التى نبغ فيها النابغه الذبيانى.

(۴) البيت للنابغه الذبيانى فى ديوانه، و فى الإيضاح ص ٢٣١، تحقيق د. هنداوى.

(۵) البيت فى ديوانه.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ١٠٨

و قول امرئ القيس «١»: [من الطويل] بمنجرد قيد الأوابد هيكل و قوله «٢»: [من الكامل]

ثم انصرفت، و قد أصبت و لم أصب، جذع البصيره قارح الإقدام

فإنك تعلم على كل حال أن هذا الضرب من المعانى، كالجوهر فى الصدف لا يبرز لك إلّا أن تشقّه عنه، و كالعزيز المحتجب لا يريك وجهه حتى تستأذن عليه.

ثم ما كل فكر يهتدى إلى وجه الكشف عمّا اشتمل عليه، و لا كلّ خاطر يؤذن له فى الوصول إليه، فما كل أحد يفلح فى شقّ الصدفه، و يكون فى ذلك من أهل المعرفه، كما ليس كلّ من دنا من أبواب الملوك، فتحت له، و كان «٣»: [من الطويل]

من النّفر البيض الّذين إذا اعتزوا

و هاب رجال حلقه الباب قعقعوا

أو كما قال «۴»: [من الطويل]

تفتّح أبواب الملوك لوجهه بغير حجاب دونه أو تملّق

---

(۱) شطر البيت فى معلقته ص ۱۱۸، و صدره:

و قد أغتدى و الطير فى و كناتها أغتدى: أخرج بفرسى فى غدوه النهار أى: عند تباشير الصباح، و كناتها: أو كارها أو و كراتها، و الوكر مأوى الطير فى العش، المنجرد: الفرس القصير الشعر، الأوابد: الوحوش الآبده. الهيكل:

الفرس الطويل المتين.

(۲) البيت لأبى محمد قطرى بن الفجاءه، أحد بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، و لقبه فى الحرب أبو نعامه، و هو منسوب إلى قطر قرب البحرين، انظر ترجمته فى الطبرى ۷/ ۲۷۴، و عيون الأخبار ۱/ ۱۷۵، و ذيل أمالى القالى ص ۱۵، و الخزانه ۳/ ۳۶۱، و زهر الآداب ۴/ ۱۶۲، و هو موجود فى الإيضاح تحقيق د. هنداوى، و فى شرح الحماسه ۱/ ۶۸. و الجذع من الخيل الذى بلغ عامين فلا يحتاج إلى الرياضه، و القارح الذى بلغ النهايه من الخيل.

(۳) البيت فى مجموعه أبيات يقع بعضها فى كلمه فى البيان ۳/ ۳۰۵، نسبت لأبى الربيس الثعلبى يقولها فى عبد اللّه بن جعفر بن أبى طالب أو فى عبد اللّه بن عمرو بن عثمان بن عفان، انظر الكامل فى اللغه و الأدب تحقيق د. هنداوى ۱/ ۲۴۳، و أنساب الأشراف ۴/ ۱/ ۶۰۳، و الخزانه ۲/ ۵۳۲- ۵۳۴، و يقع فى روايتها اختلاف. و البيت

الذى معنا فى خزانه الأدب ۶/ ۷۸- ۸۹، و لسان العرب (لوى) و يروى فيه هكذا:

من النفر اللائى الذين إذا هم يهاب اللّئام حلقه الباب قعقعوا

و بلا نسبه فى الأشباه و النظائر ۴/ ۳۰۸، و الحيوان ۳/ ۴۸۶، و خزانه الأدب ۶/ ۱۵۶، و العقد الفريد ۵/ ۳۴۳، و تاج العروس (لوى)، و البيان و التبيين ۱/ ۳۹۶، و رسائل الجاحظ ۱/ ۲۲۱.

(۴) البيت لجرير فى ديوانه ص ۳۰۶، من قصيده قالها فى رثاء الفرزدق مطلعها:

لعمرى لقد أشجى تميما و هدّها على نكبات الدهر موت الفرزدق

عشيه راحوا للفراق بنعشه إلى جدث فى هوه الأرض معمق

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۱۰۹

و أما التعقيد، فإنما كان مذموما لأجل أن اللفظ لم يرتّب الترتيب الذى بمثله تحصل الدّلاله على الغرض، حتى احتاج السامع إلى أن يطلب المعنى بالحيله، و يسعى إليه من غير الطريق، كقوله «۱»: [من الكامل]

و لذا اسم أغطيه العيون جفونها

من أنّها عمل السيوف عوامل

و إنما ذمّ هـذا الجنس، لأنه أحوجك إلى فكر زائـد على المقـدار الـذى يجب فى مثله، و كـدّك بسوء الـدّلاله و أودع لك فى قـالب غير مسـتو و لا ـ مملّس، بـل خشن مضرّس، حتى إذا رمت إخراجه منه عسـر عليك، و إذا خرج خرج مشوّه الصوره ناقص الحسن.

هذا، و إنما يزيدك الطلب فرحا بالمعنى و أنسا به و سـرورا بالوقوف عليه، إذا كان لذلك أهلا، فأمّا إذا كنت معه كالغائص فى البحر، يحتمل المشـقّه العظيمه، و يخاطر بالروح، ثم يخرج الخرز، فالأمر بالضدّ مما بدأت به. و لذلك كان أحقّ أصـناف التعقّد بالـذم ما يتعبك، ثم لا يجـدى عليك، و يؤرّقك ثم لا يورق لك، و ما سبيله إلّا سبيل البخيل الذى يدعوه لؤم فى نفسه، و فساد فى حسّه، إلى أن لا ـ يرضـى بضـعته فى بخله، و حرمـان فضـله، حتّى يـأبى التواضـع و لين القول، فيـتيه و يشـمخ بـأنفه، و يسوم المتعرّض له بابـا ثانيـا من الاحتمـال تناهيـا فى سـخفه أو كالـذى لا يؤيسك من خيره فى أول الأمر فتستريـح إلى اليأس، و لكنه يطمعـك و يسـحب على المواعيـد الكـاذبه، حتى إذا طـال العنـاء و كثر الجهـد، تكشّف عن غير طائل، و حصـلت منه على نـدم لتعبك فى غير حاصل. و ذلك مثل ما تجده لأبى تمام من تعسّفه فى اللفظ، و ذهابه به فى نحو من التركيب لا يهتدى النحو إلى إصلاحه، و إغراب فى الترتيب يعمى الإعراب فى طريقه، و يضلّ فى تعريفه، كقوله «۲»: [من الكامل]

ثانيه فى كبد السّماء، و لم يكن

لاثنين ثان إذ هما فى الغار

---

(١) البيت للمتنبى فى ديوانه ص ٢٢٣، من قصيده يمدح القاضى أبا الفضل بن عبد اللّه بن الحسين الأنطاكى مطلعها:

لك يا منازل فى القلوب منازل أقفرت أنت و هن منك أو أهل

يعلمن ذاك و ما علمت و إنما أولاكما يبكى عليه العاقل

و أيضا فى التبيان للعكبرى ٢/ ٢٠١. و الضمير «إنها» للعيون، أى: أنها تعمل عمل السيوف، و لذا سميت أغطيه العيون جفون، و الجفون أغماد السيوف، أى: لأنها تعمل عمل السيوف.

(٢) البيت لأبى تمام حبيب بن أوس الطائى الشاعر المجيد المتقدم البارع صاحب ديوان الحماسه، فى

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ١١٠

و قوله «١»: [من البسيط]

يدى لمن شاء رهن لم يذق جرعا من راحتيك درى ما الصّاب و العسل

و لو كان الجنس الذى يوصف من المعانى باللطافه و يعدّ فى وسائط العقود، لا يحوجك إلى الفكر، و لا يحرّك من حرصك على طلبه، بمنع جانبه و ببعض الإدلال عليك و إعطائك الوصل

بعد الصدّ، و القرب بعد البعد، لكان «باقلّى حار» و بيت معنى هو عين القلاده و واسطه العقد واحدا، و لسقط تفاضل السامعين فى الفهم و التصوّر و التبيين، و كان كلّ من روى الشعر عالما به، و كلّ من حفظه إذا كان يعرف اللغه على الجمله ناقدا فى تمييز جيّده من رديئه، و كان قول من قال «٢»: [من الطويل]

زوامل للأشعار لا علم عندهم بجيّدها إلا كعلم الأباعر

و كقول ابن الرومى «٣»: [من المنسرح]

قلت لمن قال لى: عرضت على الأ خفش ما قلته فما حمده

قصّرت بالشعر حين تعرضه على مبين العمى إذا انتقده

ما قال شعرا و لا رواه فلا ثعلبه كان لا و لا أسده

فإن يقل: إنّنى رويت، فكالدّف تر جهلا بكلّ ما اعتقده

و ما أشبه ذلك، دعوى غير مسموعه و لا مؤهّله للقبول، فإنما أرادوا بقولهم:

«ما كان معناه إلى قلبك أسبق

من لفظه إلى سمعك»، أن يجتهد المتكلم فى ترتيب اللفظ و تهذيبه و صيانته من كل ما أخلّ بالدّلاله، و عاق دون الإبانه، و لم يريدوا أن خير الكلام ما كان غفلا مثل ما يتراجعه الصبيان و يتكلّم به العامّه فى السوق.

هذا، و ليس إذا كان الكلام فى غايه البيان و على أبلغ ما يكون من الوضوح،

ديوانه ص ۱۴۵، من قصيده يمدح فيها المعتصم و يذكر إحراق الأفشين، و هو فى دلائل الإعجاز ص ۸۴. و يروى هكذا: «كاثنين ثان».

(۱) البيت لأبى تمام فى ديوانه ص ۲۱۵ من قصيده يمدح فيها المعتصم باللّه، و هو فى دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجانى ص ۸۴.

(۲) راجع هامش (۲) ص ۹۰.

(۳) الأبيات فى ديوانه. و ابن الرمى كان كثير الهجاء لعلى بن سليم الأخفش و الأبيات من قصيده طويله مطلعها:

رقاب أهل الحلوم متعمده مقصوده بالهوان معتمده

أغناك ذاك عن الفكره إذا كان المعنى لطيفا، فإن المعانى الشريفه اللطيفه لا بدّ فيها من بناء ثان على أوّل، و ردّ تال على سابق. أ فلست تحتاج فى الوقوف على الغرض من قوله: [من الكامل] كالبدر أفرط فى العلوّ «۱» إلى أن تعرف البيت الأول، فتتصوّر حقيقه المراد منه و وجه المجاز فى كونه دانيا شاسعا، و ترقم ذلك فى قلبك، ثم تعود إلى ما يعرض البيت

الثانى عليك من حال البدر، ثم تقابل إحدى الصورتين بالأخرى، و تردّ البصر من هذه إلى تلك، و تنظر إليه كيف شرط فى العلوّ و الإفراط، ليشاكل قوله: «شاسع»، لأن الشّسوع هو الشديد البعد، ثم قابله بما لا يشاكله من مراعاه التناهى فى القرب فقال: «جدّ قريب»؟ فهذا هو الذى أردت بالحاجه إلى الفكر، و بأنّ المعنى لا يحصل لك إلا بعد انبعاث منك فى طلبه، و اجتهاد فى نيله.

هذا، و إن توقفت فى حاجتك أيها السامع للمعنى إلى الفكر فى تحصيله، فهل تشكّ فى أن الشاعر الذى أدّاه إليك، و نشر بزّه لديك، قد تحمّل فيه المشقّه الشديده، و قطع إليه الشّقه البعيده، و أنه لم يصل إلى درّه حتى غاص، و لم ينل المطلوب حتى كابد منه الامتناع و الاعتياص؟ و معلوم أن الشى ء إذا علم أنه لم ينل فى أصله إلا بعد التّعب، و لم يدرك إلا باحتمال النّصب، كان للعلم بذلك من أمره من الدعاء إلى تعظيمه، و أخذ الناس بتفخيمه، ما يكون لمباشره الجهد فيه، و ملاقاه الكرب دونه. و إذا عثرت بالهوينا على كنز من الذهب، لم تخرجك سهوله وجوده إلى أن تنسى جمله أنه الذى كدّ الطالب، و حمّل المتاعب، حتى إن لم تكن فيك طبيعه من الجود تتحكّم عليك، و محبّه للثناء تستخرج النفيس من يديك كان من أقوى حجج الضّنّ الذى يخامر الإنسان أن تقول: «إن لم يكدّنى فقد كدّ غيرى»، كما يقول الوارث للمال المجموع عفوا إذا ليم على بخله به، و فرط شحّه عليه: «إن لم يكن كسبى و كدّى، فهو كسب أبى و جدى، و لئن لم ألق فيه عناء، لقد عانى سلفى

فيه الشدائد، و لقوا فى جمعه الأمّرين، أ فأضيّع ما ثمّروه، و أفرّق ما جمعوه، و أكون كالهادم لما أنفقت الأعمار فى بنائه، و المبيد لما قصرت الهمم على إنمائه؟».

و إنك لا تكاد تجد شاعرا يعطيك فى المعانى الدقيقه من التسهيل و التقريب،

---

(١) راجع هامش (۴) ص ١٠١.

و ردّ البعيد إلى المألوف القريب، ما يعطى البحترىّ، و يبلغ فى هذا الباب مبلغه، فإنه ليروض لك المهر الأرن رياضه الماهر، حتى يعنق من تحتك إعناق القارح المذلّل، و ينزع من شماس الصعب الجامح، حتى يلين لك لين المنقاد الطّيع، ثمّ لا يمكن ادعاء أنّ جميع شعره فى قلّه الحاجه إلى الفكر، و الغنى عن فضل النظر، كقوله «١»:

[من الهزج]

فؤادى منك ملآن و سرّى فيك إعلان

و قوله «٢»: [من الكامل] عن أىّ ثغر تبتسم و هل ثقل على المتوكل قصائده الجياد حتى قلّ نشاطه لها و اعتناؤه بها، إلا لأنّه لم يفهم معانيها كما فهم معانى النوع النازل الذى انحطّ له إليه؟ أتراك تستجيز أن تقول: إن قوله:

منى النّفس فى أسماء لو يستطيعها «٣» من جنس المعقّد الذى لا يحمد، و إن هذه الضّعيفه الأسر، الواصله إلى القلوب من غير فكر، أولى بالحمد، و أحقّ بالفضل.

هذا، و المعقّد من الشعر و الكلام لم يذمّ لأنه مما تقع حاجه فيه إلى الفكر

على الجمله، بـل لأنّ صـاحبه يعثر فكرك فى متصرّفه، و يشيك طريقك إلى المعنى، و يوعّر مذهبك نحوه، بـل ربّما قسّم فكرك، و شعّب ظنّك، حتى لا تدرى من أين تتوصّل و كيف تطلب؟.

و أمّا الملخّص، فيفتح لفكرتك الطريق المستوى و يمهّده، و إن كان فيه تعاطف أقام عليه المنار، و أوقد فيه الأنوار، حتى تسلكه سلوك المتبين لوجهته، و تقطعه قطع الواثق بالنّجح فى طيّته، فترد الشريعه زرقاء، و الروضه غنّاء، فتنال الريّ، و قطف الزهر الجنيّ، و هل شى ء أحلى من الفكره إذا استمرت و صادفت نهجا

---

(١) البيت للبحترى فى ديوانه.

(٢) البيت للبحترى أيضا.

(٣) مطلع قصيده للبحترى من جياد قصائده، فى مدح المتوكل، و تمامه:

.... بها وجدها من غاده و ولوعها

و قد راعنى منها الصدر و إنما تصد لشيب فى عذارى يروعها

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ١١٣

مستقيما، مذهبا قويما، و طريقه تنقاد، و تبيّنت لها الغايه فيما ترتاد؟ فقد قيل: «قرّه العين، و سعه الصدر، و روح القلب، و طيب النفس، من أربعه أمور:

الاستبانه للحجّه، و الأنس بالأحبّه، و الثّقه بالعدّه، و المعاينه للغايه». و قال الجاحظ فى أثناء فصل يذكر فيه ما فى الفكر و النظر

من الفضيله: «و أين تقع لذّه البهيمه بالعلوفه، و لذّه السّبع بلطع الدّم و أكل اللحم، من سرور الظفر بالأعداء، و من انفتاح باب العلم بعد إدمان قرعه، و بعد، فإذا مدّت الحلبات لجرى الجياد، و نصبت الأهداف لتعرف فضل الرّماه فى الإبعاد و السّداد، فرهان العقول التى تستبق، و نضالها الذى تمتحن قواها فى تعاطيه، هو الفكر و الرويّه و القياس و الاستنباط».

و لن يبعد المدى فى ذلك، و لا يدقّ المرمى إلا بما تقدم من تقرير الشّبه بين الأشياء المختلفه، فإنّ الأشياء المشترکه فى الجنس، المتفقه فى النوع، تستغنى بثبوت الشّبه بينها، و قيام الاتفاق فيها، عن تعمّل و تأمل فى إيجاب ذلک لها و تثبته فيها، و إنما الصّنعه تستدعى وجود القريحه و الحذق، و النظر يلطف و يدقّ، فى أن تجمع أعناق المتنافرات و المتباينات فى ربقه، و تعقد بين الأجنبيّات معاقد نسب و شبکه. و ما شرفت صنعه، و لا ذکر بالفضيله عمل، إلا لأنهما يحتاجان من دقّه الفکر و لطف النظر و نفاذ الخاطر، إلى ما لا يحتاج إليه غيرهما، و يحتکمان على من زاولهما و الطالب لهما من هذا المعنى، ما لا يحتکم ما عداهما، و لا يقتضيان ذلک إلّا من جهه إيجاد الائتلاف فى المختلفات.

و ذلک بين لک فيما تراه من الصناعات و سائر الأعمال التى تنسب إلى الدقه، فإنک تجد الصوره المعموله فيها، کلما کانت أجزاؤها أشدّ اختلافا فى الشکل و الهيئه، ثم کان التلاؤم بينها مع ذلک أتمّ، و الائتلاف أبين، کان شأنها أعجب، و الحذق لمصوّرها أوجب.

و إذا کان هذا ثابتا موجودا، و معلوما معهودا، من حال الصور المصنوعه و الأشکال المؤلّفه، فاعلم أنها

القضيّه فى «التمثيل» و اعمل عليها، و اعتقد صحّه ما ذكرت لك من أنّ أخذ الشبه للشى ء مما يخالفه فى الجنس و ينفصل عنه من حيث ظاهر الحال، حتى يكون هذا شخصا يملأـ المكان، و ذاك معنى لا يتعدّى الأفهام و الأذهان و حتى إن هذا إنسان يعقل، و ذاك جماد أو موات لا يتّصف بأنه يعلم أو يجهل و هذا نور شمس يبدو فى السماء و يطلع، و ذاك معنى كلام يوعى و يسمع و هذا

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۱۱۴

روح يحيا به الجسد، و ذاك فضل و مكرمه تؤثر و تحمد، كما قال «۱»: [من البسيط]

إنّ المكارم أرواح يكون لها آل المهلّب دون النّاس أجسادا

و هذا مقال متعصّب منكر للفضل حسود، و ذاك نار تلتهب فى عود، و هذا مخلاف، و ذاك ورق خلاف، كما قال ابن الرّوميّ «۲»: [من الخفيف]

بذل الوعد للأخلّاء سمحا و أبى بعد ذاك بذل العطاء

فغدا كالخلاف يورق للعى ن، و يأبى الإثمار كلّ الإباء

و هذا رجل يروم العدوّ تصغيره و الإزراء

به، فيأبى فضله إلّا ظهورا، و قدره إلا سمّوا، و ذاك شهاب من نار تصوّب و هى تعلو، و تخفض و هى ترتفع، كما قال أيضا «٣»: [من الخفيف]

ثم حاولت بالمثيقيل تصغى رى فما زدتنى سوى التّعظيم

كالذى طأطأ الشّهاب ليخفى و هو أدنى له إلى التّضريم

و أخذ هذا المعنى من كلام فى حكم الهند، و هو: «إن الرجل ذا المروءه و الفضل ليكون خامل المنزله غامض الأمر، فما تبرح به مروءته و عقله حتى يستبين و يعرف، كالشعله من النار التى يصوّبها صاحبها و تأبى إلّا ارتفاعا».

هذا هو الموجب للفضيله، و الداعى إلى الاستحسان، و الشفيع الذى أحظى «التمثيل» عند السامعين، و استدعى له الشغف و الولوع من قلوب العقلاء الراجحين، و لم تأتلف هذه الأجناس المختلفه للممثّل، و لم تتصادف هذه الأشياء المتعاديه على حكم المشبّه، إلا لأنه لم يراع ما يحضر العين، و لكن ما يستحضر العقل، و لم يعن بما تنال الرؤيه، بل بما تعلّق الرويّه، و لم ينظر إلى الأشياء من حيث توعى فتحويها الأمكنه بل من حيث تعيها القلوب الفطنه.

ثم على حسب دقّه المسلك إلى ما استخرج من الشّبه، و لطف المذهب و بعد التّصعّد إلى ما حصل من الوفاق، استحقّ مدرك ذلك المدح، و استوجب التقديم، و اقتضاك العقل أن تنوّه بذكره، و تقضى بالحسنى فى نتائج فكره. نعم، و على

حسب

---

(۱) البيت من ثلاثه أبيات فى شرح الحماسه ۴/ ۱۴۷، و أمالى القالى، و هو ينسب لعمر بن لجأ فى يزيد بن المهلب.

(۲) راجع هامش رقم (۴) ص ۹۰.

(۳) البيتان فى معجم الشعراء ص ۴۴۸. مثيقل: تصغير مثقال.

المراتب فى ذلك أعطيته فى بعض منزله الحاذق الصّنع، و الملهم المؤيّد، و الألمعى المحدّث، الذى سبق إلى اختراع نوع من الصنعه حتى يصير إماما، و يكون من بعده تبعا له و عيالا عليه و حتى تعرف تلك الصّنعه بالنسبه إليه، فيقال: «صنعه فلان»، و «عمل فلان» و وضعته فى بعض موضع المتعلّم الذكىّ، و المقتدى المصيب فى اقتدائه، الذى يحسن التشبّه بمن أخذ عنه، و يجيد حكايه العمل الذى استفاد، و يجتهد أن يزداد.

و اعلم أنى لست أقول لك إنك متى ألّفت الشى ء ببعيد عنه فى الجنس على الجمله فقد أصبت و أحسنت، و لكن أقوله بعد تقييد و بعد شرط، و هو أن تصيب بين المختلفين فى الجنس و فى ظاهر الأمر شبها صحيحا معقولا، و تجد للملاءمه و التأليف السوىّ بينهما مذهبا و إليهما سبيلا- و حتى يكون ائتلافهما الذى يوجب تشبيهك، من حيث العقل و الحدس، فى وضوح اختلافهما من حيث العين و الحسّ، فأمّا أن تستكره الوصف و تروم أن تصوّره حيث لا يتصوّر، فلا لأنك تكون فى ذلك بمنزله الصّانع الأخرق، يضع فى تأليفه و صوغه الشكل بين شكلين لا يلائمانه و لا يقبلانه، حتى تخرج الصوره مضطربه،

و تجی ء فیها نتوّ، و یکون للعین عنها من تفاوتها نبوّ. و إنما قیل: «شبّهت، و لا تعنی فی کونک مشبّها أن تذکر حرف التشبیه أو تستعیر، إنما تکون مشبّها بالحقیقه بأن تری الشّبه و تبیّنه، و لا یمکنک بیان ما لا یکون، و تمثیل ما لا تتمثّله الأوهام و الظنون.

و لم أرد بقولی إنّ الحذق فی إیجاد الائتلاف بین المختلفات فی الأجناس، أنک تقدر أن تحدث هناک مشابهه لیس لها أصل فی العقل، و إنما المعنی أنّ هناک مشابهات خفیّه یدقّ المسلک إلیها، فإذا تغلغل فکرک فأدرکها فقد استحققت الفضل. و لذلک یشبّه المدقّق فی المعانی بالغائص علی الدرّ، و وزان ذلک أن القطع التی یجی ء من مجموعها صوره الشّنف و الخاتم أو غیرهما من الصور المرکّبه من أجزاء مختلفه الشکل، لو لم یکن بینها تناسب، أمکن ذلک التناسب أن یلائم بینها الملائمه المخصوصه، و یوصل الوصل الخاصّ، لم یکن لیحصل لک من تألیفها الصوره المقصوده. أ لا تری أنّک لو جئت بأجزاء مخالفه لها فی الشکل، ثم أردتها علی أن تصیر إلی الصوره التی کانت من تلک الأولی، طلبت ما یستحیل؟ فإنما استحققت الأجره علی الغوص و إخراج الدّر، لا أن الدرّ کان بک، و اکتسی شرفه من جهتک، و لکن لمّا کان الوصول إلیه صعبا و طلبه عسیرا، ثم رزقت ذلک، وجب أن یجزل لک، و یکبر صنیعک.

أسرار البلاغه فی علم البیان، ص: ۱۱۶

أ لا تری أن التشبیه الصریح إذا وقع بین شیئین متباعدین فی الجنس، ثم

لطف و حسن، لم يكن ذلك اللّطف و ذلك الحسن إلا لاتفاق كان ثابتا بين المشبّه و المشبّه به من الجهه التى بها شبّهت، إلّا أنه كان خفيا لا ينجلى إلا بعد التأنّق فى استحضار الصور و تذكّرها، و عرض بعضها على بعض، و التقاط النّكته المقصوده منها، و تجريدها من سائر ما يتّصل بها، نحو أن تشبّه الشى ء بالشى ء فى هيئه الحركه، فتطلب الوفاق بين الهيئه و الهيئه مجرّده من الجسم و سائر ما فيه من اللون و غيره من الأوصاف؟ كما فعل ابن المعتز فى تشبيه البرق حيث قال «۱»: [من المديد]

و كأنّ البرق مصحف قار فانطباقا مرّه و انفتاحا

لم ينظر من جميع أوصاف البرق و معانيه إلا إلى الهيئه التى تجدها العين له من انبساط يعقبه انقباض، و انتشار يتلوه انضمام، ثم فلى نفسه عن هيئات الحركات لينظر أيّها أشبه بها، فأصاب ذلك فيما يفعله القارئ من الحركه الخاصّه فى المصحف، إذا جعل يفتحه مره و يطبقه أخرى. و لم يكن إعجاب هذا التشبيه لك و إيناسه إياك لأن الشيئين مختلفان فى الجنس أشدّ الاختلاف فقط، بل لأنّ حصل بإزاء الاختلاف اتفاق كأحسن ما يكون و أتمّه، فبمجموع الأمرين شدّه ائتلاف فى شدّه اختلاف حلا و حسن، وراق و فتن.

و يدخل فى هذا الوضع الحكايه المعروفه فى حديث عدىّ بن الرّقاع، قال جرير: «أنشدنى عدىّ «۲»: [من الكامل] عرف الديار توهّما فاعتادها

---

(۱) البيت لابن المعتز فى ديوانه ص ۱۴۱ (طبعه دار صادر)، من قصيده مطلعها:

عرف الدار، فحيّا و ناحا بعد ما كان صحا و استراحا

و هو فى الإيضاح ص ٢١٥ تحقيق د. هنداوى.

(٢) تمام البيت:

من بعد ما شمل البلى أبلادها و البيت من قصيده فى مدح الوليد بن عبد الملك و منها:

و لقد أراد اللّه إذ ولاكها من أمه إصلاحها و رشادها

«عومنها» تأتيه أسلاب الأعزه عنوه قسرا و يجمع للحرب عتادها

و البيت فى الإيضاح: تحقيق الدكتور هنداوى، مؤسسه المختار، و الأبلاد: قطع الأرض عامره أو غامره أو الآثار فى قول بعضهم.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ١١٧

فلمّا بلغ إلى قوله:

تزجى أغنّ كأنّ إبره روقه رحمته، و قلت: قد وقع! ما عساه يقول و هو أعرابىّ جلف جاف؟ فلما قال:

قلم أصاب من الدّواه مدادها استحالت الرّحمه حسدا» فهل كانت الرحمه فى الأولى، و الحسد فى الثانيه، إلا أنه رآه حين افتتح التشبيه قد ذكر ما لا يحضر له فى أوّل الفكر و بديهه الخاطر، و فى القريب من محلّ الظنّ شبه، و حين أتمّ التشبيه و أدّاه صادفه قد ظفر بأقرب صفه من أبعد موصوف، و عثر على خبى ء

مكانه غير معروف؟.

و على ذلك استحسنوا قول الخليل فى انقباض كفّ البخيل «۱»: [من المتقارب]

كفاك لم تخلقا للنّدى و لم يك بخلهما بدعه

فكفّ عن الخير مقبوضه كما نقصت مائه سبعه

و كفّ ثلاثه آلافها و تسع مئيها لها شرعه

و ذلك أنه أراك شكلا واحدا فى اليدين، مع اختلاف العددين، و مع اختلاف المرتبتين فى العدد أيضا، لأن أحدهما من مرتبه العشرات و الآحاد، و الآخر من مرتبه المئين و الألوف، فلما حصل الاتفاق كأشدّ ما يكون فى شكل اليد مع الاختلاف، كأبلغ ما يوجد فى المقدار و المرتبه من العدد، كان التشبيه بديعا. قال المرزبانى:

«و هذا ما أبدع فيه الخليل، لأنه وصف انقباض اليدين بحالين من الحساب مختلفين فى العدد، متشاكلين فى الصوره»، و قوله هذا إجمال ما فصّلته.

و مما ينظر إلى هذا الفصل و يداخله و يرجع إليه حين تحصيله، الجنس الذى يراد فيه كون الشى ء من الأفعال سببا لضدّه، كقولنا: «أحسن من حيث قصد الإساءه» و «نفع من حيث أراد الضّرّ»، إذ لم يقنع المتشاغل بالعباره الظاهره و الطريقه المعروفه، و صوّر فى نفس الإساءه الإحسان، و فى البخل الجود، و فى المنع العطاء، و فى موجب الذمّ موجب الحمد،

و فى الحاله التى حقّها أن تعدّ على الرجل حكم ما يعتدّ له، و الفعل الذى هو بصفه ما يعاب و ينكر، صفه ما يقبل المنّه و يشكر، فيدلّ ذلک بما يکون فيه من الوفاق الحسن مع الخلاف البيّن، على حذق شاعره، و على

---

(۱) الأبيات للخليل بن أحمد فى عيون الأخبار ۲/ ۳۵، رواها عنه الأخفش.

جوده طبعه و حدّه خاطره، و علوّ مصعده و بعد غوصه، إذا لم يفسده بسوء العباره، و لم يخطئه التوفيق فى تلخيص الدلاله، و كشف تمام الكشف عن سرر المعنى و سرّه بحسن البيان و سحره.

مثال ما كان من الشعر بهذه الصّفه قول أبى العتاهيه «۱»: [من الكامل]

جزى البخيل علىّ صالحه عنّى، بخفّته على ظهرى

أعلى و أكرم عن يديه يدى فعلت، و نزّه قدره قدرى

و رزقت من جدواه عافيه أن لا يضيق بشكره صدرى

و غنيت خلوا من تفضّله

أحنو عليه بأحسن العذر

ما فاتنى خير امرئ وضعت عنّى يداه مئونه الشّكر

و من اللطيف مما يشبه هذا قول الآخر «۲»: [من المنسرح]

أعتقنى سوء ما صنعت من ال رقّ، فيا بردها على كبدى

فصرت عبدا للسّوء فيك، و ما أحسن سوء قبلى إلى أحد

فصل هذا فن آخر من القول يجمع التشبيه و التمثيل جميعا

فصل هذا فن آخر من القول يجمع التشبيه و التمثيل جميعا

اعلم أن معرفه الشى ء من طريق الجمله، غير معرفته من طريق التفصيل. فنحن و إن كنّا لا يشكل علينا الفرق بين التشبيه الغريب و غير الغريب إذا سمعنا بهما، فإنّ لوضع القوانين و بيان التّقسيم فى كل شى ء، و تهيئه العباره فى الفروق، فائده لا ينكرها المميز، و لا يخفى أن ذلك أتمّ للغرض و أشفى للنفس.

و المعنى الجامع فى سبب الغرابه أن يكون الشّبه المقصود من الشى ء مما لا يتسرّع إليه الخاطر، و لا يقع فى الوهم عند بديهه النظر إلى نظيره الذى يشبّه به، بل بعد تثبت و تذكر و فلى للنفس عن الصور التى تعرفها، و تحريك للوهم فى استعراض ذلك و استحضار ما غاب منه.

---

(۱) الأبيات فى ديوانه طبعه بيروت، و دلائل الإعجاز ص ۵۱۰، تحقيق د. محمود

شاكر.

(۲) البيتان فى الحماسه الشجريه: ص ۲۹۱، و شرح نهج البلاغه ۱۹/ ۳۳۷، و ابن عساكر ۲/ ۹۷، و دلائل الإعجاز ص ۵۱۰، تحقيق د. محمود شاكر.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۱۱۹

بيان ذلک: أنک كما ترى الشمس و يجرى فى خاطرک استدارتها و نورها، تقع فى قلبک المرآه المجلوّه، و يتراءى لک الشّبه منها فيها.

و كذلک إذا نظرت إلى الوشى منشورا و تطلّبت لحسنه و نقشه و اختلاف الأصباغ فيه شبها، حضرک ذكر الرّوض ممطورا مفتّرا عن أزهاره، متبسّما عن أنواره.

و كذلک إذا نظرت إلى السيف الصّقيل عند سلّه و بريق متنه، لم يتباعد عنک أن تذكر انعقاق البرق، و إن كان هذا أقلّ ظهورا من الأوّل، و على هذا القياس.

و لكنّک تعلم أن خاطرک لا يسرع إلى تشبيه الشّمس بالمرآه فى كفّ الأشلّ، كقوله «۱»: [من الرجز] و الشّمس كالمرآه فى كفّ الأشل هذا الإسراع و لا قريبا منه.

و لا إلى تشبيه البرق بإصبع السّارق، كقول كشاجم «۲»: [من الرجز]

أرقت أم نمت لضوء بارق مؤتلقا مثل الفؤاد الخافق

كأنّه إصبع كف السّارق و كقول ابن بابک «۳»: [من الطويل]

و نضنض فى حضنى سمائک بارق له جذوه من زبرج اللّاذ لامعه

تعوّج فى أعلى السحاب كأنّها بنان يد من كلّه اللّاذ ضارعه

و لا ـ إلى تشبيه البرق فى انبساطه و انقباضه و التماعه و ائتلافه، بانفتاح المصحف و انطباقه، فيما مضى من قول ابن المعتز «۴»: [من المديد]

و كأنّ البرق مصحف قار فانطباقا مرّه و انفتاحا

و لا إلى تشبيه سطور الكتاب بأغصان الشوك فى قوله «۵»: [من الوافر]

بشكل يأخذ الحرف المحلّى كأن سطوره أغصان شوك

---

(۱) البيت لجبار بن جزء بن ضرار، ابن أخى الشماخ، و الأشل: هو مقدار من الذراع معلوم بالبصره، يقولون كذا و كذا حبلا، و كذا و كذا أشلاء لمقدار معلوم عندهم، قال الأزهرى: و ما أراه عربيا.

[تاج العروس].

(۲) البيت فى ديوانه، و فى نسخه الدكتور محمود شاكر «الفؤاد الخافق» بدلا من «الفؤاد العاشق».

(۳) نضنض أى: تحرك، و نضنض الطائر: حرّك جناحيه ليطير و نضنض لسانه: حركه، الضاد فيه أصل و ليست بدلا من صاد كما زعم قوم، الزبرج: الوشى الخفيف، اللاذ: الحرير.

(۴) راجع هامش (۱) ص ۱۱۶.

(۵) البيت فى ديوان ابن المعتز، و قبله يصف دفترا:

دونكه موشّى نمنمته و

حاكته الأنامل أى حوك

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ١٢٠

و لا إلى تشبيه الشّقيق بأعلام ياقوت على رماح زبرجد، كقول الصّنوبرىّ «١»:

[من الكامل]

و كأنّ محمرّ الشقى ق إذا تصوّب أو تصعّد

أعلام ياقوت نشر ن على رماح من زبرجد

و لا- إلى تشبيه النجوم طالعات فى السماء مفترقات مؤتلفات فى أديمها، و قد مازجت زرقه لونها بياض نورها، بدرّ منثور على بساط أزرق، كقول أبى طالب الرّقّى «٢»: [من الكامل]

و كأنّ أجرام النّجوم لوامعا درر نثرن على بساط أزرق

و لا ما جرى فى هذا السبيل، و كان من هذا القبيل. بل تعلم أن الذى سبقك إلى أشباه هذه التشبيهات لم يسبق إلى مدى قريب، بل أحرز غايه لا ينالها غير الجواد، و قرطس فى هدف لا يصاب إلّا بعد الاحتفال و الاجتهاد.

و اعلم أنك إن أردت أن تبحث بحثا ثانيا حتى تعلم لم وجب أن يكون بعض الشّبه على الذكر أبدا، و بعضه كالغائب عنه، و بعضه كالبعيد عن الحضره لا ينال إلا بعد قطع مسافه إليه، و فضل تعطّف

بالفكر عليه فإنّ هاهنا ضربين من العبره يجب أن تضبطهما أوّلا، ثم ترجع فى أمر التشبيه، فإنّک حينئذ تعلم السّبب فى سرعه بعضه إلى الفكر، و إباء بعض أن يكون له ذلك الإسراع.

فإحدى العبرتين: أنّا نعلم أن الجمله أبدا أسبق إلى النفوس من التفصيل، و أنت تجد الرؤيه نفسها لا تصل بالبديهه إلى التفصيل، لكنك ترى بالنّظر الأوّل الوصف على الجمله، ثم ترى التفصيل عند إعاده النظر، و لذلك قالوا: «النظره الأولى حمقاء»، و قالوا: «لم ينعم النّظر و لم يستقص التأمّل». و هكذا الحكم فى السمع و غيره من الحواس، فإنک تتبيّن من تفاصيل الصّوت بأن يعاد عليك حتى تسمعه مرّه

---

(۱) البيتان للصنوبرى، و هما فى مفتاح العلوم ص ۴۶۱، تحقيق د. هنداوى، و أورده بدر الدين بن مالك فى المصباح ص ۱۱۶، و الطيبى فى شرحه على المشكاه ۱/ ۱۱۰ تحقيق د. هنداوى، و العلوى فى الطراز ۱/ ۲۷۵.

(۲) البيت لأبى طالب الرّقّى، و هو فى الإيضاح تحقيق د. هنداوى ص ۲۱۴، ۲۲۸، ۲۳۶، و مفتاح العلوم ص ۴۴۴ تحقيق د. هنداوى، و أورده الطيبى فى التبيان ص ۲۸۱، و فيه «نشرن» بدلا من «نثرن»، و الطيبى فى شرحه على مشكاه المصابيح ۱/ ۱۰۷، و لعلوى فى الطراز، و قبله:

و لقد ذكرتک فى الظلام كأنه يوم النوى و فؤاد من لم يعشق

ثانيه، ما لم تتبيّنه بالسماع الأول، و تدرك من تفصيل طعم المذوق بأن تعيده إلى اللّسان ما لم تعرفه فى الذّوقه الأولى، و بإدراك التّفصيل يقع التفاضل بين راء وراء، و سامع و سامع، و هكذا، فأمّا الجمل فتستوى فيها الأقدام. ثمّ تعلم أنّك فى إدراك تفصيل ما تراه و تسمعه أو تذوقه، كمن ينتقى الشى ء من بين جمله، و كمن يميّز الشى ء مما قد اختلط به، فإنك حين لا يهمّك التفصيل، كمن يأخذ الشى ء جزافا و جرفا.

و إذا كانت هذه العبره ثابته فى المشاهده و ما يجرى مجراها مما تناله الحاسّه، فالأمر فى القلب كذلك: تجد الجمل أبدا هى التى تسبق إلى الأوهام و تقع فى الخاطر أوّلا، و تجد التفاصيل مغموره فيما بينها، و تراها لا تحضر إلا بعد إعمال للرؤيه و استعانه بالتذكّر.

و يتفاوت الحال فى الحاجه إلى الفكر بحسب مكان الوصف و مرتبته من حدّ الجمله و حدّ التفصيل، و كلّما كان أوغل فى التفصيل، كانت الحاجه إلى التوقّف و التذكّر أكثر، و الفقر إلى التأمّل و التمهّل أشدّ.

و إذ قد عرفت هذه العبره، فالاشتراك فى الصفه إذا كان من جهه الجمله على الإطلاق، بحيث لا يشوبه شى ء من التفصيل نحو أن كلا الشيئين أسود أو أحمر فهو يقلّ عن أن تحتاج فيه إلى قياس و تشبيه. فإن دخل فى التفصيل شيئا نحو: أن هذا السواد صاف برّاق، و الحمره رقيقه ناصعه احتجت بقدر ذلك إلى إداره الفكر. و ذلك مثل تشبيه حمره الخدّ بحمره التفّاح و الورد، فإن زاد تفصيله بخصوص تدقّ العباره عنه، و يتعرّف بفضل تأمّل، ازداد الأمر قوّه فى اقتضاء الفكر، و ذلك نحو تشبيه

سقط النار بعين الديک فی قوله: [من الطويل] و سقط کعين الدّيک عاورت صحبتی «۱» و ذلک أنّ ما فی لون عينه من تفصيل و خصوص، يزيد علی کون الحمره رقيقه

---

(۱) البيت لذی الرمه فی ديوانه ص ۸۵ من قصيده مطلعها:

لقد جشأت نفس عشيه مشرف و يوم لوی حزوی فقلت لها صبرا

و هو فی الإيضاح ص ۲۱۳ تحقيق د. عبد الحميد هنداوی. و السّقط: ما سقط بين الزندين قبل استحکام الوری، و قد شبه النار بعين الديک، عاورت صاحبی: تداولت، فأنا أقدح مره، و هو يقدح مره. ثم يقول بعده:

مشهّره لا يمکن الفحل أمّها إذا نحن لم نمسک بأطرافها قسرا

أسرار البلاغه فی علم البيان، ص: ۱۲۲

ناصعه و السواد صافيًا برّاقا. و علی هذا تجد هذا الحدّ من المرتبه التی لا يستوی فيها البليد و الذکیّ، و المهمل نفسه و المتيقّظ المستعدّ للفکر و التصوّر، فقوله «۱»:

[من الطويل]

کأنّ علی أنيابها کلّ سحره صياح البوازی من صريف اللّوائک

أرفع طبقه من قوله «۲»: [من الطويل]

کأن

صليل المرو حين تشذّه صليل زيوف ينتقدن بعبقرا

لأن التفصيل و الخصوص فى صوت البازى، أبين و أظهر منه فى صليل الزيوف.

و كما أن قوله يصف الفرس «٣»: [من البسيط]

و للفؤاد وجيب تحت أبهره لدم الغلام وراء الغيب بالحجر

لا يسوّى بتشبيه وقع الحوافر بهزمه الرعد، و تشبيه الصّوت الذى يكون لغليان القدر بنحو ذلك، كقوله «۴»: [من الطويل]

لها لغط جنح الظّلام كأنّه عجارف غيث رائح متهزّم

لأنّ هناك من التفصيل الحسن ما تراه، و ليس فى كون الصوت من جنس اللّغط تفصيل يعتدّ به، و إنما هو كالزياده و الشدّه فى الوصف.

و مثال ذلك مثال أن يكون جسم أعظم من جسم فى أنه لا- يتجاوز مرتبه الجمل كبير تجاوز، فإذا رأى الرجل شخصا قد زاد على المعتاد فى العظم

---

(١) راجع ص ٧٠ هامش رقم (٢).

(٢) البيت لامرئ القيس، و هو فى ديوانه ص ۶٣ من قصيده قالها فى توجهه إلى قيصر ملك الروم مستجدا به على رد ملكه إليه و الانتقام من بنى أسد، و مطلعها:

سما بك شوق بعد ما كان أقصرا و حلّت سليمى بطن قوم فعرعرا

كنا فيه باتت و فى الصدر ودها مجاوره غسان و الحى يعمرا

و صليل المرو: صوت الحجاره. تشذّه: تنحيه. الزيوف: الدراهم الزائفه التى لا فضه فيها. عبقر:

واد زعموا أنه كثير الجن، و إليه تنسب نفائس الأشياء و بدائع الفكر، فيقال: هذا بساط عبقرى، و هذا رأى عبقرى، و هذا رجل عبقرى، و ذلك لكل حسن مستجاد.

(٣) البيت لتميم بن أبى مقبل فى ديوانه. و الأبهر: عرق مستبطن فى الصلب و القلب متصل به، فإذا انقطع لم تكن معه حياه.

(۴) البيت لعمرو بن أحمر الباهلى فى ديوانه، و هو فى شرح الحماسه يصف القدور. عجارف: شده المطر و الغيث، المنهزم: المتصوت يقال: تهزمت القوس و تهزم الرعد أى صوتا.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۱۲۳

و الضخامه، لم يحتجّ فى تشبيهه بالفيل أو الجبل أو الجمل أو نحو ذلك إلى شى ء من الفكر، بل يحضره ذلك حضور ما يعرف بالبديهه.

و المقابلات التى تريك الفرق بين الجمله و التفصيل كثيره، و من اللّطيف فى ذلك أن تنظر إلى قوله «۱»: [من المتقارب]

يتابع لا يبتغى غيره بأبيض كالقبس الملتهب

ثم تقابل به قوله «۲»: [من الطويل]

جمعت رديتيّا كأنّ سنانه

سنا لهب لم يتّصل بدخان

فإنك ترى بينهما من التفاوت فى الفضل ما تراه، مع أن المشبّه به فى الموضـعين شى ء واحد و هو شعله النار، و ما ذاك إلا من جهه أن الثانى قصد إلى تفصيل لطيف، و مرّ الأوّل على حكم الجمل.

و معلوم أن هـذا التفصـيل لا يقع فى الوهم فى أول وهله، بل لا بـدّ فيه من أن تتثبّت و تتوقّف و تروّى و تنظر فى حال كل واحد من الفرع و الأصل، حتى يقوم حينئذ فى نفسك أن فى الأصل شيئا يقدح فى حقيقه الشبه، و هو الدّخان الذى يعلو رأس الشعله، و أنه ليس فى رأس السـنان ما يشبه ذلك، و أنه إذا كان كذلك، كان التحقيق و ما يؤدّى الشى ء كما هو، أن تستثنى الدّخان و تنفى اتصاله باللهب، و تقصـر التّشبيه على مجرّد السّنا، و تصوّر السنان فيه مقطوعا عن الدخان. و لو فرضت أن يقع هذا كلّه على حدّ البـديهه من غير أن يخطر ببالك ما ذكرت لك، قـدّرت محالا لا يتصوّر، كما أنك لو قـدّرت أن يكون تشبيه الثّريا بعنقود ملّاحيه حين نوّر، بمنزله تشبيهها بالنور على الإطلاق، أو تفتّح نور فقط، كما قال «٣»: [من الطويل]

كأنّ الثّريا فى أواخر ليلها تفتّح نور ....

---

(١) البيت لعنتره بن شداد العبسى فى ديوانه ص ١٧، و هو أحد أربعه أبيات قالها فى قتل ورد بن حابس نضله الأسدى. و هو فى الإيضاح ص ٢٣٥ تحقيق د. هنداوى.

تتابع: توالی، و یروی: «تدارک لا یتقی نفسه» و بهذه الروایه ورد فی شعر النصرانیه. الأبیض: السیف. القبس: الشعله تقتبس من معظم النار: یصف سیفه فی إیماضه و بریقه.

(۲) البیت لامرئ القیس فی دیوانه ص ۱۷۰ یصف رمحه. الردینی: الرمح المقوم، منسوب إلی ردینه، قبیله من العرب کانت معروفه بتقویم الرماح.

(۳) البیت لابن المعتز فی دیوانه، و هو غیر کامل و تمامه:

أو لجام مفضّض

حتی تری حاجتهما إلی التأمّل علی مقدار واحد، و حتی لا یحوج أحدهما من الرجوع إلی النفس و بحثها عن الصور التی تعرفها، إلا إلی مثل ما یحوج إلیه الآخر أسرفت فی المجازفه، و نفضت یدا بالصّواب و التحقیق.

و العبره الثانیه: أن ما یقتضی کون الشی ء علی الذّکر و ثبوت صورته فی النفس، أن یکثر دورانه علی العیون، و یدوم تردّده فی مواقع الأبصار، و أن تدرکه الحواسّ فی کل وقت أو فی أغلب الأوقات و بالعکس، و هو أنّ من سبب بعد ذلک الشی ء عن أن یقع ذکره بالخاطر، و تعرض صورته فی النفس، قلّه رؤیته، و أنه مما یحسّ بالفینه بعد الفینه، و فی الفرط بعد الفرط، و علی طریق النّدره، و ذلک أن العیون هی التی تحفظ صور الأشیاء علی النفوس، و تجدّد عهدها بها، و تحرسها من أن تدثر، و تمنعها أن تزول، و لذلک قالوا: «من غاب عن العین فقد غاب عن القلب»، و علی هذا المعنی کانت المدارسه و المناظره فی العلوم و

كرورها على الأسماع، سبب سلامتها من النّسيان، و المانع لها من التفلّت و الذّهاب.

و إذا كان هذا أمرا لا يشكّ فيه، بان منه أنّ كل شبه رجع إلى وصف أو صوره أو هيئه من شأنها أن ترى و تبصر أبدا، فالتشبيه المعقود عليه نازل مبتذل، و ما كان بالضدّ من هذا و فى الغايه القصوى من مخالفته، فالتشبيه المردود إليه غريب نادر بديع، ثم تتفاضل التشبيهات التى تجى ء واسطه لهذين الطّرفين، بحسن حالها منهما، فما كان منها إلى الطّرف الأول أقرب، فهو أدنى و أنزل، و ما كان إلى الطّرف الثانى أذهب، فهو أعلى و أفضل، و بوصف الغريب أجدر.

و اعلم أن قولنا: «التفصيل» عباره جامعه، و محصولها على الجمله أنّ معك و صفين أو أوصافا، فأنت تنظر فيها واحدا واحدا، و تفصل بالتأمّل بعضها من بعض و أنّ بك فى الجمله حاجه إلى أن تنظر فى أكثر من شى ء واحد، و أن تنظر فى الشى ء الواحد إلى أكثر من جهه واحده. ثم إنه يقع فى أوجه:

أحدها: و هو الأولى و الأحقّ بهذه العباره: أن تفصّل، بأن تأخذ بعضا و تدع بعضا، كما فعل فى اللّهب حين عزل الدخان عن السّنا و جرّده، و كما فعل الآخر حين فصل الحدق عن الجفون، و أثبتها مفرده فيما شبّه، و ذلك قوله: [من الطويل] لها حدق لم تتّصل بجفون «١»

---

(١) البيت لابن المعتز فى ديوانه ص ۴۴٠، و صدره:

فجاءت بها فى كأسها ذهبيّه

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ١٢۵

و يقع فى

هذا الوجه من التفصيل لطائف، فمنها قول ابن المعتزّ «۱»: [من الرجز]

بطارح النظره فى كل أفق ذى منسر أقنى إذا شكّ خرق

و مقله تصدقه إذا رمق كأنّها نرجسه بلا ورق

و قوله «۲»: [من المنسرح]

تكتب فيه أيدى المزاج لنا ميمات سطر بغير تعريق

و الثانى: أن تفصّيل، بأن تنظر من المشبّه فى أمور لتعتبرها محلها، و تطلبها فيما تشبّه به، و ذلك كاعتبارك، فى تشبيه الثريا بالعنقود، الأنجم أنفسها، و الشكل منها و اللون، و كونها مجتمعه على مقدار فى القرب و البعد. فقد نظرت فى هذه الأمور واحدا واحدا، و جعلتها بتأمّلك فصلا فصلا، ثم جمعتها فى تشبيهك، و طلبت للهيئه الحاصله من عدّه أشخاص الأنجم، و الأوصاف التى ذكرت لك من الشك و اللون و التقارب على وجه مخصوص هيئه أخرى شبيهه بها، فأصبتها فى العنقود المنور من الملّاحيه و لم يقع لك وجه التشبيه بينهما إلا بأن فصّيلت أيضا أجزاء العنقود بالنظر، و علمت أنها خصل بيض، و أن فيها شكل استداره النجم، ثم الشكل إلى الصغر ما هو، كما أن شكل أنجم الثريّا كذلك و أنّ هذه الخصل لا هى مجتمعه اجتماع النظام و التلاصق، و لا هى شديده الافتراق، بل لها

مقادير فى التقارب و التباعد فى نسبه قريبه مما تجده فى رأى العين بين تلك الأنجم.

يدلّك على أن التشبيه موضوع على مجموع هذه الأوصاف، أنّا لو فرضنا فى تلك الكواكب أن تفترق و تتباعد تباعدا أكثر مما هى عليه الآن، أو قدّر فى العنقود أن ينتثر، لم يكن التشبيه بحاله و كذلك الحكم فى تشبيه الثريّا باللّجام المفضّض، لأنك راعيت الهيئه الخاصه من وقوع تلك القطع و الأطراف بين اتّصال و انفصال، و على الشكل الذى يوجبه موضوع اللجام، و لو فرضت أن تركّب مثلا على سنن واحد طولا فى سير واحد مثلا و يلصق بعضها ببعض، بطل التشبيه.

---

(١) البيتان فى ديوانه من أرجوزه فى الطرد. و المنسر: منقاره الذى يستنسر به، و منقار البازى، أبو زيد: منسر الطائر: منقاره بكسر الميم لا غير.

(٢) البيت لابن المعتز فى ديوانه، يذكر قدح خمر، و قبله:

لا شى ء يسلى همى سوى قدح تدمى عليه أوداج إبريق

و التعريق: المد الزائد فى الحروف كالميم و غيرها من الحروف.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ١٢۶

و كذا قوله «١»: [من الطويل] ..... تعرّض أثناء الوشاح المفصّل و قد اعتبر فيه هيئه التفصيل فى الوشاح، و الشكل الذى يكون عليه الخرز المنظوم فى الوشاح، فصار اعتبار التفصيل أعجب تفصيل فى التشبيه.

و الوجه الثالث: أن تفصّل بأن تنظر إلى خاصّه فى بعض الجنس، كالتى تجدها

فى صوت البازى و عين الـديک، فأنت تأبى أن تمرّ على جمله أنّ هـذا صوت و ذاک حمره، و لكن تفصّل فتقول فيهما ما ليس فى كل صوت و كل حمره.

و اعلم أن هذه القسمه فى التفصيل موضوعه على الأغلب الأعرف، و إلا فدقائقه لا تكاد تضبط.

و مما يكثر فيه التفصيل و يقوى معناه فيه، ما كان من التشبيه مركّبا من شيئين أو أكثر، و هو ينقسم قسمين:

أحدهما: أن يكون شيئا يقدّره المشبّه و يضعه و لا يكون.

و مثال ذلک تشبيه النرجس بمـداهن درّ حشوهنّ عقيق، و تشبيه الشّـقيق بأعلام ياقوت نشـرت على رماح من زبرجـد، لأنک فى هـذا النحو تحصّل الشـبه بين شـيئين تقـدّر اجتماعهما على وجه مخصوص و بشـرط معلوم، فقـد حصّلته فى النرجس من شـكل المـداهن و العقيق، بشـرط أن تكون الـداهن من الـدرّ، و أن يكون العقيق فى الحشو منها و كـذلک اشترطت هيئه الأعلام، و أن تكون من الياقوت، و أن تكون منشوره على رماح من زبرجـد فبک حاجه فى ذلک إلى مجموع أمور، لو أخللت بواحـد منها لم يحصـل الشّبه. و كـذلک لو خـالفت الوجه المخصوص فى الاجتمـاع و الاتصـال بطـل الغرض، فكمـا بک حاجه إلى أن يكون الشـكل شـكل المـدهن، و أن يكون من الـدّرّ و أن يكون معه العقيق، فبک أيضا فقر إلى أن يكون العقيق فى حشو المداهن، و على هذا القياس.

---

(۱) البيت لامرئ القيس فى معلقته الشهيره و صدره:

إذا مـا الثريـا فى السـماء تعرّضت و هـو فى ديـوانه ص ۱۱۴، و المعنى: كـان تجـاوزى الأـحراس، و تقحمى المعاشـر إليها، وقت تعرض الثريا فى السماء. و قد زعموا أنه لم يرد الثريا و إنما أراد

الجوزاء، لأن الثريا لا تتعرض مع أن لها اعتراضا عند السقوط، فإنها تأخذ وسط السماء كما يأخذ الوشاح وسط المرأه. و أثناء الوشاح:

ثناياه. و المفصل: الذى فصل بين كل خرزتين منه بلؤلؤه.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۱۲۷

و القسم الثانى: أن تعتبر فى التشبيه هيئه تحصل من اقتران شيئين، و ذلك الاقتران مما يوجد و يكون، و مثاله قوله «۱»: [من الوافر]

غدا و الصبح تحت اللّيل باد كطرف أشهب ملقى الجلال

قصد الشبه الحاصل لك إذا نظرت إلى الصبح و الليل جميعا، و تأمّلت حالهما معا، و أراد أن يأتى بنظير للهيئه المشاهده من مقارنه أحدهما الآخر، و لم يرد أن يشبّه الصبح على الانفراد و الليل على الانفراد، كما لم يقصد الأول أن يشبّه الداره البيضاء من النرجس بمدهن الدّر، ثم يستأنف تشبيها للثانيه بالعقيق، بل أراد أن يشبّه الهيئه الحاصله من مجموع الشكلين، من غير أن يكون بين فى البين. ثم إن هذا الاقتران الذى وضع عليه التشبيه مما يوجد و يعهد، إذ ليس وجود الفرس الأشهب قد ألقى الجلّ، من المعوز فيقال إنه مقصور على التقدير و الوهم. فأما الأوّل فلا يتعدّى التوهم و تقدير أن يصنع و يعمل، فليس فى العاده أن تتّخذ صوره أعلاها ياقوت على مقدار العلم، و تحت ذلك الياقوت قطع مطاوله من الزبرجد كهيئه الأرماح و القامات و كذلك لا

يكون هاهنا مداهن تصنع من الدرّ، ثم يوضع فى أجوافها عقيق. و فى تشبيه الشّقيق زياده معنى يباعد الصوره من الوجود، و هو شرطه أن تكون أعلاما منشوره، و النّشر فى الياقوت و هو حجر، لا يتصوّر موجودا.

و ينبغى أن تعلم أن الوجه فى إلقاء الجلّ، أن يريد أنه أداره عن ظهره، و أزاله عن مكانه، حتى تكشّف أكثر جسده، لا أنه رمى به جمله حتى انفصل منه، لأنه إذا أراد ذلك، كان قد قصد إلى تشبيه الصّبح وحده من غير أن يفكّر فى الليل، و لم يشاكل قوله فى أول البيت: «و الصبح تحت الليل باد».

و أمّا قوله «٢»: [من الرجز]

إذا تفرّى البرق فيها خلته بطن شجاع فى كثيب يضطرب

---

(١) البيت لابن المعتز فى ديوانه ص ٣٨١، و هو من قصيده «مأثور المقال» و مطلعها:

أعاذل قد أبحت اللّهو مالى و هان علىّ مأثور المقال

دعينى، هكذا خلقى، دعينى فما لك حيله فيه، و لا لى

الطرف: الفرس الكريم. الأبلق: ما فيه سواد و بياض. و الجلال: جمع جلّ و هو لباس الفرس يلبسه ليصان به. و هو فى الإيضاح: تحقيق د. عبد الحميد هنداوى ص ٢٢٧.

(٢) البيتان لابن المعتز فى ديوانه ص ٤٤، و قبله:

جاءت بجفن أكحل و انصرفت مرهاء من إسبال دمع منسكب

و تفرّى البرق: تلألأ فى السحاب، الشجاع: ضرب من الحيات دقيق لطيف، الأبلق: من الخيل ما فيه سواد و بياض.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ١٢٨

و تاره تبصره كأنّه أبلق مال جلّه حين وثب

فالأشبه فيه أن يكون القصد إلى تشبيه البرق وحده ببياض البرق، دون أن يدخل لون الجلّ فى التشبيه، حتى كأنّه يريد أن يريك بياض البرق فى سواد الغمام، بل ينبغى أن يكون الغرض بذكر الجلّ أن البرق يلمع بغته، و يلوح للعين فجأه، فصار لذلك كبياض الأبلق إذا ظهر عند و ثوبه و ميل جلّه عنه.

و قد قال ابن بابك فى هذا المعنى «١»: [من السريع]

للبرق فيها لهب طائش كما يعرّى الفرس الأبلق

إلّا أن لقول ابن المعتزّ: «حين وثب»، من الفائده ما لا يخفى.

و قد عنى المتقدّمون أيضا بمثل هذا الاحتياط، أ لا تراه قال «٢»: [من الخفيف]

و ترى البرق عارضا مستطيرا

مرح البلق جلن فى الأجلال

فجعلها تمرح و تجول، ليكون قد راعى ما به يتمّ الشّبه، و ما هو معظم الغرض من تشبيهه، و هو هيئه حركته و كيفيه لمعه.

ثم اعلم أن هـذا القسم الثانى الذى يدخل فى الوجود يتفاوت حاله، فمنه ما يتسع وجوده، و منه ما يوجد فى النادر، و يبين ذلك بالمقابله، فأنت إذا قابلت قوله «٣»:

[من الكامل]

و كأن أجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط أزرق

بقول ذى الرّمه «۴»: [من البسـيط] كأنّها فضّه قـد مسّـها ذهب علمت فضل الثانى على الأول فى سـعه الوجود، و تقدّم الأول على الثانى فى

---

(١) الضمير فى «فيها» للسحابه.

(٢) البيت لكثير فى ديوانه. و البلقه: مصدر الأبلق، ارتفاع التحجيل إلى الفخذين. الأجلال: جمع «جلّ» شراع السفينه.

(٣) راجع هامش ٢ ص ١٢٠.

(۴) البيت فى ديوانه ص ١٢، و صدره:

كحلاء فى برج، صـفراء فى نعج و البيت فى الإيضاح: تحقيق د. هنداوى، و فيه «حوراء» بدلا من «كحلاء». و البرج فى العين: أن يكون بياض العين محدقا بالسواد كله. النّعج: البياض الخالص.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ١٢٩

عزّته و قلّته، و كونه نـادر الوجود، فـإنّ الناس يرون أبـدا فى الصـياغات فضّه قـد أجرى فيها ذهب و طليت به، و لا يكاد يتفق أن يوجد درّ قد نثر على بساط أزرق.

و إذ قد عرفت

انقسام المركّب من التشبيه إلى هذين القسمين، فاعتبر موضعهما من العبرتين المذكورتين، فإنك تراهما بحسب نسبتهما منهما، و تحقّقهما بهما، قد أعطتاهما لطف الغرابه، و نفضتا عليهما صبغ الحسن، و كستاهما روعه الإعجاب، فتجد المقدّر الذى لا يباشر الوجود، نحو قوله «۱»:

أعلام ياقوت نشر ن على رماح من زبرجد

و كقوله فى النيلوفر «۲»: [من الخفيف]

كلّنا باسط اليد نحو نيلوفر ندى

كدبابيس عسجد قضبها من زبرجد

قد اجتمع فيه العبرتان جميعا، و تجد العبره الثانيه قد أتت فيه على غايه القوه، لأنه لا مزيد فى بعد الشى ء عن العيون على أن يكون وجوده ممتنعا أصلا حتى لا يتصوّر إلا فى الوهم.

و إذا تركت هذا القسم و نظرت إلى القسم الثانى الذى يدخل فى الوجود نحو قوله:

درر نثرن على بساط أزرق وجدت العبره الثانيه لا تقوى فيه تلك القوه، لأنه إذا كان مما يعلم أنه يوجد و يعهد بحال و إن كان لا يتّسع بل يندر و يقلّ فقد دنا من الوقوع فى الفكر و التعرّض للذكر دنوّا لا يدنوه الأول الذى لا يطمع أن يدخل تحت الرؤيه للزومه العدم، و امتناعه أن يجوز عليه إلّا التوهّم. و لا جرم، لمّا كان الأمر كذلك، كان للضرب الأول من الروعه

و الحسن، لصاحبه من الفضل فى قوه الذّهن، ما لم يكن ذلك فى الثانى، و قوى الحكم بحسب قوه العله، و كثر الوصف الذى هو الغرابه، بحسب الجالب له.

و فى هذا التقرير ما تعلم به الطريق إلى التشبيه من أين تفاوت فى كونه غريبا؟

و لم تفاضل فى مجيئه عجيبا؟ و بأى سبب وجدت عند شى ء منه من الهزّه ما لم

---

(۱) راجع هامش ۱ ص ۱۲۰.

(۲) البيتان للصنوبرى فى ديوانه، و هما فى الإيضاح ص ۲۰۷ تحقيق د. هنداوى.

تجده عند غيره علما يخرجك عن نقيصه التّقليد، و يرفعك عن طبقه المقتصر على الإشاره، دون البيان و الإفصاح بالعباره.

و اعلم أن العبره الثانيه التى هى مرور الشى ء على العيون، هو معنى واحد لا يتكثّر، و لكنه يقوى و يضعف كما مضى. و أما العبره الأولى، و هى التفصيل، فإنها فى حكم الشى ء يتكثر و ينضمّ فيه الشى ء إلى الشى ء. أ لا ترى أن أحد التفصيلين يفضل الآخر بأن تكون قد نظرت فى أحدهما إلى ثلاثه أشياء، أو ثلاث جهات، و فى الآخر إلى شيئين أو جهتين؟ و المثال فى ذلك قول بشّار «۱»: [من الطويل]

كأنّ مثار النّقع فوق رءوسنا و أسيافنا ليل تهاوى كواكبه

مع قول المتنبى «۲»: [من الطويل]

يزور الأعادى فى

سماء عجاجه أسنّته فى جانبيها الكواكب

أو قول كلثوم بن عمرو «۳»: [من الكامل]

تبنى سنابكها من فوق أرؤسهم سقفا كواكبه البيض المباتير

التفصيل فى الأبيات الثلاثه كأنه شى ء واحد، لأن كل واحد منهم يشبّه لمعان السيوف فى الغبار بالكواكب فى الليل، إلّا أنك تجد لبيت بشّار من الفضل، و من كرم الموقع و لطف التأثير فى النفس، ما لا يقلّ مقداره، و لا يمكن إنكاره، و ذلك لأنه راعى ما لم يراعه غيره، و هو أن جعل الكواكب تهاوى، فأتمّ الشّبه، و عبّر عن هيئه السيوف و قد سلّت من الأغماد و هى تعلو و ترسب، و تجى ء و تذهب، و لم يقتصر

---

(۱) البيت فى ديوانه، و الإيضاح ص ۲۱۳، تحقيق د. هنداوى، و المصباح ص ۱۰۶، و الشعر و الشعراء ص ۷۵۹، و دلائل الإعجاز ص ۹۶، تحقيق د. محمود شاكر، و التبيان ص ۱۹۸، و المفتاح ص ۳۳۷، و يروى «رءوسهم» بدلا من «رءوسنا». مثار النقع: الغبار الذى أثاره المتحاربون. تهاوى:

أصلها تتهاوى خفف بحذف إحدى التاءين: تتساقط.

(۲) البيت فى ديوانه ۱/ ۱۱۹، و الإيضاح ص ۲۳۶، تحقيق د. هنداوى، و التبيان للعكبرى ۱/ ۸۰.

العجاجه: الغبار، الأسنه: أطراف الرماح، ضمير جانبيها للسماء أسنته مبتدأ خبره الكواكب.

يقول: إن العجاجه لما ارتفعت فى الهواء حجبت السماء فصارت سماء، و بدت الأسنه لامعه فيها كالكواكب فشبه العجاجه بالسماء، و الأسنه بالكواكب، و هو كثير فى أشعارهم.

(۳) البيت لعمرو بن كلثوم

و يروى لكلثوم بن عمرو العتابى، من ولد عمرو بن كلثوم صاحب المعلقه فى مطبوعه د. محمود شاكر و هو فى الإيضاح ص ٢٣٦ تحقيق د. هنداوى.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ١٣١

على أن يريك لمعانها فى أثناء العجاجه كما فعل الآخران، و كان لهذه الزياده التى زادها حظّ من الدقه تجعلها فى حكم تفصيل بعد تفصيل.

و ذلك أنّا و إن قلنا إن هذه الزياده و هى إفاده هيئه السيوف فى حركاتها إنما أتت فى جمله لا تفصيل فيها، فإنّ حقيقه تلك الهيئه لا تقوم فى النّفس إلا بالنظر إلى أكثر من جهه واحده، و ذلك أن تعلم أنّ لها فى حال احتدام الحرب، و اختلاف الأيدى بها فى الضرب، اضطرابا شديدا، و حركات بسرعه. ثم إن لتلك الحركات جهات مختلفه، و أحوالا تنقسم بين الاعوجاج و الاستقامه و الارتفاع و الانخفاض، و أنّ السيوف باختلاف هذه الأمور تتلاقى و تتداخل، و يقع بعضها فى بعض و يصدم بعضها بعضا، ثم أن أشكال السيوف مستطيله. فقد نظم هذه الدّقائق كلها فى نفسه، ثم أحضرك صورها بلفظه واحده، و نبّه عليها بأحسن التنبيه و أكمله بكلمه، و هى قوله: «تهاوى»، لأن الكواكب إذا تهاوت اختلفت جهات حركاتها، و كان لها فى تهاويها تواقع و تداخل. ثم إنها بالتهاوى تستطيل أشكالها، فأمّا إذا لم تزل عن أماكنها فهى على صوره الاستداره.

و يشبه هذا الموضع فى زياده أحد التشبيهين مع أن جنسهما جنس واحد، و تركيبهما على حقيقه واحده بأنّ فى أحدهما فضل

استقصاء ليس فى الآخر، قول ابن المعتزّ فى الآذريون «١»: [من الطويل]

و طاف بها ساق أديب بمبزل كخنجر عيّار صناعته الفتك

و حمّل آذريونه فوق أذنه ككأس عقيق فى قرارتها مسك

مع قوله «٢»: [من الرجز]

مداهن من ذهب فيها بقايا غاليه

---

(١) البيت الأول فى ديوانه ص ٣٥٣، طبعه دار صادر و قبله:

فقد خفيت من صفوها، فكأنها بقايا يقين كاد يدركه الفتك

و البيت الثانى فى الإيضاح تحقيق د. هنداوى ص ٢٣٧. و الكلام فى الخمر، و المنزل: كمنبر و ما يصفى به الشراب. الآذريون: ورد له أورق حمر فى وسطه سواد.

(٢) البيت فى ديوانه، و قبله:

سقيا الروضات لنا من كل نور حاليه

عيون آذريونها للشمس فيها كاليه

و البيت فى الإيضاح ص ٢٣٧ تحقيق د. هنداوى. و المداهن: جمع

مدهن، بالضم لا غير: و هو آله الدهن، و هو أحد ما شذّ من هذا الضرب على مفعل مما يستعمل من الأدوات.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ١٣٢

الأول ينقص عن الثانى شيئا، و ذلك أن السواد الذى فى باطن الآذريونه الموضوع بإزاء الغاليه و المسک، فيه أمران:

أحدهما: أنه ليس بشامل لها، و الثانى: أن هذا السواد ليس صورته صوره الدّرهم فى قعرها، أعنى أنه لم يستدر هناک، بل ارتفع من قعر الدائره حتى أخذ شيئا من سمكها من كلّ الجهات، و له فى منقطعه هيئه تشبه آثار الغاليه فى جوانب المدهن، إذا كانت بقيّه بقيت عن الأصابع. و قوله: «فى قرارتها مسک» يبيّن الأمر الأوّل، و يؤمن من دخول النقص عليه، كما كان يدخل لو قال: «ككأس عقيق فيها مسک»، و لم يشترط أن يكون فى القراره.

و أمّا الثانى: من الأمرين، فلا يدلّ عليه كما يدلّ قوله: «بقايا غاليه»، و ذلک من شأن المسک و الشى ء اليابس إذا حصل فى شى ء مستدير له قعر، أن يستدير فى القعر و لا يرتفع فى الجوانب الارتفاع الذى تراه فى سواد الأذريونه. و أما الغاليه فهى رطبه، ثم هى تؤخذ بالأصابع، و إذا كان كذلک، فلا بدّ فى البقيّه منها من أن تكون قد ارتفعت عن القراره، و حصلت بصفه شبيهه بذلک السواد، ثم هى لنعومتها ترقّ فتكون كالصبغ الذى لا جرم له يملک المكان، و ذلک أصدق للشّبه.

و من أبلغ الاستقصاء و عجيبه قول ابن المعتز: [من الطويل]

كأنّا و ضوء الصّبح يستعجل الدّجى نطير غرابا ذا قوادم جون «١»

شبّه ظلام الليل حين يظهر فيه الصبح بأشخاص الغربان، ثم شرط أن تكون قوادم ريشها بيضا، لأن تلك الفرق من الظلمه تقع فى حواشيها، من حيث تلا معظم الصبح و عموده لمع نور يتخيّل منها فى العين كشكل قوادم إذا كانت بيضا.

و تمام التدقيق و السّحر فى هذا التشبيه فى شى ء آخر، و هو أن جعل ضوء الصبح، لقوّه ظهوره و دفعه لظلام الليل، كأنه يحفز الدجى و يستعجلها و لا يرضى

---

(١) البيت فى ديوانه ص ۴۴٠ طبعه دار صادر، و قبله:

فجاءت بها فى كأسها ذهبيّه لها حدق لم تتصل بجفون

و البيت فى الإيضاح ص ٢٣۴، تحقيق د. هنداوى. القوادم: قوادم ريش الطائر: ضد خوافيها، الواحده: قادمه و خافيه. ابن سيده: القوادم: أربع ريشات فى مقدم الجناح، و الواحده: قادمه، و هى القدامى، و المناكب اللواتى بعدهن إلى أسفل الجناح و الخوافى ما بعد المناكب، و الأباهر من بعد الخوافى. و الجون: الأبيض. و أيضا الأسود المشرب حمره. فهو من الأضداد.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ١٣٣

منها بأن تتمهّل فى حركتها. ثم لما بدأ بذلك أوّلا اعتبره فى التشبيه آخرا فقال:

«نطير غرابا»، و لم يقل: «غراب يطير»

مثلا، و ذلک أن الغراب و کلّ طائر إذا کان واقعا هادئا فی مکان، فأزعج و أخیف و أطیر منه، أو کان قد حبس فی ید أو قفص فأرسل، کان ذلک لا محاله أسرع لطیرانه و أعجل و أمدّ له و أبعد لأمده، فإنّ تلک الفزعه التی تعرض له من تنفیره، أو الفرحه التی تدرکه و تحدث فیه من خلاصه و انفلاته، ربما دعته إلی أن یستمرّ حتی یغیب عن الأفق و یصیر إلی أن یستمرّ حتی یغیب عن الأفق و یصیر إلی حیث لا تراه العیون، و لیس کذلک إذا طار عن اختیار، لأنه یجوز حینئذ أن یصیر إلی مکان قریب من مکانه الأوّل، و أن لا یسرع فی طیرانه، بل یمضی علی هینته، و یتحرّک حرکه غیر المستعجل، فاعرفه.

و مما حقّه أن یکون علی فرط الاستقصاء فی التشبیه و فضل العنایه بتأکید ما بدئ به، قول أبی نواس فی صفه البازی: [من الرجز]

کأنّ عینیه إذا ما أتأرا فصّان قیضا من عقیق أحمرا

فی هامه غلباء تهدی منسرا کعطفه الجیم بکفّ أعسرا «۱»

أراد أن یشبّه المنقار بالجیم، و الجیم خطّان: الأول: الذی هو مبدأه و هو الأعلی، و الثانی: و هو الذی یذهب إلی الیسار، و إذا لم توصل فلها تعریق ۴ کما لا یخفی، و المنقار إنّما یشبه الخطّ الأعلی فقط. فلما کان کذلک قال: «کعطفه

الجيم» و لم يقل: «كالجيم»، ثم دقّق بأن جعلها بكف أعسر، لأن جيم الأعسر قالوا أشبه بالمنقار من جيم الأيمن. ثم إنه أراد أن يؤكّد أنّ الشبه مقصور على الخط الأعلى من شكل الجيم فقال: [من الرجز]

يقول من فيها بعقل فكّرا و لو زادها عينا إلى فاء و را «٢»

فاتّصلت بالجيم صارت جعفرا فأراك عيانا أنه عمد فى التشبيه إلى الخط الأول من الجيم دون تعريقها، و دون

---

(١) البيتان فى ديوانه ص ٢١٥ و هما من عده أبيات قالها أبو نواس فى نعت البازى، و قبلهما:

أبرش بطنان الجناح أقمرا أرقط ضاحى الدفتين أنمرا

كأن شدقيه إذا تضورا صدغان من عرعره تفطرا

أثأر: أدرك ثأره، قضّا: شقا. المنسر: منقار البازى.

(٢) البيتان لأبى نواس فى ديوانه ص ٢١٥، و هما من تمام الأرجوزه و تمام البيت الثانى:

فالطير يلقاه مدقا مدسرا

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ١٣٤

الخط الأسفل. أما أمر «التعريق» و إخراجه من التشبيه فواضح، لأن الوصل يسقط التعريق أصلا، و أما الخط الثانى فهو، و إن كان لا بد منه مع

الوصل. فإنه إذ قال:

«لو زادها عينا إلى فاء و را» ثم قال: «فاتصلت بالجيم»، فقد بيّن أن هذا الخط الثانى خارج أيضا من قصده فى التشبيه، من حيث كانت زياده هذه الحروف و وصلها هى السبب فى حدوثه. و ينبغى أن يكون قوله: «بالجيم»، يعنى بالعطفه المذكوره من الجيم. و لأجل هذه الدقه قال: «يقول من فيها بعقل فكّرا»، فمهّد لما أراد أن يقول، و نبّه على أنّ بالمشبّه حاجه إلى فضل فكر، و أن يكون فكره فكر من يراجع عقله و يستعينه على تمام البيان.

و جمله القول أنك متى زدت فى التشبيه على مراعاه وصف واحد أو جهه واحده، فقد دخلت فى التفصيل و التركيب، و فتحت باب التفاضل، ثم تختلف المنازل فى الفضل، بحسب الصّوره فى استنفادك قوّه الاستقصاء، أو رضاك بالعفو دون الجهد.

فصل

فصل

اعلم أن مما يزداد به التشبيه دقّه و سحرا، أن يجى ء فى الهيئات التى تقع على الحركات. و الهيئه المقصوده فى التّشبيه على وجهين:

أحدهما: أن تقترن بغيرها من الأوصاف كالشكل و اللون و نحوهما.

و الثانى: أن تجرّد هيئه الحركه حتى لا يراد غيرها. فمن الأوّل قوله:

و الشمس كالمرآه فى كفّ الأشل أراد أن يريك مع الشّكل الذى هو الاستداره، و مع الإشراق و التلألؤ على الجمله، الحركه التى تراها للشمس إذا أنعمت التأمّل، ثم ما يحصل فى نورها من أجل تلك الحركه. و ذلك أن للشمس حركه متصله دائمه فى غايه السرعه، و لنورها بسبب تلك الحركه تموّج و اضطراب عجب، و لا يتحصل هذا الشبه إلا بأن تكون المرآه فى يد الأشلّ، لأن حركتها تدور و تتصل و يكون فيها سرعه و قلق شديد، حتى ترى المرآه،

لا تقر فى العين و بدوام الحركه و شده القلق فيها يتموج نور المرآه، و يقع الاضطراب الذى كأنه يسحر الطّرف، و تلك حال الشمس بعينها حين تحدّ النظر و تنفذ البصر، حتى تتبيّن الحركه العجيبه فى جرمها و ضوئها، فإنك ترى شعاعها كأنه يهمّ بأن ينبسط حتى يفيض من جوانبها، ثم يبدو له فيرجع فى الانبساط الذى بدأه، إلى انقباض كأنه يجمعه

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ١٣٥

من جوانب الدائره إلى الوسط، و حقيقه حالها فى ذلك مما لا يكمل البصر لتقريره و تصويره فى النفس، فضلا عن أن تكمل العباره لتأديته، و يبلغ البيان كنه صورته.

و مثل هذا التشبيه، و إن صوّر فى غير المرآه، قول المهلّبى الوزير: [من السريع]

الشمس من مشرقها قد بدت مشرقه ليس لها حاجب

كأنّها بوتقه أحميت يجول فيها ذهب ذائب «١»

و ذلك أنّ الذهب الذائب يتشكل بأشكال البوتقه، فيستدير إذا كانت البوتقه على النار، فإنه يتحرّك فيها حركه على الحدّ الذى وصفت لك، طبع الذهب من النّعومه، و فى أجزائه من شده الاتصال و التلاحم، يمنعه أن يقع فيه غليان على الصفه التى تكون فى الماء و نحوه، مما يتخلله الهواء فيرتفع وسطه ارتفاعا شديدا، و

لكن جملته كأنها تتحرك بحركه واحده، و يكون فيها ما ذكرت من انبساط إلى الجوانب، ثم انقباض إلى الوسط، فاعرفه.

و من عجيب ما جمع فيه بين الشكل و هيئه الحركه، قول الصنوبرى: [من الرجز]

كأنّ فى غدرانها حواجبا ظلّت تمط «٢»

أراد ما يبدو فى صفحه الماء من أشكال كأنصاف دوائر صغار ثم إنك تراها تمتدّ امتدادا ينقص من انحنائها و تحدّبها، كما تباعد بين طرفى القوس و تثنيهما إلى ناحيه الظهر، كأنك تقرّبها من الاستواء و تسلبها بعض شكل التقوّس، الذى هو إقبال أحد طرفيها على الآخر. و متى حدثت هذه الصفه فى تلك الأشكال الظاهره على متون الغدران، كانت أشبه شى ء بالحواجب إذا مدّت، لأن الحاجب لا يخفى تقويسه، و مدّه ينقص من تقويسه.

و من لطيف ذلك أيضا: أعنى الجمع بين الشكل و هيئه الحركه، قول ابن المعتزّ يصف وقوع القطر على الأرض: [من الكامل]

---

(١) البيتان للوزير المهلبى و هو أبو محمد الحسن بن محمد من ذريه المهلب بن أبى صفره، كان شاعرا و كاتبا و وزيرا لمعز الدوله البويهى، و مدبرا لأموره فى العراق، توفى سنه ٣٦٢. و هما فى الإيضاح ص ٢١٤، تحقيق د. هنداوى، و أوردهما الرازى فى الإيجاز ص ٢٢٥، و محمد بن على الجرجانى فى الإشارات ص ١٨١، و العلوى فى الطراز ١/ ٣٥٥، و مفتاح العلوم ص ٤٤٣ تحقيق د. هنداوى.

(٢) البيت للصنوبرى هو أحمد بن محمد الحلى، من شعراء الشام الوصافين فى العصر العباسى، و البيت فى ديوانه من قصيده طويله، و فى

الإيضاح تحقيق د. هنداوى.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ١٣۶

بكرت تعير الأرض ثوب شباب رحبيّه محموده الإسكاب «١»

نثرت أوائلها حيا فكأنّه نقط على عجل ببطن كتاب

و أمّا هيئه الحركه مجرّده من كل وصف يكون فى الجسم، فيقع فيها نوع من التركيب، بأن يكون للجسم حركات فى جهات مختلفه، نحو أنّ بعضها يتحرك إلى يمين و البعض إلى شمال، و بعض إلى فوق و بعض إلى قدّام و نحو ذلك. و كلما كان التفاوت فى الجهات التى تتحرك أبعاض الجسم إليها أشدّ، كان التركيب فى هيئه المتحرّك أكثر، فحركه الرّحا و الدّولاب و حركه السهم لا تركيب فيها، لأن الجهه واحده، و لكن فى حركه المصحف فى قوله:

فانطباقا مرّه و انفتاحا تركيب، لأنه فى إحدى الحالتين يتحرك إلى جهه غير جهته فى الحاله الأخرى.

فمما جاء فى التشبيه معقودا على تجريد هيئه الحركه، ثم لطف و غرب لما فيه من التفصيل و التركيب، قول الأعشى يصف السفينه فى البحر و تقاذف الأمواج بها: [من الكامل]

تقص السفين بجانبيه كما ينزو الرّباح خلا له كرع

«الرّباح» الفصيل، و قيل: القرد. و «الكرع» ماء السماء. شبّه السفينه فى انحدارها و ارتفاعها بحركات الفصيل فى نزوه. و ذلك أن الفصيل إذا نزا، و لا سيما فى الماء، و حين يعتريه ما يعترى المهر و نحوه من الحيوانات التى هى فى أوّل النّش ء، كانت له حركات متفاوته تصير لها أعضاؤه فى جهات مختلفه، و يكون هناك تسفّل و تصعّد على غير ترتيب، و بحيث تكاد تدخل إحدى الحركتين فى الأخرى، فلا يتبيّنه الطرف مرتفعا حتى يراه منحطّا متسفّلا، و يهوى مرّه نحو الرأس و مرّه نحو الذنب، و ذلك أشبه شى ء بحال السّفينه و هيئه حركاتها حين يتدافعها الموج.

---

(۱) البيتان فى ديوانه ص ۹۱ و روايتهما:

بكرت تعير الأرض لون شبابها رحبيه محموده التسكاب

نشرت أوائلها حيا، فكأنه نقط على عجل بطين كتاب

رحبيه: لعله أراد بها غمامه واسعه الامتداد. و فى نسخه الدكتور محمود شاكر «رجبيه» بدل «رحبيه». يعنى: مطر شهر رجب.

(۲) البيت ليس فى ديوانه، و هو فى الإيضاح ص ۲۱۵ تحقيق د. هنداوى، و فى نسخه د. محمود شاكر «يقص» بدل «تقص»، «كرع» بدل «كرع».

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۱۳۷

و نظيره قول الآخر، يصف الفصيل و هو

يثب على الناقه و يعلوها و يلقى نفسه عليها، لأنّها قد بركت فلا يتمكن من أن يرتضع، فهو يفعل ذلك لتثور الناقه: [من الرجز]

يقتاعها كلّ فصيل مكرم كالحبشيّ يرتقى فى السلّم «١»

«يقتاعها» «يفتعل» من قولهم: «قاع البعير الناقه، إذا ضربها، يقوعها قوعا»، أراد يعلوها و يثبت عليها، و شبّه بالحبشى فى هذه الحاله المخصوصه، لما يكون له عند ارتقائه فى السلّم من تصعّد بعض أعضائه و تسفّل بعض، على اضطراب مفرط و غيثره شديده، و ذلك كما ترى فى أنه اختلاف فى جهات أبعاض الجسم على غير نظام مضبوط، كحركات الفصيل فى الماء و قد خلا له.

و قد عرّفتك أن الاختلاف فى جهات الحركات الواقعه فى أبعاض الجسم، كالتركيب بين أوصاف مختلفه، ليحصل من مجموعها شبه خاصّ.

و اعلم أنّ هذه الهيئات يغلب عليها الحكم المستفاد من العبره الثانيه، و ذلك أن كل هيئه من هيئات الجسم فى حركاته إذا لم يتحرك فى جهه واحده، فمن شأنها أن تقلّ و تعزّ فى الوجود، فيباعدها ذلك أيضا من أن تقع فى الفكر بسرعه، زياده مباعده مضمومه إلى ما يوجب حديث التركيب و التفصيل فيها. أ لا ترى أن الهيئه التى اعتمدها فى تشبيه البرق بالمصحف، ليست تكون إلا فى النادر من الأحوال، و بعد عمد من الإنسان، و خروج عن العاده، و بقصد خاصّ أو عبث غالب على النفس غير معتاد؟ و هكذا حال الفصيل فى وثوبه على أمّه ليثيرها و انسيابه فى الماء و نزوه، كما توجبه رؤيته الماء خاليا. و طباع الصّغر

و الفصيله مما لا يرى إلا نادرا، و ليس الأمر فى هذا النحو كالأمر فى حركه الدّولاب و الرّحا و السهم و نحو ذلك من الحركات المعتاده التى تقع فى مصارف العيون كثيرا.

و مما يقوى فيها أن يكون سبب غرابته قلّه رؤيه العيون له، ما مضى من تشبيه الشمس بالمرآه فى كفّ الأشلّ، و ذلك أن الهيئه التى تراها فى حركه المرآه إذا كانت فى كفّ الأشلّ، مما يرى نادرا و فى الأقلّ، فربما قضى الرجل دهره و لا يتفق له أن يرى مرآه فى يد مرتعش. هذا، و ليس موضع الغرابه من التشبيه دوام حركه المرآه فى يد الأشلّ فقط، بل النكته و المقصود فيما يتولّد من دوام تلك الحركه من الالتماع

---

(١) البيت فى اللسان (قوع)، لثعلب. يقتاعها: من قوع، قاع الفحل الناقه و على الناقه يقوعها قوعا و قياعا و اقتاعها و تقوّعها ضربها، و اقتاع الفحل إذا هاج. يقتاعها: يقع عليها، و قال: هذه ناقه طويله، و قد طال فصلانها فركبوها.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ١٣٨

و تموّج الشعاع، و كونه فى صوره حركات من جوانب الدائره إلى وسطها. و هذه صفه لا تقوم فى نفس الرائى المرآه الدائمه الاضطراب، إلّا أن يستأنف تأمّلا، و ينظر متثبّتا فى نظره متمهلا. فكأن هاهنا هيئتين كلتاهما من هيئات الحركه: إحداهما: حركه المرآه على الخصوص الذى يوجبه ارتعاش اليد و الثانيه: حركه الشعاع و اضطرابه الحادث من تلك الحركه، و إذا كان كون المرآه فى يد الأشلّ مما يرى

نـادرا، ثم كـانت هـذه الصـفه التى هى كائنه فى الشّـعاع، إنما ترى و تـدرک فى حال رؤيه حركه المرآه بجهـد و بعـد استئناف إعمال للبصر، فقد بعدت عن حدّ ما تعتاد رؤيته مرّتين، و دخلت فى النادر الذى لا تألفه العيون من جهتين، فاعرفه.

و اعلم أنه كما تعتبر هيئه الحركه فى التشبيه، فكـذلک تعتبر هيئه السـكون على الجمله و بحسب اختلافه، نحو هيئه المضـطجع و هيئه الجالس و نحو ذلک. فإذا وقع فى شى ء من هيئات الجسم فى سكونه تركيب و تفصيل، لطف التشبيه و حسن.

فمن ذلک قول ابن المعتزّ يصف سيلا «۱»: [من المتقارب]

فلما طغا ماؤه فى البلاد و غصّ فبه كلّ واد صدى

ترى الثور فى متنه طافيا كضجعه ذى التاج فى المرقد

و كقول المتنبى فى صـفه الكلب: [من الرجز] يقعى جلوس البدوىّ المصـطلى «۲» فقد اختصّ هيئه البدوىّ المصـطلى، فى تشبيه هيئه سكون أعضـاء الكلب و مواقعهـا فيهـا، و لم ينـل التشبيه حظّـا من الحسن، إلا بأنّ فيه تفصـيلا من حيث كان لكل عضو من الكلب فى إقعائه موقع خاصّ، و كان مجموع تلک الجهات فى حكم أشكال مختلفه تؤلّف فتجى ء منها صوره خاصّه.

و من لطيف هذا الجنس قوله: فى صفه المصلوب «۳»: [من البسيط]

كأنه عاشق قد مدّ صفحته

يوم الوداع إلى توديع مرتحل

أو قائم من نعاس فيه لوثته مواصل لتمطّيه من الكسل

---

(۱) البيتان فى ديوانه: و غصّ: غصّ المكان بأهله أى: ضاق بهم، و أغصّ فلان الأرض علينا أى:

ضيقها فغصت بنا أى: ضاقت. المرقد: المضجع، المرقدىّ: الدائم الرقاد.

(۲) البيت فى ديوانه و تمامه:

بأربع مجدوله لم تجدل و هو فى الإيضاح ص ۲۱۶، تحقيق د. هنداوى.

(۳) البيتان ينسبان للأخيطل: [محمد بن عبد اللّه بن شعيب، مولى بنى مخزوم، و يلقب برقوقا]. كما فى مطبوعه د. محمود شاكر، و فى الإيضاح ص ۲۱۶، تحقيق د. عبد الحميد هنداوى، و طبقات

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۱۳۹

و لم يلطف إلا لكثره ما فيه من التفصيل، و لو قال: «كأنه متمطّ من نعاس» و اقتصر عليه، كان قريب المتناول، لأن الشّبه إلى هذا القدر يقع فى نفس الرائى المصلوب، لكونه من حدّ الجمله. فأمّا بهذا الشرط و على هذا التقييد الذى يفيد به استدامه تلك الهيئه، فلا- يحضر إلا- مع سفر من الخاطر، و قوّه من التأمل، و ذلك لحاجته أن ينظر إلى غير جهه فيقول: «هو كالمتمطّى»، ثم يقول: المتمطّى يمدّ ظهره و يديه مدّه، ثم يعود إلى حالته، فيزيد فيه أنه مواصل لذلك، ثم إذا أراد ذلك طلب علّته، و هى قيام اللّوثه و الكسل فى

القائم من النعاس.

و هذا أصل فيما يزيد به التفصيل، و هو أن يثبت فى الوصف أمر زائد على المعلوم المتعارف، ثم يطلب له علّه و سبب.

و يشبه التشبيه فى البيت قول الآخر، و هو مذكور معه فى الكتب: [من السريع]

لم أر صفّا مثل صفّ الزّطّ تسعين منهم صلبوا فى خطّ

من كلّ عال جذعه بالشطّ كأنه فى جذعه المشتطّ

أخو نعاس جدّ فى التمطّى قد خامر النوم و لم يغطّ «۱»

فقوله: «جدّ فى التمطى»، شرط يتمّ التشبيه، كما أن قوله: «مواصل» كذلك، إلّا أن فى اشتراط المواصله من الفائده ما ليس فى هذا، و ذلك أنه يجوز أن يبالغ و يجتهد و يجدّ فى تمطّيه، ثم يدع ذلك فى الوقت، و يعود إلى الحاله التى يكون عليها فى السلامه مما يدعو إلى التمدّد. و إذا كان كذلك، كان المستفاد من هذه العباره صوره التمطّى و هيئته الخاصّه، و زياده معنى، و هو بلوغ الصفه. غايه ما يمكن أن يكون عليها. و هذا كلّه مستفاد من الأوّل. ثم فيه زياده أخرى، و هو أخصّ ما يقصد من صفه المصلوب، و هى الاستمرار على الهيئه و الاستدامه لها. فأمّا قوله بعد: «قد خامر النوم و لم

يغطّ»، هو و إن كان كأنه يحاول أن يرينا هذه الزياده من

الشعراء لابن المعتز ص ۴۱۳، و الكامل ص ۹۴۴، و سمط اللآلى ص ۵۹۵، و معجم الشعراء ص ۴۳۲. اللّوثه بالضم: الاسترخاء و البطء، و رجل ذو لوثه: بطى ء متمكث ذو ضعف، و رجل فيه لوثه أى: استرخاء و حمق، و هو رجل ألوث: فيه استرخاء بيّن اللّوث، و ديمه لوثاء، [اللسان: لوث].

(۱) الأبيات لدعبل بن على الخزاعى فى ديوانه، و هى فى كتاب الكامل للمبرد ۲/ ۹۴۳، و الإيضاح ص ۲۱۷، تحقيق د. عبد الحميد هنداوى. و الزط: جماعه من الهند ثاروا فى باديه البصره، منذ فتنه الأمين و المأمون إلى أن جرد لهم جيشا قضى على ثورتهم و أسر منهم سبعه و عشرين ألفا، و صلب منهم عددا كثيرا، و هذه الأبيات فى وصف بعض المصلوبين.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۱۴۰

حيث يقال: إنه إذا أخذه النعاس فتمطّى ثم خامر النوم، فإن الهيئه الحاصله له من جدّه فى التمطّى تبقى له فليس ببالغ مبلغ قوله: «مواصل لتمطّيه». و تقييده من بعد بأنه «من الكسل»، و احتياطه قبل بقوله: «فيه لوثته»:

و شبيه بالأوّل فى الاستقصاء قول ابن الرومى «۱»: [من الطويل]

كأنّ له فى الجوّ حبلا يبوعه إذا ما انقضى حبل أتيح له حبل

يعانق أنفاس الرّياح مودّعا وداع رحيل لا يحطّ له رحل

فاشتراطه أن يكون له بعد الحبل الذى ينهى ذرعه حبل آخر يخرج من بوع الأوّل إليه، كقوله: «مواصل لتمطّيه من الكسل»، فى استيفاء الشّبه، و التنبيه على استدامته، لأنه إذا كان لا- يزال يبوع حبلا- لم يقبض باعه و لم يرسل يده، و فى ذلك بقاء شبه المصلوب على الاتّصال، فاعرفه.

و اعلم أن من حقّك أن لا تضع الموازنه بين التشبيهين فى حاجه أحدهما إلى زياده من التأمل على وقتنا هذا، و لكن تنظر إلى حالهما فى قوى العقل و لم تسمع بواحد منهما، فتعلم أن لو أرادهما مريد، أو اتّفقا له جميعا و لم يكن قد سمع بواحد منهما أيّهما كان يكون أسهل عليه، و أسرع إليه، و أعطى بيديه، و أيّهما تجده أدلّ على ذكاء من تسمعه منه، و أرجى لتخرج من يقوله. و ذلك أن تقابل بين تشبيه النّجوم بالمصابيح و المصابيح بها، و بين تشبيه سلّ السيوف بعقائق البرق و تشبيهها بسلّ السيوف، فإنك تعلم أن الأوّل يقع فى نفس الصّبى أوّل ما يحسّ بنفسه، و أن الثانى لا يجيب إجابته، و لا يبذل طاعته و كذلك تعلم أنّ تشبيه الثريا بنور العنقود، لا يكون فى قرب تشبيهها بتفتّح النّور و أنّ تشبيه الشمس بالمرآه المجلوّه كما مضى، يقع فى نفس الغرّ المعاميّ و الصبيّ، و لا يقع تشبيهها بالمرآه فى كفّ الأشلّ إلا فى قلب المميّز الحصيف، و تشبيهها فى حركتها تلك بمرآه تضطرب على الجمله، من غير أن تجعل فى كفّ الأشلّ، قد يقع لمن لا يقع

له بهذا التقييد، و ذلك لما مضى من حاجته إلى الفكره فى حال الشمس، و أنّ حركتها دائمه متصله، ثم طلب متحرّك حركه غير اختياريه، و جعل حركه المرآه صادره عن تلك الحركه و مأسوره فى حكمها دائما.

---

(١) البيتان فى ديوانه. يبوعه: باع يبوع بوعا: بسط باعه، و باع الحبل يبوعه بوعا: مد يديه معه حتى صار باعا، و قيل: هو مدّكه بباعك كما تقول شبرته من الشّبر.

و إنما اشترطت عليك هذا الشرط لأنه لا يمتنع أن يسبق الأوّل إلى تشبيه لطيف بحسن تأمّله و يدل على ذكائه و حدّه خاطره، ثم يشيع و يتّسع، و يذكر و يشهر حتى يخرج إلى حد المبتذل، و إلى المشترك فى أصله، و حتى يجرى مع دقه تفصيل فيه مجرى المجمل الذى تقوله الوليده الصغيره و العجوزه الورهاء، فإنك تعلم أن قولنا: «لا يشقّ غباره» الآن فى الابتذال كقولنا: «لا يلحق و لا يدرك»، و «هو كالبرق» و نحو ذلك، إلّا أنّا إذا رجعنا إلى أنفسنا علمنا أنه لم يكن كذلك من أصله، و أن هذا الابتذال أتاه بعد أن قضى زمانا بطراءه الشباب و جدّه الفتاء و بعزّه المنيع، و لو قد منعك جانبه و طوى عنك نفسه، لعرفت كيف يشقّ مطلبه و يصعب تناوله.

و مثل هذا و أظهر منه أمرا أنّ قولنا: «أمّا بعد»، منسوب فى الأصل إلى واحد بعينه، و إن كان الآن فى البذله كقولنا: «هذا بعد ذاك»، مثلا.

و هذا الحكم فى

الطرق التى ابتدأها الأوّلون، و العبارات التى لخّصها المتقدمون، و القوانين التى وضعوها حتى صارت فى الاشتراك كالشىء المشترك من أوّله، و المبتذل الذى لم يكن الصّون من شأنه، و المبذول الذى لم يعترض دونه المنع فى شىء من زمانه، و ربّ نفيس جلب إليك من الأمكنه الشاسعه، و ركب فيه النّوى الشطون، و قطع به عرض الفيافى، ثم أخفى عنك فضله حتى جهلت قدره أن سهل مرامه، و اتسع وجوده، و لو انقطع مدده عنك حتى تحتاج إلى طلبه من مظنّته، لعلمت إحسان الجائى به إليك، و الجالب المقرّب نيله عليك، و لأكثرت من شكره بعد أن أقللت، و أخذت نفسك بتلافى ما أهملت.

و كذلك ربّ شىء نال فوق ما يستحقّه من شغف النفوس به، و أكثر مما توجبه المنافع الراجعه إليه، لأنه لا يتسع اتّساع الأوّل الذى فوائده أعمّ و أكثر، و وجود العوض عنه عند الفقد أعسر، فكسبت عزّه الوجود هذا عزّا لم يستحقّه بفضله، كما منعت سعته الآخر فضلا هو ثابت له فى أصله.

و يتصل بهذا الموضع حديث عبد الرحمن بن حسّان، و ذلك أنه رجع إلى أبيه حسّان و هو صبىّ، يبكى و يقول: «لسعنى طائر»، فقال حسان: «صفه يا بنىّ»، فقال: «كأنه ملتفّ فى بردى حبره»، و كان لسعه زنبور، فقال حسّان: «قال ابنى الشّعر و ربّ الكعبه!» أ فلا تراه جعل هذا التشبيه مما يستدلّ به على مقدار قوّه الطبع، و يجعل عيارا فى الفرق بين الذهن المستعدّ للشعر و غير المستعدّ له، و سرّه

ذلک من ابنه کما سرّه نفس الشعر حين قال فى وقت آخر «۱»: [من البسيط]

اللّه يعلم أنّى کنت منتبذا فى دار حسّان أصطاد اليعاسيبا

فإن قلت: إن التشبيه يتصوّر فى مکان الصّبغ و النّقش العجيب، و لم يعجب حسّان هذا، و إنما أعجبه قوله: «ملتفّ»، و حسن هذه العباره، إذ لو قال: «طائر فيه کوشى الحبره»، لم يکن له هذا الموقع، فهو أن يکون مشبها ما أنت فيه، فمن حيث دلالته على الفطنه فى الجمله.

قيل: مسلّم لک أن نکته الحسن فى قوله: «ملتفّ»، و لکن لا يسلّم أنه خارج من الغرض، بل هو عين المراد من التّشبيه و تمامه فيه، و ذلک أنه يفيد الهيئه الخاصّه فى ذلک الوشى و الصّبغ و صوره الزنبور فى اکتسائه لهما، و يؤدى الشبه کما مضى من طريق التفصيل دون الجمله، فما ظننت أنّه يبعده عما نحن بصدده، هو الذى يدنيه منه، و لقد نفيت العيب من حيث أردت إثباته.

فصل فى التشبيه المتعدّد و الفرق بينه و بين المركّب

فصل فى التشبيه المتعدّد و الفرق بينه و بين المركّب

اعلم أنّى قد قدّمت بيان المركّب من التشبيه، و هاهنا ما يذکر مع الذى عرّفتک أنه مرکّب و يقرن إليه فى الكتب، و هو على الحقيقه لا يستحق صفه التركيب، و لا يشارک الذى مضى ذکره فى الوصف الذى کان له تشبيها مركّبا.

و ذلک أن يکون الکلام معقودا على تشبيه شيئين بشيئين ضربه واحده، إلّا أن أحدهما لا يداخل الآخر فى الشّبه، و مثاله فى قول امرئ القيس «۲»: [من الطويل]

كأنّ قلوب الطّير، رطبا و يابسا، لدى و كرها العنّاب و الحشف البالى

---

(۱) البيت فى الكامل للمبرد ۱/ ۳۴۲. و اليعسوب: طائر أصغر من الجراد، و قيل: أعظم من الجراده، طويل الذنب لا يضم جناحيه إذا وقع، تشبه به الخيل فى الضّمر. و اليعسوب: غرّه فى وجه الفرس مستطيله، تنقطع قبل أن تساوى أعلى المنخرين، و إن ارتفع أيضا على قصبه الأنف، و عرض و اعتدل، حتى يبلغ أسفل الخليقاء فهو يعسوب أيضا، قل أو كثر، ما لم يبلغ العينين. [اللسان: عسب].

(۲) البيت فى ديوانه ص ۱۲۹، من قصيده له تعدّ قرينه معلقته فى الجوده و مطلعها:

ألا عم صباحا أيها الطلل البالى و هل يعمن من كان فى العصر الخالى

و هل يعمن إلا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت بأوجال

و البيت فى الإيضاح ص ۲۲۷، ۲۲۸، تحقيق د. عبد الحميد هنداوى، و الإشارات ص ۱۸۲، و المصباح ص ۱۰۸. و هو يعنى: كأن قلوب الطير رطبا. العناب و يابسا: الحشف البالى، و هو يابس التمر.

و ذلـك أنه لم يقصـد إلى أن يجعـل بين الشـيئين اتصالا، و إنما أراد اجتماعا فى مكان فقط. كيف؟ و لا يكون لمضامّه الرّطب من القلوب إلى اليابس هيئه يقصد ذكرها، أو يعنى بأمرها، كما يكون ذلك لتباشير الصّبح فى أثناء الظلماء، و كون الشّقيقه على قامتها الخضـراء، فيؤدّى ذلك الشـبه الحاصل من مـداخله أحـد المـذكورين الآخر و اتّصاله به، اجتماع الحشف البالى و العنّاب. كيف؟ و لا فائـده لأن ترى العنّاب مع الحشف، أكثر من كونهمـا فى مكـان واحـد، و لو أن اليابسه من القلوب كانت مجموعه ناحيه، و الرطبه كذلك فى ناحيه أخرى، لكان التشبيه بحاله.

و كـذلك لو فرّقت التشبيه فقلت: «كـأنّ الرّطب من القلوب عنّاب، و كـأنّ اليـابس حشف بال»، لم تر أحـد التشبيهين موقوفا فى الفائده على الآخر، و ليس كذلك الحكم فى المركّبات التى تقدّمت.

و قد يكون فى التشبيه المركّب ما إذا فضـضت تركيبه وجدت أحد طرفيه يخرج عن أن يصلح تشبيها لما كان جاء فى مقابلته مع التركيب بيان ذلك أن «الجلال» فى قوله:

كطرف أشهب ملقى الجلال «١» فى مقابله الليل، و أنت لو قلت: «كأن الليل جلال» و سكتّ لم يكن شيئا.

و قد يكون الشى ء منه إذا فضّ تركيبه استوى التشبيه فى طرفيه، إلا أن الحال تتغير، و مثال ذلك قوله «٢»:

و كأن أجرام النّجوم لوامعا درر نثرن على بساط أزرق

فـأنت و إن كنت إذا قلت: «كـأنّ النجوم درر، و كأن السـماء بساط أزرق»، وجـدت التشبيه مقبولا معتادا مع التفريق، فإنك تعلم بعد ما بين الحالتين،

و مقدار الإحسان الذى يذهب من البين. و ذلك أن المقصود من التشبيه أن يريك الهيئه التى تملأ النواظر عجبا و تستوقف العيون و تستنطق القلوب بذكر اللّه تعالى من طلوع النجوم مؤتلفه مفترقه فى أديم السماء و هى زرقاء زرقتها الصافيه التى تخدع العين، و النجوم تتلألأ و تبرق فى أثناء تلك الزرقه، و من لك بهذه الصوره إذا فرّقت التشبيه، و أزلت عنه الجمع و التركيب؟ و هذا أظهر من أن يخفى.

---

(۱) راجع هامش رقم (۱) ص ۱۲۷.

(۲) راجع هامش رقم (۲) ص ۱۲۰.

و إذ قد عرفت هذه التفاصيل، فاعلم أن ما كان من التركيب فى صوره بيت امرئ القيس، فإنما يستحق الفضيله من حيث اختصار اللفظ و حسن الترتيب فيه، لا لأن للجمع فائده فى عين التشبيه. و نظيره أنّ للجمع بين عدّه تشبيهات فى بيت كقوله «۱»: [من الوافر]

بدت قمرا، و ماست خوط بان، و فاحت عنبرا، و رنت غزالا

مكانا من الفضيله مرموقا، و شأوا ترى فيه سابقا و مسبوقا لا أنّ حقائق التشبيهات تتغير بهذا الجمع، أو أن الصور تتداخل و تتركّب و تأتلف ائتلاف الشكلين يصيران إلى شكل ثالث. فكون قدّها كخوط البان، لا يزيد و لا ينقص فى شبه الغزال حين ترنو منه العينان. و هكذا الحكم فى أنها تفوح فوح العنبر،

و يلوح وجهها كالقمر.

و ليس كذلك بيت بشار: «كأنّ مثار النقع»، لأن التشبيه هناك كما مضى مركّب و موضوع على أن يريك الهيئه التى ترى عليها النّقع المظلم، و السيوف فى أثنائه تبرق و تومض و تعلو و تنخفض، و ترى لها حركات من جهات مختلفه كما يوجبه الحال حين يحمى الجلاد، و ترتكض بفرسانها الجياد.

كما أن قول رؤبه مثلا «٢»: [من الرجز]

فيها خطوط من سواد و بلق كأنّها فى الجلد توليع البهق

---

(١) البيت فى ديوانه ١/ ١٨٤، و هو من قصيده قالها فى مدح أبى الحسين بدر بن عمار بن إسماعيل الأسدى الطبرستانى مطلعها:

بقائى شاء ليس هم ارتحالا و حسن الصبر زموا لا الجمالا

تولوا بغته فكأن بينا تهيبنى ففاجأنى اغتيالا

المعنى: الخوط: القضيب و جمعه خيطان ككوز و كيزان، و العنبر: ضرب من الطيب. فهو يقول:

بدت هذه المحبوبه قمرا فى حسنها و مالت مشبهه غصنا فى تثنيها و حسن مشيها، و فاحت مشبهه عنبرا فى طيب ريحها و رنت مشبهه غزالا- فى سواء مقلتها و هذا من أحسن التشبيه لأنه جمع أربع تشبيهات فى بيت واحد. و البيت فى التبيان للعكبرى على شرح ديوان المتنبى ٢/ ١٨، و الإيضاح ص ٢٢٩، تحقيق د. عبد الحميد

هنداوى.

(۲) البيت فى ديوانه ص ۱۰۴ من قصيده فى وصف المفازه مطلعها:

و قاتم الأعماق حاوى المخترق مشتبه الأعلام لمّاع الخفق

يكل وفد الريح من حيث انخرق شأز بمن عوّه جذب المنطلق

البلق يعنى هنا: البياض، و أصله سواد و بياض، و البهق: بياض يعترى الجسم بخلاف لونه و هو دون البرص، و التوليع، أن يكون فى بياض بلقه استطاله و تفرق.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۱۴۵

ليس القصد فيه أن يريك كل لون على الانفراد، و إنما القصد أن يرى الشّبه من اجتماع اللونين.

و قول البحترى: [من الوافر]

ترى أحجاله يصعدن فيه صعود البرق فى الغيم الجهام «۱»

لا يريد به تشبيه بياض الحجول على الانفراد بالبرق، بل المقصود الهيئه الخاصّه الحاصله من مخالطه أحد اللونين الآخر.

كذلك المقصود فى بيت بشّار بتشبيه النّقع و السيوف فيه، بالليل المتهاوى كواكبه، لا تشبيه الليل بالنّقع من جانب، و السيوف بالكواكب من جانب. و لذلك وجب الحكم، كما كنت ذكرت فى موضع، بأنّ الكلام إلى قوله: «و أسيافنا» فى حكم الصله للمصدر، و جار مجرى الاسم

الواحد، لئلا يقع فى التشبيه تفريق و يتوهّم أنه كقولنا: «كأن مثار النقع ليل و كأنّ السيوف كواكب»، و نصب «الأسياف» لا يمنع من تقدير الاتصال، و لا يوجب أن يكون فى تقدير الاستئناف، لأن الواو فيها معنى «مع»، كقوله: [من الطويل] فإنّى و قيّارا بها لغريب «٢» و قوله: «كلّ رجل و ضيعته»، و هى إذا كانت بمعنى «مع»، لم يكن فى معطوفها الانقطاع، و أن يكون الكلام فى حكم جملتين، أ لا ترى أن قولهم: «لو تركت النّاقه و فصيلها لرضعها»، لا يكون بمنزله أن تقول: «لو تركت الناقه و لو ترك فصيلها»، فتجعل الكلام جملتين و كذا لا يمكنك أن تقول: «كل رجل كذا

---

(١) البيت فى ديوانه، و الإيضاح ص ٢١٧ تحقيق د. عبد الحميد هنداوى. الجهام: بالفتح: السحاب الذى لا ماء فيه، و قيل: الذى قد هراق ماءه مع الريح، الجهام: السحاب الذى فرغ ماؤه. يصعدن فيه: أى: الفرس المحجل.

(٢) البيت لضابئ بن الحارث البرجمى (ضابئ بن الحارث بن أرطاه من بنى غالب بن حنظله من البراجم ت. نحو ٣٠ ه/ ٦٥٠ م) و كان ضابئ ممن أدرك النبى صلّى اللّه عليه و سلّم. و هذا البيت من أبيات قالها و هو فى حبس عثمان و صدره:

من يك أمسى بالمدينه رحله و بعده:

فلا تجزعن قيّار من حبس ليله قضيّه ما يقضى لنا فنئوب

و ضيعته كذا»، فتفرّق الخبر عنهما كما يجوز فى قولك: «زيد و عمرو كريمان»، أن تقول: «زيد كريم و عمرو كريم»، و هذا موضع غامض، و للكلام فيه موضع آخر.

و إن أردت أن تزداد تبيينا، لأن التشبيه إذا كان معقودا على الجمع دون التفريق، كان حال أحد الشيئين مع الآخر حال الشّى ء فى صله الشى ء و تابعا له و مبنيّا عليه، حتى لا يتصوّر إفراده بالذكر، فالذى يفضى بك إلى معرفه ذلك أنك تجد فى هذا الباب ما إذا فرّق لم يصلح للتشبيه بوجه، كقوله: [من السريع]

كأنّما المرّيخ و المشترى قدّامه، فى شامخ الرّفعه

منصرف بالليل عن دعوه قد أسرجت قدّامه شمعه «۱»

لو قلت: «كأنّ المريخ منصرف بالليل عن دعوه»، و تركت حديث المشترى و الشّمعه، كان خلفا من القول، و ذاك أن التشبيه لم يكن للمرّيخ من حيث هو نفسه، و لكن من حيث الحاله الحاصله له من كون المشترى أمامه. و أنت و إن كنت تقول:

«المشترى شمعه»، على التشبيه العامى الساذج فى قولهم: «كأنّ النّجوم مصابيح و شموع»، فإنه لم يضع التشبيه على هذا، و إنما قصد إلى الهيئه التى يكتسبها المرّيخ من كون المشترى أمامه.

و هكذا قول ابن المعتزّ «۲»: [من البسيط]

كأنّه و كأنّ الكأس فى فمه

هلال أوّل شهر غاب فى شفق

لم يقصد أن يشبه الكأس على الانفراد بالهلال، و الشّفه بالشفق على الاستئناف، بل أراد أن يشبّه مجموع الصّورتين، أ لا ترى أنك لو فرّقت لم تحل من التشبيه بطائل، إذ لا معنى لأن تقول: «كأن الشفه شفق»، و تسكت.

أ ترى أن قوله «٣»: [من الوافر]

بياض فى جوانبه احمرار كما احمرّت من الخجل الخدود

---

(١) البيتان للقاضى التنوخى، و هما فى مفتاح العلوم ص ٤٤٥، تحقيق د. هنداوى، و نهايه الإيجاز ص ٢٠٥، و الإيضاح ص ٣٦٨، و مشكاه المصابيح ١/ ١٠٦ تحقيق د. هنداوى. قدّام: نقيض وراء، أسرجت: أوقدت.

(٢) البيت فى ديوانه و قبله:

ظبى مخلّى من الأحزان أودعنى ما يعلم اللّه من حزن و من قلق

(٣) البيت لابن المعتز فى ديوانه ص ١٨٨ (طبعه دار صادر) و هو أحد ثلاثه أبيات و قبله:

أتاك الورد محبوبا مصونا كمعشوق تكنّفه الصدود

كأن بوجهه لما توافت نجوم فى مطالعها سعود

استوجبت الفضل و الخروج من التشبيه العامىّ، و أن يقال: «قد زاد زياده لم يسبق إليها»، إلا بالتركيب و الجمع، و بأن ترك أن يراعى الحمره وحدها؟.

و قال القاضى أبو الحسن رحمه اللّه: «لو اتفق له أن يقول: «احمرار فى جوانبه بياض، لكان قد استوفى الحسن» و ذلك لأن خدّ الخجل هكذا، يحدق البياض فيه بالحمره لا الحمره بالبياض، إلّا أنه لعله وجد الأمر كذلك فى الورده، فشبّه على طريق العكس فقال: «هذا البياض حوله الحمره هاهنا، كالحمره حولها البياض هناك». فانظر الآن، إن فرّقت، كيف يتفرّق عنك الحسن و الإحسان، و يحضر العىّ و يذهب البيان؟ لأن تشبيه البياض على الانفراد لا معنى له، و أما تشبيه الحمره، و إن كانت تصحّ على الطريقه الساذجه أعنى تشبيه الورد الأحمر بالخد فإنه يفسد من حيث أن القصد إلى جنس من الورد مخصوص، هو ما فيه بياض تحدق به حمره، فيجب أن يكون وصف المشبّه به على هذا الشرط أيضا.

و بهذا الاختصاص و لما ذكرت لك، تجد أحد المشبّهين فى الأمر الأعمّ الأكثر و قد ذكر فى صله الآخر، و لم يعطف عليه كقوله: [من الكامل] و الشّيب ينهض فى الشباب «۱» و: بياض فى جوانبه احمرار و أشباه ذلك. فإن جاءت «الواو» كانت واو حال كقوله: [من السريع]

كأنّما المرّيخ و المشترى قدّامه فى شامخ الرفعه «۲»

و هى إذا كانت حاليّه، فهى كالصفه فى

كونها تابعه، و بحيث لا ينفرد بالذكر، بل يذكر فى ضمن الأول، و على أنه من تبعه و حاشيته.

و هكذا الحكم فى الطرف الآخر، أ لا ترى قوله:

ليل تهاوى كواكبه «فتهاوى كواكبه»، جمله من الصّفه لليل، و إذا كان كذلك، فالكواكب مذكوره على سبيل التّبع لليل، و لو كانت مستبدّه بشأنها لقلت: «ليل و كواكب».

و كذلك قوله:

---

(١) البيت للفرزدق فى ديوانه و تمامه:

.... كأنّه ليل يصيح بجانبيه نهار

(٢) راجع هامش رقم (١) ص ١٤۶.

ليل يصيح بجانبيه نهار و أشدّ من ذلك أن يجى ء «كما» فى الطّرف الثانى كقوله:

كما احمرّت من الخجل الخدود و بيت امرئ القيس على خلاف هذه الطريقه، لأن أحد الشيئين فيه فى الطرفين معطوف على الآخر، أما فى طرف الخبر، و هو طرف المشبّه به، فبيّن و هو قوله:

العنّاب و الحشف البالى و أما فى طرف المخبر عنه، و هو المشبّه، فإنك و إن كنت ترى اسما واحدا، هو «القلوب»، فإن الجمع الذى تفيده الصيغه فى المتفق يجرى مجرى العطف فى المختلف، فاجتماع شيئين أو أشياء فى لفظ تثنيه أو جمع، لا يوجب أن أحدهما فى حكم التابع للآخر، كما يكون ذلك إذا جرى الثانى فى صفه الأول أو حاله أو ما شابه ذلك. هذا و قد صرّح بالعطف فى البدل، و هو المقصود فقال: «رطبا و يابسا».

و

اعلم أنه قد يجى ء فى هذا الباب شى ء له حدّ آخر، و هو نحو قوله: [من الكامل]

إنى و تزيينى بمدحى معشرا كمعلّق درّا على خنزير «١»

هو على الجمله جمع بين شيئين فى عقد تشبيه، إلّا أن التشبيه فى الحقيقه لأحدهما. أ لا ترى أن المعنى على أنّ فعله فى التزيين بالمدح، كفعل الآخر فى محاولته أن يزيّن الخنزير بتعليق الدرّ عليه؟ و وجه الجمع أنّ كل واحد منهما يضع الزينه حيث لا يظهر لها أثر، لأن الشى ء غير قابل للتحسين. و متى كان المشبّه به «كمعلّق» فى البيت، فلا شكّ أن التشبيه لا يرجع إلى ذات الشى ء، بل المعنى المشتقّ منه الصفه. و إذا رجع إليه مقرونا بصلته على ما مضى فى نحو «ما زال يفتل فى الذّروه و الغارب»، فقد شبّه تزيينه بالمدح من ليس من أهله، بتعليق الدّر على الخنزير هكذا بجملته، لا بالتعليق غير معدّى إلى الدّرّ و الخنزير، فالشبه مأخوذ من مجموع المصدر و ما فى صلته. و لا بدّ للواو فى هذا النحو أن تكون بمعنى «مع»، و أمرها فيه أبين، إذ لا يمكن أن يقال: «إنّى كذا و إنّ تزيينى كذا»، لأنه ليس معنا شيئان يكون أحدهما خبرا عن ضمير المتكلم فى «إنى» الذى هو المعطوف عليه،

---

(١) البيت لم أعرف قائله، و هو فى الإيضاح ص ٢٢٦ تحقيق د. هنداوى.

و الآخر عن «تزيينى» المعطوف، كما يكون نحو بيت بشّار شيئان يمكن فى ظاهر اللفظ أن يجعل أحدهما خبرا عن النّقع، و الآخر عن الأسياف، إلى أن تجى ء إلى فساده من جهه المعنى. فأنت فى نحو «إنى و تزيينى» ملجأ إلى جعل «الواو» بمعنى «مع» من كل وجه، حتى لا تقدر على إخراج الكلام إلى صوره تكون فيها «الواو» عاريه من معنى «مع»، و يكون تشبيها بعد تشبيه.

فإن قلت: إنّ فى «معلّق» معنى الذات و الصفه معا، فيمكن أن يكون أراد أن يشبّه نفسه بذات الفاعل، و تزيينه بالفعل نفسه.

فإن قلت: إنّ فى «معلّق» معنى الذات و الصفه معا، فيمكن أن يكون أراد أن يشبّه نفسه بذات الفاعل، و تزيينه بالفعل نفسه.

أقول: لو أريد إنّى «كمعلّق درّا على خنزير، و إن تزيينى بمدحى معشرا كتعليق درّ على خنزير»، كان قولا ظاهر السقوط، لما ذكرت من أنه لا يتصوّر أن يشبّه المتكلم نفسه، من حيث هو زيد مثلا، بمعلّق الدرّ على الخنزير من حيث هو عمرو، و إنما يشبّه الفعل بالفعل، فاعرفه.

فإن قلت: فما تقول فى قوله «۱»: [من الطويل]

و حتى حسبت الليل و الصبح إذ بدا حصانين مختالين جونا و أشقرا

فإن ظاهره أنه من جنس المفرّق؟.

أقول: نعم، إلا أن ثمّه شيئا كالجمع، و هو أنّ لاقتران الحصانين الجون و الأشقر فى الاختيال ضربا من الخصوصيه فى الهيئه، لكنه لا يبلغ مبلغ «ليل تهاوى كواكبه»، و لا مبلغ قوله: [من الرجز] و الصّبح مثل غرّه فى أدهم كما

أنّ قوله «٢»: [من الكامل]

دون التّعانق ناحلين كشكلتى نصب أدقّهما و ضمّ الشاكل

---

(١) لم أعثر عليه.

(٢) البيت فى ديوان المتنبى ص ٢٢٣، و فى التبيان للعكبرى ص ٢٠١، من قصيده يمدح بها القاضى أبا الفضل بن عبد اللّه بن الحسين الأنطاكى و قبله:

كم وقفه سجرتک شوقا بعد ما غرى الرقيب بنا و كجّ العاذل

و الشاكل الذى يصمّم شكل الكتاب، و هذا فاعل أدق و ضم، الشكله: أراد الشكله التى تكون فى الإعراب و هى الفتحه، و هى من قولهم شكلت الدابه أى: ضبطتها و الشكله تضبط الحروف.

و (المعنى): يقول وقفنا دون التعانق قرب بعضنا من بعض و لم نتعانق، فكأننا لقربنا شكلتان دقيقتان جمع الكاتب بينهما، و هو تشبيه حسن شبه تقاربهما بتقارب الشكلتين و تحولهما بنحول الشكله و وصفها مثله لأن بها ما به من الوجد. التبيان للعكبرى ص ٢٠١.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ١٥٠

لا يكون كقوله «١»: [من البسيط]

إنى رأيتک فى نومى تعانقنى كما تعانق لام الكاتب الألفا

فإن هذا قد أدّى إليک شكلا مخصوصا لا يتصوّر فى كل

واحد من المذكورين على الانفراد بوجه، و صوره لا تكون مع التفريق و أما المتنبى فأراك الشيئين فى مكان واحد و شدّد فى القرب بينهما، و ذاك أنه لم يعرض لهيئه العناق و مخالفتها صوره الافتراق، و إنما عمد إلى المبالغه فى فرط النّحول، و اقتصر من بيان حال المعانقه على ذكر الضّمّ مطلقا و الأوّل لم يعن بحديث الدقّه و النحول، و إنما عنى بأمر الهيئه التى تحصل فى العناق خاصّه، من انعطاف أحد الشكلين على صاحبه، و التفاف الحبيب بمحبّه، كما قال «٢»: [من المتقارب] لفّ الصّبا بقضيب قضيبا و أجاد و أصاب الشبه أحسن إصابه، لأن خطّى اللام و الألف فى «لا» ترى رأسيهما فى جهتين، و تراهما قد تماسّا من الوسط، و هذه هيئه المعتنقين على الأمر بالمعروف، فأما قصد المتنبى فليس بصفه عناق على الحقيقه، و إنما هو تضامّ و تلاصق، و هو بنحو قوله: [من البسيط]

ضممته ضمّه عدنا بها جسدا فلو رأتنا عيون ما خشيناها

أشبه، لأن القصد فى مثله شدّه الالتصاق، من غير تعريج على هيئه الاعتناق.

و ذهب القاضى فى بيت المتنبى إلى أنه كأنه معنى مفرد غير مأخوذ من قوله:

كما تعانق لام الكاتب الألفا و قال: «و لئن كان أخذه، كما يقولون، فليس عليه معتب، لأنّ التعب فى نقله ليس بأقلّ من التعب فى ابتدائه».

و هذا التفضيل و التفصيل من قول القاضى ليس قادحا فى غرضى، لأنّى أردت أن أريك مثالا فى وضع التشبيه على الجمع و التفريق، و أجعل البيتين معيارا فيما

---

(١) البيت

مختلف النسبه، لبکر بن النطاح فی الأغانی ۱۹/ ۱۱۰، و لأبی نواس فی التشبیهات، و لأبی بکر الموسوس فی العقد الفرید ۶/ ۱۷۳، و هو فی الأمالی ص ۲۲۶.

(۲) البیت للبحتری فی دیوانه، و صدره:

و لم أنس لیلتنا فی العناق

أسرار البلاغه فی علم البیان، ص: ۱۵۱

أردت. و لئن کان المتنبی قد زاد علی الأوّل، فلیس تلک الزیاده من حیث وضع الشبه علی ترکیب شکلین، و لکن من جهه أخری، و هی الإغراق فی الوصف بالنحول و جمع ذلک للخلّین معا، ثم إصابه مثال له و نظیر من الخطّ. فاعرف ذلک، و لا تظنّ أن قصدی المفاضله بین البیتین من حیث القول فی السابق و المسبوق، و الأخذ و السرقه، فتحسب أنی خالفت القاضی فیما حکم به.

فصل هذا فنّ غیر ما تقدّم فی الموازنه بین التشبیه و التمثیل

فصل هذا فنّ غیر ما تقدّم فی الموازنه بین التشبیه و التمثیل

اعلم أنّی قد عرّفتک أن کل تمثیل تشبیه، و لیس کل تشبیه تمثیلا، و ثبّت وجه الفرق بینهما.

و هذا أصل إذا اعتبرته و عرضت کلّ واحد منهما علیه فوجدته یجی ء فی التشبیه مجیئا حسنا، و ینقاد القیاس فیه انقیادا لا تعسّف فیه، ثم صادفته لا- یطاوعک فی التمثیل تلک المطاوعه، و لا- یجری فی عنان مرادک ذلک الجری ظهر لک نوع من الفرق و الفصل بینهما غیر ما عرفت، و انفتح منه باب إلی دقائق و حقائق، و ذلک جعل الفرع أصلا و الأصل فرعا، و هو إذا استقریت التشبیهات الصریحه و جدته یکثر فیها.

و ذلک نحو أنهم یشبّهون الشی ء فیها بالشی ء

فى حال. ثم يعطفون على الثانى فيشبّهونه بالأول، فترى الشى ء مشبّها مرّه، و مشبّها به أخرى.

فمن أظهر ذلك أنك تقول فى النجوم: «كأنها مصابيح»، ثم تقول فى حاله الأخرى فى المصابيح: «كأنها نجوم» و مثله فى الظهور و الكثره تشبيه الخدّ بالورد، و الورد بالخدّ و تشبيه الرّوض المنوّر بالوشى المنمنم و نحو ذلك، ثم يشبّه النقش و الوشى فى الحلل بأنوار الرياض و تشبّه العيون بالنرجس، ثم يشبّه النرجس بالعيون، كقول أبى نواس: [من الطويل]

لدى نرجس عضّ القطاف كأنّه إذا ما منحناه العيون عيون «۱»

---

(۱) البيت فى ديوانه ص ۳۲۵، و قبله:

كأن سطورا فوقها حميريه تكاد و إن طال الزمان تبين

و البيت فى الديوان يروى «أرى نرجسا» بدلا من «لدى نرجس».

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۱۵۲

و كذلك تشبيه الثّغر بالأقاحى، ثم تشبيهها بالثغر، كقول ابن المعتز: [من السريع]

و الأقحوان كالثّنايا الغرّ قد صقلت أنواره بالقطر «۱»

و قول التّنوخى: [من الخفيف]

أقحوان معانق لشقيق

كثغور تعضّ ورد الخدود

و بعده، و هو تشبيه النرجس بالعيون:

و عيون من نرجس تتراءى كعيون موصوله التّسهيد «۲»

و كما يشبّهون السيوف عند الانتضاء بعقائق البروق، كما قال: [من الوافر]

و سيفى كالعقيقه و هو كمعى سلاحى، لا أفلّ و لا فطارا

ثم يعودون فيشبّهون البرق بالسيوف المنتضاه، كما قال ابن المعتزّ يصف سحابه: [من المتقارب]

و ساريه لا تملّ البكا جرى دمعها فى خدود الثّرى

سرت تقدح الصّبح فى ليلها ببرق كهنديه تنضى «۳»

و كقول الآخر يصف نار السّذق: [من المتقارب]

و ما زال يعلو عجاج الدّخان إلى أن تلوّن منه زحل «۴»

و كنّا نرى الموج من فضّه فذهّبه النّور حتى اشتعل

شرارا

يحاكى انقضاض النجوم و برقا كإيماض بيض تسلّ

و من لطيفه قول على بن محمد بن جعفر: [من الكامل]

دمن كأنّ رياضها يكسين أعلام المطارف «۵»

و كأنّما غدرانها فيها عشور من مصاحف

و كأنّما أنوارها تهتزّ فى نكباء عاصف

---

(۱) البيت فى ديوانه.

(۲) البيت و الذى قبله من أبيات فى يتيمه الدهر ۲/ ۳۱۳ فى صفه الروض.

(۳) البيتان فى ديوانه من أول قصيده فى الفخر.

(۴) الأبيات لأبى الحسن السلامى فى يتيمه الدهر ۲/ ۳۸۷.

(۵) الأبيات لعلى بن محمد بن جعفر هو أبو الحسن العلوى الحمانى و الشعر فى أمالى القالى ۱/ ۱۷۷، و السمط ۴۳۹، ۴۴۰. و المطارف: جمع مطرف و هو رداء من القز فيه أعلام، و الطرر:

جمع طرّه، و هو أن يقطع للجاريه من مقدّم ناصيتها كالطرّه تحت التاج، لا تبلغ حاجبها، و المثاقف: هو الذى يحسن المثاقفه بالسيف فى الخصام و الجلاد أى: العمل به (محمود شاكر).

طرر الوصائف يلتق ين بها إلى طرر الوصائف

و كأنّ لمع بروقها فى الجوّ أسياف المثاقف

المقصود البيت الأـخير، و لكن البيت إذا قطع عن القطعه كـان كالكعـاب تفرد عن الأـتراب، فيظهر فيها ذلّ الاغتراب، و الجوهره الثمينه مع أخواتها فى العقد أبهى فى العين، و أملأ بالزين، منها إذا أفردت عن النظائر، و بدت فذّه للناظر.

و يشبّهون الجواشن و الدروع بالغدير يضرب الريح متنه فيتكسّر، و يقع فيه ذلك الشنج المعلوم كقوله «۱»: [من الطويل]

و بيضاء زغف نثله سلميّه لها رفرف فوق الأنامل من عل

و أشبرنيها الهالكىّ، كأنها غدير جرت فى متنه الرّيح سلسل

و قال «۲»: [من المتقارب]

و سابغه من جياد الدّروع تسمع للسيف فيها صليلا

كمتن الغدير زفته الدّبور يجرّ المدجّج منها فضولا

و قال البحترى «٣»: [من الكامل]

يمشون فى زغف كأنّ متونها فى كل معركه متون نهاء

---

(١) البيتان لأوس بن حجر فى ديوانه، و لسان العرب (شبر). بيضاء: الدرع الزّغف و الزّغفه: الدرع المحكمه، و قيل: الواسعه الطويله، تسكن و تحرك. و قيل: الدرع اللينه، و الجمع: زغف على لفظ الواحد، و أنكر ابن الأعرابى تفسير الزغفه بالواسعه من الدروع، و قال: هى الصغيره الحلق. و النّثله:

الدرع عامه، و قيل: هى السابغه منها، و قيل: هى الواسعه منها السليمه بالضم: نسبه سماعيه إلى سليمان بن داود عليهما السلام. أشبر الرجل: أعطاه و فضله، و شبره سيفا و مالا: أعطاه إياه و يروى البيت فى اللسان (أشبرنيه) و أيضا (أشبرنيها) فتكون الهاء للدرع. قال ابن برى: و هو الصواب لأنه يصف درعا لا سيفا. [اللسان: شبر].

(٢) البيتان لعبد قيس بن خفاف من قصيدته فى المفضليات: ٣٨۶ و مطلعها:

صحوت و زايلنى باطلى لعمر أبيك زيالا طويلا

و القصيده من الأدب الرفيع و الخلق السامى، و فيها يظهرنا هذا الرجل على ما صار إليه من خلق كريم. و عبد قيس بن خفاف: هو من بنى عمرو بن حنظله من البراجم، كما قال الأنبارى، و لم يرفع نسبه و لم نجد شيئا من ترجمته.

(٣) البيت فى ديوانه. و النّهى: الموضع الذى له حاجز ينهى الماء أن يفيض منه. و قيل: هو الغدير فى لغه أهل

نجد.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۱۵۴

و هو من الشهره بحيث لا يخفى. ثم إنهم يعكسون هذا التشبيه فيشبّهون الغدران و البرك بالدروع و الجواشن، كقول البحترى يصف البركه «۱»: [من البسيط]

إذا زهتها الصّبا أبدت لها حبكا مثل الجواشن مصقولا حواشيها

و من فاتن ذلک و فاخره، لاستواء أوّله فى الحسن و آخره، قول أبى فراس الحمدانى «۲»: [من مجزوء الكامل]

انظر إلى زهر الربيع و الماء فى برک البديع

و إذا الرياح جرت على ه فى الذّهاب و فى الرجوع

نثرت على بيض الصّفا ئح بيننا حلق الدروع

و تشبّه أنوار الرياض بالنجوم، كقوله «۳»: [من الكامل]

بكت السماء بها رذاذ دموعها فغدت تبسّم عن نجوم سماء

ثم تشبّه النجوم بالنّور كقوله «۴»: [من البسيط]

قد أقذف العيس فى ليل كأنّ به و شيا من النّور أو روضا من العشب

و كقول ابن المعتزّ «٥»: [من الطويل]

كأنّ الثّريّا فى أواخر ليلها تفتّح نور أو لجام مفضّض

و قال «٦»: [من الكامل]

و توقّد المرّيخ بين نجومها كبهاره فى روضه من نرجس

---

(١) البيت فى ديوانه. الحبك، حبك السماء: طرائقها، و من التنزيل: وَ السَّماءِ ذاتِ الْحُبُكِ يعنى:

طرائق النجوم واحدتها: «حبكه»، و قال الفراء فى قوله: وَ السَّماءِ ذاتِ الْحُبُكِ قال: الحبك تكسّر كل شى ء كالرمله إذا مرت عليها الريح الساكنه و الماء القائم إذا مرت به الريح، و الدرع من الحديد لها حبك أيضا. الجوشن: اسم الحديد الذى يلبس من السلاح. الجوهرى: الجوشن:

الدرع. [اللسان: حبك، جشن].

(٢) الأبيات فى ديوانه.

(٣) البيت للبحترى فى ديوانه. الرّذاذ: المطر، و قيل: الساكن الدائم الصغار القطر كأنه غبار. و قيل:

هو بعد الطلل. قال الأصمعى: أخف المطر و أضعفه الطلل ثم الرذاذ. [اللسان: رذذ].

(٤) البيت للبحترى فى ديوانه.

(٥) راجع ص ١٢٣ هامش رقم (٣).

(٦) البيت لابن المعتز فى ديوانه ص ٢٧٦، و هو من خمسه أبيات مطلعها:

كم ليله محموده أحييتها

جاءت بأسعد طائر لم ينحس

بيضاء مقمره لقيها صحبها و ثيابها فى ظلمه لم تدنس

«البهار» بالفتح: نبت طيب الرائحه، واحده البهار.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۱۵۵

و كذلك تشبّه غرّه الفرس الأدهم بالنّجم أو الصبح، و يجعل جسمه كالليل، كما قال ابن المعتزّ «۱»: [من الرجز]

جاء سليلا من أب و أمّ أدهم مصقول ظلام الجسم

قد سمّرت جبهته بنجم و كما قال كاتب المأمون يصف فرسا «۲»: [من الرمل]

قد بعثنا بجواد مثله ليس يرام

فرس يزهى به للح سن سرج و لجام

وجهه صبح، و لكن سائر الجسم ظلام

و الذى يصلح للمو

لی، علی العبد حرام

و قال ابن نباته «۳»: [من الوافر]

و أدهم یستمد اللیل منه و تطلع بین عینیه الثّریّا

ثم یعکس فیشبّه النجم أو الصبح بالغرّه فی الفرس، کقول ابن المعتزّ «۴»: [من الرجز]

و الصّبح فی طرّه لیل مسفر کأنه غرّه مهر أشقر

و تشبّه الجواری فی قدودهن بالسّرو تشبیها عامّیا مبتذلا، ثم إنهم قد جعلوا فیه الفرع أصلا، فشبّهوا السّرو بهنّ، کقوله «۵»: [من الکامل]

حفّت بسرو کالقیان تلحّفت خضر الحریر علی قوام معتدل

فکأنّها و الرّیح حین تمیلها تبغی التعانق ثم یمنعها الخجل

و المقصود من البیت الأول ظاهر، و فی البیت الثانی تشبیه من جنس الهیئه

---

(۱) البیتان لم أعثر علیهما فی دیوانه (طبعه دار صادر).

(۲) الأبیات لعمرو بن مسعده، کاتب المأمون و الشعر فی ترجمته فی معجم الأدباء (محمود شاکر).

(۳) البیت و هو فی الإیضاح: ۳۲۲ تحقیق د. عبد الحمید هنداوی. أدهم: فرس أسود. الثریا: کوکب معروف استعاره لغره الفرس.

(۴) البیت لم أجده فی دیوانه (طبعه دار صادر).

(۵) البیتان فی وصف

روضه نسبها ياقوت فى معجم الأدباء لأحمد بن سليمان بن وهب فى ترجمته، و قال: ربما نسبوه إلى غيره، كأنه يعنى نسبتهما إلى سعيد بن حميد كما فى التشبيهات لابن عون ص ١٩٧، و حماسه الشجرى: ٧۶٢ (محمود شاكر).

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ١۵۶

المجرّده من هيئات الحركه، و فيه تفصيل طريف فاتن، فقد راعى الحركتين حركه التهيّؤ للدنوّ و العناق، و حركه الرّجوع إلى أصل الافتراق، و أدّى ما يكون فى الحركه الثانيه من سرعه زائده تأديه تحسب معها السّمع بصرا، تبيينا للتشبيه كما هو و تصوّرا، لأن حركه الشجره المعتدله فى حال رجوعها إلى اعتدالها أسرع لا محاله من حركتها فى حال خروجها عن مكانها من الاعتدال، و كذلك حركه من يدركه الخجل فيرتدع، أسرع أبدا من حركته إذا همّ بالدنوّ، فإزعاج الخوف و الوجل أبدا أقوى من إزعاج الرجاء و الأمل، فمع الأوّل تمهّل الاختبار، و سعه الحوار، و مع الثانى حفز الاضطرار، و سلطان الوجوب.

و أعود إلى الغرض.

و من تشبيه السّرو بالنساء قول ابن المعتزّ «١»: [من الطويل]

ظللت بملهى خير يوم و ليله تدور علينا الكأس فى فتيه زهر

بكفّ غزال ذى عذار و طرّه و صدغين كالقافين فى طرفى

سطر

لدى نرجس غضّ و سرو كأنه قدود جوار ملن فى أزر خضر

و تشبّه ثديّ الكواعب بالرمّان كقوله «٢»: [من الكامل]

و بما تبيت أناملى يجنين رمّان النّحور

و قول المتنبى «٣»: [من الطويل]

و قابلنى رمّانتا غصن بانه يميل به بدر و يمسكه حقف

و قوله «۴»: [من الطويل]

يخطّطن بالعيدان فى كلّ منزل و يخبأن رمّان الثّديّ النواهد

---

(١) هى ثلاثه أبيات فى ديوانه ص ٢٣۵ (طبعه دار صادر).

(٢) البيت آخر ثلاثه أبيات للنميرى (محمد بن عبيد اللّه) فى ديوان المعانى ١/ ٢۵٣. و النحور:

الصدور. ابن سيده: نحر الصدر: أعلاه، و قيل: هو موضع القلاده منه، و هو المنحر مذكر لا غير.

(٣) البيت غير موجود فى ديوانه (طبعه دار الكتب العلميه) و موجود فى التبيان على شرح ديوان أبى الطيب المتنبى للعكبرى ص ۴۶٠. الحقف: ما اعوج من الرمل و جمعه أحقاف و حقاف و قد نطق القرآن بالأحقاف. و هو يريد بالرمانتين الثديين و بالغصن القد و بالبدر الوجه و بالحقف الردف و معنى البيت يقول: لما قامت للوداع قابلن رمانتان من

ثديها على قد مثل الغصن يميله وجه كالبدر فكان وجهها يميل قامتها ثم يمسك الردف بثقله قامتها الخفيفه فلا تقدر على سرعه الحركه. [التبيان للعكبرى].

(۴) البيت للنابغه الذبيانى فى ديوانه ص ۴۰ من قصيده قالها فى مدح النعمان بن وائل، و قبله:

و شيمه لا وان، و لا واهن القوى و جدّ إذا خاب المفيدون صاعد

فآب بأبكار و عون عقائل أوانس يحميها امرؤ غير زاهد

و نواهد: جمع نهد: الثدى أى: أنهن خجولات يتلهين باللعب بالعيدان.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۱۵۷

ثم يقلب فيشبّه الرّمان بالثدى، كقول القائل «۱»: [من الطويل]

و رمّانه شبّهتها إذا رأيتها بثدى كعاب أو بحقّه مرمر

منمنمه صفراء نضّد حولها يواقيت حمر فى ملاء معصفر

و تشبّه الجداول و الأنهار بالسيوف، يراد بياض الماء الصّافى و بصيصه، مع شكل الاستطاله الذى هو شكل السيف، كقول ابن المعتز «۲»: [من السريع]

أعددت للجار و للعفاه كوم الأعالى متساميات

روازقا فى المحل مطعمات يعنى نخلا، ثم قال بعد أبيات:

تسقى بأنهار مفجّرات على حصى الكافور فائضات

بريئه الصّفو من القذاه مثل السّيوف المتعرّيات

ابن بابك «٣»: [من الوافر]

فما سيل تخلّصه المحانى كما سلّت من الخلل المناصل

أبو فراس «۴»: [من الكامل]

و الماء يفصل بين زه ر الرّوض فى الشطّين فصلا

كبساط وشى جرّدت أيدى القيون عليه نصلا

كشاجم «۵»: [من الكامل]

و ترى الجداول كالسّيو ف لها سواق كالمبارد

---

(۱) البيتان من ثلاثه أبيات فى محاضرات الأدباء ۱/ ۳۸۴ لابن شاه (أبو نصر سعيد بن شاه).

(۲) لم أجدها فى ديوانه (طبعه دار صادر). الكوم: القطعه من

الإبـل، و نـاقه كوماء: عظيمه السـنام طويلته الكوم: عظم فى السـنام، و فى الحـديث: أن النبى صـلّى اللّه عليه و سـلّم رأى فى نعم الصدقه ناقه كوماء، و هى الضخمه السنام أى: مشرفه السنام عاليه [اللسان: كوم].

(۳) المحانى: معاطف الأوديه و محابس الماء. الخلل: جمع خله بالكسر و هى: جفن السيف المغشى بالأدم أو بطانه جفن السيف مطلقا و المناصل: السيوف، واحدها كمنخل (رشيد).

(۴) البيتـان لأبى فراس فى ديوانه فانظره. النصل: حديـده السـهم و الرّمـح، ج: أنصل، و نصول، و نصال الوشـى: الثياب الملونه و الوشى يكون من كل لون، و الوشى فى اللون خلط لون بلون. و الجمع:

و شاء على فعل و فعال.

(۵) كشـاجم: شـاعر زمـانه، يـذكر مع المتنبى، و هو أبو نصر محمود بن حسـين، له ذكر فى تاريـخ دمشق و كـان شـاعرا، كاتبا، منجّما، فعمل من حروف ذلك له اللقب.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۱۵۸

آخر «۱»: [من البسيط]

و فى الجداول أسياف محادثه و الطير تسجع أهزاجا و أرمالا

و قال ذو الرمّه «۲»: [من الطويل]

فما انشقّ ضوء الصبح حتى تبيّنت جداول أمثال السّيوف القواطع

ابن الرومى «۳»: [من الرجز]

على

حفافى جدول مسجور أبيض مثل المهرق المنشور

أو مثل متن الصارم المشهور ثم يقلبون أحد طرفى التشبيه على الآخر، فيشبّهون السيوف بالجداول، كقوله «۴»: [من الكامل]

و تخال ما ضربوا بهنّ جداولا و تخال ما طعنوا به أشطانا

ابن بابك «۵»: [من الطويل]

و أهدى إلى الغارات عزما مشيّعا و بأسا و باعا فى اللّقاء و مقصلا

سفيه مقطّ الطرّتين أشيمه فيوحى إلى الأعضاء أن تتزيّلا

أغرّ كأنى حين أخضب حدّه خرقت به فى ملتقى الرّوض جدولا

السرّى «۶»: [من الوافر]

و كم خرق الحجاب إلى مقام توارى الشمس فيه بالحجاب

---

(۱) أسياف: جمع سيف، و تجمع أيضا على «سيوف، أسيف»، و محادثه السيف: جلاؤه. و أحدث الرجل سيفه، و حادثه إذا جلاه. الهزج و الرّمل: بحران من بحور الشعر العربى و الهزج: الفرح، و الصوت المطرب، و صوت فيه بحح.

(۲)

البيت لذى الرمه فى ديوانه ص ١٦٧.

(٣) الحفاف: الجانب. و المسجور: المملوء. و المهرق: صحيفه يكتب عليها. الصارم: القاطع من السيوف.

(۴) الشطن: الحبل الذى يستقى به.

(۵) ابن بابک: شاعر وقته، أبو القاسم عبد الصمد بن منصور بن بابک البغدادى، و ديوانه كبير فى مجلدين توفى سنه عشر و أربع مائه. المشيع: الشجاع، المقصل: القطّاع، و يوصف به السيف.

السفيه: المضطرب، المقط: القطع، الطرتين: مثنى طره، و هو الجانب أو الطرف.

(۶) السرى: هو أبو الحسن السرىّ بن أحمد الكندى، الموصلى، مدح سيف الدوله، و مات سنه نيّف و ستين و ثلاث مائه ببغداد.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ١۵٩

كأنّ سيوفه بين العوالى جداول يطّردن خلال غاب

و له أيضا: [من الطويل]

كأنّ سيوف الهند بين رماحه جداول فى غاب سما فتأشّبا

و تشبّه الأسنّه، كما لا يخفى، بالنجوم، كما قال «١»: [من الكامل] و أسنّه زرقا تخال نجوما و قال البحترى «٢»: [من الكامل]

و تراه فى ظلم الوغى فتخاله قمرا يكرّ على الرّجال بكوكب

يعنى السنان، و قال ابن المعتزّ «٣»: [من الكامل]

و تراه يصغى فى القناه بكفّه نجما و نجما فى القناه يجرّه

و مثله سواء قوله «۴»: [من السريع]

كأنما الحربه فى كفّه نجم دجى شيّعه البدر

ثم قد شبّهوا الكواكب بالسّنان، كقول الصنوبرى «۵»: [من المنسرح]

بشّر بالصّبح كوكب الصّبح فاض و جنح الدّجى كلا جنح

فهو على الفجر كالسّنان هوى للعين كما هوى على رمح

ابن المعتزّ «۶»: [من السريع]

شربتها و الديک لم ينتبه سكران من نومته طافح

و لاحت الشّعرى و جوزاؤها كمثل زجّ جرّه رامح

و هذه إن أردت الحقّ، قضيّه قد سبقت و قدمت، فقد قالوا: «المسک الرامح»، على معنى أن كوكبا يتقدّمه و هو رمحه، و لا شک أن جلّ الغرض فى جعل ذلک

---

(۱) البيت لليلى الأخيليه فى ديوانها ص ۱۱۰، و مقاييس اللغه ۲/ ۴۷۹،

و صدره:

قوم رباط الخيل وسط بيوتهم و أسنه زرق ....

(٢) البيت فى ديوانه.

(٣) البيت فى ديوانه.

(۴) البيت فى ديوان البحترى.

(۵) البيت فى المطبوعه: «كما هوى»، و فى طبعه الشيخ (شاكر): «لمّا هوى»، و هو الصواب.

(۶) الزج: حديده تركب فى أسفل الرمح. و السنان: فى أعلى الرمح.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۱۶۰

الكوكب رمحا أن يقدّروه سنانا، فالرمح رمح بالسنان، و إذا لم يكن السنان فهو قناه، و لذلك قال «۱»: [من المتقارب] و رمحا طويل القناه عسولا و من ذلك أن الدموع تشبّه إذا قطرت على خدود النساء بالطّلّ و القطر على ما يشبه الخدود من الرياحين، كقول الناشئ «۲»: [من المتقارب]

بكت للفراق و قد راعها بكاء الحبيب لبعد الدّيار

كأنّ الدّموع على خدّها بقيّه طلّ على جلّنار

و شبيه به قول ابن الرومى «۳»: [من المنسرح]

لو كنت يوم الوداع حاضرنا و هنّ يطفئن غلّه الوجد

لم تر إلا الدموع ساكبه تقطر من مقله على خدّ

كأنّ تلك الدموع قطر ندى يقطر من نرجس على ورد

ثم يعكس، كقول البحترى «۴»: [من الطويل]

شقائق يحملن الندى فكأنّه دموع التصابى فى خدود الخرائد

و شبيه به قول ابن المعتزّ، و بعد قوله فى النرجس «۵»: [من الطويل]

كأن عيون النرجس الغضّ حولها مداهن درّ حشوهنّ عقيق

إذا بلّهنّ القطر خلت دموعها بكاء عيون كحلهنّ خلوق

و فى فنّ آخر منه خارج عن جنس ما مضى، يشبّه الشيخ إذا أفناه الهرم، و حناه القدم، حتى يدخل رأسه فى منكبيه، بالفرخ، كما قال «۶»: [من الطويل]

ثلاث مئين قد مضين كواملا و ها أنا هذا أرتجى مرّ أربع

---

(۱) عجز بيت لعبد قيس بن خفاف، صدره:

و وقع لسان كحد السنان ....

انظر الأصمعيه ص ٨٨، و المفضليات ص ١١٧.

(٢) البيت للناشئ الأكبر. و الجلنار: زهر الرمان.

(٣) النّرجس، بالكسر، من الرياحين، معروف، و هو دخيل.

(۴) الخريده من النساء: البكر التى لم تمس قط، و قيل: هى الحييه الطويله السكوت، الخافضه الصوت، الخفره المتستره.

(۵) الخلوق: نوع من الطيب لونه أصغر.

(۶) هما لعمرو أو كعب بن حممه الدوسى من المعمرين، و شعره فى المعمرين ص ٢٢، و حماسه البحترى ص ٢٠۵.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ١۶١

فأصبحت مثل الفرخ فى العشّ ثاويا إذا رام تطيارا يقال له قع

و هو كثير، ثم يعكس فيشبّه بالشيخ، كما قال أبو نواس يرثى خلفا الأحمر «١»:

[من الرجز]

لو كان حىّ وائلا من التّلف لوألت شغواء فى أعلى شعف

أمّ فريخ أحرزته فى لجف مزغّب الألغاد لم يأكل بكفّ

كأنه مستقعد من الخرف و أعاده فى قصيده أخرى فى مرثيته أيضا «٢»:

[من المنسرح]

لا تئل العصم فى الهضاب، و لا شغواء تغذو فرخين فى لجف

تحنو بجؤشوشها على ضرم كقعده المنحنى من الخرف

و يشبّه الظّليم فى حركه جناحيه، مع إرسال لهما، بالخباء المقوّض، أنشد أبو العباس لعلقمه «٣»: [من البسيط]

صعل كأنّ جناحيه و جؤجؤه بيت أطافت به خرقاء مهجوم

اشترط أن تتعاطى تقويضه خرقاء، ليكون أشدّ لتفاوت حركاته، و خروج اضطرابه عن الوزن، و قال ذو الرمه: [من الطويل]

و بيض رفعنا بالضّحى عن متونها سماوه جون كالخباء المقوّض

هجوم عليها نفسه غير أنّه متى يرم فى عينيه بالشّبح ينهض

قالوا فى تفسيره: يعنى بالبيض بيض النعام، و «رفعنا»، أى: أثرنا عن ظهورها.

و «سماوه جون» أى: شخص نعام جون، و «سماوه الشى ء»، شخصه. و «الجون» الأسود هاهنا، لأنه قابل بين البياض و السواد. ثم شبّه النّعام فى حال إثارته عن البيض بالخباء المقوّض، و هو الذى نزعت أطنابه للتحويل. و البيت الثانى من

أبيات

---

(١) البيت فى ديوان أبى نواس ص ١٢٧. و البيت الثانى فى الديوان صدره هكذا:

أم فريخ أحرزته فى لجف الوائل: طالب النجاه، و وألت: نجت، الشغواء (بفتح فسكون) العقاب، و الشعف: بفتحتين:

جمع شعفه، و هى رأس الجبل. و الفريخ: تصغير الفرخ، و اللجف: حفر فى جانب البئر، و المزغب:

ذو الريش الدقيق.

(٢) البيت فى ديوان أبى نواس ص ١٢٨. لا تئل: لا تنجو، الجؤشوش: الصرم، الضرم: فرخ العقاب.

(٣) البيت لعلقمه بن عبده فى ديوانه ص ٦٣. و لسان العرب (هجم)، و تاج العروس (هجم). و لذى الرمه فى ملحقات ديوانه ص ١٩١١.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ١٦٢

الكتاب، أنشده شاهدا على إعمال «فعول» عمل الفعل، و ذلك قوله: «هجوم عليها نفسه»، فنفسه منصوب بهجوم، على أنه من «هجم» متعدّيا نحو: «هجم عليها نفسه»، أى: طرحها عليها، كأنه أراد أن يصف الظّليم فى خوفه بأمرين متضادّين، بأن يبالغ فى الانكباب على البيض فعل من شأنه اللزوم و الثبات و أن يثيره عنها الشى ء اليسير، نحو أن يقع بصره على الشخص من بعد، فعل من كان مستوفزا فى مكانه غير مطمئنّ و لا موطّن نفسه على السّكون، و قوله: «يرم فى عينيه بالشّبح»، كلام ليس لحسنه نهايه.

و قد قال ابن المعتزّ، فعكس هذا التشبيه، فشبّه حركه الخباء بالطائر، إلا أنه راعى أن يكون هناك صفه مخصوصه، فشرط فى الطائر أن يكون مقصوصا، و ذلك قوله: [من الخفيف]

و رفعنا خباءنا تضرب

الرى ح حشاه كالجادف المقصوص

و أخرجه إلى هـذا الشـرط: أنه أراد حركه خبـاء ثـابت غير مقوّض، إلاـ أن الريـح تقع فى جوفه فيتحرك جانبـاه على توال، كما يفعـل المقصوص إذا جـدف، و ذلـك أن يردّ جنـاحيه إلى خلفه فيتحرك جانباه. فحصل له أمران: أحـدهما أن الموفور الجناح يبسط جناحيه فى الأكثر، و ذلك إذا صفّ فى طيرانه، فلا يدوم ضربه بجناحيه، و المقصوص لقصوره عن البسط يديم ضربهما و الثانى تحريك الجناحين إلى خلف.

و هذا كثير جدّا، و تتبّعه فى كل باب و نوع من التشبيه يشغل عن الغرض من هذه الموازنه.

و إنما يمتنع هذا القلب فى طرفى التشبيه، لسـبب يعرض فى البين فيمنع منه، و لا يكون من صميم الوصف المشترك بين الشيئين المشبّه أحدهما بالآخر.

فمن ذلك، و هو أقواه فيما أظنّ، أن يكون بين الشيئين تفاوت شديد فى الوصف الذى لأجله تشبّه، ثم قصدت أن تلحق الناقص منهما بالزائد، مبالغه و دلاله على أنه يفضل أمثاله فيه.

بيان هذا: أن هاهنا أشياء هى أصول فى شده السّواد كخافيه الغراب، و القار، و نحو ذلك، فإذا شبّهت شيئا بها كان طلب العكس فى ذاك عكسـا لمـا يوجبه العقل و نقضا للعاده، لأن الواجب أن يثبت المشـكوك فيه بالقياس على المعروف، لا أن يتكلّف فى المعروف تعريف بقياسه على المجهول و ما ليس بموجود على الحقيقه.

فأنت إذا قلت فى شى ء: «هو كخافيه الغراب»، فقد أردت أن تثبت له سوادا زائدا

على ما يعهد فى جنسه، و أن تصحّح زياده هى مجهوله له، و إذا لم يكن هاهنا ما يزيد على خافيه الغراب فى السواد، فليت شعرى ما الذى تريد من قياسه على غيره فيه، و لهذا المعنى ضعف بيت البحترى: [من الطويل]

على باب قنّسرين و الليل لاطخ جوانبه من ظلمه بمداد

و ذاك أن «المداد» ليس من الأشياء التى لا مزيد عليها فى السواد، كيف؟ و ربّ مداد فاقد اللون، و الليل بالسواد و شدّته أحقّ و أحرى أن يكون مثلا، أ لا ترى إلى ابن الرومى حيث قال: [من السريع]

حبر أبى حفص لعاب الليل يسيل للإخوان أىّ سيل

فبالغ فى وصف الحبر بالسواد حين شبّهه بالليل، و كأن البحترى نظر إلى قول العامّه فى الشى ء الأسود «هو كالنّقس»، ثم تركه للقافيه إلى «المداد».

فإن قلت: فينبغى على هذا أن لا يجوز تشبيه الصّبح بغرّه الفرس لأجل أنّ الصبح بالوصف الذى لأجله شبّه الغره به أخصّ، و هو فيه أظهر و أبلغ، و التفاوت بينهما كالتفاوت بين خافيه الغراب و القار و بين ما يشبّه بهما.

فالجواب: أن الأمر، و إن كان كذلك، فإنّ تشبيه غرّه الفرس بالصبح حيث ذكرت، لم يقع من جهه المبالغه فى وصفها بالضياء و الانبساط و فرط التلألؤ، و إنما قصد أمر آخر: و هو وقوع منير فى مظلم، و حصول

بياض فى سواد، ثم البياض صغير قليل بالإضافه إلى السواد، و أنت تجد هذا الشّبه على هذا الحدّ فى الأصل، فإذا عكست فقلت: «كأنّ الصّبح عند ظهور أوّله فى الليل غرّه فى فرس أدهم»، لم تقع فى مناقضه كما أنك لو شبّهت الصّبح فى الظلام بقلم بياض على ديباج أسود لم تخرج عن الصواب و على نحو من ذلك قول ابن المعتزّ: [من الطويل]

فخلت الدّجى و الفجر قد مدّ خيطه رداء موشّى بالكواكب معلما

فالعلم فى هذا الرداء هو الفجر بلا شبهه. و له، و هو صريح ما أردت: [من البسيط]

و الليل كالحلّه السّوداء لاح به من الصّباح طراز غير مرقوم

و إن كان التفاوت فى المقدار بين الصّبح و الطّراز فى الامتداد و الانبساط شديدا.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۱۶۴

و كذلك تشبيه الشّمس بالمرآه المجلوّه، و بالدينار الخارج من السّكّه، كما قال ابن المعتزّ: [من الخفيف]

و كأنّ الشّمس المنيره دينا ر جلته حدائد الضّرّاب

حسن مقبول، و إن عظم التفاوت بين نور الشمس و نور المرآه و الدّينار أو الجرم و الجرم،

لأنک لم تضع التشبيه على مجرّد النّور و الائتلاق، و إنما قصدت إلى مستدير يتلألأ و يلمع، ثم خصوص فى جنس اللون يوجد فى المرآه المجلوّه و الدينار المتخلّص من حمى السّکّه، کما يوجد فى الشمس. فأما مقدار النور، و أنه زائد أو ناقص و متناه، أو متقاصر، و الجرم: أ عظيم هو أم صغير؟ فلم تتعرّض له، و يستقيم لک العکس فى هذا کله، نحو أن تشبّه المرآه بالشمس، و کذلک لو قلت فى الدينار:

«کأنه شمس»، أو قلت: «کأن الدنانير المنثوره شموس صغار» لم تتعدّ.

و جمله القول أنه متى لم يقصد ضرب من المبالغه فى إثبات الصفه للشى ء، و القصد إلى إيهام فى الناقص أنه کالزائد، و اقتصر على الجمع بين الشيئين فى مطلق الصوره و الشکل و اللون، أو جمع وصفين على وجه يوجد فى الفرع على حدّه أو قريب منه فى الأصل، فإنّ العکس يستقيم فى التشبيه، و متى أريد شى ء من ذلک لم يستقم.

و قد يقصد الشاعر، على عاده التخييل، أن يوهم فى الشى ء هو قاصر عن نظيره فى الصفه أنه زائد عليه فى استحقاقها، و استيجاب أن يجعل أصلا فيها، فيصحّ على موجب دعواه و سرفه أن يجعل الفرع أصلا، و إن کنّا إذا رجعنا إلى التحقيق، لم نجد الأمر يستقيم على ظاهر ما يضع اللفظ عليه، و مثاله قول محمد بن وهيب: [من الکامل]

و بدا الصّباح کأنّ غرّته وجه الخليفه حين يمتدح

فهذا على أنه جعل وجه الخليفه کأنه أعرف و أشهر و أتمّ و أکمل

فى النور و الضياء من الصّباح، فاستقام له بحكم هذه النّيه أن يجعل الصباح فرعا، و وجه الخليفه أصلا.

و اعلم أن هذه الدعوى و إن كنت تراها تشبه قولهم: «لا يدرى أوجهه أنور أم الصّبح، و غرّته أضوأ أم البدر»، و قولهم إذا أفرطوا: «نور الصباح يخفى فى ضوء وجهه»، أو «نور الشمس مسروق من جبينه»، و ما جرى فى هذا الأسلوب من وجوه الإغراق و المبالغه فإن فى الطريقه الأولى خلابه و شيئا من السحر، و هو أنه كأنه يستكثر للصّباح أن يشبّه بوجه الخليفه، و يوهم أنه قد احتشد له، و اجتهد فى طلب

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۱۶۵

تشبيه يفخّم به أمره، و جهته الساحره أنه يوقع المبالغه فى نفسك من حيث لا تشعر، و يفيدكها من غير أن يظهر ادّعاؤه لها، لأنه وضع كلامه وضع من يقيس على أصل متّفق عليه، و يزجّى الخبر عن أمر مسلّم لا حاجه فيه إلى دعوى و لا إشفاق من خلاف مخالف و إنكار منكر، و تجهّم معترض، و تهكّم قائل: «لم؟»، و «من أين لك ذلك؟».

و المعانى إذا وردت على النّفس هذا المورد، كان لها ضرب من السّرور خاصّ و حدث بها من الفرح عجيب، فكانت كالنعمه لم تكدرها المنّه، و الصّنيعه لم ينغّصها اعتداد المصطنع لها.

و فى هذا الموضع شبيه بالنكته التى ذكرتها فى التجنيس، لأنك فى الموضعين تنال الربح فى صوره رأس المال، و ترى الفائده قد ملأت يدك من حيث حسبتها قد جازتك و أخلتك، و

تجد على الجمله الوجود من حيث توهمّت العدم.

و لطيفه أخرى، و هو أن من شأن المدح إذا ورد على العاقل أن يقفه بين أمرين يصعب الجمع بينهما و توفيه حقّهما: معرفه حقّ المادح على ما احتشد له من تزيينه، و قصده من تفخيم شأنه فى عيون الناس بالإصغاء إليه و الارتياح له، و الدّلاله بالبشر و الطلاقه على حسن موقعه عنده و ملك النفس حتى لا يغلبها السرور عليه، و يخرج بها إلى العجب المذموم و إلى أن يقول: «أنا»، فيقع فى ضعه الكبر من حيث لا يشعر، و يظهر عليه من أمارته ما يذمّ لأجله و يحقّر، فما كبر أحد فى نفسه إلّا غان الكبر على عقله، و فسخ عقده من حلمه. و هذا موقف تزلّ فيه الأقدام، بل تخفّ عنده الحلوم، حتى لا يسلم من خدع النفس هناك إلا أفراد الرجال، و إلا من أدام التوفيق صحبته، و من أين ذلك و أنّى! فإذا كان المدح على صوره قوله: «وجه الخليفه حين يمتدح»، خفّ عنه الشطر من تكاليف هذه الخصله.

و إذ قد تبيّن كيف يكون جعل الفرع أصلا، و الأصل فرعا فى التشبيه الصريح، فارجع إلى «التمثيل»، و انظر هل تجى ء فيه هذه الطريقه على هذه السّعه و القوه؟ ثم تأمّل ما حمل من «التمثيل» عليها كيف حكمه؟ و هل هو مساو لما رأيت فى التشبيه الصريح، و حاذ حذوه على التحقيق، أم الحال على خلاف ذلك؟

و المثال فيما جاد من التمثيل مردودا فيه الفرع إلى موضع الأصل، و الأصل إلى محلّ الفرع، قوله «۱»: [من الخفيف]

و كأنّ النّجوم بين دجاه

سنن لاح بينهنّ ابتداع

---

(١) البيت للقاضى التنوخى. المصباح ص ١١٠، و نهايه الإيجاز ص ١٩٠، و يتيمه الدهر ٢/ ٣١٠.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ١٦٦

و ذلك أن تشبيه السّنن بالنجوم، تمثيل، و الشبه عقلىّ، و كذلك تشبيه خلافها من البدعه و الضلاله بالظّلمه. ثم إنه عكس فشبّه النجم بالسّنن، كما يفعل فيما مضى من المشاهدات، إلا أنّا نعلم أنه لا يجرى مجرى قولنا: «كأن النجوم مصابيح» تاره «و كأن المصابيح نجوم» أخرى، و لا مجرى قولك: «كأنّ السيوف بروق تنعقّ»، و «كأنّ البروق سيوف تسلّ من أغمادها فتبرق»، و نظائر ذلك مما مضى. و ذلك أن الوصف هناك لا يختلف من حيث الجنس و الحقيقه، و تجده العين فى الموضعين، و ليس هو فى هذا مشاهدا محسوسا، و فى الآخر معقولا متصوّرا بالقلب ممتنعا فيه الإحساس. فأنت تجد فى السيوف لمعانا على هيئه مخصوصه من الاستطاله و سرعه الحركه، تجده بعينه أو قريبا منه فى البروق، و كذلك تجد فى المداهن من الدرّ حشوهن عقيق، من الشكل و اللون و الصوره ما تجده فى النرجس، حتى يتصوّر أن يشتبه الحال فى الشى ء من ذلك، فيظنّ أن أحدهما الآخر: فلو أن رجلا رأى من بعيد بريق سيوف تنتضى من الغمود، لم يبعد أن يغلط فيحسب أن بروقا انعقّت، و ما لم يقع فيه الغلط كان حاله قريبا مما يجوز وقوع الغلط فيه. و محال أن يكون الأمر كذلك فى

التمثيل، لأن «السنن» ليست بشى ء يتراءى فى العين فيشتبه بالنجوم، و لا هاهنا وصف من الأوصاف المشاهده يجمع السنن و النجوم، و إنّما يقصد بالتشبيه فى هذا الضرب ما تقدّم من الأحكام المتأوّله من طريق المقتضى. فلمّا كانت «الضلاله و البدعه» و كل ما هو جهل، تجعل صاحبها فى حكم من يمشى فى الظّلمه فلا يهتدى إلى الطريق، و لا يفصل الشى ء من غيره حتى يتردّى فى مهواه، و يعثر على عدوّ قاتل و آفه مهلكه، لزم من ذلك أن تشبّه بالظلمه، و لزم على عكس ذلك أن تشبّه «السّنّه و الهدى و الشريعه و كلّ ما هو علم» بالنّور.

و إذا كان الأمر كذلك، علمت أن طريقه العكس لا تجى ء فى «التمثيل» على حدّها فى التشبيه الصريح، و أنها إذا سلكت فيه كان مبتيا على ضرب من التأوّل و التخيّل يخرج عن الظاهر خروجا ظاهرا، و يبعد عنه بعدا شديدا.

فالتأويل فى البيت: أنه لما شاع و تعورف و شهر وصف «السنّه» و نحوها بالبياض و الإشراق، و «البدعه» بخلاف ذلك، كما قال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: «أتيتكم بالحنيفيّه البيضاء ليلها كنهارها»، و قيل: «هذه حجّه بيضاء»، و قيل للشبهه و كل ما ليس بحق: «إنه مظلم»، و قيل «سواد الكفر»، و «و ظلمه الجهل»، يخيّل أن «السنن» كلها جنس من الأجناس التى لها إشراق و نور و ابيضاض فى العين، و أن «البدعه» نوع

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۱۶۷

من الأنواع التى لها فضل اختصاص بسواد اللون، فصار

تشبيهه النّجوم بين الدجى بالسنن بين الابتداع، على قياس تشبيههم النجوم فى الظلام ببياض الشيب فى سواد الشباب، أو بالأنوار و ائتلاقها بين النّبات الشديد الخضره، فهذا كلّه هاهنا، كأنه ينظر إلى طريقه قوله:

و بدا الصباح كأنّ غرّته فى بناء التشبيه على تأويل هو غير الظاهر، إلا أنّ التأويل هناك أنه جعل فى وجه الخليفه زياده من النور و الضياء يبلغ بها حال الصباح أو يزيد و التأويل هاهنا أنه خيّل ما ليس بمتلوّن كأنه متلوّن، ثم بنى على ذلك.

و من هذا الباب قول الآخر «۱»: [من الكامل]

و لقد ذكرتك و الظّلام كأنه يوم النّوى و فؤاد من لم يعشق

لما كانت الأوقات التى تحدث فيها المكاره توصف بالسواد فيقال: «اسودّ النهار فى عينى»، و «أظلمت الدنيا علىّ»، جعل يوم النوى كأنه أعرف و أشهر بالسواد من الظلام، فشبّه به، ثم عطف عليه «فؤاد من لم يعشق»، تظرّفا و إتماما للصنعه. و ذلك أن الغزل يدّعى القسوه على من لم يعرف العشق، و القلب القاسى يوصف بشدّه السواد، فصار هذا القلب عنده أصلا فى الكدره و السواد فقاس عليه.

و على ذلك قول العامّه: «ليل كقلب المنافق» أو «الكافر»، إلا أنّ فى هذا شوبا من الحقيقه، من حيث يتصوّر فى القلب أصل السواد، ثم يدّعى الإفراط، و لا يدّعى فى «البدعه» نفس السواد، لأنها ليس مما يتلوّن، لأن اللون من صفات الجسم. فالذى يساويه فى الشبه المساواه التامّه قولهم: «أظلم من الكفر»، كما قال ابن العميد فى كتاب يداعب فيه، و يظهر التظلّم من

هلال الصوم و يدعو على القمر فقال: «و أرغب إلى اللّه تعالى فى أن يقرّب على القمر دوره، و ينقص مسافه فلكه»، ثم قال بعد فصل: «و يسمعنى النّعره فى قفا شهر رمضان، و يعرض علىّ هلاله أخفى من السحر و أظلم من الكفر». و إن تأوّلت فى قوله:

سنن لاح بينهنّ ابتداع أنه أراد معنى قولهم: إن سواد الظلام يزيد النجوم حسنا و بهاء، كان له

---

(١) أورده محمد بن على الجرجانى فى الإشارات ص ١٧٦، و عزاه لأبى طالب الرقى. النوى: البعد، و التحول من مكان إلى آخر.

مذهب، و ذلك أنه لما كان وقوف العاقل على بطلان الباطل، و اطّلاعه على عوار البدعه، و خرقه الستر عن فضيحه الشّبهه، يزيد الحق نبلا فى نفسه، و حسنا فى مرآه عقله، جعل هذا الأصل من المعقول مثالا للمشاهد المبصر هناك، إلا أنه على ذلك لا يخرج من أن يكون خارجا عن الظاهر، لأن الظاهر أن يمثّل المعقول فى ذلک بالمحسوس، كما فعل البحترى فى قوله «١»: [من الطويل]

و قد زادها إفراط حسن جوارها خلائق أصفار من المجد خيّب

و حسن درارىّ النجوم بأن ترى طوالع فى داج من اللّيل

غيهب

فبک مع هذا الوجه حاجه إلى مثل ما مضى من تنزيل السّنّه و البدعه منزله ما يقبل اللون، و يكون له فى رأى العين منظر المشرق المتبسّم، و الأسود الأقتم، حتى يراد أنّ لون هـذا يزيـد فى بريق ذاک و بهائه و حسـنه و جماله، و فى القطعه التى هذا البيت منها غيرها مما مذهبه المذهب الأول، و هو: [من الخفيف]

ربّ ليل قطعته كصدود أو فراق ما كان فيه وداع

موحش كالثّقيل تقذى به العى ن و تأبى حديثه الأسماع «٢»

و كأنّ النجوم البيت، و بعده «٢»: [من الخفيف]

مشرقات كأنّهنّ حجاج يقطع الخصم و الظّلام انقطاع

و مما حقّه أن يعدّ فى هذا الباب قول القائل «۴»: [من الطويل]

كأنّ انتضاء البدر من تحت غيمه نجاء من البأساء بعد وقوع

و ذلک أن العاده أن يشبّه المتخلص من البأساء بالبدر الذى ينحسر عنه الغمام، و الشّـبه بين البأساء و الغمام و الظلماء من طريق العقل، لا من طريق الحسّ.

و أوضح منه فى هذا قول ابن طباطبا «۵»: [من الرجز]

صحو و غيم و ضياء و ظلم مثل سرور شابه عارض غمّ

و من جيّد ما يقع فى هذا الباب قول التنوخىّ فى قطعه، و هى قوله: [من البسيط]

---

(۱) البيتان للبحترى فى ديوانه.

(۲) نفس القصيده للقاضى التنوخى.

(۴) البيت لابن طباطبا العلوى، نقيب الأشراف بمصر. المفتاح ص ۳۴۴، و الإيضاح ص ۳۴۰، و نهايه الإيجاز ص ۱۹۱، انتضاء البدر: انكشافه و خروجه من الغيم.

(۵) البيت لابن طباطبا فى ديوان المعانى ۱/ ۳۵۱ من أبيات كثيره.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۱۶۹

أما ترى البرد قد وافت عساكره و عسكر الحرّ كيف انصاع منطلقا

فالأرض تحت ضريب الثلج تحسبها قد ألبست حبكا أو غشّيت ورقا

فانهض بنار إلى فحم كأنهما فى العين ظلم و إنصاف قد اتّفقا

جاءت و نحن كقلب الصّبّ حين سلا

بردا فصرنا كقلب الصبّ إذ عشقا «۱»

المقصود: «فانهض بنار إلى فحم»، فإنه لما كان فى «الحقّ»: «إنّه منير واضح لائح»، فتستعار له أوصاف الأجسام المنيره، و فى «الظلم» خلاف ذلك، تخيّلهما شيئين لهما ابيضاض و اسوداد، و إناره و إظلام، فشبّه النّار و الفحم بهما.

و من هذا الباب قول ابن بابک «۲»: [من الطويل]

و أرض كأخلاق الكريم قطعتها و قد كحل الليل السّماک فأبصرا

لما كانت الأخلاق توصف بالسعه و الضيق، و كثر ذلک و استمرّ، توهّمه حقيقه، فقابل بين سعه الأرض التى هى سعه حقيقيه و أخلاق الكريم.

و مثله قول أبى طالب المأمونى: [من الكامل]

و فلا كآمال يضيق بها الفتى لا تصدق الأوهام فيها قيلا

أقريتها بشمله تقرى الفلا عنقا، و تقريها الفلاه نحولا

قاس الفلا فى السعه و هى حقيقه فيها، على الآمال، و هى إذا وصفت بالسعه كان مجازا بلا شبهه، و لكن لما كان يقال: «آمال طوال» و «و آمال لا نهايه لها» و «و اتسعت آماله»، و أشباه ذلک، صارت هذه الأوصاف كأنها موجوده فيها من طريق الحسّ و العيان.

و على ذكر «الأمل»، فمن لطيف ما جاء فى التشبيه به على هذا الحدّ، إن لم يكن فى

معنى السعه و الامتداد، و لكن فى الظّلمه و الاسوداد، قول ابن طباطبا: [من الخفيف]

ربّ ليل كأنّه أملى فى ك و قد رحت عنك بالحرمان

جبته و النّجوم تنعس فى الأف ق و يطرفن كالعيون الرّوانى «۳»

---

(۱) الأبيات هى للتنوخى.

(۲) البيت لابن بابك.

(۳) جبته: قطعته و نعش طرفه: بالمثلثه (من باب فتح) رفعه لينظر و طرفت العين طرفا من باب ضرب تحركت. (رشيد).

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۱۷۰

هاربا من ظلام فعلك بى نح و ضياء الفتى الأغرّ الهجان «۱»

لما كان يقال فى الأمر لا يرجى له نجاح: «قد أظلم علينا هذا الأمر»، و «هذا أمر فيه ظلمه»، ثم أراد أن يبالغ فى التباس وجه النّجح عليه فى أمله، تخيّل كأنّ أمله شخص شديد السواد فقاس ليله به، كأنه يقول: «تفكّرت فيما أعلمه من الأشياء السود، فرأيت صوره أملى فيك زائده على جميعها فى شدّه السّواد، فجعلته قياسا فى ظلمه ليلى الذى جبته».

و من الباب، و هو حسن، قول ابن المعتزّ: [من الكامل]

لا تخلطوا الدّوشاب فی قدح بصفاء ماء طیّب البرد «۲»

لا تجمعوا باللّه و یحکم غلظ الوعید و رقّه الوعد

لما کان یقال: «أغلظ له القول»، و یوصف الجافی و کل من أساء و قال ما یکره بالغلظ، و یوصف کلام المحسن و من یعمد إلی الجمیل باللطافه، جعل الوعید و الوعد أصلا فی الصفتین، و قاس علیهما.

فأما قول الآخر: [من الوافر]

شربت علی سلامه أفتکین شرابا صفوه صفو الیقین

فهو علی الحقیقه لا یدخل فی تشبیه الحقیقه بالمجاز، لأن الصفاء خلوص الشی ء و خلوّه من شی ء یغیّره عن صفته، إلا أنه من حیث یقع فی الأکثر لما له بریق و بصیص، کان کأنه حقیقه فی المحسوسات، و مجاز فی المعقولات.

و أما قولهم: «هواء أرقّ من تشاکی الأحباب»، فمن الباب، لأن الرقّه فی الهواء حقیقه و فی التشاکی مجاز. و هکذا قول أبی نواس فی خلاعته: [من الرمل] حتّی هی فی رقّه دینی لأن الرقّه من صفات الأجسام، فهی فی الدّین مجاز.

و مما کأنه یدخل فی هذا الجنس قول المتنبی: [من الخفیف]

---

(۱) الهجان ککتاب الخیار من کل شی ء و رجل هجان کریم الحسب.

(۲) الدوشاب: نبیذ التمر معرب. أو الأسود کما فی شرح دیوان ابن الرومی و قال السمعانی: إنه الدبس العربیه. (رشید).

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۱۷۱

يترشّفن من فمى رشفات هنّ فيه أحلى من التّوحيد

و النفس تنبو عن زياده القول عليه. و قد اقتدى به بعض المتأخرين فى هذه الإساءه فقال: [من البسيط]

سواد صدغين من كفر يقابله بياض خدّين من عدل و توحيد

و أبعد ما يكون الشاعر من التوفيق، إذا دعته شهوه الإغراب إلى أن يستعير للهزل و العبث من الجدّ، و يتغزل بهذا الجنس.

و مما هو حسن جميل من هذا الباب، قول الصاحب كتب به إلى القاضى أبى الحسن: روى عن القاضى أنه قال: انصرفت عن دار الصاحب قبيل العيد، فجاءنى رسوله بعطر الفطر، و معه رقعه فيها هذان البيتان: [من الكامل]

يا أيّها القاضى الذى نفسى له مع قرب عهد لقائه مشتاقه

أهديت عطرا مثل طيب ثنائه، فكأنما أهدى له أخلاقه

و كون هذا التشبيه مما نحن فيه من الترجيح «۱» أوضح ما يكون، فليس بخاف أنّ العاده أن يشبّه

الثّناء بالعطر و نحوه و يشتقّ منه، و قد عكس كما ترى، و ذلك على ادّعاء أن ثناءه أحقّ بصفه العطر و طيبه من العطر و أخصّ به، و أنه قد صار أصلا حتى إذا قيس نوع من العطر عليه، فقد بولغ فى صفته بالطيب، و جعل له فى الشرف و الفضل على جنسه أوفر نصيب.

إذ قد عرفت الطريقه فى جعل الفرع أصلا فى «التمثيل» فارجع و قابل بينه و بين التشبيه الظاهر، تعلم أن حاله فى الحقيقه مخالفه للحال ثمّ. و ذلك أنك لا تحتاج فى تشبيه البرق بالسيوف و السيوف بالبرق إلى تأويل أكثر من أنّ العين تؤدّى إليك من حيث الشكل و اللون و كيفيه اللمعان، صوره خاصّه تجدها فى كل واحد من الشيئين على الحقيقه. و لا يمكننا أن نقول إن الثريا شبّهت باللجام المفضّض، و بعنقود الكرم المنوّر، و بالوشاح المفصّل، لتأويل كذا، بل ليس بأكثر من أنّ أنجم الثريا لونها لون الفضّه، ثم إن أجرامها فى الصغر قريبه من تلك الأطراف المركّبه على سيور اللّجام، ثم إنها فى الاجتماع و الافتراق، على مقدار قريب من مواقع تلك الأطراف و كذا القول فى: «العنقود»، فإن تلك الأنوار مشاكله لها فى البياض، و فى

---

(١) أى: ترجيح جانب المجاز و جعله أصلا يشبه به و فى نسخه: التوضيح. (رشيد).

أنها ليست متضامّه تضامّ التلاصق، و لا هى شديده التباين، حتى يبعد الفصل بين بعضها و بعض بل مقاديرها فى القرب و

البعد على صفه قريبه مما يتراءى فى العين من مواقع تلك الأنجم.

و إذا كان مدار الأمر على أن العين تصف من هذا ما تصف من ذاك، لم يكن تشبيه اللجام المفضّض بالثريا إلا كتشبيه الثريا به، و الحكم على أحدهما بأنه فرع أو أصل، يتعلق بقصد المتكلم، فما بدأ به فى الذكر فقد جعله فرعا و جعل الآخر أصلا.

و ليس كذلك قولنا: «له خلق كالمسك»، و «هو فى دنوّه بعطائه، و بعده بعزّه و علائه، كالبدر فى ارتفاعه، مع نزول شعاعه»، لأن كون الخلق فرعا و المسك أصلا، أمر واجب من حيث كان المعلوم من طريق الإحساس و العيان متقدما على المعلوم من طريق الرويّه و هاجس الفكر.

و حكم هذا فى أنّ الفرع لا يخرج عن كونه فرعا على الحقيقه، حكم ما طريق التشبيه فيه المبالغه من المشاهدات و المحسوسات، كقولك: «هو كحنك الغراب فى السواد»، لما هو دونه فيه، و قولك فى الشى ء من الفواكه مثلا: «هو كالعسل».

فكما لا يصحّ أن يعكس فيشبّه حنك الغراب بما هو دونه فى السواد، و العسل بما لا يساويه فى صدق الحلاوه، كذلك لا يصحّ أن تقول: «هذا مسك كخلق فلان»، إلّا على ما قدّمت من التخييل. أ لا ترى أنه كلام لا يقوله إلّا من يريد مدح المذكور؟

فأمّا أن يكون القصد بيان حال المسك، على حدّ قصدك أن تبيّن حال الشى ء المشبّه بحنك الغراب فى السواد و المشبّه بالعسل فى الحلاوه، فما لا يكون. كيف؟

و لو لا سبق المعرفه من طريق الحسّ بحال المسك، ثم جريان العرف بما جرى من تشبيه الأخلاق به، و استعاره الطّيب لها منه، لم يتصوّر هذا الذى تريد تخييله من أنّا نبالغ

فى وصف المسک بالطيب بتشبيهنا له بخلق الممدوح. و على ذلک قولهم:

«كأنما سرق المسک عرفه من خلقک، و العسل حلاوته من لفظک»، هو مبنىّ على العرف السابق، من تشبيه الخلق بالمسک و اللفظ بالعسل. و لو لم يتقدم ذلک و لم يتعارف و لم يستقرّ فى العادات، لم يعقل لهذا النحو من الكلام معنى، لأنّ كل مبالغه و مجاز فلا بدّ من أن يكون له استناد إلى حقيقه.

و إذا ثبتت هذه الفروق و المقابلات بين التشبيه الصريح الواقع فى العيان و ما

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۱۷۳

يدركه الحسّ، و بين التمثيل الذى هو تشبيه من طريق العقل و المقاييس التى تجمع بين الشيئين فى حكم تقتضيه الصّفه المحسوسه لا- فى نفس الصفه كما بيّنت لک فى أول قول ابتدأته فى الفرق بين التشبيه الصريح و بين التمثيل، من أنک تشبّه اللّفظ بالعسل على أنک تجمع بينهما فى حكم توجبه الحلاوه دون الحلاوه نفسها.

فهاهنا لطيفه أخرى تعطيک للتمثيل مثلا- من طريق المشاهده، و ذلک أنک بالتمثيل فى حكم من يرى صوره واحده، إلّا أنه يراها تاره فى المرآه، و تاره على ظاهر الأمر، و أما فى التشبيه الصريح، فإنک ترى صورتين على الحقيقه.

يبيّن ذلک: أنّا لو فرضنا أن تزول عن أوهامنا و نفوسنا صور الأجسام من القرب و البعد و غيرهما من الأوصاف الخاصه بالأشياء المحسوسه، لم يمكنّا تخيّل شى ء من تلک الأوصاف فى الأشياء المعقوله. فلا يتصوّر معنى كون الرجل بعيدا من حيث العزّه و السلطان، قريبا من

حيث الجود و الإحسان، حتى يخطر ببالك و تطمح بفكرك إلى صوره البدر و بعد جرمه عنك، و قرب نوره منك. و ليس كذلك الحال فى الشيئين يشبه أحدهما الآخر من جهه اللون و الصوره و القدر، فإنك لا تفتقر فى معرفه كون النّرجس و خرطه و استدارته و توسّط أحمره لأبيضه إلى تشبيهه بمداهن درّ حشوهنّ عقيق، كيف؟ و هو شى ء تعرضه عليك العين، و تضعه فى قلبك المشاهده، و إنما يزيدك التشبيه صوره ثانيه مثل هذه التى معك، و يجتلبها لك من مكان بعيد حتى تراهما معا و تجدهما جميعا. و أما فى الأول، فإنك لا تجد فى الفرع نفس ما فى الأصل من الصفه و جنسه و حقيقته، و لا يحضرك التمثيل أوصاف الأصل على التعيين و التحقيق، و إنما يخيّل إليك أنه يحضرك ذلك، فإنه يعطيك من الممدوح بدرا ثانيا، فصار و زان ذلك و زان أن المرآه تخيّل إليك أنّ فيها شخصا ثانيا صورته صوره ما هى مقابله له، و متى ارتفعت المقابله، ذهب عنك ما كنت تتخيّله، فلا تجد إلى وجوده سبيلا، و لا تستطيع له تحصيلا، لا جمله و لا تفصيلا.

فصل فى الفرق بين الاستعاره و التمثيل

فصل فى الفرق بين الاستعاره و التمثيل

اعلم أن من المقاصد التى تقع العنايه بها أن نبيّن حال «الاستعاره» مع «التمثيل»، أ هى هو على الإطلاق حتى لا فرق بين العبارتين، أم حدّها غير حدّه إلا أنها تتضمّنه و تتّصل به؟ فيجب أن نفرد جمله من القول فى حالها مع التّمثيل.

أسرار البلاغه فى علم

البيان، ص: ۱۷۴

قد مضـی فی «الاستعاره» أن حدّها یکون للّفظ اللّغوی أصل، ثم ینقل عن ذلک الأصل علی الشرط المتقدم. و هذا الحدّ لا یجی ء فی الـذی تقـدّم فی معنی التمثیـل، من أنه الأصـل فی کونه مثلاـ و تمثیلاـ و هو التشـبیه المنـتزع من مجموع أمور، و الـذی لا یحصّـله لـک إلا جمله من الکلام أو أکثر، لأنک قـد تجـد الألفاظ فی الجمل التی یعقـد منها جاریه علی أصولها و حقائقها فی اللغه.

و إذا کـان الأـمر کـذلک، بـان أنّ «الاسـتعاره» یجب أن تقیـد حکما زائـدا علی المراد بالتمثیل، إذ لو کان مرادنا بالاسـتعاره هو المراد بالتمثیل، لوجب أن یصحّ إطلاقها فی کل شی ء یقال فیه إنه تمثیل و مثل.

و القول فیها أنّها دلاله علی حکم یثبت للّفظ، و هو نقله عن الأصل اللغویّ و إجراؤه علی ما لم یوضع له. ثم إن هذا النقل یکون فی الغالب من أجل شبه بین ما نقل إلیه و ما نقل عنه.

و بیان ذلک ما مضـی من أنک تقول: «رأیت أسدا»، ترید رجلا شبیها به فی الشـجاعه و «ظبیه» ترید امرأه شبیهه بالظبیه. فالتشبیه لیس هو «الاستعاره» و لکن الاستعاره کانت من أجل التشبیه، و هو کالغرض فیها، و کالعلّه و السبب فی فعلها.

فـإن قلت: کیف تکون الاسـتعاره من أجـل التشـبیه، و التشبیه یکون و لاـ اسـتعاره؟ و ذلـک إذا جئت بحرفه الظـاهر فقلت: «زید الأسد؟».

فـالجواب: أن الأـمر کما قلت، و لکنّ التشبیه یحصل بالاسـتعاره علی وجه خاصّ و هو المبالغه. فقولی: «من أجل التشبیه»، أردت به من أجل التشبیه علی هذا الشرط، و کما أن التشبیه الکائن علی وجه المبالغه غرض فیه و علّه، کذلک الاختصار و

الإيجاز غرض من أغراضها. أ لا ترى أنك تفيد بالاسم الواحد الموصوف و الصفه و التشبيه و المبالغه، لأنك تفيد بقولك: «رأيت أسدا»، أنك رأيت شجاعا شبيها بالأسد، و أنّ شبهه به فى الشجاعه على أتمّ ما يكون و أبلغه، حتى إنه لا ينقص عن الأسد فيها. و إذا ثبت ذلك، فكما لا يصحّ أن يقال: «إن الاستعاره هى الاختصار و الإيجاز على الحقيقه، و أنّ حقيقتها و حقيقتهما واحده»، و لكن يقال: إن الاختصار و الإيجاز يحصلان بها، أو هما غرضان فيها، و من جمله ما دعا إلى فعلها، كذلك حكم التشبيه معها. فإذا ثبت أنها ليست التشبيه على الحقيقه، كذلك لا يكون التمثيل على الحقيقه، لأن التمثيل تشبيه إلا أنه تشبيه خاصّ، فكلّ تمثيل تشبيه، و ليس كلّ تشبيه تمثيلا.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۱۷۵

و إذا قد تقرّرت هذه الجمله، فإذا كان الشبه بين المستعار منه و المستعار له من المحسوس و الغرائز و الطّباع و ما يجرى مجراها من الأوصاف المعروفه، كان حقّها أن يقال إنها تتضمّن التشبيه، و لا يقال إنّ فيها تمثيلا و ضرب مثل. و إذا كان الشّبه عقليا جاز إطلاق التمثيل فيها، و أن يقال: ضرب الاسم مثلا لكذا، كقولنا: «ضرب النور مثلا للقرآن»، و «الحياه مثلا للعلم».

فقد حصلنا من هذه الجمله على أن المستعير يعمد إلى نقل اللفظ عن أصله فى اللغه إلى غيره، و يجوز به مكانه الأصلىّ إلى مكان آخر، لأجل الأغراض التى ذكرنا من التشبيه و المبالغه و

الاختصار، و الضّارب للمثل لا يفعل ذلك و لا يقصده، و لكنه يقصد إلى تقرير الشّبه بين الشيئين من الوجه الذى مضى. ثم إن وقع فى أثناء ما يعقد به المثل من الجمله و الجملتين و الثلاث لفظه منقوله عن أصلها فى اللغه، فذاك شى ء لم يعتمده من جهه المثل الذى هو ضاربه. و هكذا كان متعاط لتشبيه صريح، لا يكون نقل اللفظ من شأنه و لا من مقتضى غرضه. فإذا قلت: «زيد كالأسد»، و «هذا الخبر كالشمس فى الشهره»، و «له رأى كالسّيف فى المضاء»، لم يكن منك نقل للفظ عن موضوعه. و لو كان الأمر على خلاف ذلك، لوجب أن لا يكون فى الدنيا تشبيه إلا و هو مجاز، و هذا محال، لأن التشبيه معنى من المعانى و له حروف و أسماء تدلّ عليه، فإذا صرّح بذلك ما هو موضوع للدلاله عليه، كان الكلام حقيقه كالحكم فى سائر المعانى، فاعرفه.

و اعلم أن اللفظه المستعاره لا تخلو من أن تكون اسما أو فعلا، فإذا كانت اسما كان اسم جنس أو صفه. فإذا كان اسم جنس فإنك تراه فى أكثر الأحوال التى تنقل فيها محتملا متكفّئا بين أن يكون للأصل، و بين أن يكون للفرع الذى من شأنه أن ينقل إليه. فإذا قلت: «رأيت أسدا»، صلح هذا الكلام لأن تريد به أنك رأيت واحدا من جنس السّبع المعلوم، و جاز أن تريد أنك رأيت شجاعا باسلا شديد الجرأه، و إنما يفصل لك أحد الغرضين من الآخر شاهد الحال، و ما يتّصل به من الكلام من قبل و بعد.

و إن كان فعلا أو صفه، كان فيهما هذا الاحتمال فى بعض الأحوال، و ذلك إذا أسندت الفعل

و أجريت الصفه على اسم مبهم يقع على ما يكون أصلا فى تلك الصفه و ذاك الفعل، و ما يكون فرعا فيهما، نحو أن تقول: «أنار لى شى ء» و «هذا شى ء منير». فهذا الكلام يحتمل أن يكون «أنار» و «منير» فيه واقعين على الحقيقه، بأن تعنى بالشى ء بعض الأجسام ذوات النور و أن يكونا واقعين على المجاز، بأن تريد

بالشى ء نوعا من العلم و الرأى و ما أشبه ذلك من المعانى التى لا يصحّ وجود النور فيها حقيقه، و إنما توصف به على سبيل التشبيه.

و فى الفعل و الصفه شى ء آخر، و هو أنك كأنك تدّعى معنى اللّفظ المستعار للمستعار له، فإذا قلت: «قد أنارت حجّته»، و «هذه حجّه منيره»، فقد ادّعيت للحجّه النور، و لذلك تجى ء فتضيفه إليك، كما تضاف المعانى التى يشتقّ منها الفعل و الصفه إلى الفاعل و الموصوف فتقول: «نور هذه الحجّه جلا بصرى، و شرح صدرى»، كما تقول: «ظهر نور الشمس». و المثل لا يوجب شيئا من هذه الأحكام، فلا هو يقتضى تردّد اللفظ بين احتمال شيئين و لا أن يدّعى معناه للشى ء، و لكنه يدع اللفظ مستقرّا على أصله.

و إذ قد ثبت هذا الأصل، فاعلم أن هاهنا أصلا آخر يبنى عليه، و هو أن الاستعاره و إن كانت تعتمد التشبيه و التمثيل و كان التشبيه يقتضى شيئين مشبّها و مشبّها به، و كذلك التمثيل، لأنه كما عرفت تشبيه إلا أنه عقلىّ فإن الاستعاره من شأنها أن تسقط ذكر المشبّه

من البين و تطرحه، و تدّعى له الاسم الموضوع للمشبّه به، كما مضى من قولك: «رأيت أسدا»، تريد رجلا شجاعا و «وردت بحرا زاخرا»، تريد رجلا كثير الجود فائض الكفّ و «أبديت نورا»، تريد علما و ما شاكل ذلك.

فاسم الّذى هو المشبّه غير مذكور بوجه من الوجوه كما ترى، و قد نقلت الحديث إلى اسم المشبّه به، لقصدك أن تبالغ، فتضع اللّفظ بحيث يخيّل أنّ معك نفس الأسد و البحر و النور، كى تقوّى أمر المشابهه و تشدّده، و يكون لها هذا الصنيع حيث يقع الاسم المستعار فاعلا أو مفعولا أو مجرورا بحرف الجرّ أو مضافا إليه، فالفاعل كقولك: «بدا لى أسد» و «انبرى لى ليث» و «بدا نور» و «ظهرت شمس ساطعه» و «فاض لى بالمواهب بحر»، كقوله «۱»: [من الطويل]

و فى الجيره الغادين من بطن و جره غزال كحيل المقلتين ربيب

و المفعول كما ذكرت من قولك: «رأيت أسدا»، و المجرور نحو قولك: «لا

---

(۱) البيت لابن الدمينه فى سمط اللآلى لابن عبيد البكرى ص ۴۵۸، و فى الأمالى ۱/ ۱۸۷ لأعرابى، و فى شرح الحماسه ۳/ ۱۵۷ غير معزو، و هو فى ديوان ابن الدمينه فى القسم الرابع «صله الديوان:

الزيادات» ص ۲۰۰ تحقيق أحمد راتب النفاخ. و جره: موضع بين مكه و البصره، ربيب: من الغنم التى تكون فى البيت و ليست بسائمه و مؤنثها ربيبه و جمعها: ربائب.

عار إن فرّ من أسد يزأر»، و المضاف إليه كقوله «١»: [من الطويل]

يا ابن الكواكب من أئمّه هاشم و الرجّح الأحساب و الأحلام

و إذا جاوزت هذه الأحوال، كان اسم المشبّه مذكورا و كان مبتدأ، و اسم المشبّه به واقعا فى موضع الخبر، كقولك: «زيد أسد»، أو على هذا الحد، و هل يستحقّ الاسم فى هذه الحاله أن يوصف بالاستعاره أم لا:؟ فيه شبهه و كلام سيأتيك إن شاء اللّه تعالى.

و إذ قد عرفت هذه الجمله، فينبغى أن تعلم أنه ليس كل شى ء يجى ء مشبّها به بكاف أو بإضافه «مثل» إليه، يجوز أن تسلّط عليه الاستعاره، و تنفذ حكمها فيه، حتى تنقله عن صاحبه و تدّعيه للمشبّه على حد قولك: «أبديت نورا» تريد علما، و «سللت سيفا صارما»، تريد رأيا نافذا و إنما يجوز ذلك إذا كان الشّبه بين الشيئين مما يقرب مأخذه و يسهل متناوله، و يكون فى الحال دليل عليه، و فى العرف شاهد له، حتى يمكن المخاطب إذا أطلقت له الاسم أن يعرف الغرض و يعلم ما أردت.

فكل شى ء كان من الضّرب الأول الذى ذكرت أنك تكتفى فيه بإطلاق الاسم داخلا عليه حرف التشبيه نحو قولهم: «هو كالأسد»، فإنك إذا أدخلت عليه حكم الاستعاره وجدت فى دليل الحال، و فى العرف ما يبيّن غرضك، إذ يعلم إذا قلت:

«رأيت أسدا»، و أنت تريد الممدوح، أنّك قصدت وصفه بالشجاعه و إذا قلت:

«طلعت شمس»، أنت تريد امرأه، علم أنك تريد وصفها بالحسن،

و إن أردت الممدوح علم أنك تقصد وصفه بالنّباهه و الشرف.

فأما إذا كان من الضرب الثانى الذى لا سبيل إلى معرفه المقصود من الشبه فيه إلا بعد ذكر الجمل التى يعقد بها التمثيل، فإن الاستعاره لا تدخله، لأن وجه الشبه إذا كان غامضا لم يجز أن تقتسر الاسم و تغصب عليه موضعه، و تنقله إلى غير ما هو أهله من غير أن يكون معك شاهد ينبئ عن الشبه. فلو حاولت فى قوله:

فإنّك كالليل الّذى هو مدركى

---

(١) البيت الثانى لأبى تمام فى ديوانه فى القسم الثانى ص ٢٦٢. و أول القصيده:

ما للدموع تروم كلّ مرام و الجفن ثاكل و هجعه و منام

و الثاكل: الفاقد و القصيده قالها أبو تمام تهنئه للواثق بالخلافه، و يعزيه بالمعتصم أبيه. الحلم:

بالكسر الأناه و العقل، و الجمع: أحلام و حلوم. و الحلم: بالضم و السكون: ما يراه النائم (الرؤيا) و الجمع: أحلام.

أن تعامل الليل معامله الأسد فى قولك: «رأيت أسدا»، أعنى أن تسقط ذكر الممدوح من البين، لم تجد له مذهبا فى الكلام، و لا صادفت طريقه توصّلك إليه، لأنك لا تخلو من أحد أمرين: إمّا أن تحذف الصفه و تقتصر على ذكر الليل مجرّدا فتقول: «إن فررت أظلّنى اللّيل»، و هذا محال، لأنه ليس فى الليل دليل على النكته التى قصدها من أنه لا يفوته و

إن أبعد فى الهرب، و صار إلى أقصى الأرض، لسعه ملكه و طول يده، و أنّ له فى جميع الآفاق عاملا و صاحب جيش و مطيعا لأوامره يردّ الهارب عليه و يسوقه إليه و غايه ما يتأتّى فى ذلك أن يريد أنه إن هرب عنه أظلمت عليه الدنيا، و تحيّر و لم يهتد، فصار كمن يحصل فى ظلمه الليل. و هذا شى ء خارج عن الغرض، و كلامنا على أن تستعير الاسم ليؤدّى به التشبيه الذى قصد فى البيت و لم أرد أنه لا تمكن استعارته على معنى ما، و لا يصلح فى غرض من الأغراض.

و إن لم تحذف الصفه، وجدت طريق الاستعاره فيه يؤدّى إلى تعسّف، إذ لو قلت: «إن فررت منك وجدت ليلا يدركنى، و إن ظننت أنّ المنتأى واسع و المهرب بعيد» قلت ما لا تقبله الطّباع، و سلكت طريقه مجهوله، لأن العرف لم يجر بأن يجعل الممدوح ليلا هكذا.

فأمّا قولهم: إن التشبيه بالليل يتضمّن الدّلاله على سخطه، فإنه لا يفسح فى أن يجرى اسم الليل على الممدوح جرى الأسد و الشمس و نحوهما، و إنما تصلح استعاره الليل لمن يقصد وصفه بالسّواد و الظلمه، كما قال ابن طباطبا: [من الطويل] بعثت معى قطعا من الليل مظلما «١» يعنى زنجيّا قد أنفذه المخاطب معه حين انصرف عنه إلى منزله. هذا، و ربّما- بل كلما- وجدت ما إن رمت فيه طريقه الاستعاره، لم تجد فيه هذا القدر من التمحّل و التكلّف أيضا، و و هو كقول النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم: «الناس كإبل مائه لا تجد فيها راحله» «٢»، قل الآن من أىّ جهه تصل إلى الاستعاره هاهنا، و بأىّ ذريعه تتذرّع إليها؟

هل

تقـدر أن تقول: «رأيت إبلا مائه لا تجـد فيها راحله» فى معنى: «رأيت ناسا» أو «الإبل المائه التى لا تجد فيها راحله»، تريد الناس، كما قلت: «رأيت أسدا» على معنى «رجلا كالأسد» أو «الأسد»، على معنى: «الذى هو كالأسد؟» و كذا قول

---

(١) البيت له و لم نجد له ديوانا. و لم نتعرف على تمام البيت.

(٢) سبق تخريجه.

النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: «مثل المؤمن كمثل النّخله أو مثل الخامه» «١»، لا تستطيع أن تتعاطى الاستعاره فى شى ء منه فتقول: «رأيت نخله» أو «خامه» على معنى «رأيت مؤمنا».

إنّ من رام مثل هذا كان كما قال صاحب الكتاب: «ملغزا تاركا لكلام الناس الذى يسبق إلى أفئدتهم»، و قد قدّمت طرفا من هذا الفصل فيما مضى، و لكننى أعدته هاهنا لاتصاله بما أريد ذكره.

فقـد ظهر أنه ليس كل شـى ء يجى ء فيه التشبيه الصـريح بذكر الكاف و نحوها، يستقيم نقل الكلام فيه إلى طريقه الاستعاره، و إسقاط ذكر المشبّه جمله، و الاقتصار على المشبّه به. و بقى أن نتعرّف الحكم فى الحاله الأخرى، و هى التى يكون كل واحد من المشبّه و المشبّه به مذكورا فيه، نحو: «زيد أسد» و «وجدته أسدا»، هل تساوق صريح التشبيه حتى يجوز فى كل شيئين قصد تشبيه أحدهما بالآخر أن تحذف الكاف و نحوها من الثانى، و تجعله خبرا عن الأول أو بمنزله الخبر؟ و القول فى ذلك أن التشبيه إذا كان صريحا بالكاف، و «مثل»، كان الأعرف الأشهر فى

المشبّه به أن يكون معرفه، كقولك: «هو كالأسد» و «هو كالشمس» و «هو كالبحر» و «كليث العرين» و «كالصبح» و «كالنجم» و ما شاكل ذلك، و لا يكاد يجى ء نكره مجيئا يرتضى نحو:

«هو كأسد» و «كبحر» و «كغيث»، إلا أن يخصّص بصفه نحو «كبحر زاخر»، فإذا جعلت الاسم المجرور بالكاف معربا بالإعراب الذى يستحقّه الخبر من الرفع أو النصب، كان كلا الأمرين- التعريف و التنكير- فيه حسنا جميلا، تقول: «زيد الأسد» و «الشمس» و «البدر» و «البحر» و «زيد أسد» و «شمس» و «بدر» و «بحر».

و إذ قد عرفت هذا، فارجع إلى نحو:

فإنك كالليل الذى هو مدركى «٢»

---

(١) انظر صحيح الجامع للألبانى. و الخامه: الغضه الرطبه من النبات، و الحديث: «مثل المؤمن مثل الخامه من الزرع تميلها الريح مره هكذا و مره هكذا» قال الطرماح:

إنما نحن مثل خامه زرع فمتى يأن يأت محتصده

(٢) البيت للنابغه الذبيانى فى ديوانه ص ٥٦، و فى لسان العرب ٤/ ٥٠٧، و كتاب العين ٨/ ٣٩٣.

و عجز البيت:

و إن خلت أن المنتأى عنك واسع خلت: حسبت، المنتأى: البعد. و البيت من قصيده يمدح النعمان فيها، و يعتذر إليه، و مطلعها:

عفا ذو حسا من فزتنى فالفوارع فجنبا أريك، فالتلاع الدوافع

عفا: إمحاء الأثر، ذو حسا: اسم مكان فى بلاد مره، فزتنى: اسم امرأه الفوارع: الواحد فرع، و هو فرع الجبل و أعلاه. التلاع: الواحده تلعه، ما

ارتفع من الأرض. الدوافع: تجمع المياه و دفعها إلى الوادى المنحدر.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۱۸۰

و اعلم أنه قد يجوز فيه أن تحذف الكاف و تجعل المجرور كان به، خبرا، فتقول: «فإنك الليل الذى هو مدركى»، أو «أنت الليل الذى هو مدركى»، و تقول فى قول النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: «مثل المؤمن مثل الخامه من الزرع»، «المؤمن الخامه من الزرع»، و فى قوله عليه السلام: «الناس كإبل مائه»: «الناس إبل مائه»، و يكون تقديره على أنك قدّرت مضافا محذوفا على حدّ: وَ سْئَلِ الْقَرْيَهَ [يوسف: ۸۲].

تجعل الأصل: «فإنک مثل الليل» ثم تحذف «مثلا».

و النكته فى الفرق بين هذا الضرب الذى لا بدّ للمجرور بالكاف و نحوها من وصفه بجمله من الكلام أو نحوها، و بين الضرب الأول الذى هو نحو «زيد كالأسد» أنک إذا حذفت الكاف هناك فقلت: «زيد الأسد»، فالقصد أن تبالغ فى التشبيه فتجعل المذكور كأنه الأسد، و تشير إلى مثل ما يحصل لك من المعنى إذا حذفت ذكر المشبّه أصلا فقلت: «رأيت أسدا»، أو «الأسد»، فأمّا فى نحو: «فإنک كالليل الذى هو مدركى»، فلا يجوز أن تقصد جعل الممدوح الليل، و لكنك تنوى أنك أردت أن تقول: «فإنک مثل الليل»، ثم حذفت المضاف من اللفظ، و أبقيت المعنى على حاله إذا لم تحذف. و أمّا هناک، فإنه و إن كان يقال أيضا إن الأصل «زيد مثل أسد» ثم تحذف فليس الحذف فيه على هذا الحدّ، بل على أنه جعل كأن لم يكن لقصد المبالغه.

أ لا ـ تراهم يقولون: «جعله الأسد»؟ و بعيد أن تقول: «جعله الليل»، لأن القصد لم يقع إلى وصف فى الليل كالظلمه و نحوها، و إنّما قصد الحكم الذى له، من تعميمه الآفاق، و امتناع أن يصير الإنسان إلى مكان لا يدركه الليل فيه.

و إن أردت أن تزداد علما بأن الأمر كذلك أعنى أن هاهنا ما يصلح فيه التشبيه الظاهر و لا تصلح فيه المبالغه و جعل الأول الثانى فاعمد إلى ما تجد الاسم الذى افتتح به المثل فيه غير محتمل لضرب من التشبيه إذا أفرد و قطع عن الكلام بعده، كقوله تعالى: إِنَّما مَثَلُ الْحَياهِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ [يونس: ٣۴]، لو قلت: «إنما الحياه الدنيا ماء أنزلناه من السماء» أو «الماء ينزل من السماء فتخضرّ منه الأرض»، لم يكن للكلام وجه غير أن تقدّر حذف مثل نحو: «إنما الحياه الدنيا مثل ماء ينزل من السماء فيكون كيت و كيت»، إذ لا يتصوّر بين الحياه الدنيا و الماء شبه يصحّ قصده و قد أفرد، كما قد يتخيّل فى البيت أنه قصد تشبيه الممدوح بالليل فى السّخط.

و هذا موضع فى الجمله مشكل، و لا يمكن القطع فيه بحكم على التفصيل،

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ١٨١

و لكن لا ـ سبيل إلى جحد أنك تجد الاسم فى الكثير و قد وضع موضعا فى التشبيه بالكاف، لو حاولت أن تخرجه فى ذلك الموضع بعينه إلى حدّ الاستعاره و المبالغه، و جعل هذا ذاك، لم ينقد لك، كالنكره التى هى «ماء» فى الآيه و

فی الآیه و فی الآی الأخر نحو قوله تعالی: أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماءِ فِيهِ ظُلُماتٌ وَ رَعْدٌ وَ بَرْقٌ [البقره: ١٩]، و لو قلت: «هم صیّب»، و لا تضمر «مثلا» البتّه، علی حدّ «هو أسد» لم یجز، لأنه لا معنی لجعلهم صیّبا فی هذا الموضع، و إن کان لا یمتنع أن یقع «صیّب» فی موضع آخر لیس من هذا الغرض فی شی ء استعاره و مبالغه، کقولک: «فاض صیّب منه»، ترید جوده، و «هو صیّب یفیض»، ترید مندفق فی الجود. فلسنا نقول إن هاهنا اسم جنس و اسما صفه لا یصلح للاستعاره فی حال من الأحوال. و هذا شعب من القول یحتاج إلی کلام أکثر من هذا و یدخل فیه مسائل، و لکن استقصاءه یقطع عن الغرض.

فإن قلت: فلا بدّ من أصل یرجع إلیه فی الفرق بین ما یحسن أن یصرف وجهه إلی الاستعاره و المبالغه، و ما لا یحسن ذلک فیه، و لا یجیبک المعنی إلیه، بل یصدّ بوجهه عنک متی أردته علیه.

فالجواب: إنه لا یمکن أن یقال فیه قول قاطع. و لکن هاهنا نکته یجب الاعتماد علیها و النظر إلیها، و هی أن الشّبه إذا کان وصفا معروفا فی الشی ء قد جری العرف بأن یشبّه من أجله به، و تعورف کونه أصلا فیه یقاس علیه کالنور و الحسن فی الشمس، أو الاشتهار و الظهور، و أنّها لا تخفی فیها أیضا و کالطیب فی المسک، و الحلاوه فی العسل، و المراره فی الصاب، و الشجاعه فی الأسد، و الفیض فی البحر و الغیث، و المضاء و القطع و الحدّه فی السیف، و النفاذ فی السّنان، و سرعه المرور فی السّهم، و سرعه الحرکه فی شعله

النار، و ما شاكل ذلك من الأوصاف التى لكل وصف منها جنس هو أصل فيه، و مقدّم فى معانيه فاستعاره الاسم للشى ء على معنى ذلك الشّبه تجى ء سهله منقاده، و تقع مألوفه معتاده. و ذلك أنّ هذه الأوصاف من هذه الأسماء قد تعورف كونها أصولا فيها، و أنها أخصّ ما توجد فيه بها، فكل أحد يعلم أن أخصّ المنيرات بالنور الشمس، فإذا أطلقت و دلّت الحال على التشبيه، لم يخف المراد. و لو أنك أردت من الشمس الاستداره، لم يجز أن تدلّ عليه بالاستعاره، و لكن إن أردتها من الفلك جاز، فإن قصدتها من الكره كان أبين، لأن الاستداره من الكره أشهر وصف فيها. و متى صلحت الاستعاره فى شى ء، فالمبالغه فيه أصلح، و طريقها أوضح، و لسان الحال فيها أفصح، أعنى أنك إذا قلت:

يا ابن الكواكب من أئمّه هاشم و: يا ابن الليوث الغرّ فأجريت الاسم على المشبّه إجراءه على أصله الذى وضع له و ادّعيته له، كان قولك: «هم الكواكب» و «هم الليوث» أو «هم كواكب و ليوث»، أحرى أن تقوله، و أخفّ مئونه على السامع فى وقوع العلم له به.

و اعلم أن المعنى فى المبالغه و تفسيرنا لها بقولنا: «جعل هذا ذاك»، و «جعله الأسد» و «ادّعى أنه الأسد حقيقه، أنّ المشبّه الشى ء بالشى ء من شأنه أن ينظر إلى الوصف الذى به يجمع بين الشيئين، و ينفى عن نفسه الفكر فيما سواه جمله، فإذا شبّه بالأسد، ألقى صوره الشجاعه بين عينيه،

ألقى ما عداها فلم ينظر إليه. فإن هو قال: «زيد كالأسد»، كان قد أثبت له حظّا ظاهرا فى الشجاعه، و لم يخرج عن الاقتصاد. و إذا قال: «هو الأسد»، تناهى فى الدعوى، إمّا قريبا من المحقّ لفرط بساله الرجل، و إما متجوّزا فى القول، فجعله بحيث لا تنقص شجاعته عن شجاعه الأسد و لا يعدم منها شيئا. و إذا كان بحكم التشبيه، و بأنه مقصوده من ذكر الأسد فى حكم من يعتقد أنّ الاسم لم يوضع على ذلك السّبع إلا للشجاعه التى فيه، و أنّ ما عداها من صورته و سائر صفاته عيال عليها و تبع لها فى استحقاقه هذا الاسم، ثم أثبت لهذا الذى يشبّهه به تلك الشجاعه بعينها حتى لا اختلاف و لا تفاوت، فقد جعله الأسد لا محاله، لأن قولنا: «هو هو» على معنيين:

أحدهما: أن يكون للشىء اسمان يعرفه المخاطب بأحدهما دون الآخر، فإذا ذكر باسمه الآخر توهّم أن معك شيئين، فإذا قلت: «زيد هو أبو عبد اللّه»، عرّفته أن هذا الذى تذكر الآن بزيد هو الذى عرفه بأبى عبد اللّه.

و الثانى: أن يراد تحقق التشابه بين الشيئين، و تكميله لهما، و نفى الاختلاف و التفاوت عنهما، فيقال: «هو هو»، أى: لا يمكن الفرق بينهما، لأن الفرق يقع إذا اختصّ أحدهما بصفه لا تكون فى الآخر. هذا المعنى الثانى فرع على الأوّل، و ذلك أن المتشابهين التشابه التامّ، لمّا كان يحسب أحدهما الآخر، و يتوهم الرائى لهما فى حالين أنه رأى شيئا واحدا، صاروا إذا حققوا التشابه بين الشيئين يقولون: «هو هو».

و المشبّه إذا وقف وهمه كما عرّفتك على الشجاعه دون سائر الأمور، ثم لم يثبت بين شجاعه صاحبه و شجاعه الأسد

فرقا، فقد صار إلى معنى قولنا: «هو هو» بلا شبهه.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۱۸۳

و إذا تقررت هذه الجمله فقوله:

فإنک کاللیل الـذی هو مدرکی «۱» إن حـاولت فیه طریقه المبـالغه فقلت: «فإنک اللیل الـذی هو مـدرکی»، لزمک لا محاله أن تعمد إلى صفه من أجلها تجعله اللیل، کالشجاعه التی من أجلها جعلت الرجل الأسد.

فـإن قلت: تلک الصـفه الظّلمه، و إنّه قصـد شـدّه سـخطه، و راعى حال المسـخوط علیه، و توهّم أن الـدنیا تظلم فی عینیه حسـب الحال فی المسـتوحش الشدیـد الوحشه، کما قال: [من الطویل] أعیـدوا صباحی فهو عنـد الکواعب قیل لک: هـذا التقـدیر، إن استجزناه و عملنا علیه، فإنا نحتمله، و الکلام على ظاهره، و حرف التشبیه مذکور داخل على اللیل کما تراه فی البیت.

فأمّا و أنت تریـد المبالغه، فلا یجی ء لک ذلک، لأن الصـفات المـذکوره لا یواجه بها الممـدوحون، و لا تستعار الأسـماء الدالّه علیهـا لهم إلاـ بعـد أن یتـدارک و تقرن إلیهـا أضـدادها من الأوصاف المحبوبه، کقوله: [من البسـیط] أنت الصّاب و العسل و لا تقول و أنت مـادح: «أنت الصـاب» و تسـکت، و حتى إن الحاذق لا یرضـى بهـذا الاحتراز وحـده حتى یزیـد و یحتال فی دفع ما یغشى النفس من الکراهه بإطلاق الصفه التی لیست من الصفات المحبوبه، فیصل بالکلام ما یخرج به إلى نوع من المدح، کقول المتنبی: [من الخفیف]

حسن، فی وجوه أعدائه أق

بح من ضيفه، رأته السّوام «٢»

بدأ فجعله حسنا على الإطلاق، ثم أراد أن يجعله قبيحا فى عيون أعدائه، على

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) البيت فى ديوانه ص ١/ ٢٠٩. و فى التبيان ٢/ ٣٧٦. يقول: هو فى عيون أعدائه أقبح من ضيفه فى عيون مواشيه التى تكره الضيف لعلمها أنها ستنحر له. فى عيون أعدائه: ظرف لأقبح لا لحسن قدومه عليه كقولك زيد فى الدار أحسن منك فكأنه قال هو حسن و سكت.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ١٨٤

العاده فى مدح الرجل بأن عدوّه يكرهه، فلم يقنعه ما سبق من تمهيده و تقدّم من احترازه فى تلاقى ما يجنيه إطلاق صفه القبح، حتى وصل به هذه الزياده من المدح، و هى كراهه سوامه لرؤيه أضيافه، و حتى حصل ذكر القبح مغمورا بين حسنين، فصار كما يقول المنجّمون: «يقع النّحس مضغوطا بين سعدين، فيبطل فعله و ينمحق أثره».

و قد عرفت ما جناه التهاون بهذا النحو من الاحتراز على أبى تمّام، حتى صار ما ينعى عليه منه أبلغ شى ء فى بسط لسان القادح فيه و المنكر لفضله، و أحضر حجّه للمتعصّب عليه. و ذلك أنه لم يبال فى كثير من مخاطبات الممدوح بتحسين ظاهر اللفظ، و اقتصر على صميم التشبيه، و أطلق اسم الجنس الخسيس كإطلاق الشريف النّبيه، كقوله: [من الخفيف]

و إذا ما أردت كنت رشاء

و إذا ما أردت كنت قليبا «۱»

فصكّ وجه الممدوح كما ترى بأنه رشاء و قليب، و لم يحتشم أن قال: [من الكامل]

ما زال يهذى بالمكارم و العلى حتى ظننّا أنّه محموم «۲»

فجعله يهذى و جعل عليه الحمّى، و ظنّ أنه إذا حصل له المبالغه فى إثبات المكارم له، و جعلها مستبدّه بأفكاره و خواطره، حتى لا يصدر عنه غيرها، فلا ضير أن يتلقّاه بمثل هذا الخطاب الجافى، و المدح المتنافى.

---

(۱) البيت هو لأبى تمام فى ديوانه ص ۳۵، و الرشاء: حبل الدلو، القليب: البئر. و البيت فى الديوان و قاله يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرىّ فى قصيده مطلعها:

من سجايا الطلول أن لا تجيبا فصواب من مقلتى أن تصوبا

و البيت بعده:

باسطا بالندى سحائب كفّ بنداها أمسى حبيب حبيبا

(۲) البيت فى ديوان أبى تمام ص ۲۸۳. محموم: مصاب بالحمى، و هذا البيت من قصيده له يمدح أبا الحسين بن محمد بن الهيثم بن شبانه مطلعها:

أسقى طلولهم أجشّ هزيم و غدت عليهم نضره و نعيم

و البيت اذى قبله:

متفجر نادمته فكأننى للنجم أو للمرزمين نديم

غيث خوى كرم الطبائع دهره و الغيث يكرم مره و يلوم

و بعده:

للجود سهم فى المكارم و التقى ما ربّه المكدى و لا المسهوم

و بيان ذلك أن أول من حبا و قرى خليل اللّه إبراهيم

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۱۸۵

فكذلك أنت، هذه قصّتك، و هذه قضيّتك، فى اقتراحك علينا أن نسلك بالليل فى البيت طريق المبالغه على تأويل السّخط.

فإن قلت: أ فترى أن تأبى هذا التقدير فى البيت أيضا حتى يقصر التشبيه على ما تفيده الجمله الجاريه فى صله «الذى؟».

قلت: إنّ ذلك الوجه فيما أظنّه، فقد جاء فى الخبر عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: «ليدخلنّ هذا الدين ما دخل عليه الليل»، فكما تجرّد المعنى هاهنا للحكم الذى هو لليل من الوصول إلى كل مكان، و لم يكن لاعتبار ما اعتبروه من شبه ظلمته وجه، كذلك يجوز أن يتجرّد فى البيت له، و يكون ما ادّعوه من الإشاره

بظلمه الليـل إلى إدراكه له ساخطـا، ضـربا من التعمّق و التطلّب لما لعلّ الشاعر لم يقصـده. و أحسن ما يمكن أن ينتصـر به لهـذا التقـدير أن يقال: إن النهار بمنزله الليل فى وصوله إلى كل مكان، فما من موضع من الأرض إلا و يدركه كلّ واحد منهما، فكما أن الكـائن فى النهـار لا يمكنه أن يصـير إلى مكان لا يكون به ليل، كـذلك الكائن فى الليل لا يجـد موضـعا لا يلحقه فيه نهار، فاختصاصه الليل دليل على أنه قد روّى فى نفسه، فلما علم أن حاله إدراكه و قد هرب منه حاله سـخط، رأى التمثيل بالليل أولى، و يمكن أن يزاد فى نصرته بقوله: [من الرمل]

نعمه كالشّمس لمّا طلعت بثّت الإشراق فى كلّ بلد «۱»

و ذاك أنه قصـد هاهنا نفس ما قصده النابغه فى تعميم الأقطار، و الوصول إلى كل مكان، إلّا أن النعمه لما كانت تسـرّ و تؤنس، أخذ المثل لها من الشمس. و لو أنه ضرب المثل لوصول النعمه إلى أقاصى البلاد، و انتشارها فى العباد، بالليل و وصوله إلى كل بلد، و بلوغه كلّ أحد، لكان قد أخطأ خطأ فاحشا، إلّا أن هذا و إن كان يجى ء مسـتويا فى الموازنه، ففرق بين ما يكره من الشّـبه و مـا يحبّ، لأـن الصـفه المحبوبه إذا اتصلـت بـالغرض من التشبيه، نـالت من العنـايه بهـا و المحافظه عليها قريبا مما يناله الغرض نفسه. و أمّا ما ليس بمحبوب، فيحسن أن يعرض عنها صفحا، و يدع الفكر فيها.

و أما تركه أن يمثّل بالنهار، و

إن كان بمنزله الليل فيما أراه، فيمكن أن يجاب عنه بأنّ هذا الخطاب من النابغه كان بالنهار لا محاله، و إذا كان يكلّمه و هو فى

---

(١) هو فى زيادات ديوان العباس بن الأحنف، و هو فى الوساطه ص ٢٠١، منسوبا إليه، و فى المخطوطه و مطبوعه ديتر: «ثبت الإشراق» و فى مطبوعه رشيد رضا و الوساطه ما أثبت (شاكر).

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ١٨٦

النهار، بعد أن يضرب المثل بإدراك النهار له، و كان الظاهر أن يمثّل بإدراك الليل الذى إقباله منتظر، و طريانه على النهار متوقّع، فكأنّه قال و هو فى صدر النهار أو آخره: «لو سرت عنك لم أجد مكانا يقينى الطلب منك، و لكان إدراكك لى و إن بعدت واجبا، كإدراك هذا الليل المقبل فى عقب نهارى هذا إيّاى، و وصوله إلى أىّ موضع بلغت من الأرض».

و هاهنا شى ء آخر: و هو أنّ تشبيه «النعمه» فى البيت بالشمس، و إن كان من حيث الغرض الخاصّ، و هو الدّلاله على العموم، فكان الشّبه الآخر من كونها مؤنسه للقلوب، و ملبسه العالم البهجه و البهاء كما تفعل الشمس، حاصلا على سبيل العرض، و بضرب من التطفّل. فإنّ تجريد التشبيه لهذا الوجه الذى هو الآن تابع، و جعله أصلا و مقصودا على الانفراد، مألوف معروف كقولنا: «نعمتك شمس طالعه»، و ليس كذلك الحكم فى «الليل»، لأن تجريده لوصف الممدوح بالسّخط مستكره، حتى لو قلت: «أنت فى حال السخط ليل و فى الرّضى نهار»، فكافحت هكذا تجعله ليلا لسخطه، لم

يحسن، و إنما الواجب أن تقول: «النهار ليل على من تغضب عليه، و الليل نهار على من ترضى عنه، و زمان عدوّك ليل كله، و أوقات وليّك نهار كلها»، كما قال: [من الكامل]

أيّامنا مصقوله أطرافها بك، و اللّيالى كلّها أسحار «۱»

و قد يقول الرجل لمحبوبه: «أنت ليلى و نهارى»، أى: بك تضى ء لى الدنيا و تظلم، فإذا رضيت فدهرى نهار، و إذا غضبت فليل كما تقول: «أنت دائى و دوائى، و برئى و سقامى»، و لا تكاد تجد أحدا يقول: «أنت ليل»، على معنى أن سخطك تظلم به الدنيا، لأن هذه العباره بالذمّ، و بالوصف بالظلمه و سواد الجلد، و تجهّم الوجه، أخصّ، و بأن يراد بها أخلق، و هذا المعنى منها إلى القلب أسبق، فاعرفه.

---

(۱) البيت لأبى تمام فى ديوانه. قال فى اللسان: الصّيقل: الجلاء، صقل الشى ء يصقله صقلا و صقالا فهو مصقول، و صقيل: جلاه و الاسم الصّقال، و هو صاقل و الجمع صقله. انظر ماده صقل الميزان.

و هو من قصيده قالها يمدح بها أبا سعيد الثغرى يقول فى مطلعها:

لا أنت أنت و لا الديار ديار خفّ الهوى و تولّت الأوطار

و بعد البيت:

تندى عفاتك للعفاه و تغتدى رفقا إلى زوارك الزوار

هممی معلقه علیک رقابها مغلوله إن الوفاء إسار

أسرار البلاغه فی علم البیان، ص: ۱۸۷

فصل

فصل

اعلم أنـک تجـد الاسم و قـد وقع من نظم الکلام الموقع الـذی یقتضـی کونه مسـتعارا، ثم لا یکون مسـتعارا. و ذاک لأن التشبیه المقصود منوط به مع غیره، و لیس له شـبه ینفرد به، علی ما قدّمت لک من أن الشبه یجی ء منتزعا من مجموع جمله من الکلام، فمن ذلک قول داود بن علیّ حین خطب فقال:

«شکرا شکرا، إنّا و اللّه ما خرجنا لنحفر فیکم نهرا، و لا لنبنی فیکم قصرا، أظنّ عدوّ اللّه أن لن یظفر به، أرخی له فی زمامه، حتی عثر فی فضـل خطـامه، فالآـن عـاد الأمر فی نصابه، و طلعت الشـمس من مطلعها، و الآن قـد أخـذ القوس باریها، و عاد النّبل إلی النزعه، و رجع الأمر إلی مستقرّه فی أهل بیت نبیّکم، أهل بیت الرّأفه و الرّحمه».

فقوله: «الآـن أخـذ القوس باریهـا»، و إن کان القوس تقع کنایه عن الخلافه، و الباری عن المسـتحقّ لها، فإنه لا یجوز أن یقال إن القوس مستعار للخلافه علی حدّ استعاره النور و الشمس، لأجل أنه لا یتصوّر أن یخرج للخلافه شبه من القول علی الانفراد، و أن یقـال: «هی قوس»، کمـا یقـال: «هی نور» و «شـمس»، و إنمـا الشّـبه مؤلّف لحال الخلافه مع القائم بها، من حال القوس مع الـذی براها، و هو أن الباری

للقوس أعرف بخيرها و شرّها، و أهـدى إلى توتيرها و تصـريفها، إذ كان العامل لها فكذلك الكائن على الأوصاف المعتبره فى الإمامه و الجامع لها، يكون أهدى إلى توفيه الخلافه حقّها، و أعرف بما يحفظ مصارفها عن الخلل، و أن يراعى فى سياسه الخلق بالأـمر و النّهى التى هى المقصود منها ترتيبا و وزنا تقع به الأفعال مواقعها من الصواب، كما أنّ العارف بالقوس يراعى فى تسويه جوانبها، و إقامه وترها، و كيفيه نزعها و وضع السـهم الموضع الخاصّ منها، ما يوجب فى سـهامه أن تصيب الأغراض، و تقرطس فى الأهداف، و تقع فى المقاتل، و تصيب شاكله الرّمى.

و هكذا قول القائل و قد سـمع كلاما حسنا من رجل دميم: «عسل طيّب فى ظرف سوء»، ليس «عسل» هاهنا على حدّه فى قولك: «ألفـاظه عسل»، لأجل أنه لم يقصـد إلى بيان حال اللّفظ الحسن و تشبيهه بالعسل فى هـذا الكلام، و إن كان ذلك أمرا معتادا، و إنمـا قصـد إلى بيـان حـال الكلاـم الحسن من المتكلم المشـنوء فى منظره، و قياس اجتماع فضل المخبر مع نقص المنظر، بالشبه المؤلّف من العسل و الظّرف.

أ لا ترى أن الذى يقابل الرجل هو «ظرف سوء» و ظرف سوء لا يصلح تشبيه الرجل به

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ١٨٨

على الانفراد، لأن الدّمامه لا تعطيه صـفه الظّرف من حيث هى دمامه، ما لم يتقدم شى ء يشبه ما فى الظرف من الكلام الحسن أو الخلق الجميل، أو سائر المعانى التى تجعل الأشخاص أوعيه لها.

فمن حقك: أن

تحافظ على هـذا الأصل، و هو أن الشّـبه إذا كان موجودا فى الشـى ء على الانفراد من غير أن يكون نتيجه بينه و بين شـى ء آخر فالاـسم مستعار لما أخـذ له الشّبه منه، كالنور للعلم و الظلمه للجهل، و الشـمس للوجه الجميل، أو الرجل النبيه الجليل. و إذا لم تكن نسبه الشّبه إلى الشى ء على الانفراد، و كان مركّبا من حاله مع غيره، فليس الاسم بمستعار، و لكن مجموع الكلام مثل.

و اعلم أن هـذه الأـمور التى قصـدت البحث عنها أمور كأنّها معروفه مجهوله، و ذلك أنها معروفه على الجمله، لا ينكر قيامها فى نفـوس العـارفين ذوق الكلاـم، و المتمهّرين فى فصـل جيـده من رديئه، و مجهـوله من حيث لم يتفق فيهـا أوضـاع تجرى مجرى القوانين التى يرجع إليهـا، فتسـتخرج منهـا العلـل فى حسن ما اسـتحسن و قبـح ما اسـتهجن، حتى تعلم علم اليقين غير الموهوم، و تضـبط ضـبط المزموم المخطوم. و لعلّ الملال إن عرض لك، أو النشاط إن فتر عنك، قلت: «ما الحاجه إلى كل هذه الإطاله؟ و إنمـا يكفى أن يقـال: الاسـتعاره مثـل كـذا، فتعـدّ كلمـات، و تنشـد أبيات، و هكـذا يكفينا المئونه فى التشبيه و التمثيل يسـير من القول».

فإنـک تعلم أن قائلاـ لو قـال: «الخبر مثل قولنا: زيـد منطلق»، و رضـى به و قنع، و لم تطالبه نفسه بأن يعرف حـدّا للخبر، إذا عرفه تميّز فى نفسه من سـائر الكلاـم، حتى يمكنه أن يعلم هاهنـا كلامـا لفظه لفظ الخبر، و ليس هو بخبر، و لكنه دعاء كقولنا: «رحمه اللّه عليه» و «غفر اللّه له» و لم يجد فى نفسه طلبا لأن يعرف أن الخبر هل ينقسم أو لا ينقسم، و أنّ أوّل أمره

فى القسمه أنه ينقسم إلى جمله من الفعل و الفاعل، و جمله من مبتدأ و خبر، و أنّ ما عدا هذا من الكلام لا يأتلف.

نعم، و لم يحبّ أن يعلم أن هذه الجمله يدخل عليها حروف بعضها يؤكّد كونها خبرا، و بعضها يحدث فيها معانى تخرج بها عن الخبريه و احتمال الصدق و الكذب.

و هكذا يقول إذا قيل له: «الاسم مثل زيد و عمرو»، اكتفيت و لا أحتاج إلى وصف أو حدّ يميّزه من الفعل و الحرف أو حدّ لهما، إذا عرفتهما عرفت أن ما خالفهما هو الاسم، على طريقه الكتّاب، و يقول: «لا أحتاج إلى أن أعرف أنّ الاسم

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ١٨٩

ينقسم فيكون متمكّنا أو غير متمكّن، و المتمكن يكون منصرفا و غير منصرف، و لا إلى أن أعلم شرح غير المنصرف، الأسباب التسعه التى يقف هذا الحكم على اجتماع سببين منها أو تكرّر سبب فى الاسم و لا أنه ينقسم إلى المعرفه و النكره، و أن «النكره» ما عمّ شيئين فأكثر، و ما أريد به واحد من جنس لا بعينه، و «المعرفه» ما أريد به واحد بعينه أو جنس بعينه على الإطلاق و لا إلى أن أعلم شيئا من الانقسامات التى تجى ء فى الاسم، كان قد أساء الاختيار، و أسرف فى دعوى الاستغناء عما هو محتاج إليه إن أراد هذا النوع من العلم و لئن كان الذى نتكلّف شرحه لا يزيد على مؤدّى ثلاثه أسماء، و هى «التمثيل» و «التشبيه» و «الاستعاره»، فإن ذلك يستدعى

جملا- من القول يصعب استقصاؤها، و شعبا من الكلام لا- يستبين لأول النظر أنحاؤها، إذ قولنا: «شى ء»، يحتوى على ثلاثه أحرف، و لكنك إذا مددت يدا إلى القسمه و أخذت فى بيان ما تحويه هذه اللفظه، احتجت إلى أن تقرأ أوراقا لا تحصى، و تتجشّم من المشقّه و النظر و التفكير ما ليس بالقليل النزر. و «الجزء الذى لا يتجزّأ»، يفوت العين، و يدقّ عن البصر، و الكلام عليه يملأ أجلادا عظيمه الحجم. فهذا مثلك إن أنكرت ما عنيت به من هذا التتبّع، و رأيته من البحث، و آثرته من تجشّم الفكره و سومها أن تدخل فى جوانب هذه المسائل و زواياها، و تستثير كوامنها و خفاياها، فإن كنت ممن يرضى لنفسه أن يكون هذا مثله، و هاهنا محلّه، فعب كيف شئت، و قل ما هويت، و ثق بأن الزمان عونك على ما ابتغيت، و شاهدك فيما ادّعيت، و أنك واجد من يصوّب رأيك و يحسّن مذهبك، و يخاصم عنك، و يعادى المخالف لك.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۱۹۰

فصل فى الأخذ و السرقه و ما فى ذلک من التعليل، و ضروب الحقيقه و التخييل

القسم العقلى

القسم العقلى

اعلم أن الحكم على الشاعر بأنه أخذ من غيره و سرق، و اقتدى بمن تقدّم و سبق، لا يخلو من أن يكون فى المعنى صريحا، أو فى صيغه تتعلق بالعباره. و يجب أن نتكلم أوّلا على المعانى، و هى تنقسم أوّلا قسمين: عقلىّ و تخييلىّ، و كل واحد منهما يتنوّع. فالذى هو «العقلى» على أنواع:

أوّلها: عقلىّ صحيح مجراه فى الشعر و الكتابه و البيان و الخطابه، مجرى الأدلّه التى

تستنبطها العقلاء، و الفوائد التى تثيرها الحكماء، و لذلك تجد الأكثر من هذا الجنس منتزعا من أحاديث النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و كلام الصحابه رضى اللّه عنهم، و منقولا من آثار السلف الذين شأنهم الصدق، و قصدهم الحقّ، أو ترى له أصلا فى الأمثال القديمه و الحكم المأثوره عن القدماء، فقوله: [من الطويل]

و ما الحسب الموروث لا درّ درّه بمحتسب إلّا بآخر مكتسب «۱»

و نظائره، كقوله: [من الطويل]

إنّى و إن كنت ابن سيّد عامر و فى السّرّ منها و الصّريح المهذّب

لما سوّدتنى عامر عن وراثه أبى اللّه أن أسمو بأمّ و لا أب «۲»

معنى صريح محض يشهد له العقل بالصحه، و يعطيه من نفسه أكرم النّسبه، و تتفق العقلاء على الأخذ به، و الحكم بموجبه، فى كل جيل و أمّه، و يوجد له أصل

---

(۱) البيت لابن الرومى. يقول ابن الأعرابى: الدّرّ العمل من خير أو شرّ، و منه قولهم: للّه درّك يكون مدحا و يكون ذما ...، و قالوا: للّه درك أى: للّه عملك، و يقال: هذا لمن يمدح و يتعجب من عمله، فإذا ذمّ عمله قيل: لا درّ درّه.

(۲) البيتان من ديوان عامر بن الطفيل. انظر الكامل بتحقيق الدكتور

عبد الحمید هنداوی، و فی الحیوان ۲/ ۹۵، و خزانه الأدب ۸/ ۳۴۳، ۳۴۴، ۳۴۵، ۳۴۸، و شرح شواهد الشافیه ص ۴۰۴، و شرح شواهد المغنی ص ۹۵۳، و شرح المفصل ۱۰/ ۱۰۱، و الشعر و الشعراء ص ۳۴۳، و لسان العرب، و المقاصد النحویه ۱/ ۲۴۲، و الخصائص ۲/ ۳۴۲، و شرح الأشمونی ۱/ ۴۵، و شرح شافیه ابن الحاجب ۳/ ۱۸۳، و المحتسب ۱/ ۱۲۷، و مغنی اللبیب ص ۶۷۷.
و البیت بعدهما:

و لکننی أحمی حماها و أتقی أذاها و أرمی من رماها بمقنب

و فی السر منها: من سرّ الوادی و هو أکرم موضع فیه، یرید أنه فی أکرم موضع من نسبها، و الصریح:

الخالص من کل شی ء و المهذب: النقیّ من العیوب.

أسرار البلاغه فی علم البیان، ص: ۱۹۱

فی کل لسان و لغه، و أعلی مناسبه و أنورها، و أجلّها و أفخرها، قول اللّه تعالی: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ [الحجرات: ۱۳]، و قول النبی صلّی اللّه علیه و سلّم: «من أبطأ به عمله لم یسرع به نسبه»، و قوله علیه السلام: «یا بنی هاشم، لا تجیئنی الناس بالأعمال و تجیئونی بالأنساب».

و ذلک أنه لو کانت القضیّه علی ظاهر یغترّ به الجاهل، و یعتمده المنقوص، لأدّی ذلک إلی إبطال النّسب أیضا، و إحاله التکثّر به، و الرجوع إلی شرفه، فإن الأوّل لو عدم الفضائل المکتسبه، و المساعی

الشريفه، و لم يبن من أهل زمانه بأفعال تؤثر، و مناقب تدوّن و تسطّر، لما كان أوّلا، و لكان المعلم من أمره مجهلا، و لما تصوّر افتخار الثانى بالانتماء إليه، و تعويله فى المفاضله عليه، و لكان لا يتصوّر فرق بين أن يقول: «هذا أبى، و منه نسبى»، و بين أن ينسب إلى الطين، الذى هو أصل الخلق أجمعين، و لذلك قال صلّى اللّه عليه و سلّم: «كلّكم لآدم، و آدم من التراب»، و قال محمد بن الربيع الموصلى «۱»: [من البسيط]

الناس فى صوره التّشبيه أكفاء أبوهم آدم و الأمّ حوّاء

فإن يكن لهم فى أصلها شرف يفاخرون به فالطّين و الماء

ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلّاء

و وزن كل امرئ ما كان يحسنه و الجاهلون لأهل العلم أعداء

فهذا كما ترى باب من المعانى التى تجمع فيها النظائر، و تذكر الأبيات الدالّه عليها، فإنها تتلاقى و تتناظر، و تتشابه و تتشاكل، و مكانه من العقل ما ظهر لك و استبان، و وضح و استنار.

و كـذلك قوله: [من الطويـل] و كل امرئ يولى الجميل محبّب صـريح معنى ليس للشـعر فى جوهره و ذاته نصـيب، و إنما له ما يلبسه من اللفـظ، و يكسوه من العبـاره، و كيفيه التأديه من الاختصار و خلافه، و الكشف أو ضـدّه، و أصـله قول النبى صـلّى اللّه عليه و سلّم: «جبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها» «۲»، بل قول اللّه عز

---

(۱) الأبيات فى ديوان الإمام على بن أبى طالب، و هى من أوائل الأبيات فى أول قصيده فى الديوان فانظره. و منها أيضا:

نقم بعلم و لا تطلب به بدلا فالناس موتى و أهل العلم أحياء

(۲) من الأحاديث المشـهوره على الألسـنه بزياده: «و بعض من أساء إليها» و روى مرفوعا و موقوفا عن ابن مسعود و كلاهما باطل، و قيل أو الموقوف معروف عن الأعمش. (رشيد).

و جل: ادْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِی بَیْنَکَ وَ بَیْنَهُ عَداوَهٌ کَأَنَّهُ وَلِیٌّ حَمِیمٌ [فصلت: ۳۴].

و كذا قوله: [من الكامل]

لا يسلم الشّرف الرّفيع من الأذى حتّى يراق على جوانبه الدّم «۱»

معنى معقول لم يزل العقلاء يقضون بصحّته، و يرى العارفون بالسياسه الأخذ بسنّته، و به جاءت أوامر اللّه سبحانه، و عليه

جرت الأحكام الشرعيه و السّنن النبويه، و به استقام لأهل الدّين دينهم، و انتفى عنهم أذى من يفتنهم و يضيرهم. إذ كان موضوع الجبلّه على أن لا تخلو الدنيا من الطغاه الماردين، و الغواه المعاندين، الذين لا يعون الحكمه فتردعهم، و لا يتصوّرون الرشد فيكفّهم النّصح و يمنعهم، و لا يحسّون بنقائص الغيّ و الضلال، و ما في الجور و الظلم من الضّعه و الخبال، فيجدوا لذلك مسّ أ لم يحبسهم على الأمر، و يقف بهم عند الزجر، بل كانوا كالبهائم و السّباع، لا يوجعهم إلّا ما يخرق الأبشار من حدّ الحديد، و سطو البأس الشديد، فلو لم تطبع لأمثالهم السيوف، و لم تطلق فيهم الحتوف، لما استقام دين و لا دنيا، و لا نال أهل الشرف ما نالوه من الرتبه العليا، فلا يطيب الشرب من منهل لم تنف عنه الأقذاء، و لا تقرّ الروح فى بدن لم تدفع عنه الأدواء.

و كذلك قوله «٢»: [من الطويل]

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته و إن أنت أكرمت اللّئيم تمرّدا

و وضع الندى فى موضع السيف بالعلى مضرّ، كوضع السّيف فى موضع الندى

القسم التخييلى

القسم التخييلى

و أما القسم التخييلى، فهو الذى لا يمكن أن يقال إنه صدق، و إنّ ما أثبته ثابت و ما نفاه منفيّ. و هو مفتّن المذاهب، كثير المسالك، لا يكاد يحصر إلّا تقريبا،

---

(١) البيت للمتنبى.

(٢) البيتان فى ديوانه

من قصيده له يمدح سيف الدوله مطلعها:

لكل امرئ من دهره ما تعوّدا و عاده سيف الدوله الطعن فى العدى

و فى البيتين يوضح المتنبى فى الثانى منهما أهميه وضع كل فعل فى مكانه المناسب، فلا يساء إلى المحسن و لا يحسن إلى المسى ء لأن ذلك مضر بالعلى و بالأخلاق.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۱۹۳

و لا يحاط به تقسيما و تبويبا. ثم إنه يجى ء طبقات، و يأتى على درجات، فمنه ما يجى ء مصنوعا قد تلطّف فيه، و استعين عليه بالرفق و الحذق، حتى أعطى شبها من الحقّ، و غشى رونقا من الصّدق، باحتجاج تمحّل، و قياس تصنّع فيه و تعمّل، و مثاله قول أبى تمام: [من الكامل]

لا تنكرى عطل الكريم من الغنى فالسّيل حرب للمكان العالى «۱»

فهذا قد خيّل إلى السامع أن الكريم إذا كان موصوفا بالعلوّ، و الرّفعه فى قدره، و كان الغنى كالغيث فى حاجه الخلق إليه و عظم نفعه، وجب بالقياس أن يزلّ عن الكريم، زليل السّيل عن الطّود العظيم. و معلوم أنه قياس تخييل و إيهام، لا تحصيل و إحكام، فالعلّه فى أن السيل لا يستقرّ على الأمكنه العاليه، أن الماء سيّال لا يثبت إلا إذا حصل فى موضع له جوانب تدفعه

عن الانصباب، و تمنعه عن الانسياب، و ليس فى الكريم و المال، شى ء من هذه الخلال.

و أقوى من هذا فى أن يظنّ حقّا و صدقا، و هو على التخيّل قوله: [من البسيط]

الشيب كره، و كره أن يفارقنى أعجب بشى ء على البغضاء مودود «٢»

هو من حيث الظاهر صدق و حقيقه، لأن الإنسان لا يعجبه أن يدركه الشيب، فإذا هو أدركه كره أن يفارقه، فتراه لذلك ينكره و يتكرّهه على إرادته أن يدوم له، إلاـ أنك إذا رجعت إلى التحقيق، كانت الكراهه و البغضاء لاـحقه للشيب على الحقيقه، فأما كونه مرادا و مودودا، فمتخيّل فيه، و ليس بالحقّ و الصدق، بل المودود الحياه و البقاء، إلا أنه لما كانت العاده جاريه بأنّ فى زوال رؤيه الإنسان للشيب، زواله عن الدنيا و خروجه منها، و كان العيش فيها محبّبا إلى النفوس، صارت محبّته لما لا يبقى له حتى يبقى الشيب، كأنّها محبّه للشيب.

و من ذلك صنيعهم إذا أرادوا تفضيل شى ء أو نقصه، أو مدحه أو ذمّه، فتعلّقوا ببعض ما يشاركه فى أوصاف ليست هى سبب الفضيله و النقيصه، و ظواهر أمور لا تصحّح ما قصدوه من التهجين و التزيين على الحقيقه، كما تراه فى باب الشيب و الشباب، كقول البحترى: [من الخفيف]

---

(١) البيت لأبى تمام فى ديوانه، و الإيضاح ص ٣٢٢، تحقيق د. عبد الحميد هنداوى. و عطل الكريم: خلوه و فراغه.

(٢) البيت لابن المعتز فى ديوانه و ينسب أيضا لمسلم بن الوليد.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۱۹۴

و بياض البازىّ أصدق حسنا إن تأمّلت من سواد الغراب «۱»

و ليس إذا كان البياض فى البازى آنق فى العين و أخلق بالحسن من السواد فى الغراب، وجب لذلك أن لا يذمّ الشيب و لا تنفر منه طباع ذوى الألباب، لأنه ليس الذنب كلّه لتحوّل الصّبغ و تبدّل اللون، و لا أتت الغوانى ما أتت من الصدّ و الإعراض لمجرّد البياض، فإنهن يرينه فى قباطىّ مصر فيأنسن، و فى أنوار الرّوض و أوراق النرجس الغضّ فلا يعبسن، فما أنكرن ابيضاض شعر الفتى لنفس اللون و ذاته، بل لذهاب بهجاته، و إدباره فى حياته. و إنك لترى الصّفره الخالصه فى أوراق الأشجار المتناثره عند الخريف و إقبال الشتاء و هبوب الشّمال، فتكرهها و تنفر منها، و تراها بعينها فى إقبال الربيع فى الزّهر المتفتّق، و فيما ينشئه و يشيه من الديباج المؤنق، فتجد نفسك على خلاف تلك القضيّه، و تمتلئ من الأريحيّه، ذاك لأنك رأيت اللون حيث النماء و الزياده، و الحياه المستفاده، و حيث أبشرت أرواح الرياحين، و بشّرت أنواع التحاسين، و رأيته فى الوقت الآخر حين ولّت السعود، و اقشعرّ العود، و ذهبت البشاشه و البشر، و جاء العبوس و العسر.

هذا، و لو عدم البازى فضيله أنه جارح، و أنه من عتيق الطير، لم تجد لبياضه الحسن الذى تراه، و لم يكن للمحتجّ به على من ينكر الشيب و يذمّه ما تراه من

الاستظهار، كما أنه لو لا ما يهدى إليك المسک من ريّاه التى تتطلع إلها الأرواح، و تهشّ لها النفوس و ترتاح، و لضعفت حجّه المتعلق به فى تفضيل الشّباب. و كما لم تكن العلّه فى كراهه الشيب بياضه، و لم يكن هو الذى غضّ عنه الأبصار، و منحه العيب و الإنكار، كذلک لم يحسن سواد الشعر فى العيون لكونه سوادا فقط، بل لأنک رأيت رونق الشباب و نضارته، و بهجته و طلاوته و رأيت بريقه و بصيصه يعدانک الإقبال، و يريانک الاقتبال، و يحضرانک الثقه بالبقاء، و يبعدان عنك الخوف من الغناء. و إنّک لترى الرّجل و قد طعن فى السنّ و شعره لم يبيضّ، و شيبه لم ينقضّ، و لكنه على ذاک قد عدم إبهاجه الذى كان، و عاد لا يزين كما زان، و ظهر فيه من الكمود و الجمود، ما يريكه غير محمود.

---

(۱) البيت للبحترى فى ديوانه و قبله:

عيرتنى المشيب و هى بدته فى عذارى بالصد و الاجتناب

(شاكر).

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۱۹۵

و هكذا قوله: [من الكامل]

و الصّارم المصقول أحسن حاله يوم الوغى من صارم لم يصقل

احتجاج على فضيله الشيب، و أنه أحسن منظرا من جهه التعلق باللون، و إشاره إلى

أن السواد كالصدإ على صفحه السيف، فكما أن السيف إذا صقل و جلى و أزيل عنه الصّيدأ و نقّى كان أبهى و أحسن، و أعجب إلى الرائى و فى عينه أزين، كذلك يجب أن يكون حكم الشعر فى انجلاء صدأ السواد عنه، و ظهور بياض الصّيقال فيه، و قد ترك أن يفكّر فيما عدا ذلك من المعانى التى لها يكره الشيب، و يناط به العيب.

و على هذا موضوع الشعر و الخطابه، أن يجعلوا اجتماع الشيئين فى وصف علـه لحكم يريدونه، و إن لم يكن كذلك فى المعقول و مقتضيات العقول، و لا يؤخذ الشاعر بأن يصحّح كون ما جعله أصلا و علّه كما ادّعاه فيما يبرم أو ينقض من قضيّه، و أن يأتى على ما صيّره قاعده و أساسا بيّنه عقليه، بل تسلّم مقدّمته التى اعتمدها بيّنه، كتسليمنا أنّ عائب الشيب لم ينكر منه إلّا لونه، و تناسينا سائر المعانى التى لها كره، و من أجلها عيب.

و كذلك قول البحترى «١»: [من المنسرح]

كلّفتمونا حدود منطقكم فى الشّعر يكفى عن صدقه كذبه

أراد كلّفتمونا أن نجرى مقاييس الشعر على حدود المنطق، و نأخذ نفوسنا فيه بالقول المحقّق، حتى لا ندّعى إلا ما يقول عليه من العقل برهان يقطع به، و يلجئ إلى موجبه. و لا شك أنه إلى هذا النحو قصد، و إيّاه عمد، إذ يبعد أن يريد بالكذب إعطاء الممدوح حظّا من الفضل و السّؤدد ليس له، و يبلّغه بالصفه حظّا من التعظيم ليس هو أهله، و أن يجاوز به من الإكثار محلّه،

لأن هـذا الكـذب لا يبين بالحجج المنطقيه، و القوانين العقليه، و إنما يكذّب فيه القائل بالرجوع إلى حال المذكور و اختباره فيما وصف به، و الكشف عن قدره و خسّته، و رفعته أو ضعته، و معرفه محلّه و مرتبته.

و كذلك قول من قال: «خير الشعر أكذبه»، فهذا مراده، لأن الشعر لا يكتسب

---

(١) البيت للبحترى فى ديوانه، و يروى عجز البيت:

فى يلغى يكفى عن صدقه كذبه و بعده:

و الشعر لمح تكفى إشارته و ليس بالهذر طولت خطبه

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ١٩٦

من حيث هو شعر فضلا و نقصا، و انحطاطا و ارتفاعا، بأن ينحل الوضيع صفه من الرفعه هو منها عار، أو يصف الشريف بنقص و عار، فكم جواد بخّله الشعر و بخيل سخّاه؛ و شجاع وسمه بالجبن و جبان ساوى به الليث؛ و دنىّ أوطأه قمّه العيّوق، و غبىّ قضى له بـالفهم، و طائش ادّعى له طبيعه الحكم، ثم لم يعتبر ذلك فى الشعر نفسه حيث تنتقد دنانيره و تنشر ديابيجه، و يفتق مسكه فيضوع أريجه.

و أما من قال فى معارضه هذا القول: «خير الشعر أصدقه»، كما قال: [من البسيط]

و إنّ أحسن بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا «١»

فقد يجوز أن يراد

به أن خير الشعر ما دلّ على حكمه يقبلها العقل، و أدب يجب به الفضل، و موعظه تروّض جماح الهوى و تبعث على التقوى، و تبيّن موضع القبح و الحسن فى الأفعال، و تفصل بين المحمود و المذموم من الخصال، و قد ينحى بها نحو الصدق فى مدح الرجال، كما قيل: «كان زهير لا يمدح الرجل إلا بما فيه»، و الأول أولى، لأنهما قولان يتعارضان فى اختيار نوعى الشعر.

فمن قال: «خيره أصدقه» كان ترك الإغراق و المبالغه و التجوّز إلى التحقيق و التصحيح، و اعتماد ما يجرى من العقل على أصل صحيح، أحبّ إليه و آثر عنده، إذ كان ثمره أحلى، و أثره أبقى، و فائدته أظهر، و حاصله أكثر، و من قال: «أكذبه»، ذهب إلى أن الصنعه إنما تمدّ باعها، و تنشر شعاعها، و يتّسع ميدانها، و تتفرّع أفنانها، حيث يعتمد الاتّساع و التخييل، و يدّعى الحقيقه فيما أصله التقريب و التخيل و حيث يقصد التلطف و التأويل و يذهب بالقول مذهب المبالغه و الإغراق فى المدح و الذمّ و الوصف و النعت و الفخر و المباهاه و سائر المقاصد و الأغراض، و هناك يجد الشاعر سبيلا إلى أن يبدع و يزيد، و يبدى فى اختراع الصّور و يعيد، و يصادف مضطربا كيف شاء واسعا، و مددا من المعانى متتابعا، و يكون كالمغترف من عدّ لا ينقطع، و المستخرج من معدن لا ينتهى.

و أما القبيل الأول فهو فيه كالمقصور المدانى قيده، و الذى لا تتّسع كيف شاء يده و أيده، ثم هو فى الأكثر يسرد على السامعين معانى معروفه و صورا مشهوره، و يتصرّف فى أصول هى و إن كانت شريفه، فإنها كالجواهر تحفظ

أعدادها، و لا يرجى

---

(١) البيت لحسان بن ثابت فى ديوانه، و المصباح ص ٢٢١. و قبله:

و إنما الشعر لب المرء يعرضه على المجالس إن كيسا و إن حمقا

ازديادها، و كالأعيان الجامده التى لا تنمى و لا تزيد، و لا تربح و لا تفيد، و كالحسناء العقيم، و الشجره الرّائقه لا تمتّع بجنى كريم.

هذا و نحوه يمكن أن يتعلّق به فى نصره التخييل و تفضيله، و العقل بعد على تفضيل القبيل الأول و تقديمه و تفخيم قدره و تعظيمه، و ما كان العقل ناصره، و التحقيق شاهده، فهو العزيز جانبه، المنيع مناكبه، و قد قيل: «الباطل مخصوم و إن قضى له، و الحقّ مفلج و إن قضى عليه». هذا، و من سلّم أنّ المعانى المعرقه فى الصدق، المستخرجه من معدن الحقّ، فى حكم الجامد الذى لا ينمى، و المحصور الذى لا يزيد و إن أردت أن تعرف بطلان هذه الدعوى فانظر إلى قول أبى فراس: [من الوافر]

و كنّا كالسهام إذا أصابت مراميها فراميها أصابا «١»

أ لست تراه عقليّا عريقا فى نسبه، معترفا بقوّه سببه، و هو على ذلك من فوائد أبى فراس التى هى أبو عذرها «٢»، و السابق إلى

إثاره سرّها.

و اعلم أن «الاستعاره» لا تدخل فى قبيل «التخييل»، لأن المستعير لا يقصد إلى إثبات معنى اللفظه المستعاره، و إنما يعمد إلى إثبات شبه هناك، فلا يكون مخبره على خلاف خبره. و كيف يعرض الشكّ فى أن لا مدخل للاستعاره فى هذا الفنّ، و هى كثيره فى التنزيل على ما لا يخفى، كقوله عز و جل: وَ اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً [مريم: ۴]، ثم لا شبهه فى أن ليس المعنى على إثبات الاشتعال ظاهرا، و إنما المراد إثبات شبهه. و كذلك قول النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: «المؤمن مرآه المؤمن»، ليس على إثباته مرآه من حيث الجسم الصّقيل، لكن من حيث الشّبه المعقول، و هو كونها سببا للعلم بما لولاها لم يعلم، لأن ذلك العلم طريقه الرؤيه، و لا سبيل إلى أن يرى الإنسان وجهه إلا بالمرآه و ما جرى مجراها من الأجسام الصّقيله، فقد جمع بين المؤمن و المرآه فى صفه معقوله، و هى أن المؤمن ينصح أخاه و يريه الحسن من القبيح، كما ترى المرآه الناظر فيها ما يكون بوجهه من الحسن و خلافه. و كذا قوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «إياكم و خضراء الدّمن»، معلوم أن ليس القصد إثبات معنى ظاهر اللفظين، و لكن الشّبه الحاصل من مجموعهما، و ذلك حسن الظاهر مع خبث الأصل.

---

(۱) البيت لأبى فراس فى ديوانه.

(۲) يقال فلان أبو عذر فلانه إذا كان افترعها و اقتضها، و قولهم: ما أنت بذى عذر هذا الكلام، أى:

لست بأول من اقتضه. [اللسان: عذر].

أسرار

البلاغه فی علم البیان، ص: ۱۹۸

و إذا كان هـذا كذلک، بان منه أيضا أنّ لک مع لزوم الصدق، و الثبوت على محض الحقّ، الميدان الفسيح و المجال الواسع، و أن ليس الأـمر على مـا ظنّه ناصر الإـغراق و التخييـل الخارج إلى أن يكون الخبر على خلاف المخبر، من أنه إنما يتّسع المقال و يفتنّ، و تكثر موارد الصـنعه و يغزر ينبوعهـا، و تكثر أغصانهـا و تتشعّب فروعها، إذا بسط من عنان الـدعوى، فادّعى ما لا يصـحّ دعواه، و أثبت ما ينفيه العقل و يأباه.

و جمله الحـديث أن الـذى أريـده بالتخييـل هاهنـا، مـا يثبت فيه الشـاعر أمرا هو غير ثـابت أصـلا، و يـدّعى دعوى لاـ طريق إلى تحصيلها، و يقول قولا يخدع فيه نفسه و يريها ما لا ترى.

فأمّا الاسـتعاره، فإن سبيلها سبيل الكلام المحذوف، فى أنک إذا رجعت إلى أصله، وجدت قائله و هو يبت أمرا عقليّا صحيحا، و يدّعى دعوى لها سنخ فى العقل.

و ستمرّ بـک ضـروب مـن «التخييـل» هى أظهر أمرا فى البعـد عن الحقيقه، و أكشـف وجهـا فى أنه خـداع للعقـل، و ضـرب من التزويق، فتزداد استبانه للغرض بهـذا الفصـل، و أزيـدک حينئـذ إن شاء اللّه، كلاما فى الفرق بين ما يـدخل فى حيّز قولهم: «خير الشعر أكذبه»، و بين ما لا يدخل فيه مما يشاركه فى أنه اتّساع و تجوّز، فاعرفه.

و كيف دار الأـمر، فـإنهم لم يقولوا: «خير الشـعر أكـذبه»، و هم يريـدون كلاما غفلا ساذجا يكـذب فيه صاحبه و يفرط، نحو أن يصف الحـارس بأوصـاف الخليفه، و يقول للبـائس المسـكين: «إنّک أمير العراقين»، و لكن ما فيه صـنعه يتعمّل لها، و تـدقيق فى المعانى يحتاج معه إلى فطنه لطيفه

و فهم ثاقب و غوص شديد، و اللّه الموافق للصواب.

و أعود إلى ما كنت فيه من الفصل بين المعنى الحقيقى و غير الحقيقى.

و اعلم أن ما شأنه «التخييل»، أمره فى عظم شجرته إذا تؤمّل نسبه، و عرفت شعوبه و شعبه، على ما أشرت إليه قبيل، لا يكاد تجى ء فيه قسمه تستوعبه، و تفصيل يستغرقه، و إنما الطريق فيه أن يتّبع الشى ء بعد الشى ء و يجمع ما يحصره الاستقراء.

فالذى بدأت به من دعوى أصل و علّه فى حكم من الأحكام، هما كذلك ما تركت المضايقه، و أخذ بالمسامحه، و نظر إلى الظاهر، و لم ينقّر عن السرائر، و هو النمط العدل و النمرقه الوسطى، و هو شى ء تراه كثيرا بالآداب و الحكم البريئه من الكذب.

و من الأمثله فيه قول أبى تمام «١»: [من الخفيف]

إنّ ريب الزمان يحسن أن يه دى الرّزايا إلى ذوى الأحساب

---

(١) البيتان لأبى تمام فى ديوانه.

فلهذا يجفّ بعد اخضرار قبل روض الوهاد روض الرّوابى

و كذا قوله يذكر أنّ الممدوح قد زاده، مع بعده عنه و غيبته، فى العطايا على الحاضرين عنده اللّازمين خدمته «١»: [من الخفيف]

لزموا مركز

النّدى و ذراه وعدتنا عن مثل ذاك العوادى

غير أنّ الرّبى إلى سبل الأن واء أدنى، و الحظّ حظّ الوهاد

لم يقصد من الربى هاهنا إلى العلوّ، و لكن إلى الدنوّ فقط، و كذلك لم يرد بذكر الوهاد الضّعه و التّسفّل و الهبوط، كما أشار إليه فى قوله:

و السّيل حرب للمكان العالى «۲» و إنما أراد أن الوهاد ليس لها قرب الرّبى من فيض الأنواء، ثم إنها تتجاوز الرّبى التى هى دانيه قريبه إليها، إلى الوهاد التى ليس لها ذلك القرب.

و من هذا النّمط، فى أنه تخييل شبيه بالحقيقه لاعتدال أمره، و أنّ ما تعلّق به من العلّه موجود على ظاهر ما ادّعى، قوله «۳»: [من البسيط]

ليس الحجاب بمقص عنك لى أملا إنّ السماء ترجّى حين تحتجب

فاستتار السماء بالغيم هو سبب رجاء الغيث الذى يعدّ فى مجرى العاده جودا منها و نعمه، صادره عنها، كما قال ابن المعتز «۴»: [من الخفيف]

ما ترى نعمه السماء على الأر ض و شكر الرّياض للأمطار

و هذا نوع آخر، و هو دعواهم فى الوصف هو خلقه فى الشى ء و طبيعه، أو واجب على الجمله، من حيث هو أنّ

ذلک الوصف حصل له من الممدوح و منه استفاده. و أصل هذا التشبیه، ثم یتزاید فیبلغ هذا الحدّ، و لهم فیه عبارات منها قولهم: «إن الشمس تستعیر منه النور و تستفید، أو تتعلّم منه الإشراق و تکتسب منه الإضاءه». و ألطف ذلک أن قال: «تسرق»، و «أن نورها مسروق من الممدوح».

و کذلک یقال: «المسک یسرق من عرفه، و أنّ طیبه مسترق منه و من أخلاقه»، قال ابن بابک: [من الطویل]

---

(۱) البیتان لأبی تمام فی دیوانه.

(۲) سبق تخریجه فی أول القسم التخییلی.

(۳) البیت لأبی تمام فی دیوانه.

(۴) البیت لابن المعتز فی دیوانه.

أسرار البلاغه فی علم البیان، ص: ۲۰۰

ألا یا ریاض الحزن من أبرق الحمی نسیمک مسروق و وصفک منتحل

حکیت أبا سعد، فنشرک نشره و لکن له صدق الهوی، و لک الملل

و نوع آخر، و هو أن یدّعی فی الصفه الثانیه للشی ء أنه إنما کان لعلّه یضعها الشاعر و یختلقها، إمّا لأمر یرجع إلی تعظیم الممدوح، أو تعظیم أمر من الأمور، فمن الغریب فی ذلک معنی بیت فارسیّ ترجمته «۱»: [من البسیط]

لو لم تکن نیّه الجوزاء خدمته

لما رأيت عليها عقد منتطق

فهذا ليس من جنس ما مضى، أعنى ما أصله التشبيه، ثم أريد التناهى فى المبالغه و الإغراق و الإغراب.

و يدخل فى هذا الفن قول المتنبى «٢»: [من الكامل]

لم تحكك نائلك السّحاب، و إنّما حمّت به فصبيبها الرّحضاء

لأنه و إن كان أصله التشبيه، من حيث يشبّه الجواد بالغيث، فإنه وضع المعنى وضعا و صوّره فى صوره خرج معها إلى ما لا أصل له فى التشبيه، فهو كالواقع بين الضربين. و قريب منه فى أن أصله التشبيه ثم باعده بالصنعه فى تشبيهه و خلع عنه صورته خلعا، قوله: [من الوافر]

و ما ريح الرّياض لها، و لكن كساها دفنهم فى الترب طيبا

و من لطيف هذا النوع قول أبى العباس الضبّى: [من الكامل]

لا تركننّ إلى الفرا ق و إن سكنت إلى العناق

فالشمس عند غروبها تصفرّ من فرق الفراق

ادّعى لتعظيم شأن الفراق أنّ ما يرى من الصفره فى الشمس حين يرقّ نورها بدنوّها من الأرض، إنما هو لأنها تفارق الأفق الذى كانت فيه،

أو الناس الذين طلعت عليهم و أنست بهم و أنسوا بها و سرّتهم رؤيتها.

و نوع منه قول الآخر: [من الوافر]

قضيب الكرم نقطعه فيبكى و لا تبكى و قد قطع الحبيب

---

(١) البيت فى الإيضاح ص ٣٢۴ تحقيق د. عبد الحميد هنداوى. و الجوزاء: برج فى السماء، العقد:

ما يلبس فى العنق، و المنتطق: لابس النطاق.

(٢) البيت للمتنبى فى ديوانه، و فى الإيضاح ص ٣٢٢ تحقيق د. عبد الحميد هنداوى. و الرحضاء:

عرق الحمى.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٢٠١

و هو منسوب إلى إنشاد الشّبلى، و يقال أيضا أن أبا العباس أخذ معناه فى بيته من قول بعض الصّوفيه و قيل له: «لم تصفرّ الشمس عند الغروب؟ فقال من حذر الفراق».

و من لطيف هذا الجنس قول الصّولى: [من الكامل]

الرّيح تحسدنى على ك، و لم أخلها فى العدا

لمّا هممت بقبله ردت على الوجه الرّدا

و ذلك أن الريح إذا كان وجهها نحو الوجه، فواجب فى طباعها أن تردّ الرداء عليه، و أن تلفّ من طرفيه، و قد ادّعى أن ذلك منها لحسد بها و

غيره على المحبوبه، و هى من أجل ما فى نفسها تحول بينه و بين أن ينال من وجهها.

و فى هذه الطريقه قوله «۱»: [من المتقارب]

و حاربنى فيه ريب الزّمان كأنّ الزّمان له عاشق

إلّا أنه لم يضع علّه و معلولا من طريق النصّ على شى ء، بل أثبت محاربه من الزمان فى معنى الحبيب، ثم جعل دليلا على علّتها جواز أن يكون شريكا له فى عشقه. و إذا حقّقنا لم يجب لأجل أن جعل العشق علّه للمحاربه، و جمع بين الزمان و الريح، فى ادعاء العداوه لهما أن يتناسب البيتان من طريق الخصوص و التفصيل.

و ذاك أن الكلام فى وضع الشاعر للأمر الواجب علّه غير معقول كونها علّه لذلك الأمر. و كون العشق علّه للمعاداه فى المحبوب معقول معروف غير بدع و لا منكر. فإذا بدأ فادّعى أن الزمان يعاديه و يحاربه فيه، فقد أعطاك أنّ ذلك لمثل هذه العلّه و ليس إذا ردّت الريح الرّداء، فقد وجب أن يكون ذلك لعلّه الحسد أو لغيرها، لأن ردّ الرداء شأنها، فاعرفه، فإن من شأن حكم المحصّل أن لا ينظر فى تلاقى المعانى و تناظرها إلى جمل الأمور، و إلى الإطلاق و العموم، بل ينبغى أن يدقّق النظر فى ذلك، و يراعى التناسب من طريق الخصوص و التفاصيل. فأنت فى نحو بيت ابن وهيب تدّعى صفه غير ثابته، و هى إذا ثبتت اقتضت مثل العلّه التى ذكرها، و فى نحو بيت الريح، تذكر صفه غير ثابته حاصله على الحقيقه، ثم تدّعى لها عله من عند نفسك

وضعا و اختراعا، فافهمه.

---

(١) البيت لمحمد بن وهيب فى الأغانى ١٩/ ٨٤. و قبله:

إذا ما سموت إلى وصله تعرض لى دونه عائق

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٢٠٢

و هكذا قول المتنبى «١»: [من الطويل]

ملامى النّوى فى ظلمها غايه الظّلم لعلّ بها مثل الّذى بى من السّقم

فلو لم تغر لم تزو عنّى لقاءكم و لو لم تردكم لم تكن فيكم خصمى

الدعوى فى إثبات الخصومه، و جعل النّوى كالشىء الذى يعقل و يميّز و يريد و يختار، و حديث الغيره و المشاركه فى هوى الحبيب، يثبت بثبوت ذلك من غير أن يفتقر منك إلى وضع و اختراع.

و مما يلحق بالفنّ الذى بدأت به قوله: [من الطويل]

بنفسى ما يشكوه من راح طرفه و نرجسه ممّا دهى حسنه ورد

أراقت دمى عمدا محاسن وجهه

فأضحى و فى عينيه آثاره تبدو

لأنه قد أتى لحمره العين و هى عارض يعرض لها من حيث هى عين بعلّه يعلم أنها مخترعه موضوعه، فليس ثمّ إراقه دم. و أصل هذا قول ابن المعتزّ: [من المنسرح]

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم من كثره القتل نالها الوصب

حمرتها من دماء من قتلت و الدّم فى النّصل شاهد عجب

و بين هذا الجنس و بين نحو: «الرّيح تحسدنى»، فرق، و ذلك أن لك هناك فعلا هو ثابت واجب فى الريح، و هو ردّ الرداء على الوجه، ثم أحببت أن تتطرّف، فادّعيت لذلك الفعل علّه من عند نفسك. و أما هاهنا فنظرت إلى صفه موجوده، فتأوّلت فيها أنها صارت إلى العين من غيرها، و ليست هى التى من شأنها أن تكون فى العين، فليس معك هنا إلا معنى واحد، و أما هناك فمعك معنيان: أحدهما موجود معلوم، و الآخر مدّعى موهوم، فاعرفه.

و ممّا يشبه هذا الفنّ الذى هو تأوّل فى الصفه فقط، من غير أن يكون معلول و علّه، ما تراه من تأوّلهم فى الأمراض و الحمّيات أنها ليست بأمراض، و لكنها فطن ثاقبه و أذهان متوقّده و عزمات، كقوله «٢»: [من الطويل]

و حوشيت أن تضرى بجسمك علّه

ألا إنّها تلك العزوم الثّواقب

---

(۱) البيتان للمتنبى فى ديوانه ص ۱۲۴.

(۲) البيت لأبى إبراهيم بن أحمد الشاشى العامرى قاله فى مرض أصاب الصاحب بن عباد. يتيمه الدهر ۳/ ۳۵۱، ۳۵۲ (شاكر) و العزوم: الناقه المسنّه و فيها بقيه شباب. و قيل: الهرمه الدّلقم التى أكلت أسنانها من الكبر، و الجمع عوازم.

و قال ابن بابك: [من الوافر]

فترت و ما وجدت أبا العلاء سوى فرط التوقّد و الذّكاء

و لكشاجم، يقوله فى على بن سليمان الأخفش: [من الرمل]

و لقد أخطأ قوم زعموا أنها من فضل برد فى العصب

هو ذاك الذّهن أذكى ناره و المزاج المفرط الحرّ التهب

و لا يكون قول المتنبى «۱»: [من الكامل]

و منازل الحمّى الجسوم، فقل لنا: ما عذرها فى تركها خيراتها

أعجبتها شرفا

فطال وقوفها لتأمّل الأعضاء لا لأذاتها

من هـذا فى شـى ء، بأكثر من أن كلا القولين فى ذكر الحمّى، و فى تطييب النفس عنها، فهو اشتراك فى الغرض و الجنس، فأما فى عمود المعنى و صورته الخـاصه فلاـ لأـن المتنبى لم ينكر أنه مـا يجـده الممـدوح حمّى كمـا أنكره الآخر، و لكنّه كأنه سأل نفسه: كيف اجترأت الحمّى على الممـدوح، مع جلاـلته و هيبته، أم كيف جـاز أن يقصـد شـى ء إلى أذاه مع كرمه و نبله، و أن المحبّه من النفوس مقصوره عليه؟

فتحمّل لذلك جوابا، و وضع للحمّى فيما فعلته من الأذى عذرا، و هو تصريح ما اقتصر فيه على التعجّب فى قوله «٢»: [من الوافر]

أ يدرى ما أرابك من يريب و هل ترقى إلى الفلك الخطوب؟

و جسمك فوق همّه كلّ داء فقرب أقلّها منه عجيب!

إلاـ أن ذلـك الإيهام أحسن من هـذا البيان، و ذلك التعجّب موقوفا غير مجاب، أولى بالإعجاب، و ليس كل زياده تفلـح، و كل استقصاء يملح.

و من واضح هذا النوع و جيّده قول ابن المعتزّ: [من الكامل]

صدّت سرير و أزمعت هجرى و صغت ضمائرها إلى الغدر «٣»

---

(١) البيتان للمتنبى

فی دیوانه ص ۲۳۲. و الأول منهما فی شرح التبیان علی دیوان المتنبی ۱/ ۱۶۴، و یقال: حمی و حمّه، و المعنی: یرید أن جسمک خیر الأجسام فلا عذر للحمّی فی ترکه و هو أفضل الأجسام و هی محلها الأجسام. و خیراتها: جمع خیره و هی: مؤنث خیر بمعنی: أفضل، و ضمیر خیراتها للجسوم. یقول: أعجبت الحمی لما رأت فیک من خصال الشرف و الکرم فأطالت مکثها فیک لتتأمل أعضاءک الحامله لتلک الخصال لا لأذیتها.

(۲) البیتان فی دیوانه ص ۱۱۵ من قصیده قالها فی دمّل أصاب سیف الدوله فما فی البیت: للدمّل، من: لسیف الدوله. أرابک: من الریب الشک فیما یخبئه المستقبل، و الخطوب: الحوادث.

و جسمک فوق: أی: فوق قدره المرض علی بلوغه، فعجیب أن یقترب منک أضعف الأمراض.

(۳) فی نسخ الدیوان التی بأیدینا «شریر» بالمعجمه. (رشید).

أسرار البلاغه فی علم البیان، ص: ۲۰۴

قالت: کبرت و شبت! قلت لها: هذا غبار وقائع الدّهر

أ لا تراه أنکر أن یکون الذی بدا به شیبا، و رأی الاعتصام بالجحد أخصر طریقا إلی نفی العیب و قطع الخصومه، و لم یسلک الطریقه العامّیه فیثبت المشیب، ثم یمنع العائب أن یعیب، و یریه الخطأ فی عیبه به، و یلزمه المناقضه فی مذهبه، کنحو ما مضی، أعنی کقول البحتری: «و بیاض البازیّ».

و هکذا إذا تأوّلوا فی الشیب أنه لیس بابیضاض الشعر الکائن فی

مجرى العاده و موضوع الخلقه، و لكنه نور العقل و الأدب قد انتشر، و بان وجهه و ظهر، كقول الطائى الكبير: [من البسيط]

و لا يروّعك إيماض القتير به فإنّ ذاك ابتسام الرّأى و الأدب

و ينبغى أن تعلم أنّ باب التشبيهات قد حظى من هذه الطريقه بضرب من السّحر، لا تأتى الصفه على غرابته، و لا يبلغ البيان كنه ما ناله من اللّطف و الظّرف، فإنه قد بلغ حدّا يرد المعروف فى طباع الغزل، و يلهى الثّكلان من الثّكل، و ينفث فى عقد الوحشه، و ينشد ما ضلّ عنك من المسرّه، و يشهد للشّعر بما يطيل لسانه فى الفخر، و يبين جمله ما للبيان من القدره و القدر.

فمن ذلك قول ابن الرومى: [من الكلام]

خجلت خدود الورد من تفضيله خجلا تورّدها عليه شاهد

لم يخجل الورد المورّد لونه إلّا و ناحله الفضيله عاند

للنرجس الفضل المبين و إن أبى آب و حاد عن الطريقه حائد

فصل القضيه أنّ هذا قائد

زهر الرياض و أنّ هذا طارد

شتّان بين اثنين: هذا موعد بتسلّب الدّنيا، و هذا واعد «۱»

ينهى النديم عن القبيح بلحظه، و على المدامه و السماع مساعد

اطلب بعفوك فى الملاح سميّه أبدا، فإنك لا محاله واجد

و الورد إن فكّرت فرد فى اسمه ما فى الملاح له سميّ واحد

---

(۱) يقال تسلبت المرأه إذا لبست السلاب و هى بالكسر ثياب الحداد السود، و البيت بمعنى ما قبله، و المراد أن النرجس المفضل عنده يظهر فى أول الربيع فتتلوه الأزهار و الرياحين و الورد المفضول يظهر فى آخر الربيع فيتوعد الرياحين بسلب بهجتها حيث يذهب فى أثره زهر الرياض فالنرجس كالقائد و الورد كالطارد. و ابن الرومى مشهور بذم الورد و تفضيل النرجس. (رشيد).

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۰۵

هذی النجوم هی التی ربّتهما بحیا السحاب کما یربّی الوالد

فانظر إلی الأخوین من أدناهما شبها بوالده، فذاک الماجد

أین الخدود من العیون نفاسه و رئاسه، لو لا القیاس الفاسد

و ترتیب الصنعه فی هذه القطعه، أنه عمل أوّلا علی قلب طرفی التشبیه، کما مضی فی فصل التشبیهات، فشبّه حمره الورد بحمره الخجل، ثم تناسی ذلک و خدع عنه نفسه، و حملها علی أن تعتقد أنه خجل علی الحقیقه. ثم لما اطمأنّ ذلک فی قلبه و استحکمت صورته، طلب لذلک الخجل علّه، فجعل علّته أن فضّل علی النرجس، و وضع فی منزله لیس یری نفسه أهلا لها، فصار ینوب «۱» من ذلک، و یتخوّف عیب العائب، و غمیزه المستهزئ. و یجد ما یجد من مدح مدحه یظهر الکذب فیها و یفرط، حتی تصیر کالهزء بمن قصد بها. ثم زادته الفطنه الثاقبه و الطبع المثمر فی سحر البیان، ما رأیت من وضع حجاج فی شأن النرجس، و جهه استحقاقه الفضل علی الورد، فجاء بحسن و إحسان لا تکاد تجد مثله إلّا له.

و مما هو خلیق أن یوضع فی منزله هذه القطع، و یلحق بها فی لطف الصنعه، قول أبی هلال العسکری: [من الکامل]

زعم البنفسج أنّه كعذاره حسنا، فسلّوا من قفاه لسانه

لم يظلموا فى الحكم إذ مثلوا به، فلشدّ ما رفع البنفسج شانه «٢»

و قد اتفق للمتأخرين من المحدثين فى هذا الفن نكت و لطائف، و بدع و ظرائف، لا يستكثر لها الكثير من الثّناء، و لا يضيق مكانها من الفضل عن سعه الإطراء، فمن ذلك قول ابن نباته فى صفه الفرس: [من الوافر]

و أدهم يستمدّ الليل منه و تطلع بين عينيه الثّريّا

سرى خلف الصّباح يطير مشيا و يطوى خلفه الأفلاك طيّا

فلمّا خاف و شك الفوت منه تشبّث بالقوائم و المحيّا

و أحسن من هذا و أحكم صنعه قوله فى قطعه أخرى: [من الكامل]

فكأنما لطم الصباح جبينه فاقتصّ منه و خاض فى أحشائه

---

(١) ينوب: يرجع إلى نفسه.

(٢) مثل به: من باب نصر أى:

نكل به.

أسرار البلاغه فی علم البیان، ص: ۲۰۶

و أول القطعه «۱»:

قد جاءنا الطّرف الذی أهدیته هادیه یعقد أرضه بسمائه «۲»

أ ولایه ولّیتنا فبعثته رمحا سبیب العرف عقد لوائه «۳»

نختال منه علی أغرّ محجّل ماء الدّیاجی قطره من مائه «۴»

و کأنما لطم الصّباح جبینه فاقتصّ منه و خاض فی أحشائه

متمهّلا و البرق من أسمائه، متبرقعا و الحسن من أکفائه

ما کانت النّیران یکمن حرّها لو کان للنّیران بعض ذکائه

لا تعلق الألحاظ فی أعطافه

إلّا إذا كفكفت من غلوائه

لا يكمل الطرف المحاسن كلّها حتّى يكون الطّرف من أسرائه «۵»

و مما له فى التفضيل الفضل الظاهر لحسن الإبداع، مع السلامه من التكلّف، قوله «۶»: [من الطويل]

كأنّ بها من شده الجرى جنّه و قد ألبستهنّ الرّياح سلاسلا

---

(۱) القطعتان فى فرس أدهم أغر محجل حمله عليه سيف الدوله جعل غرته أثر لطمه من الصباح على جبينه و تحجيله من خوض قوائمه الأربع فى أحشاء الصباح. و قد ترك المصنف البيت الأول و هو:

يا أيها الملك الذى أخلاقه من خلقه و رواؤه من رائه

أى: أخلاقه مخلوقه له و رواؤه و منظره من رأيه. و بعباره أخرى هو فى خلقه و خلقه كأنه كون نفسه و خلقها كما يرى و يحب من الكمال.

(۲) الطرف: الكريم بالكسر من الخيل و الكريم الأطراف من الآباء و الأمهات و الهادى العنق يغلو فى وصفه بالطول.

(۳) العرف: بالضم شعر رقبه الفرس الذى ينبت فى محدبها و السبيب: الخصله من الشعر شبهه على عنقه الطويل بالرايه على الرمح.

(۴) فى نسختى الكتاب (نختل) و فى نسخه من الديوان (نختال) و هى أظهر.

(۵) كنت

فى الطبعه الأولى ضبطت «الطرف» الأول من البيت بالكسر و الثانى بالفتح بمعنى أن الجواد الكريم لا تكمل محاسنه حتى يأسر طرف الناظر إليه، فلا يستطيع أن يتحول عنه، و قد عكس شيخنا الضبط فى نسخه الدرس فضبط الأول بالفتح و الثانى بالكسر و لم يظهر لى جعل الجواد:

أسيرا للطرف كعكسه فتأمله (رشيد).

(۶) (رشيد) هكذا وجدنا البيت فى النسختين محرفا ناقصا و قد أتمه شيخنا فى الدرس بقوله:

و ماء على الرضراض يجرى كأنه أفاع عراها الذعر تطلب موئلا

و كتب بإزائه فى حاشيه نسخته: أتممت البيت على البيت كاملا أن يفيدنا بما وجد. و الرضراض ما دق من الحصى قال:

يبدو له الداء الخفى كما بدا للعين رضراض الغدير الصافى

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۰۷

و إنما ساعده التوفيق، من حيث وطّئ له من قبل الطريق، فسبق العرف بتشبيه الحبک على صفحات الغدران بحلق الدروع، فتدرّج من ذلک إلى أن جعلها سلاسل، كما فعل ابن المعتزّ فى قوله: [من الطويل]

و أنهار ماء كالسلاسل فجرّت لترضع أولاد الرياحين و الزهر

ثم أتمّ الحذق بأن جعل للماء صفه

تقتضى أن يسلسل، و قرب مأخذ ما حاول عليه، فإن شده الحركه و فرط سرعتها من صفات الجنون، كما أن التمهّل فيها و التأنّى من أوصاف العقل.

و من هذا الجنس قول ابن المعتزّ فى السيف، فى أبيات قالها فى الموفّق، و هى:

[من السريع]

و فارس أغمد فى جنّه تقطّع السيف إذا ما ورد

كأنها ماء عليه جرى حتى إذا ما غاب فيه جمد

فى كفّه عضب إذا هزّه حسبته من خوفه يرتعد

فقد أراد أن يخترع لهزّه السيف علّه، فجعلها رعده تناله من خوف الممدوح و هيبته.

و يشبه أن يكون ابن بابك نظر إلى هذا البيت و علّق منه الرعده فى قوله: [من المتقارب]

فإن عجمتنى نيوب الخطوب و أوهى الزمان قوى منّتى

فما اضطرب السيف من خيفه، و لا أرعد الرمح من قرّه

إلا أنه ذهب بها فى أسلوب آخر، و قصد إلى أن يقول: إنّ كون حركات الرمح

فى ظاهر حركه المرتعد، لا يوجب أن يكون ذلك من آفه و عارض، و كأنه عكس القضيّه فأبى أن تكون صفه المرتعد فى الرمح للعلل التى لمثلها تكون فى الحيوان.

و أمّا ابن المعتزّ فحقّق كونها فى السيف على حقيقه العلّه التى لها تكون فى الحيوان، فاعرفه.

و قد أعاد هذا الارتعاد على الجمله التى وصفت لك، فقال: [من السريع]

قالوا: طواه حزنه فانحنى فقلت، و الشكّ عدوّ اليقين

ما هيف النّرجس من صبوه و لا الضنى فى صفره الياسمين

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٢٠٨

و لا ارتعاد السّيف من قرّه و لا انعطاف الرمح من فرط لين

و مما حقّه أن يكون طرازا فى هذا النوع قول البحترى: [من الخفيف]

يتعثّرن فى النّحور و فى الأو جه سكرا لمّا شربن الدماء

جعل فعل الطاعن بالرماح تعثّرا منها، كما جعل ابن المعتزّ تحريكه للسيف و هزّه له ارتعادا، ثم طلب للتعثّر علّه، كما طلب هو

للارتعاد، فاعرفه.

و من هذا الباب قول علبه: [من الخفيف]

و كأن السّماء صاهرت الأر ض فصار النّثار من كافور

و قول أبى تمام: [من الطويل]

كأنّ السحاب الغرّ غيّبن تحتها حبيبا فما ترقا لهنّ مدامع

و قول السرىّ يصف الهلال: [من المنسرح]

جاءك شهر السّرور شوّال و غال شهر الصّيام مغتال

ثم قال:

كأنه قيد فضّه حرج فضّ عن الصائمين فاختالوا

كل واحد من هؤلاء قد خدع نفسه عن التشبيه و غالطها، و أوهم أن الذى جرى العرف بأن يؤخذ منه الشّبه قد حضر و حصل بحضرتهم على الحقيقه، و لم يقتصر على دعوى حصوله حتى نصب له علّه، و أقام عليه شاهدا. فأثبت علبه زفافا بين السماء و الأرض، و جعل أبو تمام للسحاب حبيبا قد غيّب فى التراب، و ادّعى السرىّ أن الصائمين كانوا فى قيد، و أنه كان حرجا، فلما فضّ عنهم انكسر بنصفين، أو اتسع فصار على شكل الهلال. و الفرق بين بيت السرىّ و بيتى الطائيين، أن تشبيه الثلج بالكافور معتاد عامّىّ جار على الألسن، و جعل القطر الذى ينزل من السحاب دموعا، و وصف السحاب و

السماء بأنها تبكى، كذلك، فأمّا تشبيه الهلال بالقيد فغير معتاد نفسه إلّا أنّ نظيره معتاد، و معناه من حيث الصوره موجود، و أعنى بالنظير ما مضى من تشبيه الهلال بالسّوار المنفصم، كما قال: [من الرمل]

حاكيا نصف سوار من نضار يتوقّد

و كما قال السرى نفسه: [من الوافر]

و لاح لنا الهلال كشطر طوق على لبّات زرقاء اللباس

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۰۹

إلا أنه ساذج لا تعليل فيه يجب من أجله أن يكون سوارا أو طوقا، فاعرفه.

و رأيت بعضهم ذكر بيت السرىّ الذى هو:

كأنّه قيد فضّه حرج مع أبيات شعر جمعه إليها، أنشد قطعه ابن الحجاج «۱»: [من الكامل]

يا صاحب البيت الّذى قد مات ضيفاه جميعا

ما لى أرى فلك الرّغى ف لديك مشترفا رفيعا

كالبدر لا نرجو إلى

وقت المساء له طلوعا

ثم قال: إنّه شبّه الرغيف بالبدر، لعلّتين: إحداهما: الاستداره، و الثانيه: طلوعه مساء، قال: و خير التشبيه ما جمع معنيين، كقول ابن الرومى «٢»: [من مجزوء الرمل]

يا شبيه البدر فى الحس ن و فى بعد المنال

جد فقد تنفجر الصّ خره بالماء الزّلال

و أنشد أيضا لإبراهيم بن المهدى «٣»: [من الكامل]

و رحمت أطفالا كأفراخ القطا و حنين والهه كقوس النّازع

ثم قال: و مثله قول السّرى:

كأنه قيد فضّه حرج و هو لا يشبه ما ذكره، إلا أن يذهب إلى حديث أنه أفاد شكل الهلال بالقيد المفضوض، و لونه بالفضه، فأمّا إن قصد النكته التى هى موضع الإغراب، فلا يستقيم الجمع بينه و بين ما أنشد، لأن شيئا من تلك الأبيات لا يتضمّن تعليلا، و ليس فيها أكثر من ضمّ شبه إلى شبه، كالحنين و الانحناء من القوس، و الاستداره و الطلوع مساء من البدر، و ليس أحد المعنيين بعلّه للآخر، كيف؟ و لا حاجه بواحد من الشبهين المذكورين إلى تصحيح غيره له.

---

(١) الأبيات فى اليتيمه. الفلك من كل شى ء مستداره و معظمه، فقد يطلق بجانب الرغيف بلا تشبيه، و المشترف: فاعل من اشترف إذا انتصف.

(٢) البيت فى ديوان

ابن الرومى فى الإيضاح ص ٢٣١ تحقيق د. عبد الحميد هنداوى.

(٣) البيت لإبراهيم المهدى. و هو من قصيده يعتذر فيها للمأمون عما بدر منه، و يستعطفه. و مطلعها:

يا خير من ذملت يمانيه به بعد الرسول لآيس أو طامع

و النزعه: ج النازع، الرماه، و من أمثالهم عاد السهم إلى النزعه، أى: رجع الحق أو الأمر إلى أهله.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٢١٠

و مما هو نظير لبيت السرىّ و على طريقه قول ابن المعتزّ «١»: [من المتقارب]

سقانى و قد سلّ سيف الصباح، و الليل من خوفه قد هرب

لم يقنع هاهنا بالتشبيه الظّاهر و القول المرسل، كما اقتصر فى قوله «٢»: [من السريع]

حتى بدا الصباح من نقاب كما بدا المنصل من قراب

و قوله «٣»: [من الكامل]

أمّا الظلام فحين رقّ قميصه و أتى بياض الصّبح كالسّيف الصّدى

و لكنه أحبّ أن يحقّق دعواه أنّ هناك سيفا مسلولا، و يجعل نفسه كأنها

لا تعلم أن هاهنا تشبيها، و أنّ القصد إلى لون البياض فى الشكل المستطيل، فتوصّل إلى ذلك بأن جعل الظّلام كالعدوّ المنهزم الذى سلّ السّيف فى قفاه، فهو يهرب مخافه أن يضرب به.

و مثل هذا فى أن جعل الليل يخاف الصبح، لا فى الصنعه التى أنا فى سياقها، قوله: [من الطويل]

سبقنا إليها الصّبح و هو مقنّع كمين، و قلب اللّيل منه على حذر

و قد أخذ الخالدىّ بيته الأوّل أخذا، فقال: [من المنسرح]

و الصّبح قد جرّدت صوارمه و الليل قد همّ منه بالهرب

و هذه قطعه لابن المعتزّ، بيت منها هو المقصود: [من الكامل]

و انظر إلى دنيا ربيع أقبلت مثل البغىّ تبرّجت لزناه

جاءتك زائره كعام أوّل و تلبّست و تعطّرت بنبات

و إذا تعرّى الصبح من كافوره نطقت صنوف طيورها بلغات

و الورد يضحك من نواظر نرجس

قذيت، و آذن حيّها بممات

هذا البيت الأخير هو المراد، و ذلک أن الضحک فی الورد و کلّ ريحان و نور يتفتّح، مشهور معروف، و قد علّله فی هذا البيت، و جعل الورد کأنه يعقل و يميّز،

---

(١) البيت لابن المعتز فی ديوانه ص ۶۴ فی قصيده له بعنوان «الحلو الکذاب» و مطلعها:

و حلو الدلال مليح الغضب يشوب مواعيده بالکذب

(٢) البيت فی ديوان ابن المعتز.

(٣) البيت لابن المعتز فی ديوانه ص ٣٧٩. و البيت من مقطوعه له بعنوان «حان الصباح» و مطلعها:

قم يا نديمی من منامک و اقعد حان الصباح و مقلتی لم ترقد

أسرار البلاغه فی علم البيان، ص: ٢١١

فهو يشمت بالنرجس لانقضاء مدّته و إدبار دولته، و بدوّ أمارات الفناء فيه، و أعاد هذا الضحک من الورد فقال: [من الخفيف]

ضحک الورد فی قفا المنثور و استرحنا من رعده المقرور

أراد إقبال الصيف و حرّ الهواء، أ لا تراه قال بعده:

و استطبنا المقيل فی

برد ظلّ و شممنا الرّيحان بالكافور

فالرحيل الرحيل يا عسكر الل ذّات عن كلّ روضه و غدير

فهذا من شأن الورد الذى عابه به ابن الرومى فى قوله:

فصل القضيه أن هذا قائد زهر الرياض و أن هذا طارد

و قد جعله ابن المعتز لهذا الطّرد ضاحكا ضحك من استولى و ظفر و ابتزّ غيره على ولايه الزّمان و استبدّ بها.

و مما يشوب الضحك فيه شى ء من التّعليل قوله أيضا: [من الكامل]

مات الهوى منّى وضاع شبابى و قضيت من لذّاته آرابى

و إذا أردت تصابيا فى مجلس فالشّيب يضحك بى مع الأحباب

لا شكّ أن لهذا الضحك زياده معنى ليست للضحك فى نحو قول دعبل: [من الكامل] ضحك المشيب برأسه فبكى و ما تلك الزياده إلا أنه جعل المشيب يضحك ضحك المتعجّب من تعاطى الرجل ما لا يليق به، و تكلّفه الشى ء ليس هو من أهله، و فى ذلك ما ذكرت من إخفاء صوره التشبيه، و أخذ النفس بتناسيه، و هكذا قوله: [من

الرجز]

لمّا رأونا فى خميس يلتهب فى شارق يضحک من غير عجب

كأنّه صبّ على الأرض ذهب و قد بدت أسيافنا من القرب

حتّى تكون لمناياهم سبب نرفل فى الحديد و الأرض تجب

و حنّ شريان و نبع فاصطخب تترّسوا من القتال بالهرب

المقصود قوله: «يضحک من غير عجب»، و ذاک أنّ نفيه العلّه إشاره إلى أنه من جنس ما يعلّل، و أنّه ضحک قطعا و حقيقه. أ لا ترى أنّک لو رجعت إلى صريح التشبيه

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۱۲

فقلت: «هيئته فى تلألؤه كهيئه الضاحک»، ثم قلت: «من غير عجب»، قلت قولا غير مقبول. و اعلم أنک إن عددت قول بعض العرب: [من الرجز]

و نثره تهزأ بالنّصال كأنّها من خلع الهلال

الهلال الحيّه

هاهنا، و اللام للجنس فی هذا القبیل، لم یکن لک ذلک.

فصل نوع آخر فی التعلیل

فصل نوع آخر فی التعلیل

و هـذا نوع آخر فی التعلیـل و هو أن یکون للمعنی من المعـانی و الفعـل من الأفعال علّه مشهوره من طریق العادات و الطباع، ثم یجی ء الشاعر فیمنع أن تکون لتلک المعروفه، و یضع له علّه أخری. مثاله قول المتنبی: [من الرمل]

ما به قتل أعادیه و لکن یتّقی إخلاف ما ترجو الذئاب

الـذی یتعـارفه النـاس أن الرجـل إذا قتـل أعـادیه فلإـرادته هلاـکهم، و أن یـدفع مضارّهم عن نفسه، و لیسـلم ملکه و یصـفو من منازعاتهم، و قد ادّعی المتنبی کما تری أن العله فی قتل هذا الممدوح لأعدائه غیر ذلک.

و اعلم أن هـذا لاـ یکون حتی یکون فی استئناف هـذه العلّه المـدّعاه فائـده شـریفه فیما یتصل بالممـدوح، أو یکون لها تأثیر فی الـذمّ، کقصـد المتنبی هاهنا فی أن یبالغ فی وصـفه بالسّـخاء و الجود، و أنّ طبیعه الکرم قد غلبت علیه، و محبّته أن یصدّق رجاء الراجین، و أن یجنّبهم الخیبه فی آمالهم، قـد بلغت به هـذا الحـدّ. فلما علم أنه إذا غدا للحرب غدت الذئاب تتوقّع أن یتسع علیها الرزق، و یخصب لها الوقت من قتلی عداه، کره أن یخلفها، و أن یخیّب رجاءها و لا یسعفها. و فیه نوع آخر من المدح، و هو أنه یهزم العدی و یکسـرهم کسـرا لا یطمعون بعده فی المعاوده، فیسـتغنی بذلک عن قتلهم و إراقه دمائهم، و أنه لیس ممن یسـرف فی القتل طاعه للغیظ و الحنق، و لا یعفو

إذا قدر، و ما يشبه هذه الأوصاف الحميده، فاعرفه.

و من الغريب فى هذا الجنس على تعمّق فيه، قول أبى طالب المأمونى فى قصيده يمدح بها بعض الوزراء ببخارى: [من الخفيف]

مغرم بالثناء، صبّ بكسب ال مجد، يهتزّ للسّماح ارتياحا

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٢١٣

لا يذوق الإغفاء إلّا رجاء أن يرى طيف مستميح رواحا

و كأنه شرط الرّواح على معنى أن العفاه و الرّاجين إنّما يحضرونه فى صدر النهار على عاده السلاطين. فإذا كان الرواح و نحوه من الأوقات التى ليست من أوقات الإذن قلّوا، فهو يشتاق إليهم فينام ليأنس برؤيه طيفهم. و الإفراط فى التعمّق ربما أخلّ بالمعنى من حيث يراد تأكيده به، أ لا ترى أن هذا الكلام قد يوهم أنه يحتجّ له أنه ممن لا يرغب كل واحد فى أخذ عطائه، و أنه ليس فى طبقه من قيل فيه: [من الطويل]

عطاؤك زين لامرئ إن أصبته بخير، و ما كلّ العطاء يزين

و ممّا يدفع عنه الاعتراض و يوجب قلّه الاحتفال به، أن الشاعر يهمّه أبدا إثبات ممدوحه جوادا أو توّاقا إلى السّؤال فرحا

بهم، و أن يبرّئه من عبوس البخيل و قطوب المتكلّف فى البـذل، الذى يقاتل نفسه عن ماله حتى يقال: «جواد»، و من يهوى الثّناء و الثّراء معا، و لا يتمكّن فى نفسه معنى قول أبى تمام: [من الطويل]

و لم يجتمع شرق و غرب لقاصد و لا المجد فى كفّ امرئ و الدراهم

فهو يسرع إلى استماع المدائح، و يبطئ عن صله المادح. نعم، فإذا سلّم للشاعر هذا الغرض، لم يفكر فى خطرات الظنون.

و قد يجوز شى ء من الوهم الذى ذكرته على قول المتنبى: [من البسيط]

يعطى المبشّر بالقصّاد قبلهم كمن يبشّره بالماء عطشانا

و هذا شى ء عرض، و لاستقصائه موضع آخر، إن وفّق اللّه.

و أصل بيت «الطيف المستميح»، من نحو قوله: [من الطويل]

و إنّى لأستغشى و ما بى نعسه لعل خيالا منك يلقى خياليا

و هـذا الأصـل غير بعيـد أن يكون أيضا من باب ما اسـتؤنف له علّه غير معروفه، إلّا أنه لا يبلغ فى القوه ذلك المبلغ فى الغرابه و البعـد من العاده، و ذلك أنه قـد يتصوّر أن يريـد المغرم المتيّم، إذا بعد عهده بحبيبه، أن يراه فى المنام، و إذا أراد ذلك جاز أن يريد النوم له خاصّه، فاعرفه.

و مما يلحق بهذا الفصل قوله «١»: [من الكامل]

رحل العزاء برحلتى فكأننى أتبعته الأنفاس للتشييع

---

(۱) البيت للمتنبى فى ديوانه ص ۸۳. و فى الإيضاح تحقيق د. عبد الحميد هنداوى ص ۳۲۴، و فى التبيان ۱/ ۴۳۶ و فيه «كما لا ترجع إلى أنفاسى لا يرجع إلى صبرى فمعناه ارتحل الصبر عنى بارتحالكم».

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۱۴

و ذلك أنه علّل تصعّد الأنفاس من صدره بهذه العله الغريبه، و ترك ما هو المعلوم المشهور من السبب و العله فيه، و هو التحسّر و التأسّف. و المعنى: رحل عنّى العزاء بارتحالى عنكم، أى: عنده و معه أو به و بسببه، فكأنه لما كان محلّ الصبر الصّدر، و كانت الأنفاس تتصعّد منه أيضا، صار العزاء و تنفّس الصّعداء كأنهما نزيلان و رفيقان، فلما رحل ذاك، كان حقّ هذا أن يشيّعه قضاء لحق الصّحبه.

و مما يلاحظ هذا النوع، يجرى فى مسلكه و ينتظم فى سلكه، قول ابن المعتز «۱»:

[من المنسرح]

عاقبت عينى بالدّمع و السّهر إذ غار قلبى عليك من بصرى

و احتملت ذاك و هى رابحه فيك، و فازت بلذّه النّظر

و

ذاک أن العاده فی دمع العین و سهرها أن یکون السبب فیه إعراض الحبیب، أو اعتراض الرقیب، و نحو ذلک من الأسباب الموجبه للاکتئاب. و قد ترک ذلک کله کما تری، و ادّعی أن العله ما ذکره من غیره القلب منها علی الحبیب و إیثاره أن یتفرّد برؤیته، و أنه بطاعه القلب و امتثال رسمه، رام للعین عقوبه، فجعل ذاک أن أبکاها، و منعها النوم و حماها.

و له أیضا فی عقوبه العین بالدّمع و السهر، من قصیده أوّلها «۲»: [من الخفیف]

قل لأحلی العباد شکلا و قدّا أ بجدّ ذا الهجر أم لیس جدّا

ما بذا کانت المنی حدّثتنی لهف نفسی أراک قد خنت ودّا

ما تری فی متیّم بک صبّ خاضع لا یری من الذلّ بدّا

إن زنت عینه بغیرک فاضرب ها بطول السهاد و الدّمع حدّا

قد جعل البکاء و السهاد عقوبه علی ذنب أثبته للعین، کما فعل فی البیت الأول، إلا أنّ صوره الذنب هاهنا غیر صورته هناک. فالذنب هاهنا نظرها إلی غیر الحبیب، و استجازتها من ذلک ما

هو محرّم محظور و الذنب هناك نظرها إلى الحبيب

---

(۱) البيت ليس فى ديوان الشاعر.

(۲) الشّكل بالكسر: غنج المرأه و غزلها و حسن دلّها أى: تدللها على زوجها، و ذلك أن تريه جراءه عليه فى تغنّج و تشكل كأنها تخالفه و ليس بها خلاف، و قال ابن الأثير: دلها حسن هيئتها و حديثها. و كل هذا يتحمله المعنى راجع لسان العرب ۲/ ۱۴۱۳، ۴/ ۲۳۱۲. و قال أبو فهر: «هو فى ديوانه» و لم أجده.

نفسه، و مزاحمتها القلب فى رؤيته، و غيره القلب من العين سبب العقوبه هناك، فأمّا هاهنا فالغيره كائنه بين الحبيب و بين شخص آخر، فاعرفه.

و لا شبهه فى قصور البيت الثانى عن الأول، و أنّ للأوّل عليه فضلا كبيرا، و ذلك بأن جعل بعضه يغار من بعض، و جعل الخصومه فى الحبيب بين عينيه و قلبه، و هو تمام الظّرف و اللطف. فأمّا الغيره فى البيت الآخر، فعلى ما يكون أبدا. هذا، و لفظ «زنت»، و إن كان ما يتلوها من أحكام الصنعه يحسّنها، و ورودها فى الخبر «العين تزنى»، و يؤنس بها، فليست تدع ما هو حكمها من إدخال نفره على النفس.

و إن أردت أن ترى هذا المعنى بهذه الصنعه فى أعجب صوره و أظرفها، فانظر إلى قول القائل «۱»: [من المتقارب]

أتتنى تؤنّبنى بالبكا فأهلا بها

و بتأنيبها

تقول، فى قولها حشمه: أ تبكى بعين ترانى بها؟

فقلت: إذا استحسنت غيركم أمرت الدّموع بتأديبها

أعطاك بلفظه التأديب، حسن أدب اللبيب، فى صيانه اللّفظ عما يحوج إلى الاعتذار، و يؤدّى إلى النّفار، إلا أن الأستاذيه بعد ظاهره فى بيت ابن المعتز. و ليس كل فضيله تبدو مع البديهه، بل بعقب النّظر و الرويّه، و بأن يفكّر فى أول الحديث و آخره. و أنت تعلم أنه لا يكون أبلغ فى الذى أراد من تعظيم شأن الذنب، من ذكر الحدّ، و أنّ ذلك لا يتمّ له إلّا بلفظه «زنت»، و من هذه الجهه يلحق الضّيم كثيرا من شأنه و طريقه طريق أبى تمام، و لم يكن من المطبوعين.

و موضع البسط فى ذلك غير هذا، فغرضى الآن أن أريك أنواعا من التخييل، و أضع شبه القوانين ليستعان بها على ما يراد بعد من التفصيل و التبيين.

---

(١) فى البيت الثانى الواو ساقطه و الصواب «تقول و فى» و ذكر أبو فهر أن الأبيات فى معاهد التنصيص:

٣٧٦، و لبعضهم بلا نسبه. و فى روايه و قالت بدل تقول، و فى روايه أخرى:

أما تستحى يا قليل الوفاء أ تبكى بعين ترانى بها

و تنسب الأبيات فى «أزهار الرياض»

لابن العربى، و لكنها أقدم منه، و ذلك لأنها من شواهد عبد القاهر، و أبى هلال، و هما قبله، و ينسبها شارح شواهد الإيضاح لابن المعتز، راجع نفح الطيب.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۱۶

فصل فى تخييل بغير تعليل

فصل فى تخييل بغير تعليل

و هذا نوع آخر من التخييل، و هو يرجع إلى ما مضى من تناسى التّشبيه و صرف النفس عن توهّمه، إلا أنّ ما مضى معلّل، و هذا غير معلّل.

بيان ذلك أنهم يستعيرون الصّفه المحسوسه من صفات الأشخاص للأوصاف المعقوله، ثم تراهم كأنهم قد وجدوا تلك الصفه بعينها، و أدركوها بأعينهم على حقيقتها، و كأنّ حديث الاستعاره و القياس لم يجر منهم على بال، و لم يروه و لا طيف خيال.

و مثاله استعارتهم «العلوّ» لزياده الرجل على غيره فى الفضل و القدر و السلطان، ثم وضعهم الكلام وضع من يذكر علوا من طريق المكان. أ لا ترى إلى قول أبى تمام «۱»:

[من المتقارب]

و يصعد حتّى يظنّ الجهول بأنّ له حاجه فى السماء

فلو لا قصده أن ينسى الشبيه و يرفعه بجهده، و يصمّم على إنكاره و جحده، فيجعله صاعدا فى السماء من حيث المسافه المكانيه، لما كان لهذا الكلام وجه.

و من أبلغ ما يكون فى هذا المعنى قول ابن الرومى «۲»: [من الخفيف]

أعلم الناس بالنجوم بنو نو

بخت علما لم يأتهم بالحساب

بل بأن شاهدوا السّماء سموّا بترقّ فى المكرمات الصّعاب

مبلغ لم يكن ليبلغه الطا لب إلّا بتلكم الأسباب

---

(۱) البيت لأبى تمام، و فى الديوان روايه أخرى ص ۳۳۵:

و يصعد حتى يظنّ الجهول أن له منزلا فى السماء

و أورده بدر الدين بن مالك فى المصباح ص ۱۳۸ و عزاه لأبى تمام، و الرازى فى نهايه الإيجاز ص ۲۵۲، و محمد بن على الجرجانى فى الإشارات ص ۲۲۵، و القزوينى فى الإيضاح ص ۴۳۴.

و راجع مفتاح العلوم بتحقيقنا ص ۴۹۴.

(۲) فى البيت الثانى خطأ «بل بأن شاهدوا السما سمرا» و صوابه «بل بأن شاهدوا السماء سموا» أورده بدر الدين بن مالك فى المصباح ص ۱۳۹ و عزاه لابن الرومى. و آل نوبخت أسره اشتغلت بعلم الفلك و النجوم فى العصر العباسى.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۱۷

و أعاده فى موضع آخر، فزاد الدعوى قوّه، و مرّ فيها مرور من يقول صدقا و يذكر حقّا «۱»:

[من المنسرح]

يا آل نوبخت لا عدمتكم و لا تبدّلت بعدكم بدلا

إن صحّ علم النجوم، كان لكم حقّا، إذا ما سواكم انتحلا

كم عالم فيكم و ليس بأن قاس، و لكن بأن رقى فعلا

أعلاكم فى السماء مجدكم فلستم تجهلون ما جهلا

شافهتم البدر بالسّؤال عن ال أمر إلى أن بلغتم زحلا

و هكذا الحكم إذا استعاروا اسم الشى ء بعينه من نحو شمس أو بدر أو بحر أو أسد، فإنهم يبلغون به هذا الحدّ، و يصوغون الكلام صياغات تقضى بأن لا تشبيه هناك و لا استعاره، مثاله قوله «٢»: [من الكامل]

قامت تظلّلنى من الشمس نفس أعزّ علىّ من نفسى

قامت تظلّلنى و من

عجب شمس تظلّلنى من الشّمس

فلو لا أنه أنسى نفسه أن هاهنا استعاره و مجازا من القول، و عمل على دعوى شمس على الحقيقه، لما كان لهذا التعجّب معنى، فليس ببدع و لا منكر أن يظلّل إنسان حسن الوجه إنسانا و يقيه و هجا بشخصه.

و هكذا قول البحترى «٣»: [من الطويل]

طلعت لهم وقت الشّروق فعاينوا سنا الشّمس من أفق و وجهك من أفق

و ما عاينوا شمسين قبلهما التقى ضياؤهما وفقا، من الغرب و الشّرق

معلوم أن القصد أن يخرج السامعين إلى التعجّب لرؤيه ما لم يروه قط، و لم تجر العاده به. و لم يتمّ للتعجّب معناه الذى عناه، و لا تظهر صورته على وصفها الخاصّ، حتى يجترئ على الدّعوى جرأه من لا يتوقف و لا يخشى إنكار منكر، و لا يحفل بتكذيب الظاهر له، و يسوم النفس، شاءت أم أبت، تصوّر شمس ثانيه طلعت من

---

(١) أورده القزوينى فى الإيضاح ص ٤٣٤ و عزاه لابن الرومى، و محمد بن على الجرجانى فى الإشارات، و راجع مفتاح العلوم بتحقيقنا ص ٤٩٥.

(٢) قال عنها أبو فهر: «هما لابن العميد فى يتيمه الدهر ٣/ ١۶ مع اختلاف فى اللفظ، و هى أربعه أبيات فى معاهد التنصيص ص ٢٣١» راجع الإشارات ص ٢١٠، و نهايه الإيجاز ص ٢٥٢،

و الإيضاح للقزوينى ص ۴۱۵، و التبيان ۱/ ۲۹۸ بتحقيقنا.

(۳) راجع ديوان البحترى، «ضياؤهما بالياء المثناه.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۱۸

حيث تغرب الشمس، فالتقتا وفقا، و صار غرب تلك القديمه لهذه المتجدده شرقا.

و مدار هذا النوع فى الغالب على التعجّب، و هو والى أمره، و صانع سحره، و صاحب سرّه، و تراه أبدا و قد أفضى بك إلى خلابه لم تكن عندك، و برز لك فى صوره ما حسبتها تظهر لك، أ لا ترى أن صوره قوله: «شمس تظللنى من الشمس»، غير صوره قوله: «و ما عاينوا شمسين»، و إن اتّفق الشعران فى أنهما يتعجّبان من وجود الشى ء على خلاف ما يعقل و يعرف.

و هكذا قول المتنبى «۱»: [من الكامل]

كبرت حول ديارهم لمّا بدت منها الشّموس و ليس فيها المشرق

له صوره غير صوره الأوّلين و كذا قوله «۲»: [من الطويل]

و لم أر قبلى من مشى البدر نحوه و لا رجلا قامت تعانقه الأسد

يعرض صوره غير تلك الصّور كلها، و الاشتراك بينها عامّىّ لا يدخل فى السّرقه، إذ لا اتّفاق بأكثر من أن أثبت الشى ء فى جميع ذلك على خلاف ما يعرفه الناس. فأمّا إذا جئت إلى خصوص ما يخرج به عن المتعارف،

فلاـ اتفـاق و لا تناسب، لأن مكان الأعجوبه مرّه أن تظلل شـمس من الشـمس، و أخرى أن يرى للشـمس مثل لا يطلع من الغرب عند طلوعها من الشرق، و ثالثه أن ترى الشموس طالعه من ديارهم.

و على هذا الحد قوله: «و لم أر قبلى من مشى البدر نحوه»، العجب من أن يمشى البدر إلى آدمىّ، و تعانق الأسد رجلا.

و اعلم أن فى هـذا النوع مـذهبا هو كأنه عكس مذهب التعجب و نقيضه، و هو لطيف جدّا. و ذلك أن ينظر إلى خاصـيّه و معنى دقيق يكون فى المشبّه به، ثم يثبت تلك الخاصيّه و ذلك المعنى للمشبّه، و يتوصّل بذلك إلى إيهام أن التشبيه قد خرج

---

(۱) البيت للمتنبى. انظر ديوانه ۱/ ۷۲.

(۲) البيت للمتنبى. انظر ديوانه ۱/ ۲۴۴، و فى الديوان «البحر» بدل «البدر» و البيت مزدوج القصد فيصح مدحا للممدوح، و يصح مدحا من الشاعر لنفسه. راجع البيتين فى الإيضاح بتحقيقنا ص ۲۷۱.

من البين، و زال عن الوهم و العين أحسن توصّـل و ألطفه، و يقـام منه شـبه الحجّه على أن لاـ تشبيه و لاـ مجاز، و مثال قوله «۱»: [من المنسرح]

لا تعجبوا من بلى غلالته قد زرّ أزراره على القمر

قد عمد، كما ترى، إلى شى ء هو خاصيه فى طبيعه القمر، و أمر غريب من تأثيره، ثم جعل

یرى أن قوما أنكروا بلى الكتّان بسرعه، و أنه قد أخذ ینهاهم عن التعجّب من ذلك و یقول: «أما ترونه قد زرّ أزراره على القمر، و القمر من شأنه أن یسرع بلى الكتان»، و غرضه بهذا كله أن یعلم أن لا شكّ و لا مریه فی أن المعامله مع القمر نفسه، و أن الحدیث عنه بعینه، و لیس فی البین شی ء غیره، و أن التشبیه قد نسی و أنسی، و صار كما یقول الشیخ أبو علیّ فیما یتعلق به الظرف: «إنّه شریعه منسوخه».

و هذا موضع فی غایه اللّطف، لا یبین إلا إذا كان المتصفّح للكلام حسّاسا، یعرف وحی طبع الشعر، و خفیّ حركته التی هی كالخلس، و كمسرى النّفس فی النّفس.

و إن أردت أن تظهر لك صحّه عزیمتهم فی هذا النحو على إخفاء التشبیه و محو صورته من الوهم، فأبرز صفه التّشبیه، و اكشف عن وجهه، و قل: «لا تعجبوا من بلى غلالته، فقد زرّ أزراره على من حسنه حسن القمر»، ثم انظر هل ترى إلّا كلاما فاترا و معنى نازلا، و اخبر نفسك هل تجد ما كنت تجده من الأریحیّه؟ و انظر فی أعین السامعین هل ترى ما كنت تراه من ترجمه عن المسرّه، و دلاله على الإعجاب؟ و من أین ذلك و أنّى و أنت بإظهار التشبیه تبطل على نفسك ما له وضع البیت من الاحتجاج على وجوب البلى فی الغلاله، و المنع من العجب فیه بتقریر الدّلاله؟

و قد قال آخر فی هذا المعنى بعینه، إلّا أن لفظه لا ینبئ عن القوه التی لهذا البیت فی دعوى القمر، و هو قوله: [من البسیط]

ترى

الثّياب من الكتّان يلمحها نور من البدر أحيانا فيبليها

فكيف تنكر أن تبلى معاجرها، و البدر فى كل وقت طالع فيها «٢»

---

(١) قال أبو فهر معلقا عليه: «نسبه صاحب معاهد التنصيص ص ٢٣٧ لأبى حسن بن طباطبا العلوى أحد ثلاثه أبيات» و الغلاله: الثوب الذى يلبس تحت الثياب، و غلّل الغلاله: لبسها تحت ثيابه.

راجع لسان العرب ٥/ ٣٢٨٧، و نهايه الإيجاز ص ٢٥٣، و المصباح ص ١٢٩.

(٢) قال أبو فهر معلقا عليه: «هو فى يتيمه الدهر ١/ ٧٤ لأبى المطاع ذى القرنين بن ناصر الدوله الحمدانى، و المعاجر جمع معجر و هو ثوب تلفه المرأه على رأسها من غير إداره تحت الحنك ثم تجلبب فوقه بجلبابها». راجع لسان العرب ٤/ ٢٨١٧، و المصباح ١٢٩، و الإشارات للجرجانى ص ٢١٠.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٢٢٠

و مما ينظر إلى قوله: «قد زرّ أزراره على القمر»، فى أنه بلغ بدعواه فى المجاز حقيقه، مبلغ الاحتجاج به كما يحتجّ بالحقيقه، قول العبّاس بن الأحنف «١»: [من المتقارب]

هى الشّمس مسكنها فى السماء فعزّ الفؤاد عزاء جميلا

فلن تستطيع إليها الصّعود و لن تستطيع إليك النزولا

صوره هـذا الكلام و نصـبته و القالب الذى فيه أفرغ، يقتضـى أن التشبيه لم يجر فى خلده، و أنه معه كما يقال: «لست منه و ليس منّى»، و أن الأمر فى ذلك قد بلغ مبلغا لا حاجه معه إلى إقامه دليل و تصحيح دعوى، بل هو فى الصّحّه و الصدق بحيث تصحّح به دعوى ثابته. أ لا تراه كأنه يقول للنفس: «ما وجه الطمع فى الوصول و قـد علمت أن حديثك مع الشـمس، و مسـكن الشـمس السـماء؟» أ فلاـ تراه قـد جعـل كونها الشّـمس حجّه له على نفسه، يصـرفها بها عن أن ترجو الوصول إليها، و يلجئها إلى العزاء، و ردّها فى ذلك إلى ما لا تشكّ فيه، و هو مسـتقرّ ثابت، كما تقول: «أو ما علمت ذلك؟» و «أ ليس قـد علمت؟»، و يبيّن لك هذا التفسير و التقرير فضل بيان بأن تقابل هذا البيت بقول الآخر «٢»: [من الطويل]

فقلت لأصحابى: هى الشمس ضوؤها قريب، و لكن فى تناولها بعد

و تتأمّل أمر التشبيه فيه، فإنك تجده على خلاف ما وصفت لك. و ذلك أنه فى قوله: «فقلت لأصحابى هى الشمس»، غير قاصد أن يجعـل كونهـا الشـمس حجّه على ما ذكر بعـد، من قرب شخصـها و مثالها فى العين، مع بعـد منالها بل قال: «هى الشـمس»، و هكذا قولا مرسلا يومئ فيه بل يفصح بالتشبيه، و لم

يرد أن يقول: «لا تعجبوا أن تقرب و تبعد بعد أن علمتم أنها الشمس»، حتى كأنه يقول: «ما وجه شكّكم فى ذلك؟»، و لم يشكّ عاقل فى أن الشمس كذلك، كما أراد العباس أن يقول: كيف الطمع فى الوصول إليها مع علمك بأنها الشمس، و أن الشمس مسكنها السماء. فبيت ابن أبى عيينه فى أن لم ينصرف عن التشبيه جمله، و لم يبرز فى

---

(١) البيتان للعباس بن الأحنف. راجع ديوانه ص ٢٢١، و المصباح ص ١٣٩، و الإيضاح بتحقيقنا ص ٢٧١، و الإشارات للجرجانى ص ٢٢۴.

(٢) البيت لمحمد بن أبى عيينه بن المهلب بن أبى صفره، و البيت من أبيات له فى الأغانى ٢٠/ ١٠۵، فى ترجمته و قبله:

كوجدى غداه البين عند التفاتها و قد شف عنها دون أترابها البرد

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٢٢١

صوره الجاحد له و المتبرّئ منه، كبيت بشار الذى صرّح فيه بالتشبيه، و هو «١»: [من الخفيف]

أو كبدر السّماء، غير قريب حين يوفى، و الضوء فيه اقتراب

و كبيت المتنبى «٢»: [من البسيط]

كأنّها الشمس يعيى كفّ قابضه شعاعها

و يراه الطّرف مقتربا

فـإن قلت: فهـذا من قولك يؤدّى إلى أن يكون الغرض من ذكر الشـمس، بيان حال المرأه فى القرب من وجه، و البعـد من وجه آخر، دون المبـالغه فى وصـفها بالحسن و إشـراق الوجه. و هو خلاف المعتاد، لأن الـذى يسـبق إلى القلوب، أن يقصـد من نحو قولنا: «هى كالشمس أو هى شمس»، الجمال و الحسن و البهاء.

فـالجواب: إنّ الأمر و إن كان على ما قلت، فإنه فى نحو هـذه الأحوال التى قصـد فيها إلى بيان أمر غير الحسن، يصـير كالشـى ء الذى يعقل من طريق العرف، و على سبيل التّبع، فأما أن يكون الغرض الذى له وضع الكلام، فلا.

و إذا تأمّلت قوله: «فقلت لأصحابى هى الشمس ضوؤها قريب»، و قول بشار:

«أو كبدر السماء»، و قول المتنبى: «كأنها الشّمس»، علمت أنهم جعلوا جلّ غرضهم أن يصيبوا لها شبها فى كونها قريبه بعيده. فأما حديث الحسن، فدخل فى القصد على الحدّ الذى مضى فى قوله، و هو للعباس أيضا «۳»: [من الرمل]

نعمه كالشّمس لمّا طلعت بثّت الإشراق فى كلّ بلد

فكما أن هـذا لم يضع كلامه لجعل النعم كالشـمس فى الضّـياء و الإشـراق، و لكن عمّت كما تعمّ الشـمس بإشـراقها كذلك لم يضع هؤلاء أبياتهم على أن يجعلوا المرأه كالشـمس و البـدر فى الحسن و نور الوجه، بل أمّوا نحو المعنى الآخر، ثم حصل هـذا لهم من غير أن احتاجوا فيه إلى تجشّم. و إذا كان الأمر كذلك، فلم يقل إن

---

(۱) البيت فى الديوان.

(۲) البيت فى ديوان المتنبى ۱/

۱۴۱، يعيى: يعجز، ضمير قابضه للشعاع، الطرف. النظر، الشعاع:

فاعل يعيى و ضميره مضاف إليه. و البيت من قصيده مطلعها:

دمع جرى فقضى فى الربع ما وجبا لأهله و شفى أنّى و لا كربا

(۳) علق عليه أبو فهر قائلا: هو فى زيادات ديوان العباس بن الأحنف، و هو فى الوساطه ص ۲۰۱ منسوبا إليه، و فى المخطوطه و مطبوعه ريتر: «ثبت الإشراق، و فى مطبوعه رشيد رضا و الوساطه ما أثبت».

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۲۲

النعمه إنما عمّت لأنها شمس، و لكن أراك لعمومها و شمولها قياسا، و تحرّى أن يكون ذلك القياس من شى ء شريف له بالنعمه شبه من جهه أوصافه الخاصّه، فاختار الشمس. و كذلك لم يرد ابن أبى عيينه أن يقول إنها إنما دنت و نأت لأنها شمس، أو لأنها الشمس، بل قاس أمرها فى ذلك كما عرّفتك.

و أمّا العبّاس فإنه قال: إنها إنما كانت بحيث لا تنال، و وجب اليأس من الوصول إليها، لأجل أنها الشمس، فاعرفه فرقا واضحا.

و مما هو على طريقه بيت العبّاس فى الاحتجاج، و إن خالفه فيما أذكره لك، قول الصابئ فى بعض الوزراء يهنّئه بالتخلّص من الاستتار «۱»: [من الخفيف]

صحّ أنّ الوزير بدر منير إذ توارى كما توارى

البدور

غاب، لا غاب، ثمّ عاد كما كا ن على الأفق طالعا يستنير

لا تسلنى عن الوزير فقد بىّ نت بالوصف أنه سابور

لا خلا منه صدر دست، إذا ما قرّ فيه تقرّ منه الصدور

فهو كما نراه يحتجّ أن لا ـ مجاز فى البين، و أنّ ذكر البدر و تسميه الممدوح به حقيقه، و احتجاجه صريح لقوله: «صح» أنه كذلك. و أما احتجاج العبّاس و صاحبه فى قوله: «قد زرّ أزراره على القمر»، فعلى طريق الفحوى. فهذا وجه الموافقه، و أما وجه المخالفه، فهو أنّهما ادّعيا الشّمس و القمر بأنفسهما، و ادّعى الصابئ بدرا، لا البدر على الإطلاق.

و من ادّعاه الشمس على الإطلاق قول بشّار «٢»: [من الوافر]

بعثت بذكرها شعرى و قدّمت الهوى شركا

فلمّا شاقها قولى و شبّ الحبّ فاحتنكا

أتتنى الشمس زائره

و لم تک تبرح الفلکا

وجدت العیش فی سعدی و کان العیش قد هلکا

فقوله: «و لم تک تبرح الفلکا»، یریک أنه ادّعی الشمس نفسها.

و قال أشجع یرثی الرشید، فبدأ بالتعریف، ثم نکّر فخلط إحدی الطریقتین بالأخری، و ذلک قوله: [من الرمل]

---

(۱) علق علیه أبو فهر قائلا: «الوزیر هو أبو نصر سابور بن أردشیر، انظر الیتیمه ۳/ ۱۰۹- ۱۱۶، و لم أقف علی أبیات الصابئ».

(۲) راجع الإشارات للجرجانی ص ۲۲۴، و الإیضاح للقزوینی ص ۴۳۵.

غربت بالمشرق الشم س فقل للعین تدمع

ما رأینا قطّ شمسا غربت من حیث تطلع «۱»

فقوله: «غربت بالمشرق الشمس» علی حدّ قول بشار: «أتتنی الشمس زائره»، فی أنه خیّل إلیک شمس السماء. و قوله بعد: «ما رأینا قطّ شمسا»، یفتّر أمر هذا التخییل، و یمیل بک إلی أن تکون الشمس فی قوله: «غربت بالمشرق الشمس»، غیر شمس السماء، أعنی غیر مدّعی أنها هی، و ذلک مما یضطرب

عليه المعنى و يقلق، لأنه إذا لم يدّع الشمس نفسها، لم يجب أن تكون جهه خراسان مشرقا لها، و إذا لم يجب ذلك، لم يحصل ما أراده من الغرابه فى غروبها من حيث تطلع. و أظنّ الوجه فيه أن يتأوّل تنكيره للشمس فى الثانى على قولهم: «خرجنا فى شمس حارّه»، يريدون فى يوم كان للشمس فيه حراره و فضل توقّد، فيصير كأنه قال:

«ما عهدنا يوما غربت فيه الشمس من حيث تطلع، و هوت فى جانب المشرق».

و كثيرا ما يتفق فى كلام الناس ما يوهم ضربا من التنكير فى الشمس كقولهم:

«شمس صيفيه»، و كقوله «٢»: [من البسيط] و اللّه لا ـ طلعت شمس و لا ـ غربت و لا ـ فرق بين هذا و بين قول المتنبى «٣»: [من السريع]

لم ير قرن الشّمس فى شرقه فشكّت الأنفس فى غربه

و يجى ء التنكير فى القمر و الهلال على هذا الحدّ، فمنه قول بشّار «۴»: [من المديد]

أملى لا تأت فى قمر بحديث و اتّق الدّرعا

و توقّ الطيب ليلتنا إنّه واش إذا سطعا

---

(١) البيتان لأبى الوليد أشجع بن عمرو السلمى يرثى هارون الرشيد. راجع ترجمه الشاعر و أخباره مع الرشيد فى الأغانى ١٨/ ٢٥٧ و ما قبلها، و يكنيه أبو

فهر أبا الشيص و لم أتحقق من هذه الكنيه، و أبو الشيص لقب شاعر آخر معاصر لبشار. راجع الأغانى ۱۶/ ۴۳۲.

(۲) لم أهتد إليه.

(۳) البيت لأبى الطيب المتنبى فى ديوانه ۲/ ۳۲۵ بشرح مصطفى سبيتى، و قرن الشمس أول إشراقها، و المعنى أن من يرى شروق الشمس يتبادر إلى ذهنه غروبها يقينا.

(۴) الدّرع ك (صرد) ثلاث ليال قيل: إنها الليالى البيض، و قيل: الثلاث اللاتى بعدها و الواحده درعه على القياس مثل ظلم، و قال البعض: الواحده درعاء على غير القياس. راجع لسان العرب ۲/ ۱۳۶۲.

فهذا بمعنى: لا تأت فى وقت قد طلع فيه القمر. و هذا قول عمر بن أبى ربيعه «۱»: [من الطويل]

و غاب قمير كنت أرجو غيوبه و روّح رعيان و نوّم سمّر

ظاهره يوهم أنه كقولك: «جاءنى رجل»، و ليس كذلك فى الحقيقه، لأن الاسم لا يكون نكره حتى يعمّ شيئين و أكثر، و ليس هنا شيئان يعمّهما اسم القمر.

و هكذا قول أبى العتاهيه: [من الوافر]

تسرّ إذا نظرت إلى هلال و نقصك إذ نظرت إلى الهلال

ليس المنكّر غير المعرّف، على أنّ للهلال فى هذا التنكير فضل تمكّن ليس للقمر، أ لا تراه

قد جمع فى قوله تعالى: يَسْئَلُونَکَ عَنِ الْأَهِلَّهِ قُلْ هِیَ [البقره: ۱۸۹]، و لم يجمع القمر على هذا الحدّ.

و من لطيف هذا التنكير قول البحترى: [من الطويل]

و بدرين أنضيناهما بعد ثالث أكلناه بالإيجاف حتى تمحّقا

و مما أتى مستكرها نابيا يتظلم منه المعنى و ينكره، قول أبى تمام: [من الطويل]

قريب النّدى نائى المحلّ كأنّه هلال قريب النّور ناء منازله

سبب الاستكراه، و أنّ المعنى ينبو عنه: أنه يوهم بظاهره أنّ هاهنا أهلّه ليس لها هذا الحكم، أعنى أنه ينأى مكانه و يدنو نوره. و ذلک محال فالذى يستقيم عليه الكلام أن يؤتى به معرّفا على حدّه فى بيت البحترى «۲»: [من الكامل]

كالبدر أفرط فى العلوّ و ضوؤه للعصبه السّارين جدّ قريب

فإن قلت: أقطع و أستأنف فأقول: «كأن هلال» و أسكت، ثم أبتدئ و آخذ فى

---

(۱) البيت من قصيده مشهوره أنشدها عمر بن أبى ربيعه لعبد اللّه بن عباس فى المسجد الحرام فحفظها، و روّح رعيان: عادوا إلى بيوتهم فى المراح، نوّم: نام و التشديد للمبالغه. راجع الأغانى ۱/ ۸۱، ۹۳.

(۲) قبله:

دان على أيدى العفاه و شاسع

عن كل ندّ فى الندى و ضريب

راجع شرح عقود الجمان ۲/ ۶، و الإشارات و التنبيهات للجرجانى ص ۱۷۲، و الإيضاح بتحقيقى ص ۲۰۳.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۲۵

الحديث عن شأن الهلال بقولى: «قريب النور ناء منازله» أمكنك، و لكنك تعلم ما يشكوه إليه المعنى من نبوّ اللفظ به و سوء ملاءمه العباره. و استقصاء هذا الموضع يقطع عن الغرض، و حقه أنه يفرد له فصل.

و أعود إلى حديث المجاز و إخفائه، و دعوى الحقيقه و حمل النفس على تخيّلها.

فممّا يدخل فى هذا الفنّ و يجب أن يوازن بينه و بين ما مضى، قول سعيد بن حميد: [من الخفيف]

وعد البدر بالزياره ليلا فإذا ما وفى قضيت نذورى

قلت: يا سيّدى، و لم تؤثر اللى ل على بهجه النهار المنير

قال لى: لا أحبّ تغيير رسمى هكذا الرّسم فى طلوع البدور

قالوا: و له فى ضدّه: [من الخفيف]

قلت زورى، فأرسلت

أنا آتيک سحره

قلت: فالليل كان أخ فى و أدنى مسرّه

فأجابت بحجّه زادت القلب حسره

أنا شمس، و إنما تطلع الشّمس بكره

و ينبغى أن تعلم أنّ هـذه القطعه ضـدّ الأولى، من حيث اختار النهار وقتا للزياره فى تلک، و الليل فى هذه، فأمّا من حيث يختلف جوهر الشعر و يتّفق، و خصوصا من حيث ننظر الآن، فمثل و شبيه، و ليس بضدّ و لا نقيض.

ثم اعلم أنّا إن وازنّا بين هاتين القطعتين و بين ما تقدّم من بيت العباس: [من المتقارب] هى الشـمس مسكنها فى السماء «١» و ما هو فى صورته، وجـدنا همـا أمرا بين أمرين: بين ادّعـاء البـدر و الشـمس أنفسـهما، و بين إثبـات بـدر ثان و شـمس ثانيه، و رأينا الشـاعر قـد شـاب فى ذلـک الإنكار بالاعتراف، و صادفت صوره المجاز تعرض عنک مرّه، و تعرض لک أخرى. فقوله: «البـدر» بـالتعريف مع قوله: «لاـ أحبّ تغيير رسـمى»، و تركه أن يقول: «رسم مثلى»، يخيّـل إليک البـدر نفسه. و قوله: «فى طلوع البـدور» بالجمع دون أن يفرد فيقول: «هكذا

---

(١) سبق تخريجه ص ٢٢٠.

الرسم فی طلوع البدور» يلتفت بک إلی بدر ثان، و يعطيک الاعتراف بالمجاز علی وجه. و هکذا القول فی القطعه الثانيه لأنّ قوله: «أنا شمس» بالتنکير، اعتراف بشمس ثانيه أو کالاعتراف.

و مما يدلّ دلاله واضحه علی دعوی الحقيقه، و لا يستقيم إلا عليها قول المتنبی «۱»: [من الکامل]

و استقبلت قمر السماء بوجهها فأرتنی القمرين فی وقت معا

أراد: فأرتنی الشمس و القمر، ثم غلّب اسم القمر کقول الفرزدق «۲»: [من الطويل]

أخذنا بآفاق السّماء عليکم لنا قمراها و النّجوم الطوالع

لو لا- أنه يخيّل الشمس نفسها، لم يکن لتغليب اسم القمر و التعريف بالألف و اللام معنی. و کذلک لو لا ضبطه نفسه حتی لا يجری المجاز و التشبيه فی وهمه، لکان قوله: «فی وقت معا»، لغوا من القول، فليس بعجيب أن يتراءی لک وجه غاده حسناء فی وقت طلوع القمر و توسّطه السماء، هذا أظهر من أن يخفی.

و أمّا تشبيه أبی الفتح لهذا البيت بقول القائل «۳»: [من الکامل]

و إذا الغزاله فی السماء ترفّعت و بدا النهار لوقته يترجّل

أبدت لوجه الشمس وجها مثله تلقى السماء بمثل ما تستقبل

فتشبيه على الجمله، و من حيث أصل المعنى و صورته فى المعقول، فأما الصّوره الخاصّه التى تحدث له بالصنعه، فلم يعرض لها.

و مما له طبقه عاليه فى هذا القبيل و شكل يدلّ على شدّه الشكيمه و علوّ المأخذ، قول الفرزدق: [من الطويل]

---

(١) البيت فى ديوانه ١/ ١٦٢ من قصيده مطلعها:

أ ركائب الأحباب إن الأدمعا تطس الخدود كما تطسن اليرمعا

و القمرين: الشمس و القمر و أراد وجهها.

(٢) البيت فى ديوانه ١/ ۴١٩ من قصيده مطلعها:

منّا الذى اختير الرجال سماحه و خيرا إذا هب الرياح الزعازع

(٣) ترجلت الشمس: ارتفعت و ترجل النهار: ارتفع و منه قول الشاعر: و هاج به لما ترجّلت الضّحى.

راجع لسان العرب ٣/ ١۶٠٠.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٢٢٧

أبى أحمد الغيثين صعصعه الذى متى تخلف الجوزاء و الدّلو يمطر

أجار بنات الوائدين و من يجر

على الموت يعلم أنه غير مخفر «۱»

أ فلا- تراه كيف ادّعى لأبيه اسم الغيث ادّعاء من سلّم له ذلك، و من لا يخطر بباله أنه مجاز فيه، و متناول له من طريق التشبيه، و حتى كأنّ الأمر فى هذه الشهره بحيث يقال: «أىّ الغيثين أجود؟» فيقال: «صعصعه»، أو يقال: «الغيثان»، فيعلم أنّ أحدهما صعصعه، و حتى بلغ تمكّن ذلك فى العرف إلى أن يتوقّف السامع عند إطلاق الاسم، فإذا قيل: «أتاك الغيث!»، لم يعلم أ يراد صعصعه أم المطر.

و إن أردت أن تعرف مقدار ما له من القوّه فى هذا التخييل، و أن مصدره مصدر الشى ء المتعارف الذى لا حاجه به إلى مقدّمه يبنى عليها نحو أن تبدأ فتقول: «أبى نظير الغيث و ثان له، و غيث ثان»، ثم تقول: «و هو خير الغيثين» لأنه لا يخلف إذا أخلفت الأنواء، فانظر إلى موقع الاسم، فإنك تراه واقعا موقعا لا سبيل لك فيه إلى حلّ عقد التثنيه، و تفريق المذكورين بالاسم. و ذلك أن «أفعل» لا تصحّ إضافته إلى اسمين معطوف أحدهما على الآخر، فلا يقال: «جاءنى أفضل زيد و عمرو»، و لا:

«إنّ أعلم بكر و خالد عندى»، بل ليس إلا- أن تضيف إلى اسم مثنّى أو مجموع فى نفسه، نحو: «أفضل الرّجلين»، و «أفضل الرجال». و ذلك أنّ أفعل التفضيل بعض ما يضاف إليه أبدا، فحقّه أن يضاف إلى اسم يحويه و غيره. و إذا كان الأمر كذلك، علمت أنه اللّفظ بالتشبيه، و الخروج عن صريح جعل اللّفظ للحقيقه متعذر عليك، إذ لا يمكنك أن تقول: «أبى أحمد الغيث و الثانى له و

الشبيه به»، و لا شيئا من هذا النحو، لأنك تقع بذلك فى إضافه «أفعل» إلى اسمين معطوف أحدهما على الآخر.

و إذ قد عرفت هذا، فانظر إلى قول الآخر «٢»: [من المنسرح]

قد أقحط الناس فى زمانهم حتى إذا جئت جئت بالدّرر

غيثان فى ساعه لنا اتّفقا، فمرحبا بالأمير و المطر

فإنك تراه لا يبلغ هذه المنزله، و ذلك أنه كلام من يثبته الآن غيثا و لا يدّعى فيه

---

(١) البيتان من قصيده بعنوان «أبى أحمد الغيثين». راجع ديوانه ١/ ٣٧٩، و فى الروايه «أبى أحد الغيثين» بدل أحمد.

(٢) الدّرر جمع الدّرّه: و هى هنا بمعنى المتابعه فى المطر، و منه قول النّمر بن تولب:

سلام الإله و ريحانه و رحمته و سماء درر

قحط الناس، و أقحطوا: كرهها بعضهم. راجع لسان العرب ٢/ ١٣٥٧- ٥/ ٣٥٣٦.

عرفا جاريا، و أمرا مشهورا متعارفا، يعلم كل واحد منه ما يعلمه، و ليس بمتعذّر أن تقول: «غيث و ثان للغيث اتفقا»، أو تقول: «الأمير ثانى الغيث و الغيث اتّفقا».

فقد حصل من هذا

الباب: أن الاسم المستعار كلما كان قدمه أثبت فى مكانه، و كان موضعه من الكلام أضنّ به، و أشدّ محاماه عليه، و أمنع لك من أن تتركه و ترجع إلى الظاهر و تصرّح بالتشبيه، فأمر التخييل فيه أقوى، و دعوى المتكلم له أظهر و أتمّ.

و اعلم أن نحو قول البحترى: [من الكامل]

غيثان إن جدب تتابع أقبلا و هما ربيع مؤمّل و خريفه

لا يكون مما نحن بصدده فى شى ء، لأنّ كلّ واحد من الغيثين فى هذا البيت مجاز، لأنه أراد أن يشبّه كل واحد من الممدوحين بالغيث، و الذى نحن بصدده، هو أن يضمّ المجاز إلى الحقيقه فى عقد التثنيه، و لكن إن ضممت إليه قوله «١»: [من الطويل]

فلم أر ضرغامين أصدق منكما عراكا، إذا الهيّابه النكس كذّبا

كان لك ذلك، لأن أحد الضرغامين حقيقه و الآخر مجاز.

فإن قلت: فهاهنا شى ء يردّك إلى ما أبيته من بقاء حكم التشبيه فى جعله أباه الغيث، و ذلك أن تقدير الحقيقه فى المجاز إنما يتصوّر فى نحو بيت البحترى:

فلم أر ضرغامين من حيث عمد إلى واحد من الأسود، ثم جعل الممدوح أسدا على الحقيقه قد قارنه و ضامّه. و لا سبيل للفرزدق إلى ذلك، لأن الذى يقرنه إلى أبيه هو الغيث على الإطلاق، و إذا كان الغيث على الإطلاق، لم يبق شى ء يستحقّ هذا الاسم إلا و يدخل تحته. و إذا كان كذلك، حصل

منه أن لا يكون أبو الفرزدق غيثا على الحقيقه.

فالجواب أن مذهب ذلك ليس على ما تتوهّمه، و لكن على أصل هو التشبيه، و هو أن يقصد إلى المعنى الذى من أجله يشبّه الفرع بالأصل كالشجاعه فى الأسد، و المضاء فى السيف، و ينحّى سائر الأوصاف جانبا. و ذلك المعنى فى الغيث هو النّفع العامّ، و إذا قدّر هذا التقدير، صار جنس الغيث كأنه عين واحده و شى ء واحد. و إذا

---

(١) الهيّابه: كثير الخوف مبالغه من هاب، و النكس بكسر النون المشدده: الرجل الضعيف المقصّد عن غايه النجده و الكرم. راجع لسان العرب ۶/ ۴۵۴۱، ۴۷۳۰.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۲۹

عاد بك الأمر إلى أن تتصوّره تصوّر العين الواحده دون الجنس، كان ضمّ أبى الفرزدق إليه بمنزله ضمّك إلى الشمس رجلا أو امرأه تريد أن تبالغ فى وصفهما بأوصاف الشمس، و تنزيلهما منزلتها، كما تجده فى نحو قوله «۱»: [من البسيط]

فليت طالعه الشّمسين غائبه و ليت غائبه الشّمسين لم تغب

فصل فى الفرق بين التشبيه و الاستعاره

فصل فى الفرق بين التشبيه و الاستعاره

اعلم أن الاسم إذا قصد إجراؤه على غير ما هو له لمشابهه بينهما، كان ذلك على ما مضى من الوجهين:

أحدهما: أن تسقط ذكر المشبّه من البين، حتى لا يعلم من ظاهر الحال أنك أردته، و ذلك أن تقول: «عنّت لنا ظبيه»، و أنت تريد امرأه، و «وردنا برا»، و أنت تريد

الممدوح. فأنت فی هذا النحو من الکلام إنّما تعرف أن المتکلم لم یرد ما الاسم موضوع له فی أصل اللغه، بدلیل الحال، أو إفصاح المقال بعد السؤال، أو بفحوی الکلام و ما یتلوه من الأوصاف.

مثال ذلک أنک إذا سمعت قوله «۲»: [من البسیط]

ترنّح الشّرب و اغتالت حلومهم شمس ترجّل فیهم ثم ترتحل

استدللت بذکر الشّرب، و اغتیال الحلوم، و الارتحال، أنه أراد قینه. و لو قال:

«ترجلت شمس»، و لم یذکر شیئا غیره من أحوال الآدمیین، لم یعقل قطّ أنه أراد امرأه إلا بإخبار مستأنف، أو شاهد آخر من الشواهد.

و لذلک تجد الشی ء یلتبس منه حتّی علی أهل المعرفه، کما روی أن عدیّ بن حاتم اشتبه علیه المراد بلفظ الخیط فی قوله تعالی:

---

(۱) البیت للمتنبی من قصیده مطلعها:

یا أخت خیر أخ یا بنت خیر أب* کنایه بهما عن أشرف النسب طالعه الشمسین: شمس النهار، غائبه الشمسین: المرثیه و هی أخت سیف الدوله. راجع دیوانه ۲/ ۱۹۵.

(۲) الترنّح: تمزّز الشراب (عن أبی حنیفه) و ترنّح الرجل: تمایل من السکر. راجع لسان العرب ماده:

(رنح). و الترجّل: الارتفاع و قد سبق.

حَتَّی یَتَبَیَّنَ لَکُمُ الْخَیْطُ الْأَبْیَضُ مِنَ الْخَیْطِ الْأَسْوَدِ [البقره: ۱۸۷]، و حمله علی ظاهره. فقد روی أنه قال لما نزلت هذه الآیه: «أخذت عقالا أسود و عقالا أبیض، فوضعتهما تحت و سادتی،

فنظرت فلم أتبيّن، فذكرت ذلك للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم فقال: إن وسادك لطويل عريض، إنما هو الليل و النهار».

و الوجه الثانى: أن تذكر كلّ واحد من المشبّه و المشبّه به فتقول: «زيد أسد» و «هند بدر»، و «هذا الرجل الذى تراه سيف صارم على أعدائك». و قد كنت ذكرت فيما تقدّم، أن فى إطلاق الاستعاره على هذا الضّرب الثانى بعض الشبهه، و وعدتك كلاما يجى ء فى ذلك، و هذا موضعه.

اعلم أنّ الوجه الذى يقتضيه القياس، و عليه يدلّ كلام القاضى فى الوساطه، أن لا تطلق الاستعاره على نحو قولنا: «زيد أسد» و «هند بدر»، و لكن تقول: هو تشبيه، و إذا قال: «هو أسد، لم تقل: «استعار له اسم الأسد»، و لكن تقول: «شبّهه بالأسد»، و تقول فى الأول إنه استعاره لا تتوقف فيه و لا تتحاشى البتّه. و إن قلت فى القسم الأول: إنه تشبيه كنت مصيبا، من حيث تخبر عمّا فى نفس المتكلم و عن أصل الغرض، و إن أردت تمام البيان قلت: أراد أن يشبّه المرأه بالظبيه فاستعار لها اسمها مبالغه.

فإن قلت: فكذلك فقل فى قولك: «زيد أسد»، إنه أراد تشبيهه بالأسد، فأجرى اسمه عليه، أ لا ترى أنك ذكرته بلفظ التّنكير فقلت: «زيد أسد»، كما تقول: «زيد واحد من الأسود»، فما الفرق بين الحالين، و قد جرى الاسم فى كل واحد منهما على المشبّه؟

فالجواب أن الفرق بيّن، و هو أنك عزلت فى القسم الأول الاسم الأصلىّ عنه و اطّرحته، و جعلته كأن ليس هو باسم له، و جعلت الثانى هو الواقع عليه و المتناول له، فصار قصدك التشبيه أمرا مطويّا فى نفسك مكنونا فى ضميرك، و صار فى ظاهر

الحال و صوره الكلام و نصبته، كأنه الشى ء الذى وضع له الاسم فى اللغه و تصوّر- إن تعلّقه الوهم- كذلك. و ليس كذلك القسم الثانى، لأنك قد صرّحت فيه بذكر المشبّه، و ذكرك له صريحا يأبى أن تتوهّم كونه من جنس المشبّه به. و إذا سمع السامع قولك:

«زيد أسد» و «هذا الرجل سيف صارم على الأعداء»، استحال أن يظنّ و قد صرّحت له بذكر زيد أنك قصدت أسدا و سيفا، و أكثر ما يمكن أن يدّعى تخيّله فى هذا: أن يقع فى نفسه من قولك: «زيد أسد»، حال الأسد فى جراءته و إقدامه و بطشه، فأمّا أن يقع فى وهمه أنه رجل و أسد معا بالصوره و الشخص، فمحال.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٢٣١

و لمّا كان كذلك، كان قصد التشبيه من هذا النحو بيّنا لائحا، و كائنا من مقتضى الكلام، و واجبا من حيث موضوعه، حتى إن لم يحمل عليه كان محالا.

فالشى ء الواحد لا يكون رجلا و أسدا، و إما يكون رجلا و بصفه الأسد فيما يرجع إلى غرائز النفوس و الأخلاق، أو خصوص فى الهيئه كالكراهه فى الوجه. و ليس كذلك الأول، لأنه يحتمل الحمل على الظّاهر على الصحه، فلست بممنوع من أن تقول «عنّت لنا ظبيه»، و أنت تريد الحيوان و «طلعت شمس»، و أنت تريد الشّمس، كقولك: «طلعت اليوم شمس حارّه» و كذلك تقول: «هززت على الأعداء سيفا» و أنت تريد السيف، كما تقوله و أنت تريد رجلا باسلا استعنت به، أو رأيا ماضيا وفّقت

فيه، و أصبت به من العدوّ فأرهبته و أثّرت فيه.

و إذا كان الأمر كذلك، وجب أن يفصل بين القسمين، فيسمّى الأوّل:

«استعاره» على الإطلاق، و يقال فى الثانى إنه: «تشبيه». فأما تسميه الأول تشبيها فغير ممنوع و لا غريب، إلّا أنه على أنك تخبر عن الغرض و تنبئ عن مضمون الحال، فأمّا أن يكون موضوع الكلام و ظاهره موجبا له صريحا، فلا.

فإن قلت: فكذلك قولك: «هو أسد»، ليس فى ظاهره تشبيه، لأن التشبيه يحصل بذكر الكاف أو «مثل» أو نحوهما.

فالجواب أن الأمر و إن كان كذلك، فإنّ موضوعه من حيث الصّوره يوجب قصدك التشبيه، لاستحاله أن يكون له معنى و هو على ظاهره.

و له مثال من طريق العاده، و هو أنّ مثل الاسم مثل الهيئه التى يستدلّ بها على الأجناس، كزىّ الملوك و زىّ السّوقه، فكما أنك لو خلعت من الرجل أثواب السوقه، و نفيت عنه كل شى ء يختصّ بالسوقه، و ألبسته زىّ الملوك، فأبديته للناس فى صوره الملوك حتى يتوهّموه ملكا، و حتى لا يصلوا إلى معرفه حاله إلا بإخبار أو اختبار و استدلال من غير الظاهر، كنت قد أعرته هيئه الملك و زيّه على الحقيقه. و لو أنك ألقيت عليه بعض ما يلبسه الملك من غير أن تعرّيه من المعانى التى تدل على كونه سوقه، لم تكن قد أعرته بالحقيقه هيئه الملك، لأن المقصود من هيئه الملك أن يحصل بها المهابه فى النفس، و أن يتوهّم العظمه، و لا يحصل ذلك مع وجود الأوصاف الدالّه على أن الرجل سوقه.

افرض هذه الموازنه فى الشى ء الواحد، كالثوب الواحد يعاره الرجل فيلبسه على ثوبه أو منفردا، و إنما اعتبر الهيئه و هى تحصل بمجموع أشياء، و

ذلک أن الهیئه

أسرار البلاغه فی علم البیان، ص: ۲۳۲

هی التی یشبه حالها حال الاسم، لأن الهیئه تخصّ جنسا دون جنس، کما أن الاسم کذلک، و الثوب علی الإطلاق لا یفعل ذلک إلاـ بخصائص تقترن به و ترعی معه، فإذا کان السامع قولک: «زید أسد» لا یتوهّم أنک قصدت أسدا علی الحقیقه، لم یکن الاسم قد لحقه، و لم تکن قد أعرته إیاه إعاره صحیحه، کما أنک لم تعر الرجل هیئه الملک حین لم تزل عنه ما یعلم به أنه لیس بملک.

هذا، و إذا تأمّلنا حقیقه الاستعاره فی اللغه و العاده، کان فی ذلک أیضا بیان لصحه هذه الطریقه، و وجوب الفرق بین القسمین. و ذاک أن من شرط المستعار أن یحصل للمستعیر منافعه علی الحدّ الذی یحصل للمالک، فإن کان ثوبا لبسه کما لبسه، و إن کان أداه استعملها فی الشی ء تصلح له، حتی إنّ الرائی إذا رآه معه لم تنفصل حاله عنده من حال ما هو ملک ید لیس بعاریّه، و إما یفضله المالک فی أنّ له أن یتلف الشی ء جمله، أو یدخل التلف علی بعض أجزائه قصدا، و لیس للمستعیر ذلک. و معلوم أنّ ما هو کالمنفعه من الاسم أن یوجب ذکره القصد إلی الشی ء فی نفسه. فإذا قلت: «زید»، علم أنک أردت أن تخبر عن الشخص المعلوم، و إذا قلت:

«لقیت أسدا»، علم أنک علّقت اللقاء بواحد من هذا الجنس.

و إذا کان الأمر کذلک، ثم وجدنا الاسم فی قولک: «عنّت ظبیه»، یعقل من إطلاقه أنک قصدت الجنس

المعلوم و لا يعلم أنك قصدت امرأه، فقد وقع من المرأه فى هذا الكلام موقعه من ذلك الحيوان على الصحه، فكان ذلك بمنزله أن المستعير ينتفع بالمستعار انتفاع مالكه، فيلبسه لبسه، و يتجمّل به تجمّله، و يكون مكانه عنده مكان الشى ء المملوک، حتى يعتقد من ينظر إلى الظاهر أنه له.

و لما وجدنا الاسم فى قولك: «زيد أسد»، لا يقع من زيد ذلك الموقع، من حيث إنّ ذكره باسمه يمنع من أن يصير الاسم مطلقا عليه، و متناولا له على حدّ تناوله ما وضع له، كان وزان ذلك وزان أن تضع عند الرجل ثوبا و تمنعه أن يلبسه، أو بمنزله أن تطرح عليه طرف ثوب كان عليك، فلا يكون ذلك عاريّه صحيحه، لأنك لم تدخله فى جملته، و لم تعطه صوره ما يختص به و يصير إليه، و يخفى كونه لك دونه. فاعرفه.

و هاهنا فصل آخر من طريق موضوع الكلام، يبيّن وجوب الفرق بين القسمين:

و هو أن الحاله التى يختلف فى الاسم إذا وقع فيها، أ يسمّى استعاره أم لا يسمّى؟ هى الحاله التى يكون الاسم فيها خبر مبتدأ أو منزّلا منزلته، أعنى أن يكون خبر «كان»،

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٢٣٣

أو مفعولا ثانيا لباب «علمت»، لأن هذه الأبواب كلها أصلها مبتدأ و خبر أو يكون «حالا»، لأن الحال عندهم زياده فى الخبر. فحكمها حكم الخبر فيما قصدته هاهنا خصوصا، و الاسم إذا وقع فى هذه المواضع، فأنت واضع كلامك لإثبات معناه، و إن أدخلت النّفى على كلامك تعلّق النفى

بمعناه.

تفسير هذه الجمله: أنك إذا قلت: «زيد منطلق»، فقد وضعت كلامك لإثبات الانطلاق لزيد. و لو نفيت فقلت: «ما زيد منطلقا»، كنت نفيت الانطلاق عن زيد. و كذلك: «أ كان زيد منطلقا»، و «علمت زيدا منطلقا»، و «رأيت زيدا منطلقا»، أنت فى ذلك كلّه واضع كلامك و مزج له لتثبت الانطلاق لزيد، و لو خولفت فيه انصرف الخلاف إلى ثبوته له. و إذا كان الأمر كذلك، فأنت إذا قلت:

«زيد أسد» و «رأيته أسدا»، فقد جعلت اسم المشبّه به خبرا عن المشبّه. و الاسم إذا كان خبرا عن الشى ء كان خبرا عنه، إمّا لإثبات وصف هو مشتقّ منه لذلك الشى ء، كالانطلاق فى قولك: «زيد منطلق»، أو إثبات جنسيه هو موضوع لها كقولك:

«هذا رجل». فإذا امتنع فى قولنا: «زيد أسد» أن تثبت شبه الجنس، فقد اجتلبنا الاسم لنحدث به التشبيه الآن، و نقرّره فى حيّز الحصول و الثبوت. و إذا كان كذلك، كان خليقا بأن تسمّيه تشبيها، إذ كان إنما جاء ليفيده و يوجبه.

و أمّا الحاله الأخرى التى قلنا: «إن الاسم فيها يكون استعاره من غير خلاف»، فهى حاله إذا وقع الاسم فيها لم يكن الاسم مجتلبا لإثبات معناه للشى ء، و لا الكلام موضوعا لذلك، لأن هذا حكم لا يكون إلا إذا كان الاسم فى منزله الخبر من المبتدأ.

فأمّا إذا لم يكن كذلك، و كان مبتدأ بنفسه، أو فاعلا أو مفعولا أو مضافا إليه، فأنت واضع كلامك لإثبات أمر آخر غير ما هو معنى الاسم.

بيان ذلك: أنك إذا قلت: «جاءنى أسد» و «رأيت أسدا» و «مررت بأسد»، فقد وضعت الكلام لإثبات المجى ء واقعا من الأسد، و الرؤيه و المرور واقعين منك عليه.

و كذلك إن قلت:

«الأسد مقبل»، فالكلام موضوع لإثبات الإقبال للأسد، لا لإثبات معنى الأسد. و إذا كان الأمر كذلک، ثم قلت: «عنّت لنا ظبيه»، و «هززت سيفا صارما على الأعداء» و أنت تعنى بالظبيه امرأه، و بالسيف رجلا لم يكن ذكرک للاسمين فى كلامک هذا لإثبات الشّبه المقصود الآن. و كيف يتصوّر أن تقصد إلى إثبات الشبه منهما بشى ء، و أنت لم تذكر قبلهما شيئا ينصرف إثبات الشبه إليه، و إنما تثبت الشّبه من طريق الرجوع إلى الحال، و البحث عن خبئ فى نفس المتكلم؟

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۳۴

و إذا كان كذلک، بان أن الاسم فى قولک: «زيد أسد»، مقصود به إيقاع التشبيه فى الحال و إيجابه، و أما فى قولک: «عنّت لنا ظبيه» و «سللت سيفا على العدوّ»، فوضع الاسم هكذا انتهازا و اقتضابا على المقصود، و ادّعاء أنه من الجنس الذى وضع له الاسم فى أصل اللغه.

و إذا افترقا هذا الافتراق، وجب أن نفرق بينهما فى الاصطلاح و العباره، كما أنّا نفصل بين الخبر و الصفه فى العباره، لاختلاف الحكم فيهما، بأنّ الخبر إثبات فى الوقت للمعنى، و الصفه تبيين و توضيح و تخصيص بأمر قد ثبت و استقرّ و عرف.

فكما لم نرض لاتفاق الغرض فى الخبر الصّفه على الجمله و اشتراكهما إذا قلت:

«زيد ظريف» و «جاءنى زيد الظّريف»، فى التباس زيد فى الظرف و اكتسائه له، أن تجعلهما فى الوضع الاصطلاحىّ شيئا واحدا، و لا نفرّق بتسميتنا هذا خبرا و ذلک صفه كذلک ينبغى أن لا يدعونا-

اتفاق قولنا: «جاءنى أسـد» و «هززت سيفا صارما» و قولنا: «زيـد أسـد» و «سـيف صارم»، فى مطلق التشبيه- إلى التسويه بينهما، و ترک الفرق من طريق العباره، بل وجب أن نفرّق، فنسمّى ذاک «الاستعاره» و هذا تشبيها».

فـإن أبيت إلا أن تطلق الاسـتعاره على هـذا القسم الثانى، فينبغى أن تعلم أن إطلاقها لا يجوز فى كل موضع يحسن دخول حرف التشبيه فيه بسـهوله، و ذلک نحو قولک: «هو الأسد» و «هو شـمس النهار» و «هو البدر حسـنا و بهجه، و القضـيب عطفا»، و هكذا كـل موضع ذكر فيه المشبّه به بلفـظ التعريف. فـإن قلت: «هو بحر» و «هو ليث» و «وجـدته بحرا»، و أردت أن تقول إنه اسـتعاره، كنت أعـذر و أشـبه بـأن تكون على جانب من القياس، و متشـبّثا بطرف من الصواب. و ذلک أن الاسم قـد خرج بالتنكير عن أن يحسن إدخـال حرف التشـبيه عليه، فلـو قلت: «هـو كأسـد» و «هو كبحر»، كـان كلامـا نازلاـ غير مقبول، كمـا يكون قولـک: «هو كالأسـد»، إلاـ أنّه و إن كان لا يحسن فيه الكاف فإنه يحسن فيه «كأنّ» كقولک: «كأنه أسـد»، أو ما يجرى مجرى «كأنّ» فى نحو «تحسـبه أسـدا» و «تخاله سـيفا». فإن غمض مكان الكاف و «كأن»، بأن يوصف الاسم الـذى فيه التشبيه بصـفه لا تكون فى ذلک الجنس، و أمر خـاصّ غريب فقيل: «هو بحر من البلاغه»، و «هو بـدر يسـكن الأرض»، و «هو شـمس لا تغيب»، و كقوله «١»: [من الكامل]

شمس تألّق و الفراق غروبها عنّا، و بدر و الصّدود كسوفه

(١) البيت للبحترى. راجع الإيضاح بتحقيقنا ص ٢٥٦.

فهو أقرب إلى أن نسمّيه استعاره، لأنه قد غمض تقدير حرف التشبيه فيه، إذ لا تصل إلى الكاف حتى تبطل بنيه الكلام و تبدّل صورته فتقول: «هو كالشمس المتألّقه، إلا أن فراقها هو الغروب، و كالبدر إلا أن صدوده الكسوف».

و قد يكون فى الصفات التى تجى ء فى هذا النحو، و الصّلات التى توصل بها، ما يختلّ به تقدير التشبيه، فيقرب حينئذ من القبيل الذى تطلق عليه «الاستعاره» من بعض الوجوه، و ذلك مثل قوله «١»: [من الكامل]

أسد دم الأسد الهزبر خضابه موت فريص الموت منه ترعد

لا سبيل لك إلى أن تقول: «هو كالأسد» و «هو كالموت»، لما يكون فى ذلك من التناقض، لأنك إذا قلت: «هو كالأسد» فقد شبّهته بجنس السبع المعروف، و محال أن تجعله محمولا فى الشّبه على هذا الجنس أوّلا، ثم تجعل دم الهزبر الذى هو أقوى الجنس، خضاب يده، لأنّ حملك له عليه فى الشّبه دليل على أنه دونه، و قولك بعد «دم الهزبر من الأسود خضابه»، دليل على أنه فوقها. و كذلك محال أن تشبّهه بالموت المعروف، ثم تجعله يخافه، و ترتعد منه أكتافه.

و كذا قوله «٢»: [من الطويل]

سحاب عدانى سيله و هو مسبل

و بحر عدانى فيضه و هو مفعم

و بدر أضاء الأرض شرقا و مغربا و موضع رحلى منه أسود مظلم

إن رجعت فيه إلى التشبيه الساذج فقلت: «هو كالبدر»، ثم جئت تقول:

«أضاء الأرض شرقا و مغربا و موضع رحلى مظلم لم يضئ به»، كنت كأنك تجعل البدر المعروف يلبس الأرض الضياء و يمنعه رحلك، و ذلك محال، و إنما أردت أن تثبت من الممدوح بدرا مفردا له هذه الخاصيه العجيبه التى لم تعرف للبدر. و هذا إنما يتأتّى بكلام بعيد من هذا النظم، و هو أن يقال: «هل سمعت بأن البدر يطلع فى أفق، ثم يمنع ضوءه موضعا من المواضع التى هى معرّضه له و كائنه فى مقابلته، حتى ترى الأرض الفضاء قد أضاءت بنوره و فيما بينهما قدر رحل مظلم يتجافى عنه ضوؤه؟ و معلوم بعد هذا من طريقه البيت، فهذا النحو موضوع على تخييل أنه زاد فى جنس البدر واحد له حكم و خاصّه لم تعرف.

---

(١) البيت للمتنبى فى ديوانه، و الهزبر: الشديد البأس، و أسد. خبر لمبتدإ محذوف تقديره هو، و دم:

مبتدأ خبره خضابه، الفريص: جمع الفريصه و هى: اللحمه التى بين الكتف و الصدر. و البيت مبالغه فى مدح شجاع بن محمد الطائى. راجع الديوان ١/ ٩٢، و لسان العرب ماده: (فرص).

(٢) البيتان للبحترى فى مدح الفتح بن خاقان نديم المتوكل. راجع الإيضاح بتحقيقنا ص ٢٥٧.

و إذا كان الأمر كـذلك، صار كلامك موضوعا لا لإثبات الشبه بينه و بين البدر، و لكن لإثبات الصّيفه فى واحد متجدّد حادث من جنس البدر، لم تعرف تلك الصـفه للبدر، فيصـير بمنزله قولك: «زيد رجل يقرى الضيوف و يفعل كيت و كيت»، فلا يكون قصـدك إثبات زيـد رجلاـ و لكن إثبات الصـفه التى ذكرتها له. فإذا خرج الاسم الـذى يتعلق به التشبيه من أن يكون مقصودا بالإثبات، تبيّن أنه خارج عن الأصل الذى تقدّم، من كون الاسم لإثبات الشبه. فالبحترى فى قوله:

و بـدر أضاء الأرض قـد بنى كلامه على أن كون الممـدوح بدرا، أمر قد اسـتقرّ و ثبت، و إنما يعمل فى إثبات الصـفه الغريبه، و الحـاله التى هى موضع التعجّب. و كمـا يمتنع دخول «الكاف» فى هـذا النحو، كـذلك يمتنع دخول «كأن» و «تحسب» و «تخال». فلو قلت: «كأنه بدر أضاء الأرض شرقا و مغربا و موضع رحلى منه مظلم»، كان خلفا من القول.

و كـذلك؛ إن قلت: «تحسبه بدرا أضاء الأرض و رحلى منه مظلم»، كان كالأوّل فى الضـعف. و وجه بعده من القبول بيّن، و هو أنّ «كـأن» و «حسبت» و «خلت» و «ظننت» تـدخل إذا كـان الخبر و المفعول الثـانى أمرا معقولاـ ثابتا فى الجمله، إلا أنه فى كونه متعلقـا بمـا هو اسم «كـأن» أو المفعول الأوّل من «حسبت» مشكوك فيه، كقولنا: «كأن زيـدا منطلق»، أو مجاز يقصـد به خلاف ظاهره، نحو: «كأنّ زيدا أسد»، فالأسد على الجمله ثابت معروف، و الغريب هو كون زيد إياه و من جنسه.

و النكره فى نحو

هذه الأبيات موصوفه بأوصاف تدلّ على أنک تخبر بظهور شی ء لا یعرف و لا یتصوّر. و إذا کان کذلک، کان إدخال «کأن» و «حسبت» علیه، کالقیاس على المجهول.

و تأمّل هذه النکته فإنه یضعف ثانیا إطلاق «الاستعاره» على هذا النحو أیضا، لأن موضوع الاستعاره- کیف دارت القضیه- على التشبیه. و إذا بان بما ذکرت أن هذا الجنس إذا فلیته عن سرّه، و نقّرت عن خبیئه، فمحصوله أنک تدّعی حدوث شی ء هو من الجنس المذکور، إلا أنه اختصّ بصفه غریبه و خاصیه بدیعه، لم یکن یتوهّم جوازها على ذلک الجنس، کأنک تقول: «ما کنّا نعلم أن هاهنا بدرا هذه صفته» کان تقدیر التشبیه فیه نقضا لهذا الغرض، لأنه لا معنى لقولک: «أشبّهه ببدر حدث خلاف البدور ما کان یعرف».

أسرار البلاغه فی علم البیان، ص: ۲۳۷

و هذا موضع لطیف جدّا لا تنتصف منه إلّا باستعانه الطبع علیه، و لا یمکن توفیه الکشف فیه حقّه بالعباره، لدقّه مسلکه.

و یتصل به أن فی «الاستعاره» الصحیحه: ما لا یحسن دخول کلم التشبیه علیه. و ذلک إذا قوی التشبّه بین الأصل و الفرع، حتى یتمکن الفرع فی النفس بمداخله ذلک الأصل و الاتحاد به، و کونه إیاه. و ذلک فی نحو «النور» إذا استعیر للعلم و الإیمان، و «الظلمه» للکفر و الجهل. فهذا النحو لتمکّنه و قوّه شبهه و متانه سببه، قد صار کأنه حقیقه، و لا یحسن لذلک أن تقول فی العلم: «کأنه نور»، و فی الجهل: «کأنه ظلمه»، و لا تکاد تقول للرجل فی هذا

الجنس: «كأنّك قد أوقعتنى فى ظلمه» بل تقول: «أوقعتنى فى ظلمه». و كذلك الأكثر على الألسن و الأسبق إلى القلوب أن تقول: «فهمت المسأله فانشرح صدرى و حصل فى قلبى نور»، و لا تقول: «كأنّ نورا حصل فى قلبى».

و لكن إذا تجاوزت هذا النوع إلى نحو قولك: «سللت منه سيفا على الأعداء»، وجدت «كأن» حسنه هناك كثيره، كقولك: «بعثته إلى العدوّ فكأنى سللت سيفا» و كذلك فى نحو: «زيد أسد» و «كأن زيدا أسد». و هكذا يتدرج الحكم فيه، حتى كلّما كان مكان الشبه بين الشيئين أخفى و أغمض و أبعد من العرف، كان الإتيان بكلمه التشبيه أبين و أحسن و أكثر فى الاستعمال.

و مما يجب أن تجعله على ذكر منك أبدا، و فيه البيان الشافى: أنّ بين القسمين تباينا شديدا أعنى بين قولك: «زيد أسد» و قولك: «رأيت أسدا» و هو ما قدّمته لك من أنك قد تجد الشى ء يصلح فى نحو: «زيد أسد» حيث تذكر المشبّه باسمه أوّلا، ثم تجرى اسم المشبّه به عليه، و لا يصلح فى القسم الآخر الذى لا تذر فيه المشبّه أصلا و تطرحه.

و من الأمثله البيّنه فى ذلك قول أبى تمام «۱»: [من الوافر]

و كان المطل فى بدء و عود دخانا للصّنيعه و هى نار

قد شبّه المطل بالدّخان، و الصنيعه بالنار، و لكنه صرّح بذكر المشبّه، و أوقع المشبّه به خبرا عنه، و هو كلام مستقيم.

---

(۱) البيت فى ديوانه ۱۳۵ بلفظ «و كان المدح فى عود و بدء»، و القصيده فى مدح أبى الحسين

محمد ابن الهيثم بن شبابه، راجع الأبيات التی قبله من قوله:

رأيت صنائعا معكت فأحست ذبائح و المطال لها شفار

أسرار البلاغه فی علم البيان، ص: ۲۳۸

و لو سلكت به طريقه ما يسقط فيه ذكر المشبّه فقلت مثلا: «أقبستنی نارا لها دخان»، كان ساقطا. و لو قلت: «أقبستنی نورا أضاء أفقی به»، تريد علما، كان حسنا، حسنه إذا قلت: «علمك نور فی أفقی». و السبب فی ذلك أنّ اطّراح ذكر المشبّه و الاقتصار على اسم المشبّه به، و تنزيله منزلته، و إعطاءه الخلافه على المقصود، إنما يصحّ إذا تقرّر الشّبه بين المقصود و بين ما تستعير اسمه له، و تستبينه فی الدّلاله. و قد تقرّر فی العرف الشبه بين النور و العلم و ظهر و اشتهر، كما تقرر الشّبه بين المرأه و الظبيه، و بينها و بين الشمس و لم يتقرر فی العرف شبه بين الصّنيعه و النار، و إنما هو شی ء يضعه الآن أبو تمام و يتمحّله، و يعمل فی تصويره، فلا بدّ له من ذكر المشبّه و المشبّه به جميعا حتى يعقل عنه ما يريده، و يبين الغرض الذی يقصده، و إلّا كان بمنزله من يريد فی إعلام السامع أنّ عنده رجلا هو مثل زيد فی العلم مثلا، فيقول له: «عندی زيد»، و يسومه أن يعقل من كلامه أنه أراد أن يقول:

«عندی رجل مثل زيد»، أو غيره من

المعانى. و ذلک تکليف علم الغيب.

فاعرف هذا الأصل و تبيّنه، فإنک تزداد به بصيره فى وجوب الفرق بين الضربين، و ذلک أنهما لو کانا يجريان مجرى واحدا فى حقيقه الاستعاره، لوجب أن يستويا فى القضيّه، حتى إذا استقام وضع الاسم فى أحدهما استقام وضعه فى الآخر، فاعرفه.

فإن قلت: فما تقول فى نحو قولهم: «لقيت به أسدا» و «رأيت منه ليثا».

فإنه مما لا وجه لتسميته استعاره، أ لا تراهم قالوا: «لئن لقيت فلانا ليلقينّک منه الأسد»، فأتوا به معرفه على حدّه إذا قالوا: «احذر الأسد!»، و قد جاء على هذه الطريقه ما لا يتصوّر فيه التشبيه، فظنّ أنّه استعاره، و هو قوله عز و جل: لَهُمْ فِيها دارُ الْخُلْدِ [فصلت: ۲۸]، و المعنى:- و اللّه أعلم- أنّ النّار هى دار الخلد، و أنت تعلم أن لا معنى هاهنا لأن يقال: «إن النار شبّهت بدار الخلد»، إذ ليس المعنى على تشبيه النّار بشى ء يسمّى «دار الخلد»، کما تقول فى زيد: «إنه مثل الأسد»، ثم تقول: «هو الأسد»، و إنما هو کقولک: «النار منزلهم و مسکنهم»، نعوذ باللّه منها.

و کذا قوله «۱»: [من البسيط] يأبى الظلامه منه النّوفل الزّفر

---

(۱) هو عجز بيت لأعشى باهله صدره «أخو رغائب يعطيها و يسألها»، و النوفل: الذى ينفى عنه الظلم من قومه، و الزّفر: الشجاع. راجع لسان العرب ماده: (نفل).

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۳۹

المعنى على أنه «النّوفل الزّفر»، و ليس الزفر باسم لجنس غير جنس الممدوح کالأسد، فيقال إنه شبّه الممدوح به، و إنما

هو صفه كقولك: «هو الشجاع» و «هو السيّد» و «هو النهّاض بأعباء السياده».

و كذلك قوله «١»: [من المنسرح]

يا خير من يركب المطيّ و لا يشرب كأسا بكفّ من بخلاف

لا يتصور فيه التشبيه، و إنما المعنى: أنه ليس ببخيل.

هـذا، و إنمـا يتصوّر الحكم على الاـسم بالاسـتعاره، إذا جرى بوجه على مـا يـدّعى أنه مسـتعار له، و الاـسم فى قولك: «لقيت به أسـدا» أو «لقينى منه أسـدا»، لاـ يتصوّر جريه على المـذكور بوجه، لأنه ليس بخبر عنه، و لا صـفه له، و لا حال، و إنما هو بنفسـه مفعول «لقيت» و فاعـل «لقينى». و لو جاز أن يجرى الاسم، هاهنا مجرى المسـتعار المتناول المسـتعار له، لوجب أن نقول فى قوله «٢»: [من الرجز]

حتّى إذا جنّ الظّلام و اختلط جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط

إنه استعار اسم الذئب للمذق، و ذلك بيّن الفساد.

و كذا نحو قوله «٣»: [من البسيط]

نبّئت أنّ أبا قابوس أوعدنى و لا قرار على زأر من الأسد

لا يكون استعاره، و إن كنت تجد من يفهم البيت قد يقول: أراد بالأسد

---

(١) الصواب «بخلا» بدل «بخلاف».

(٢) البيت يدور فى كتب النحاه، و أنشده المبرّد لأحد الرجاز بلفظ

بتنا بحسان و معزاه تئطّ ما زلت أسعى بينهم و ألتبط

حتى إذا كاد الظلام يختلط جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط

قيل: هو للعجاج، لم يذكره لسان العرب فى «ذئب، مذق»، و حسان: اسم رجل، و المعزى: من الغنم، و تئطّ: يصوّت جوفها من الجوع، و ألتبط: أسعى هنا و هناك. راجع الكامل بتحقيقى ۲/ ۴۳۸، و لسان العرب ماده: (مذق)، و المصنف على حق فى عدم صحه الاستعاره هنا.

(۳) البيت نسبه ابن منظور للنابغه، و نسبه أبو الفرج الأصفهانى إليه قائلا- غنّاه الهذلى أى: أن هذا البيت مما غنّى من قصائد النابغه التى اعتذر فيها لأبى قابوس، و القابوس: الجميل الوجه الحسن اللون، و أبو قابوس: كنيه النعمان بن المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى ملك العرب. راجع الأغانى ۱۱/ ۳۹، و لسان العرب ماده: (قبس).

النّعمان، أو شبّهه بالأسد، لأن ذلك بيان للغرض. فأمّا القضيه الصحيحه و ما يقع فى نفس العارف، و يوجبه نقد الصّيرف، فإنّ الأسد واقع على حقيقته حتى كأنه قال:

«و لا قرار على زأر هذا الأسد»، و أشار إلى الأسد خارجا من عرينه مهدّدا موعدا بزئيره. و أىّ وجه للشكّ فى ذلك، و هو يؤدّى إلى أن يكون

الکلام علی حدّ قولک:

«و لا قرار علی زأر من هو کالأسد»؟ و فیه من العیّ و الفجاجه شی ء غیر قلیل.

هذا، و من حقّ غالط غلط فی نحو ما ذکرت- علی قلّه عذره- أن لا یغلط فی قول الفرزدق «۱»: [من الوافر]

قیاما ینظرون إلی سعید کأنّهم یرون به هلالا

و لا یتوهّم أن «هلالا» استعاره لسعید، لأن الحکم علی الاسم بالاستعاره مع وجود التشبیه الصریح، محال جار مجری أن یکون کلّ اسم دخل علیه کاف التشبیه مستعارا. و إذا لم یغلط فی هذا فالباقی بمنزلته، فاعرفه.

فصل «فی الاتّفاق فی الأخذ و السّرقه و الاستمداد و الاستعانه»

فصل «فی الاتّفاق فی الأخذ و السّرقه و الاستمداد و الاستعانه»

اعلم أنّ الشاعرین إذا اتفقا، لم یخل ذلک من أن یکون فی الغرض علی الجمله و العموم، أو فی وجه الدلاله علی ذلک الغرض.

و الاشتراک فی الغرض علی العموم: أن یقصد کلّ واحد منهما وصف ممدوحه بالشجاعه و السخاء، أو حسن الوجه و البهاء، أو وصف فرسه بالسرعه، أو ما جری هذا المجری.

و أمّا وجه الدّلاله علی الغرض، فهو أن یذکر ما یستدلّ به علی إثباته له الشجاعه و السخاء مثلا. و ذلک ینقسم أقساما:

منها التشبیه بما یوجد هذا الوصف فیه علی الوجه البلیغ و الغایه البعیده، کالتشبیه بالأسد، و بالبحر فی البأس و الجود، و البدر و الشّمس فی الحسن و البهاء و الإناره و الإشراق.

---

(۱) البیت من قصیده قالها الفرزدق فی مدح سعید بن العاص بن سعید بن العاص بن أمیه. راجع دیوانه ۲/ ۶۹.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۴۱

و منها ذكر هيئات تدلّ على الصّفه من حيث كانت لا تكون إلا فيمن له الصّفه، كوصف الرّجل فى حال الحرب بالابتسام و سكون الجوارح و قلّه الفكر، كقوله «۱»: [من الطويل]

كأنّ دنانيرا على قسماتهم و إن كان قد شفّ الوجوه لقاء

و كذلك الجواد يوصف بالتّهلّل عند ورود العفاه، و الارتياح لرؤيه المجتدين، و البخيل بالعبوس و القطوب و قلّه البشر، مع سعه ذات اليد و مساعده الدهر.

فأما الاتفاق فى عموم الغرض، فما لا يكون الاشتراك فيه داخلا فى الأخذ و السرقه و الاستمداد و الاستعانه، لا ترى من به حسّ يدّعى ذلك، و يأبى الحكم بأنه لا يدخل فى باب الأخذ، و إنما يقع الغلط من بعض من لا يحسن التحصيل، و لا ينعم التأمّل، فيما يؤدّى إلى ذلك، حتى يدّعى عليه فى المحاجّه أنه بما قاله قد دخل فى حكم من يجعل أحد الشاعرين عيالا على الآخر فى تصوّر معنى الشجاعه، و أنّها مما يمدح به، و أن الجهل مما يذمّ به، فأمّا أن يقوله صريحا، و يرتكبه قصدا، فلا.

و أمّا الاتفاق فى وجه الدّلاله على الغرض، فيجب أن ينظر، فإن كان مما اشترك الناس فى معرفته، و كان مستقرّا فى العقول و العادات، فإنّ حكم ذلك، و إن كان خصوصا فى المعنى، حكم العموم الذى تقدّم ذكره.

من ذلك التشبيه بالأسد فى الشجاعه، و بالبحر فى السخاء، و بالبدر

فى النور و البهاء، و بالصبح فى الظهور و الجلاء و نفى الالتباس عنه و الخفاء. و كذلك قياس الواحد فى خصله من الخصال على المذكور بذلك و المشهور به و المشار إليه، سواء كان ذلك ممن حضرك فى زمانك، أو كان ممن سبق فى الأزمنه الماضيه و القرون الخاليه، لأن هذا مما لا يختص بمعرفته قوم دون قوم، و لا يحتاج فى العلم به إلى رويّه و استنباط و تدبّر و تأمّل، و إنما هو فى حكم الغرائز المركوزه فى النفوس، و القضايا التى وضع العلم بها فى القلوب.

و إن كان مما ينتهى إليه المتكلّم بنظر و تدبّر، و يناله بطلب و اجتهاد، و لم يكن كالأوّل فى حضوره إياه، و كونه فى حكم ما يقابله الذى لا معاناه عليه فيه، و لا حاجه به إلى المحاوله و المزاوله و القياس و المباحثه و الاستنباط و الاستثاره، بل كان من دونه

---

(١) البيت لمحرز بن مكعبر الضّبيّ، القسمات: مجارى العيون، و قيل ما بين الحاجبين. و قد فصّلنا القول فى هذا البيت فراجعه فى كتاب الكامل للمبرّد بتحقيقنا. راجع أيضا لسان العرب ماده:

(قسم).

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٢۴٢

حجاب يحتاج إلى خرقه بالنظر، و عليه كمّ يفتقر إلى شقّه بالتفكير، و كان درّا فى قعر بحر لا بدّ له من تكلّف الغوص عليه، و ممتنعا فى شاهق لا يناله إلّا بتجشّم الصعود إليه و كامنا كالنار فى الزّند، لا يظهر حتى تقتدحه، و مشابكا لغيره كعروق الذهب التى

لا تبدى صفحتها بالهوينا، بل تنال بالحفر عنها و تعريق الجبين فى طلب التمكن منها.

نعم، إذا كان هذا شأنه، و هاهنا مكانه، و بهذا الشرط يكون إمكانه، فهو الذى يجوز أن يدّعى فيه الاختصاص و السّبق و التقدّم و الأوّليه، و أن يجعل فيه سلف و خلف، و مفيد و مستفيد، و أن يقضى بين القائلين فيه بالتفاضل و التباين، و أنّ أحدهما فيه أكمل من الآخر، و أنّ الثانى زاد على الأوّل أو نقص عنه، و ترقّى إلى غايه أبعد من غايته، أو انحطّ إلى منزله هى دون منزلته.

و اعلم أن ذلك الأوّل الذى هو المشترك العامىّ، و الظاهر الجلىّ، و الذى قلت إنّ التفاضل لا يدخله، و التفاوت لا يصحّ فيه، إنما يكون كذلك ما كان صريحا ظاهرا لم تلحقه صنعه، و ساذجا لم يعمل فيه نقش فأمّا إذا ركّب عليه معنى، و وصل به لطيفه، و دخل إليه من باب الكنايه و التعريض، و الرّمز و التلويح، فقد صار بما غيّر من طريقته، و استؤنف من صورته، و استجدّ له من المعرض، و كسى من دلّ التعرض، داخلا فى قبيل الخاصّ الذى يتملّك بالفكره و التعمّل، و يتوصّل إليه بالتدبّر و التأمّل. و ذلك كقولهم، و هم يريدون التشبيه: «سلبن الظّباء العيون»، كقول بعض العرب «۱»: [من الوافر]

سلبن ظباء ذى نفر طلاها و نجل الأعين البقر الصّوارا

و كقوله «۲»: [من البسيط]

إنّ السحاب لتستحيى إذا نظرت

إلى نداك، فقاسته بما فيها

و كقوله «٣»: [من الكامل]

لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا إلّا بوجه ليس فيه حياء

---

(١) الطّلى: الأعناق و مفردها الطّلاه مثل تقاه تقى، و قيل مفردها الطّلوه، و نجل الأعين: من إضافه الصفه إلى الموصوف، و الصوار بالضّم و الكسر: القطيع من بقر الوحش.

(٢) البيت من قصيده يمدح فيها أبو نواس العباس بن الفضل بن الربيع. راجع ديوانه ص ٩٠، و الإيضاح للقزوينى بتحقيقنا ص ٢٣٩.

(٣) البيت من قصيده يمدح فيها المتنبى أبا على هارون بن عبد العزيز الأوارجى الكاتب، و استعار فيه الوجه للشمس للمشاكله و المعنى: لو كان عند الشمس حياء لما ظهرت أمام وجهك الأكثر ضياء منها. راجع ديوان المتنبى بشرح مصطفى سبيتى ١/ ١٧٤.

و كقوله «١»: [من الكامل]

و اهتزّ فى ورق النّدى فتحيّرت حركات غصن البانه المتأوّد

و كقوله «٢»: [من الطويل]

فأفضيت من قرب إلى ذى مهابه أقابل بدر الأفق حين أقابله

إلى مسرف فى الجود، لو أنّ حاتما لديه، لأمسى حاتم و هو عاذله

فهذا كله فى أصله و مغزاه و حقيقه معناه تشبيه، و لكن كنى لك عنه، و خودعت فيه، و أتيت به من طريق الخلابه فى مسلك السحر و مذهب التّخييل، فصار لذلك غريب الشكل، بديع الفن، منيع الجانب، لا يدين لكل أحد، و أبىّ العطف لا يدين به إلّا للمروىّ المجتهد. و إذا حقّقت النظر، فالخصوص الذى تراه، و الحاله التى تراها، تنفى الاشتراك و تأباه، إنما هما من أجل أنهم جعلوا التشبيه مدلولا عليه بأمر آخر ليس هو من قبيل الظاهر المعروف، بل هو فى حدّ لحن القول و التعميه اللّذين يتعمّد فيهما إلى إخفاء المقصود حتى يصير المعلوم اضطرارا، يعرف امتحانا و اختيارا، كقوله: [من الوافر]

مررت بباب هند فكلّمتنى فلا و اللّه ما نطقت بحرف

فكما يوهمك بإتقان اللفظ أنه أراد الكلام، و أن الميم موصوله باللام، كذلك المشبّه إذا قال: «سرقن الظباء العيون»، فقد أوهم أن ثمّ سرقه و أنّ العيون منقوله إليها من الظباء، و إن كنت تعلم إذا نظرت أنّه يريد أن يقول: إن عيونها كعيون الظباء فى الحسن و الهيئه و فتره النظر. و كذلك يوهمك بقوله: «إن السحاب لتستحيى»، أن السحاب حىّ يعرف و يعقل، و أنه يقيس فيضه بفيض كفّ الممدوح فيخزى و يخجل.

فالاحتفال و الصّنعه فى التصويرات التى تروق السامعين و تروعهم، و

التخييلات التى تهزّ الممدوحين و تحرّكهم، و تفعل فعلا شبيها بما يقع فى نفس النّاظر إلى التصاوير التى يشكّلها الحذّاق بالتّخطيط و النقش، أو بالنّحت و النقر. فكما أن تلك تعجب و تخلب، و تروق و تؤنق، و تدخل النفس من مشاهدتها حاله غريبه لم تكن قبل رؤيتها، و يغشاها ضرب من الفتنه لا ينكر مكانه، و لا يخفى شأنه.

---

(۱) البيت فى ديوان البحترى.

(۲) البيت فى ديوان البحترى.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۴۴

فقد عرفت قضيّه الأصنام و ما عليه أصحابها من الافتتان بها و الإعظام لها.

كذلك حكم الشعر فيما يصنعه من الصور، و يشكّله من البدع، و يوقعه فى النفوس من المعانى التى يتوهّم بها الجماد الصامت فى صوره الحىّ الناطق، و الموات الأخرس فى قضيه الفصيح المعرب و المبيّن المميّز، و المعدوم المفقود فى حكم الموجود المشاهد، كما قدّمت القول عليه فى باب التمثيل، حتى يكسب الدنىّ رفعه، و الغامض القدر نباهه. و على العكس يغضّ من شرف الشريف، و يطأ من قدر ذى العزّه المنيف، و يظلم الفضل و يتهضّمه، و يخدش وجه الجمال و يتخوّنه، و يعطى الشبهه سلطان الحجّه، و يردّ الحجّه إلى صيغه الشبهه، و يصنع من الماده الخسيسه بدعا تغلو فى القيمه و تعلو، و يفعل من قلب الجواهر و تبديل الطبائع ما ترى به الكيمياء و قد صحّت، و دعوى الإكسير و قد وضحت، إلّا أنها روحانيه تتلبّس بالأوهام و الأفهام، دون الأجسام و الأجرام، و لذلك قال «۱»: [من

الطويل]

يرى حكمه ما فيه و هو فكاهه و يقضى بما يقضى به و هو ظالم

و قال: [من الطويل]

عليم بإبدال الحروف و قامع لكلّ خطيب يقمع الحقّ باطله

و قال ابن سكّره فأحسن: [من مخلع البسيط]

و الشعر نار بلا دخان و للقوافى رقى لطيفه

لو هجى المسك، و هو أهل لكل مدح، لصار جيفه

كم من ثقيل المحلّ سام هوت به أحرف خفيفه

و قد عرفت ما كان من أمر القبيله الّذين كانوا يعيّرون بأنف الناقه، حتى قال الحطيئه: [من البسيط]

قوم هم الأنف و الأذناب غيرهم، و من يسوّى بأنف النّاقه الذّنبا

فنفى العار، و صحّح الافتخار، و جعل ما كان نقصا و شينا، فضلا و زينا، و ما كان لقبا و نبزا يسوء السمع، شرفا و عزّا يرفع

الطرف، و ما ذاك إلا بحسن الانتزاع، و لطف القريحه الصّناع، و الذّهن الناقد فى دقائق الإحسان و الإبداع، كما كساهم الجمال من حى كانوا عروا منه، و أثبتهم فى نصاب الفضل من حيث نفوا عنه، فلربّ

---

(۱) البيت من قصيده لأبى تمام يمدح فيها أحمد بن أبى دؤاد. راجع ديوانه ص ۲۶۹.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۴۵

أنف سليم قد وضع الشعر عليه حدّه فجدعه، و اسم رفيع قلب معناه حتى حطّ به صاحبه و وضعه، كما قال: [من الكامل]

يا حاجب الوزراء! إنّك عندهم سعد، و لكن أنت سعد الذابح

و من العجيب فى ذلك قول القائل فى كثير بن أحمد: [من مخلع البسيط]

لو علم اللّه فيه خيرا ما قال: «لا خير فى كثير»

فانظر من أى مدخل دخل عليه، و كيف بالهوينا هدى البلاء إليه؟ و كثير هذا هو الذى يقول فيه الصاحب: [من الطويل] و مثل كثير فى الزّمان قليل فقد صار الاسم الواحد وسيله إلى الهدم و البناء، و المدح و الهجاء، و ذريعه إلى التزيين و التهجين.

و من عجيب ما اتفق فى هذا الباب قول ابن المعتزّ فى ذمّ القمر، و اجتراؤه بقدره البيان على تقبيحه، و هو الأصل و المثل،

و عليه الاعتماد و المعوّل فى تحسين كل حسن، و تزيين كلّ مزيّن، و أوّل ما يقع فى النفوس إذا أريد المبالغه فى الوصف بالجمال، و البلوغ فيه غايه الكمال، فيقال: «وجه كأنه القمر»، و «كأنه فلقه قمر»، ذلك لثقته بأنّ هذا القول إذا شاء سحر، و قلب الصور، و أنه لا يهاب أن يخرق الإجماع، و يسحر العقول و يقتسر الطباع، و هو «۱»: [من الكامل]

يا سارق الأنوار من شمس الضّحى يا مثكلى طيب الكرى و منغّصى

أمّا ضياء الشمس فيك فناقص و أرى حراره نارها لم تنقص

لم يظفر التشبيه منك بطائل، متسلّخ بهقا كلون الأبرص

و قد علم أن ليس فى الدنيا مثله أخزى و أشنع، و نكال أبلغ و أفظع، و منظر أحق بأن يملأ النفوس إنكارا، و يزعج القلوب استفظاعا له و استنكارا، و يغرى الألسنه بالاستعاذه من سوء القضاء، و درك الشقاء، من أن يصلب المقتول و يشبّح فى الجذع، ثم قد ترى مرثيه أبى الحسن الأنبارى لابن بقيّه حين صلب، و ما صنع فيها من السّحر، حتى قلب جمله ما يستنكر من أحوال المصلوب إلى خلافها، و تأوّل

---

(۱) الأبيات تحت عنوان «سارق الأنوار»، و سارق الأنوار هنا:

القمر، و البهق بالفتح: بياض دقيق يعترى ظاهر البشره. راجع ديوان ابن المعتز ص ۲۸۶.

أسرار البلاغه فی علم البيان، ص: ۲۴۶

فيها تأويلات أراك فيها و بها ما تقضى منه العجب «۱»: [من الوافر]

علوّ فى الحياه و فى الممات بحقّ أنت إحدى المعجزات

كأنّ الناس حولك حين قاموا وفود نداك أيّام الصّلات

كأنك قائم فيهم خطيبا و كلّهم قيام للصّلاه

مددت يديك نحوهم احتفاء كمدّهما إليهم بالهبات

و لما ضاق بطن الأرض عن أن يضمّ علاك من بعد الممات

أصاروا الجوّ قبرك و استنابوا عن الأكفان ثوب السّافيات

لعظمک فی النفوس تبیت ترعی بحرّاس و حفّاظ ثقات

و تشعل عندک النیران لیلا کذلک کنت أیام الحیاه

رکبت مطیّه، من قبل زید علاها فی السّنین الماضیات

و تلک فضیله فیها تأس تباعد عنک تعییر العداه

أسأت إلی الحوادث فاستثارت، فأنت قتیل ثأر النائبات

و لو أنّی قدرت علی قیامی بفرضک و الحقوق الواجبات

ملأت الأرض من نظم القوافی، و نحت بها خلال النائحات

و لکنّی أصبّر عنک نفسی

مخافه أن أعدّ من الجناه

و ما لك تربه فأقول تسقى، لأنّك نصب هطل الهاطلات

عليك تحيّه الرّحمن تترى برحمات غواد رائحات

و مما هو من هذا الباب، إلّا أنه مع ذلك احتجاج عقلى صحيح، قول المتنبى:

و ما التأنيث لاسم الشمس عيب و لا التذكير فخر للهلال «٢»

فحقّ هذا أن يكون عنوان هذا الجنس، و فى صدر صحيفته، و طرازا لديباجته، لأنه دفع لنقص، و إبطال له، من حيث يشهد العقل للحجّه التى نطق بها بالصّحه.

و ذلك أن الصّفات الشريفه شريفه بأنفسها، و ليس شرفها من حيث الموصوف.

---

(١) قال عنها الشيخ شاكر معلقا: «ذكرها صاحب يتيمه الدهر فى ترجمه الأنبارى ٢/ ٣۴۴، و ذكر بعضها صاحب الوافى بالوفيات فى ترجمه ابن بختيار، و فى تاريخ ابن خلّكان ۵/ ١٢٠ و غيرها من الكتب».

(٢) البيت من قصيده مشهوره قالها أبو الطيب المتنبى فى رثاء والده سيف الدوله و يعزّيه بها. انظر ديوانه ٢/ ١٢ و مطلع القصيده:

نعد المشرفيه و العوالى و تقتلنا المنون بلا قتال

و كيف؟ و الأوصاف سبب التفاضل بين الموصوفات، فكان الموصوف شريفا أو غير شريف من حيث الصفه، و لم تكن الصفه شريفه أو خسيسه من حيث الموصوف.

و إذا كان الأمر كذلك وجب أن لا يعترض على الصفات الشريفه بشى ء إن كان نقصا، فهو فى خارج منها، و فيما لا يرجع إليها أنفسها و لا حقيقتها. و ذلك الخارج هاهنا هو كون الشخص على صوره دون صوره. و إذا كان كذلك، كان الأمر: مقدار ضرر التأنيث إذا وجد فى الخلقه على الأوصاف الشريفه، مقداره إذا وجد فى الاسم الموضوع للشى ء الشريف، لأنه فى أن لا تأثير له من طريق العقل فى تلك الأوصاف فى الحالين على صوره واحده، لأن الفضائل التى بها فضّل الرجل على المرأه، لم تكن فضائل لأنها قارنت صوره التذكير و خلقته، و لا أوجبت ما أوجبت من التعظيم لاقترانها بهذه الخلقه دون تلك، بل إنما أوجبته لأنفسها و من حيث هى، كما أنّ الشى ء لم يكن شريفا أو غير شريف من حيث أنّث اسمه أو ذكّر، بل يثبت الشرف و غير الشرف للمسمّيات من حيث أنفسها و أوصافها، لا من حيث أسماؤها، لاستحاله أن يتعدّى من لفظ، هو صوت مسموع، نقص أو فضل إلى ما جعل علامه له، فاعرفه.

و اعلم أن هذا هو الصحيح فى تفسير هذا البيت، و الطريقه المستقيمه فى الموازنه بين تأنيث الخلقه و تأنيث الاسم، لا أن يقال إنّ المعنى أن المرأه إذا كانت فى كمال الرجل من حيث العقل و

الفضل و سائر الخلال الممدوحه، كانت من حيث المعنى رجلا، و إن عدّت فى الظاهر امرأه، لأجل أنه يفسد من وجهين:

أحدهما أنه قال: «و لا التذكير فخر للهلال»، و معلوم أنه لا يريد أن يقول: إن الهلال و إن ذكّر فى لفظه فهو مؤنّث فى المعنى، لفساد ذلک.

و لأجل أنه إن كان يريد أن يضرب تأنيث اسم الشمس مثلا- لتأنيث المرأه، على معنى أنها فى المعنى رجل، و أن يثبت لها تذكيرا، فأىّ معنى لأن يعود فينحى على التذكير، و يغضّ منه و يقول: «ليس هو بفخر للهلال» هذا بيّن التناقض.

فصل «فى حدّى الحقيقه و المجاز»

فصل «فى حدّى الحقيقه و المجاز»

و اعلم أن حدّ كل واحد من وصفى المجاز و الحقيقه إذا كان الموصوف به المفرد، غير حدّه إذا كان الموصوف به الجمله، و أنا أبدأ بحدّهما فى المفرد.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۴۸

كلّ كلمه أريد بها ما وقعت له فى وضع واضع، و إن شئت قلت: فى مواضعه، وقوعا لا تستند فيه إلى غيره فهى «حقيقه». و هذه عباره تنتظم الوضع الأوّل و ما تأخّر عنه، كلغه تحدث فى قبيله من العرب، أو فى جميع العرب، أو فى جميع الناس مثلا، أو تحدث اليوم و يدخل فيها الأعلام منقوله كانت كزيد و عمرو، أو مرتجله كغطفان و كلّ كلمه استؤنف لها على الجمله مواضعه، أو ادّعى الاستئناف فيها.

و إنما اشترطت هذا كلّه، لأنّ وصف اللّفظه بأنها حقيقه أو مجاز، حكم فيها من حيث إنّ لها دلاله على الجمله، لا من حيث هى

عربيه أو فارسيه، أو سابقه فى الوضع، أو محدثه، مولّده. فمن حقّ الحدّ أن يكون بحيث يجرى فى جميع الألفاظ الدالّه.

و نظير هذا نظير أن تضع حدّا للاسم و الصفه، فى أنك تضعه بحيث لو اعتبرت به لغه غير لغه العرب، وجدته يجرى فيها جريانه فى العربيه، لأنك تحدّ من جهه لا اختصاص لها بلغه دون لغه. أ لا ترى أن حدّك «الخبر» بأنه «ما احتمل الصدق و الكذب» مما لا يخصّ لسانا دون لسان؟ و نظائر ذلك كثيره، و هو أحد ما غفل عنه الناس، و دخل عليهم اللبس فيه، حتى ظنّوا أنه ليس لهذا العلم قوانين عقليه، و أنّ مسائله مشبّهه باللغه، فى كونها اصطلاحا يتوهّم عليه النقل و التبديل. و لقد فحش غلطهم فيه، و ليس هذا موضع القول فى ذلك.

و إن أردت أن تمتحن هذا الحدّ، فانظر إلى قولك: «الأسد»، تريد به السّبع، فإنك تراه يؤدّى جميع شرائطه، لأنّك قد أردت به ما تعلم أنّه وقع له فى وضع واضع اللغه. و كذلك تعلم أنه غير مستند فى هذا الوقوع إلى شى ء غير السّبع، أى: لا يحتاج أن يتصوّر له أصل أدّاه إلى السبع من أجل التباس بينهما و ملاحظه. و هذا الحكم إذا كانت الكلمه حادثه، و لو وضعت اليوم، متى كان وضعها كذلك، و كذلك الأعلام. و ذلك أنّى قلت: «ما وقعت له فى وضع واضع أو مواضعه» على التنكير، و لم أقل: «فى وضع الواضع الذى ابتدأ اللغه»، أو «فى المواضعه اللغويه»، فيتوهّم أن الأعلام أو غيرهما مما تأخّر وضعه عن أصل اللغه يخرج عنه. و معلوم أن الرجل يواضع قومه فى اسم ابنه، فإذا سمّاه «زيدا»، فحاله

الآن فيه كحال واضع اللغه حين جعله مصدرا «لزاد يزيد»، و سبق واضع اللغه له فى وضعه للمصدر المعلوم، لا يقدح فى اعتبارنا، لأنه يقع عند تسميته به ابنه وقوعا باتّا، و لا تستند حاله هذه إلى السابق من حاله بوجه من الوجوه.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۴۹

و أمّا المجاز، فكلّ كلمه أريد بها غير ما وقعت له فى وضع واضعها، لملاحظه بين الثانى و الأوّل، فهى مجاز و إن شئت قلت: «كلّ كلمه جزت بها ما وقعت به فى وضع الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعا، لملاحظه بين ما تجوّز بها إليه، و بين أصلها الذى وضعت له فيوضع واضعها، فهى «مجاز».

و معنى «الملاحظه»: هو أنها تستند فى الجمله إلى غير هذا الذى تريده بها الآن، إلا أنّ هذا الاستناد يقوى و يضعف. بيانه ما مضى من أنّك إذا قلت: «رأيت أسدا»، تريد رجلا شبيها بالأسد، لم يشتبه عليك الأمر فى حاجه الثانى إلى الأوّل.

إذ لا يتصوّر أن يقع الأسد للرجل على هذا المعنى الذى أردته على التشبيه على حدّ المبالغه، و إيهام أنّ معنى من الأسد حصل فيه إلا بعد أن تجعل كونه اسما للسبع إزاء عينيك. فهذا إسناد تعلمه ضروره، و لو حاولت دفعه عن وهمك حاولت محالا.

فمتى عقل فرع من غير أصل، و مشبّه من غير مشبّه به؟ و كلّ ما طريقه التشبيه فهذا سبيله أعنى: كل اسم جرى على الشى ء للاستعاره، فالاستناد فيه قائم ضروره.

و أما ما عدا

ذلـك، فلا يقوى استناده هـذه القوه، حتى لو حاول محاول أن ينكره أمكنه فى ظاهر الحال، و لم يلزمه به خروج إلى المحال، و ذلك كاليد للنعمه: لو تكلّف متكلّف فزعم أنه وضع مستأنف أو فى حكم لغه مفرده، لم يمكن دفعه إلّا برفق و باعتبار خفىّ، و هو ما قدّمت من أنّا رأيناهم لا يوقعون هذه اللفظه على ما ليس بينه و بين هذه الجارحه التباس و اختصاص.

و دليـل آخر، و هو أن «اليـد» لاـ تكاد تقع للنعمه إلا و فى الكلام إشاره إلى مصـدر تلك النعمه، و إلى المولى. لها، و لا تصلح حيث تراد النعمه مجرّده من إضافه لها إلى المنعم أو تلويح به.

بيـان ذلك: أنك تقول: «اتسعت النعمه فى البلـد»، و لا تقول: «اتّسعت اليـد فى البلـد»، و تقول: «أقتنى نعمه»، و لا تقول: «اقتنى يـدا»، و أمثال ذلك تكثر إذا تأمّلت و إنما يقال: «جلّت يده عندى»، و «كثرت أياديه لدىّ»، فتعلم أن الأصل صـنائع يده و فوائده الصادره عن يده و آثار يده. و محال أن تكون «اليد» اسما للنعمه هكذا على الإطلاق، ثم لا تقع موقع النعمه. لو جاز ذلك، لجاز أن يكون المترجم للنعمه بـاسم لهـا فى لغه أخرى، واضـعا اسـمها من تلـك اللغه فى مواضع لاـ تقع النعمه فيها من لغه العرب، و ذلك محال.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۵۰

و نظير هذا قولهم فى صفه راعى الإبل: «إنّ له عليه إصبعا»، أى: أثرا حسنا، و أنشدوا «۱»: [من الطويل]

ضعيف العصا، بادى العروق، ترى له عليها إذا ما أجدب الناس إصبعا

و أنشد شيخنا رحمه اللّه مع هذا البيت قول الآخر: [من الرجز] صلب العصا بالضّرب قد دمّاها أى: جعلها كالدّمى فى الحسن. و كأن قوله: «صلب العصا»، و إن كان ضدّ قول الآخر: «ضعيف العصا»، فإنهما يرجعان إلى غرض واحد، و هو حسن الرّعيه، و العمل بما يصلحها و يحسن أثره عليها. فأراد الأول بجعله «ضعيف العصا» أنه رفيق بها مشفق عليها، لا يقصد من حمل العصا أن يوجعها بالضرب من غير فائده، فهو يتخيّر ما لان من العصىّ، و أراد الثانى أنه جيّد الضّبط لها عارف بسياستها فى الرّعى، و يزجرها عن المراعى التى لا تحمد، و يتوخّى بها ما تسمن عليه، و يتضمّن أيضا أنه يمنعها عن التشرّد و التبدّد و أنها، لما عرفت من شدّه شكيمته و قوه عزيمته، و تنساق و تستوسق فى الجهه التى يريدها، من غير أن يجدّد لها فى كل حال ضربا.

و قال آخر: [من الرجز] صلب العصا جاف عن التّغزّل فهذا لم يبيّن ما بيّنه الآخر و أعود إلى الغرض فأنت الآن لا تشكّ أن «الإصبع» مشار بها إلى إصبع اليد، و أن وقوعها بمعنى الأثر الحسن، ليس على أنه وضع مستأنف فى إحدى اللغتين. أ لا تراهم لا يقولون:

«رأيت أصابع الدار»، بمعنى: آثار الدار، و «له إصبع حسنه»، و «إصبع قبيحه»، على معنى: أثر حسن و أثر قبيح و نحو ذلك، و إنّما أرادوا أن يقولوا: «له عليها أثر حذق»،

---

(١) البيت للراعى

النميرى فى ديوانه ص ۱۶۲، و الإيضاح ص ۲۹۰ بتحقيق د. عبد الحميد هنداوى.

من قصيده مطلعها:

بنى وابش إنا هوينا جواركم و ما جمعتنا نيّه قبلها معا

و أجدب الناس: أى أصيبوا بالقحط، و البيت فى المدح و جعل «ضعيف العصا» كنايه عن حسن الرعيه و غايه الشفقه فالسائس المشفق يختار العصا اللينه و أراد بالإصبع الأثر الناتج من حسن الرعيه من التسمين و التوليد. انظر اللسان (صلب)، (صبع)، (عصا)، و تاج العروس (صلب)، (صبع)، (عصا).

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۵۱

فدلّوا عليه بالإصبع، لأن الأعمال الدقيقه له اختصاص بالأصابع، و ما من حذق فى عمل يد إلا و هو مستفاد من حسن تصريف الأصابع، و اللّطف فى رفعها و وضعها، كما تعلم فى الخطّ و النقش و كلّ عمل دقيق. و على ذلك قالوا فى تفسير قوله عزّ و جلّ: بَلى قادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ [القيامه: ۴]، أى: نجعلها كخفّ البعير فلا تتمكّن من الأعمال اللّطيفه.

فكما علمت ملاحظه «الإصبع» لأصلها، و امتناع أن تكون مستأنفه بأنك رأيتها لا يصحّ استعمالها حيث يراد الأثر على الإطلاق، و لا يقصد الإشاره إلى حذق فى الصنعه، و أن يجعل أثر الإصبع إصبعا كذلك ينبغى أن تعلم ذلك فى «اليد» لقيام هذه العلّه فيها، أعنى: إن لم يجعل أثر اليد يدا، لم تقع للنعمه مجرّده من هذه الإشارات، و حيث لا يتصوّر

ذلك كقولنا: «أقتنى نعمه»، فاعرفه.

و يشبه هذا فى أن عبّر عن أثر اليد و الإصبع باسمهما، وضعهم الخاتم موضع الختم كقولهم: «عليه خاتم الملك»، و «عليه طابع من الكرم»، و المحصول أثر الخاتم و الطابع، قال «۱»: [من الطويل]

و قلن حرام قد أخلّ بربّنا و تترك أموال عليها الخواتم

و كذا قول الآخر «۲»: [من الوافر]

إذا قضّت خواتمها و فكّت يقال لها دم الودج الذبيح

و أما تقدير الشيخ أبى علىّ فى هذين البيتين حذف المضاف، و تأويله على معنى: «و تترك أموال عليها نقش الخواتم»، و «إذا فضّ ختم خواتمها»، فبيان لما يقتضيه الكلام من أصله، دون أن يكون الأمر على خلاف ما ذكرت من جعل أثر الخاتم خاتما. و أنت إذا نظرت إلى الشعر من جهته الخاصّه به، و ذقته بالحاسّه المهيّأه لمعرفه طعمه، لم تشكّ فى أن الأمر على ما أشرت لك إليه و يدلّ على أن المضاف قد

---

(۱) البيت للأعشى فى ديوانه ص ۱۲۹، و سر صناعه الإعراب ۲/ ۵۸۱، و بلا نسبه فى الخصائص ۲/ ۴۹۰، و سر صناعه الإعراب ۲/ ۶۶۶، ۷۶۹، و شرح المفصل ۱۰/ ۲۹، و جاء البيت فى المعجم المفصل للشواهد بلفظ «يقلن» بدل «فقلن». و قال الشيخ شاكر معلقا عليه: و فى المخطوطه و المطبوعتين: «قد أحل بربنا» بالحاء المهمله، و هو خطأ: يقال: «خلّ الرّجل، و أخلّ به» إذا

افتقر و ذهب ماله و احتاج اه.

(٢) البيت لأبى ذؤيب الهذلى فى شرح أشعار الهذليين ص ١٧٢، و لسان العرب (ذبح)، و تاج العروس (ذبح). و البيت قاله فى وصف الخمر حين يفضّ عنها دنّها، و أراد بالمذبوح عنه المشقوق و الأصل فى الذبح: الشقّ، و قيل ذبيح: وصف للدماء.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٢٥٢

وقع فى المنسأه، و صار كالشّريعه المنسوخه، تأنيث الفعل فى قوله «إذا فضّت خواتمها»، و لو كان حكمه باقيا لذكّرت الفعل كما تذكّره مع الإظهار، و لاستقصاء هذا موضع آخر.

و ينظر إلى هذا المكان قولهم: «ضربته سوطا»، لأنهم عبّروا عن الضربه التى هى واقعه بالسّوط باسمه، و جعلوا أثر السّوط سوطا. و تعلم على ذلك أن تفسيرهم له بقولهم: إن المعنى: «ضربته ضربه بسوط»، بيان لما كان عليه الكلام فى أصله، و أنّ ذلك قد نسى و نسخ، و جعل كأن لم يكن، فاعرفه.

و أمّا إذا أريد باليد القدره، فهى إذن أحنّ إلى موضعها الذى بدئت منه، و أصبّ بأصلها، لأنك لا تكاد تجدها تراد معها القدره، إلا و الكلام مثل صريح، و معنى القدره منتزع من «اليد» مع غيرها، أو هناك تلويح بالمثل.

فمن الصريح قولهم: «فلان طويل اليد»، يراد: فضل القدره، فأنت لو وضعت القدره هاهنا فى موضع اليد أحلت، كما أنك لو حاولت فى قول النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و قد قالت له نساؤه صلّى اللّه عليه و سلّم: «أيّتنا أسرع لحاقا بك يا رسول اللّه»؟ فقال: «أطولكنّ يدا»، يريد

السخاء و الجود و بسط اليد بالبذل أن تضع موضع «اليد» شيئا مما أريد بهذا الكلام، خرجت من المعقول. و ذلك أن الشّبه مأخوذ من مجموع الطويل و اليد مضافا ذاك إلى هذه، فطلبه من «اليد» وحدها طلب الشى ء على غير وجهه.

و من الظاهر فى كون الشبه مأخوذا ما بين «اليد»، و غيرها قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ [الحجرات: ١]، المعنى: على أنهم أمروا باتّباع الأمر، فلما كان المتقدّم بين يدى الرّجل خارجا عن صفه المتابع له، ضرب جمله هذا الكلام مثلا للاتباع فى الأمر، فصار النّهى عن التقدّم متعلّقا باليد نهيا عن ترك الاتباع. فهذا مما لا يخفى على ذى عقل أنه لا تكون فيه «اليد» بانفرادها عباره عن شى ء، كما قد يتوهّم أنها عباره عن النعمه و متناوله لها، كالوضع المستأنف، حتى كأن لم تكن قطّ اسم جارحه.

و هكذا قول النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: «المؤمنون تتكافأ دماؤهم، و يسعى بذمّتهم أدناهم، و هم يد على من سواهم»، المعنى: و إن كان على قولك: «و هم عون على من سواهم»، فلا تقول: إن «اليد» بمعنى: العون حقيقه، بل المعنى: أن مثلهم مع كثرتهم فى وجوب الاتّفاق بينهم، مثل اليد الواحده فكما لا يتصوّر أن يخذل بعض أجزاء اليد بعضا، و أن تختلف بها الجهه فى التصرف، كذلك سبيل المؤمنين فى

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٢٥٣

تعاضدهم على المشركين، لأن كلمه التوحيد جامعه لهم، فلذلك كانوا كنفس واحده. فهذا كله

مما يعترف لك كل أحد فيه، بأنّ «اليد» على انفرادها لا تقع على شى ء، فيتوهّم لها نقل من معنى إلى معنى على حدّ وضع الاسم و استئنافه.

فأمّا ما تكون «اليد» فيه للقدره على سبيل التلويح بالمثل دون التصريح، حتى ترى كثيرا من الناس يطلق القول: إنها بمعنى القدره و يجريها مجرى اللفظ يقع لمعنيين، فكقوله تعالى: وَ السَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ [الزمر: ۶۷]، تراهم يطلقون «اليمين» بمعنى: القدره، و يصلون إليه قول الشمّاخ «۱»: [من الوافر]

إذا ما رايه رفعت لمجد تلقّاها عرابه باليمين

كما فعل أبو العباس فى الكامل، فإنه أنشد البيت ثم قال: «قال أصحاب المعانى: معناه: بالقوه»، و قالوا مثل ذلك فى قوله تعالى: وَ السَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ.

و هذا منهم تفسير على الجمله، و قصد إلى نفى الجارحه بسرعه، خوفا على السامع من خطرات تقع للجهّال و أهل التشبيه جلّ اللّه و تعالى عن شبه المخلوقين و لم يقصدوا إلى بيان الطريقه و الجهه التى منها يحصل على القدره و القوه. و إذا تأمّلت علمت أنه على طريقه المثل.

و كما أنّا نعلم فى صدر هذه الآيه و هو قوله عز و جل: وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَهِ [الزمر: ۶۷]، أن محصول المعنى على القدره، ثم لا نستجيز أن نجعل القبضه اسما للقدره، بل نصير إلى القدره من طريق التأويل و المثل، فنقول: إنّ المعنى و اللّه أعلم أن مثل الأرض فى تصرّفها تحت أمر اللّه و قدرته، و أنه لا يشذّ شى ء مما فيها من سلطانه عزّ و جلّ، مثل الشى ء

يكون فى قبضه الآخذ له منّا و الجامع يده عليه.

كـذلك حقّنـا أن نسـلك بقوله تعالى: مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ هـذا المسـلك، فكأنّ المعنى- و اللّه أعلم- أنه عزّ و جلّ يخلق فيها صـفه الطيّ حتى ترى كالكتاب المطويّ بيمين الواحد منكم، و خصّ «اليمين» لتكون أعلى و أفخم للمثل.

---

(١) البيت للشماخ و هو ابن ضرار الغطفانى، و البيت من ديوانه ص ٣٣٦، و الإيضاح ٢٠١، ٢٧۴ بتحقيق د. عبد الحميد هنداوى، و الكامل بتحقيقنا ١/ ١٨۶، و لسـان العرب (عرب)، (يمن)، و تهـذيب اللغه ٨/ ٢٢١، ۵/ ۵٢٣، و جمهره اللغه ٣١٩، ٩٩۴، و تاج العروس (عرب)، و مقاييس اللغه ۶/ ١۵٨، و قد أورده ابن جنى فى الخصائص فى الجزء الثالث بلا نسـبه. و عرابه: اسم رجل من الأنصار من الأوس.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٢۵۴

و إذا كنت تقول: «الأمر كلّه للّه»، فتعلم أنه على سبيل أن لا سـلطان لأحـد دونه و لا اسـتبداد و كـذلك إذا قلت للمخلوق: «الأمر بيدك»، أردت المثل، و أنّ الأمر كالشى ء يحصل فى يده من حيث لا يمتنع عليه.

فما معنى التوقّف فى أن «اليمين» مثل، و ليست باسم للقـدره، و كاللغه المسـتأنفه؟ و من أين يتصوّر ذلك و أنت لا تراها تصـلح حيث لا- وجه للمثـل و التشبيه؟ فلا- يقـال: «هو عظيم اليمين»، بمعنى عظيم القـدره، و «قـد عرفت يمينك على هـذا»، كما تقول: «عرفت قدرتك».

و هكذا شأن البيت، إذا أحسنت النّظر وجدته إذا لم تأخذه من طريق المثل، و لم تأخذ مجموع

المعنى من مجموع التلقّى و اليمين على حدّ قولهم: «تقبّلته بكلتا اليدين»، و كقوله «١»: [من الطويل]

و لكن باليدين ضمانتى و ملّ بفلج فالقنافذ عوّدى

و قبل هذا البيت «٢»: [من الطويل]

لعمرك ما ملّت ثواء ثويّها دليجه، إذ ألقى مراسى مقعد

و هو يشكوك إلى طبع الشعر، و رأيت المعنى يتألّم و يتظلّم.

و إن أردت أن تختبر ذلك فقل:

إذا ما رايه رفعت لمجد تلقّاها عرابه باليمين «٣»

---

(١) البيت لأوس بن حجر فى ديوانه يمدح فيهما حليمه بنت فضاله بن كلده و يذكر فضلها و ذلك حين صرعته ناقته. الأغانى ١١/ ٧٦. و يروى الشطر الثانى منه بلفظ:

و حلّ بشرج م القبائل عوّدى و الضمانه: مرض يصيب الجسد من كبر أو بلاء أو نحوهما. و الفلج و القنافذ: موضعان فالفلج موضع بين البصره و ضريّه، و قيل: هو واد بطريق البصره إلى مكه، و القنافذ: أرض فيها صعود و هبوط، و قيل: أجبل رمل. و عوّدى: جمع عائد، و هو الذى يعود المريض و أضيفت إلى ياء المتكلم.

(٢) البيت لأوس بن حجر فى ديوانه و هو يسبق البيت السابق فى الترتيب، و هو فى الأغانى أيضا ١١/ ٧٦. و الثواء: الإقامه و الثوىّ: المقيم و هو الضيف. «و ألقى

مراسى مقعد» يريد أقام عندها لا يستطيع الحركه، و المقعد: الذى أقعده المرض أو غيره. و يروى البيت «حليمه» بدل «دليجه».

انظر السابق.

(٣) سبق تخريجه، و يروى «تناولها عرابه باقتدار» بدل «باليمين».

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٢٥٥

ثم انظر، هل تجد؟ ما كنت تجد، إن كنت ممّن يعرف طعم الشعر، و يفرّق بين التّفه الذى لا يكون له طعم و بين الحلو اللذيذ؟

و ممّا يبيّن ذلك من جهه العباره: أنّ الشعر كما تعلم لمدح الرّجل بالجود و السخاء، لأنه سأل الشمّاخ عمّا أقدمه؟ فقال: «جئت لأمتار»، فأوقر رواحله تمرا و أتحفه بغير ذلك. و إذا كان كذلك، كان المجد الذى تطاول له و مدّ إليه يده، من المجد الذى أراده أبو تمام بقوله «١»: [من الوافر]

توجّع أن رأت جسمى نحيفا كأنّ المجد يدرك بالصّراع

و لو كان فى ذكر البأس و البطش و حيث تراد القوه و الشده، لكان حمل اليمين على صريح القوّه أشبه، و بأن يقع منه فى القلب معنى يتماسك أجدر. فإن قال: أراد تلقّاها بجدّ و قوّه رغبه، قيل فينبغى أن يضع اليمين فى مثل هذه المواضع. و من التزم ذلك فالسكوت عنه أحسن. و ما زال الناس يقولون للرجل إذا أرادوا حثّه على الأمر، و أن يأخذ فيه بالجدّ: «أخرج يدك اليمنى!» و ذاك أنها أشرف اليدين و أقواهما، و التى لا غناء

للأخرى دونها، فلا عنى إنسان بشى ء إلا بدأ بيمينه فهيّأها لنيله. و متى ما قصدوا جعل الشى ء فى جهه العنايه، جعلوه فى اليد اليمنى، و على ذلك قول البحترى «٢»: [من الوافر]

و إنّ يدى، و قد أسندت أمرى إليه اليوم، فى يدك اليمين

«إليه»، يعنى إلى يونس بن بغا، و كان حظيّا عند الممدوح، و هو المعتز باللّه.

و لو أن قائلا قال:

إذا ما رايه رفعت لمجد و مكرمه مددت لها اليمينا

لم تره عادلا باليمين عن الموضع الذى وضعها الشمّاخ فيه.

و لو أن هذا التأويل منهم كان فى قول سليمان بن قتّه العدوىّ «٣»: [من الوافر]

بنى تيم بن مرّه إنّ ربّى كفانى أمركم و كفاكمونى

---

(١) البيت لأبى تمام فى ديوانه ص ١٨١، من قصيده قالها يمدح مهدى بن أصرم مطلعها:

خذى عبرات عينك عن زماعى و صونى ما أذلت من القناع

و الزماع: الاعتزام، كانت نساء العرب إذا أيقن بالفراق كشفن رءوسهن و أبدين محاسنهن و بكين ليدعون بذلك إلى ترك الرحيل.

(٢) البيت فى ديوانه فانظره.

(٣) الأبيات لسليمان بن قته العدوى، و هو مولى تيم قريش. تيم

بن مره بن كعب بن لؤى. و الفرس:

مصدر فرس الأسد فريسته الكسر، قال ابن الأعرابى: الفرس أن تدقّ الرقبه قبل أن تذبح الشاه و افترس الدّابه: أخذه فدقّ عنقه. اللسان (فرس). الضّغن: الحقد، و الضّغين: الرجل إذا وغر صدره و دوى،

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۵۶

فحيّوا ما بدا لكم، فإنّى شديد الفرس للضغن الحرون

يعانى فقدكم أسد مدلّ شديد الأسر يضبث باليمين

لكانوا أعـذر فيه، لأن المدح مدح بالقوه و الشده. و على ذلك فإنّ اعتبار الأصل الذى قدّمت، و هو أنك لا ترى «اليمين» حيث لا معنى لليد، يقف بنا على الظاهر، كأنه قال: إذا ضبث ضبث باليمين.

و مما يبيّن موضع بيت الشمّاخ، إذا اعتبرت به، قول الخنساء «۱»: [من المتقارب]

إذا القوم مدّوا بأيديهم إلى المجد مدّ إليه يدا

فنال الذى فوق أيديهم من المجد، ثم مضى مصعدا

إذا رجعت إلى نفسک، لم تجد فرقا بين أن

يمدّ إلى المجد يدا، و بين أن يتلقّى رايته باليمين. و هذا إن أردت الحقّ أبين من أن تحتاج فيه إلى فضل قول. إلّا أنّ هذا الضرب من الغلط، كالداء الدّوىّ، حقّه أن يستقصى فى الكىّ عليه و العلاج منه، فجنايته على معانى ما شرف من الكلام عظيمه، و هو مادّه للمتكلفين فى التأويلات البعيده و الأقوال الشّنيعه.

و مثل من توقّف فى التفات هذه الأسامى إلى معانيها الأوّل، و ظنّ أنها مقطوعه عنها قطعا يرفع الصله بينها و بين ما جازت إليه، مثل من إذا نظر فى قوله تعالى: إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرىٰ لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ [ق: ٣٧]، فرأى المعنى على الفهم و العقل ١ أخذه ساذجا و قبله غفلا، و قال: «القلب، هاهنا بمعنى: العقل» و ترك أن يأخذه من جهته، و يدخل إلى المعنى من طريق المثل فيقول: «إنّه حين لم ينتفع بقلبه، و لم يفهم بعد أن كان القلب للفهم، جعل كأنه قد عدم القلب جمله و خلع من صدره خلعا، كما جعل الذى لا يعى الحكمه و لا يعمل الفكر فيما تدركه عينه و تسمعه

و امرأه ذات ضغن على زوجها إذا أبغضته و تضاغن القوم: انطووا على الأحقاد. اللسان (ضغن).

و الحرون: الصعب الذى لا ينقاد. و فرس حرون من خيل حرن: لا ينقاد إذا اشتد به الجرى. المدلّ:

الجرى ء، يقال: هى تدلّ عليه أى تجترئ عليه، يقال: ما دلّك علىّ؟ أى: ما جرّاك علىّ؟ و دلّ علىّ قومى أى: جرّأهم. اللسان (دلل). و الأسر: السجن و الحبس و القوه و أسرت الرجل أسرا فهو أسير و مأسور أى: محبوس، و الإسار: الرباط. اللسان (أسر). و الضبث: قبضك بكفّك على الشى ء.

(١)

البيتان من المتقارب للخنساء فی دیوانها ص ۳۵، ۳۶، و فی الكامل بتحقيق د. عبد الحمید هنداوی ۳/ ۲۴۵.

أسرار البلاغه فی علم البیان، ص: ۲۵۷

أذنه، كأنه عادم للسمع و البصر، و داخل فی العمی و الصمم» و يذهب عن أنّ الرجل إذا قال: «قد غاب عنی قلبی»، و «ليس يحضرنی قلبی» فإنه يريد أن يخيّل إلى السامع أنه قد فقد قلبه، دون أن يقول: «غاب عنی علمی و عزب عقلی»، و إن كان المرجع عند التحصيل إلى ذلك، كما أنه إذا قال: «لم أكن هاهنا»، يريد شدّه غفلته عن الشی ء، فهو يضع كلامه على تخييل أنه كان غاب هكذا بجملته و بذاته، دون أن يريد الإخبار بأنّ علمه لم يكن هناك.

و غرضی بهذا أن أعلمک أنّ من عدل عن الطريقه فی الخفیّ، أفضى به الأمر إلى أن ينكر الجلیّ، و صار من دقيق الخطأ إلى الجليل، و من بعض الانحرافات إلى ترک السبيل. و الذی جلب التّخليط و الخبط الذی تراه فی هذا الفنّ، أنّ الفرق بين أن يكون التشبيه مأخوذا من الشی ء وحده، و بين أن يؤخذ ما بين شيئين، و ينتزع من مجموع كلام، هو كما عرّفتک فی الفرق بين الاستعاره و التمثيل باب من القول تدخل فيه الشّبهه على الإنسان من حيث لا يعلم، و هو «۱» من السّهل الممتنع، يريک أن قد انقاد و به إباء، و يوهمک أن قد أثّرت فيه رياضتک و به بقيّه شماس.

و من خاصّيته أنک لا تفرق فيه بين الموافق و

المخالف، و المعترف به و المنكر له، فإنك ترى الرجل يوافقك فى الشى ء منه، و يقرّ بأنه مثل، حتى إذا صار إلى نظير له خلّط: إمّا فى أصل المعنى، و إما فى العباره.

فالتخليط فى المعنى كما مضى، من تأوّل اليمين على القوه. و كذكرهم أن القلب فى الآيه بمعنى العقل، ثم عدّهم ذلك وجها ثانيا.

و التخليط فى العباره، كنحو ما ذكره بعضهم فى قوله «٢»: [من المتقارب]

هوّن عليك فإنّ الأمور بكفّ الإله مقاديرها

فإنه استشهد به فى تأويل خبر جاء فى عظم الثواب على الزكاه إذا كانت من

---

(١) أى: الفرق بين أن يكون التشبيه مأخوذا من الشى ء الواحد أو ما بين شيئين. (رشيد).

(٢) البيت للأعور الشنّى فى الدرر ٤/ ١٣٩، و فى الإيضاح ص ٢٧٥ بتحقيق د. عبد الحميد هنداوى، و شرح أبيات سيبويه ١/ ٣٣٨، و شرح شواهد المغنى ١/ ٤٢٧، ٢/ ٨٧٤، و الكتاب ١/ ٦٤، و لبشر بن أبى خازم فى العقد الفريد ٣/ ٢٠٧، و نسبها فى كتاب العمده إلى عمر بن الخطاب، و نقل البغدادى عن البيهقى فى الأسماء و الصفات بإسناده أن عمر كان يكثر إنشادهما دون نسبه و قال البغدادى فى شرح شواهد المغنى: رأيتهما فى ديوان أمير المؤمنين على بن أبى طالب، و قال الشيخ شاكر: الصواب هو الأول يقصد للأعور الشنّى.

ثم قـال: «الكفّ هاهنا بمعنى: السـلطان و الملك و القـدره، قال: و قيل الكف هاهنا بمعنى: النعمه». و الخبر هو ما رواه أبو هريره عن النبى صـلّى اللّه عليه و سـلّم: «إنّ أحـدكم إذا تصـدّق بالتمره من الطّيّب- و لا يقبل اللّه إلّا الطيب- جعل اللّه ذلك فى كفّه، فيربّيها كما يربّى أحدكم فلوّه «١» حتى يبلغ بالتمره مثل أحد»، ما يظنّ بمن نظر فى العربيه يوما أن يتوهّم أن «الكفّ» يكون على هـذا الإطلاق، و على الانفراد، بمعنى السلطان و القـدره و النعمه، و لكنه أراد المثـل فأساء العباره، إلّا أنّ من سوء العباره ما أثر التقصير فيه أظهر، و ضرره على الكلام أبين.

و استقصاء هذا الباب لا يتمّ حتى يفرد بكلام، و الوجه الرجوع إلى الغرض.

و يجب أن تعلم قبل ذلك أنّ خلاف من خالف فى «اليد» و «اليمين»، و سائر ما هو مجاز لا من طريق التشبيه الصريح أو التمثيل، لا يقـدح فيما قـدّمت من حـدّث الحقيقه و المجاز، لأنه لا يخرج فى خلافه عن واحـد من الاعتبارين، فمتى جعل «اليمين» على انفرادها تفيد القوه، فقد جعلها حقيقه، و أغناها عن أن تستند فى دلالتها إلى شى ء و إن اعترف بضرب من الحاجه إلى الجارحه و النظر إليها، فقد وافق فى أنها مجاز. و كذا القياس فى الباب كله، فاعرفه.

فصل «فى المجاز العقلى و المجاز اللغوى و الفرق بينهما»

فصل «فى المجاز العقلى و المجاز اللغوى و الفرق بينهما»

و الـذى ينبغى أن يذكر الآن: حدّ الجمله فى الحقيقه و المجاز، إلّا أنك تحتاج أن تعرف فى صدر القول عليها و مقدّمته أصـلا، و هو المعنى الذى من أجله اختصّت الفائده بالجمله، و لم يجز حصولها بالكلمه الواحده، كالاسم الواحد، و الفعل

من غير اسم يضمّ إليه. و العلّه فى ذلک أن مدار الفائده فى الحقيقه على الإثبات و النفى، أ لا ترى أن «الخبر» أوّل معانى الكلام و أقدمها، و الذى تستند سائر المعانى إليه و تترتّب عليه؟ و هو ينقسم إلى هذين الحكمين. و إذا ثبت ذلک، فإن الإثبات يقتضى مثبتا و مثبتا له، نحو أنک إذا قلت «ضرب زيد» أو «زيد ضارب»، فقد أثبتّ الضرب فعلا أو وصفا لزيد و كذلک النفى يقتضى منفيّا و منفيّا عنه، فإذا قلت: «ما ضرب زيد» و «ما زيد ضارب»، فقد نفيت الضرب عن زيد و أخرجته عن أن يكون فعلا له. فلما

---

(۱) الفلوّ و الفلوّ: المهر الصغير أو الجحش إذا فطما، و جمعه: أفلاء.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۵۹

كان الأمر كذلک احتيج إلى شيئين يتعلّق الإثبات و النفى بهما، فيكون أحدهما مثبتا و الآخر مثبتا له و كذلک يكون أحدهما منفيّا و الآخر منفيّا عنه. فكان ذانک الشيئان:

المبتدأ و الخبر، و الفعل و الفاعل. و قيل للمثبت و للمنفى «مسند» و «حديث»، و للمثبت له و المنفىّ عنه «مسند إليه» و «محدّث عنه». و إذا رمت الفائده أن تحصل لک من الاسم الواحد أو الفعل وحده، صرت كأنّک تطلب أن يكون الشى ء الواحد مثبتا و مثبتا له، و منفيّا و منفيّا عنه، و ذلک محال.

فقد حصل من هذا أنّ لكل واحد من حكمى الإثبات و النفى حاجه إلى أن تقيّده مرّتين، و تعلّقه بشيئين.

تفسير ذلک: أنک إذا قلت: «ضرب زيد»،

فقد قصدت إثبات الضرب لزيد.

فقولك: «إثبات الضرب»، تقييد للإثبات بإضافته إلى الضرب ثم لا يكفيك هذا التقييد حتى تقيّده مرّه أخرى فتقول: «إثبات الضرب لزيد»، فقولك: «لزيد»، تقييد ثان و فى حكم إضافه ثانيه. و كما لا يتصوّر أن يكون هاهنا إثبات مطلق غير مقيّد بوجه أعنى أن يكون إثبات و لا ـ مثبت له و لا ـ شى ء يقصد بذلك الإثبات إليه، لا ـ صفه و لا ـ حكم و لا ـ موهوم بوجه من الوجوه كذلك لا يتصوّر أن يكون هاهنا إثبات مقيّد تقييدا واحدا، نحو إثبات شى ء فقط، دون أن تقول: «إثبات شى ء لشى ء»، كما مضى من إثبات الضرب لزيد. و النفى بهذه المنزله، فلا يتصوّر نفى مطلق، و لا نفى شى ء فقط، بل تحتاج إلى قيدين كقولك: «نفى شى ء عن شى ء».

فهذه هى القضيه المبرمه الثابته التى تزول الرّاسيات و لا تزول. و لا تنظر إلى قولهم: «فلان يثبت كذا»، أى: يدّعى أنه موجود، و «ينفى كذا»، أى: يقضى بعدمه كقولنا: «أبو الحسن يثبت مثال جخدب بفتح الدال، و صاحب الكتاب ينفيه»، لأنّ الذى قصدته هو الإثبات و النفى فى الكلام.

ثم اعلم أن فى الإثبات و النفى بعد هذين التقييدين حكما آخر: هو كتقييد ثالث، و ذلك أنّ للإثبات جهه، و كذلك النفى. و معنى ذلك: أنك تثبت الشى ء للشى ء مرّه من جهه، و أخرى من جهه غير تلك الأولى.

و تفسيره: أنّك تقول: «ضرب زيد»، فتثبت الضرب فعلا لزيد و تقول «مرض زيد» فتثبت المرض وصفا له، و هكذا سائر ما كان من أفعال الغرائز و الطباع، و ذلك فى الجمله على ما لا يوصف الإنسان بالقدره عليه، نحو: كرم و ظرف و حسن و قبح و

طال و قصر. و قد يتصوّر فى الشى ء الواحد أن تثبته من الجهتين جميعا، و ذلك فى

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۶۰

كل فعل دلّ على معنى يفعله الإنسان فى نفسه نحو: «قام» و «قعد». إذا قلت: «قام زيد»، فقد أثبتّ القيام فعلا له من حيث تقول: «فعل القيام» و «أمرته بأن يفعل القيام»، و أثبتّه أيضا وصفا له من حيث أن تلك الهيئه موجوده فيه، و هو فى اكتسابه لها كالشخص المنتصب، و الشجره القائمه على ساقها التى توصف بالقيام، لا- من حيث كانت فاعله له، بل من حيث كان وصفا موجودا فيها.

و إذ قد عرفت هذا الأصل، فها هنا أصل آخر يدخل فى غرضنا: و هو أن الأفعال على ضربين: «متعدّ» و «غير متعدّ»، فالمتعدّى على ضربين:

ضرب يتعدّى إلى شى ء هو مفعول به، كقولك: «ضربت زيدا»، «زيدا» مفعول به، لأنك فعلت به الضرب و لم يفعله بنفسه.

و ضرب يتعدّى إلى شى ء هو مفعول على الإطلاق، و هو فى الحقيقه «كفعل» و كلّ ما كان مثله فى كونه عامّا غير مشتقّ من معنى خاصّ «كصنع، و عمل، و أوجد، و أنشأ». و معنى قولى: «من معنى خاصّ» أنه ليس «كضرب» الذى هو مشتقّ من «الضرب» أو «أعلم» الذى هو مأخوذ من العلم. و هكذا كل ما له مصدر، ذلك المصدر فى حكم جنس من المعانى. فهذا الضّرب «۱» إذا أسند إلى شى ء كان المنصوب له مفعولا لذلك الشى ء على الإطلاق، كقولك: «فعل زيد القيام»، فالقيام مفعول فى نفسه و

ليس بمفعول به.

و أحقّ من ذلك أن تقول: «خلق اللّه الأناسىّ، و أنشأ العالم، و خلق الموت و الحياه»، و المنصوب فى هذا كله مفعول مطلق لا تقييد فيه، إذ من المحال أن يكون معنى: «خلق العالم» «فعل الخلق به»، كما تقول فى «ضربت زيدا» «فعلت الضرب بزيد»، لأن «الخلق» من «خلق» «كالفعل» من «فعل»، فلو جاز أن يكون المخلوق كالمضروب، لجاز أن يكون المفعول فى نفسه كذلك، حتى يكون معنى:

«فعل القيام» «فعل شيئا بالقيام»، و ذلك من شنيع المحال.

و إذ قد عرفت هذا، فاعلم أن الإثبات فى جميع هذا الضرب أعنى فيما منصوبه مفعول، و ليس مفعولا به يتعلق بنفس المفعول. فإذا قلت: «فعل زيد الضرب»، كنت أثبتّ الضرب فعلا لزيد، و كذلك تثبت «العالم» فى قولك: «خلق اللّه العالم»، خلقا للّه تعالى. و لا يصحّ فى شى ء من هذا الباب أن تثبت المفعول وصفا البته، و توهّم ذلك خطأ عظيم و جهل نعوذ باللّه منه.

---

(١) يريد بهذا الضرب نحو فعل و صنع إلخ. (رشيد).

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٢٦١

و أما الضرب الآخر: و هو الذى منصوبه مفعول به، فإنك تثبت فيه المعنى الذى اشتقّ منه فعل فعلا للشى ء، كإثباتك الضرب لنفسك فى قولك: «ضربت زيدا»، فلا يتصوّر أن يلحق الإثبات مفعوله، لأنه إذا كان مفعولا به، و لم يكن فعلا لك، استحال أن تثبته فعلا، و إثباته وصفا أبعد فى الإحاله.

فأما قولنا فى نحو: «ضربت زيدا»، إنك أثبتّ زيدا مضروبا، فإنّ ذلك يرجع إلى أنك

تثبت الضرب واقعا به منک، فأمّا أن تثبت ذات زید لک، فلا یتصوّر، لأن الإثبات کما مضى لا بدّ له من جهه، و لا جهه هاهنا. و هکـذا إذا قلت: «أحیا اللّه زیـدا»، کنت فی هـذا الکلام مثبتا الحیاه فعلا للّه تعالى فی زیـد، فأما ذات زید، فلم تثبتها فعلا للّه بهذا الکلام، و إنمـا یتـأتّى لـک ذلـک بکلام آخر، نحو أن تقول: «خلق اللّه زیـدا» و «و أوجـده» و ما شاکله، مما لا یشـتقّ من معنى خاصّ کالحیاه و الموت و نحوهما من المعانی.

و إذ قـد تقرّرت هـذه المسائل، فینبغی أن تعلم أن من حقک إذا أردت أن تقضـی فی الجمله بمجاز أو حقیقه، أن تنظر إلیها من جهتین:

إحداهما: أن تنظر إلى ما وقع بها من الإثبات، أ هو فی حقه و موضعه، أم قد زال عن الموضع الذی ینبغی أن یکون فیه؟

و الثانیه: أن تنظر إلى المعنى المثبت أعنی: ما وقع علیه الإثبات کالحیاه فی قولک: «أحیا اللّه زیدا»، و الشیب فی قولک: «أشاب اللّه رأسی»، أ ثابت هو على الحقیقه، أم قد عدل به عنها؟

و إذا مثّل لک دخول المجاز على الجمله من الطریقین، عرفت ثباتها على الحقیقه منهما.

فمثال ما دخله المجاز من جهه الإثبات دون المثبت قوله «۱»: [من الطویل]

و شیّب أیّام الفراق مفارقی و أنشزن نفسی فوق حیث تکون

---

(۱) البیت لجمیل فی دیوانه و جاء بروایه لفظها:

و تشیّب روعات الفراق مفارقی

و أنشزن نفسى فوق حيث تكون

و فى الإيضاح ص ۳۱ بتحقيق د. عبد الحميد هنداوى و نسبه البعض لجرير بن عطيه. و المفارق جمع مفرق، و هو مواضع افتراق الشعر، و المعنى: أيام الفراق رفعت نفسه عن مكانها من الجسم و بلغت بها الحلقوم.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۶۲

و قوله «۱»: [من المتقارب]

أشاب الصغير و أفنى الكبى ر كرّ الغداه و مرّ العشى

المجاز واقع فى إثبات الشيب فعلا للأيام و لكرّ الليالى، و هو الذى أزيل عن موضعه الذى ينبغى أن يكون فيه، لأن من حق هذا الإثبات، أعنى إثبات الشّيب فعلا، أن لا يكون إلا مع أسماء اللّه تعالى، فليس يصحّ وجود الشيب فعلا لغير القديم سبحانه. و قد وجّه فى البيتين كما ترى إلى الأيام و كرّ الليالى، و ذلك ما لا يثبت له فعل بوجه، لا الشيب و لا غير الشيب. و أما المثبت فلم يقع فيه مجاز، لأنه الشيب و هو موجود كما ترى.

و هكذا إذا قلت: «سرّنى الخبر» و «سرّنى لقاؤك»، فالمجاز فى الإثبات دون المثبت، لأن المثبت هو «السرور»، و هو حاصل على حقيقته.

و مثال ما دخل المجاز فى مثبته دون إثباته، قوله عز و جل: أَ وَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ [الأنعام: ۱۲۲]، و ذلك

أن المعنى- و اللّه أعلم- على أن جعل العلم و الهدى و الحكمه حياه للقلوب، على حدّ قوله عز و جل: وَ كَذٰلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا [الشورى: ٥٢]، فالمجاز فى المثبت و هو «الحياه»، فأما الإثبات فواقع على حقيقته، لأنه ينصرف إلى أن الهدى و العلم و الحكمه فضل من اللّه و كائن من عنده.

و من الواضح فى ذلك قوله عز و جل: فَأَحْيَيْنا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها [فاطر: ٩]، و قوله: إِنَّ الَّذِي أَحْياها لَمُحْيِ الْمَوْتى [فصلت: ٣٩]، جعل خضره الأرض و نضرتها و بهجتها بما يظهره اللّه تعالى فيها من النّبات و الأنوار و الأزهار و عجائب الصنع، حياه لها، فكان ذلك مجازا فى المثبت، من حيث جعل ما ليس

---

(١) البيت للصلتان العبدى و هو فى الكامل بتحقيق د. عبد الحميد هنداوى ٣/ ٢٥، و البيت جاء ضمن عده أبيات له فى الشعر و الشعراء و منها:

إذا ليله هرّمت يومها أتى بعد ذلك يوم فتى

نروح و نغدو لحاجاتنا و حاجه من عاش لا تنقضى

و هو من الشعر المستحسن له و جاءت الأبيات عنه فى خزانه الأدب ١/ ٣٠٨، و عيون الأخبار ٣/ ١٣٢، و ديوان الحماسه بشرح المرزوقى ٣/ ١٢٠٩، و الحيوان ٣/ ٤٧٧، إلا أن الجاحظ نسبها للصلتان السعدى و الأبيات بلا نسبه فى لسان العرب (هرم).

بحياه حياه على التشبيه، فأما نفس الإثبات فمحض الحقيقه، لأنه إثبات لما ضرب الحياه مثلا له فعلا للّه تعالى، لا حقيقه أحقّ من ذلك.

و قد يتصوّر أن يدخل المجاز الجمله من الطريقين جميعا. و ذلک أن يشبّه معنى بمعنى و صفه بصفه، فيستعار لهذه اسم تلک، ثم تثبت فعلا لما لا يصحّ الفعل منه، أو فعل تلک الصفه، فيکون أيضا فى کل واحد من الإثبات و المثبت مجاز، کقول الرجل لصاحبه: «أحيتنى رؤيتک»، يريد: آنستنى و سرّتنى و نحوه، فقد جعل الأنس و المسرّه الحاصله بالرؤيه حياه أوّلا، ثم جعل الرؤيه فاعله لتلک الحياه.

و شبيه به قول المتنبى «۱»: [من الطويل]

و تحيى له المال الصّوارم و القنا و يقتل ما يحيى التّبسّم و الجدا

جعل الزياده و الوفور حياه فى المال، و تفريقه فى العطاء قتلا، ثم أثبت الحياه فعلا للصوارم، و القتل فعلا للتبسم، مع العلم بأنّ الفعل لا يصحّ منهما. و نوع منه:

«أهلک النّاس الدينار و الدرهم»، جعل الفتنه هلاکا على المجاز، ثم أثبت الهلاک فعلا للدينار و الدرهم، و ليسا مما يفعلان، فاعرفه.

و إذ قد تبيّن لک المنهاج فى الفرق بين دخول المجاز فى الإثبات، و بين دخوله فى المثبت، و بين أن ينتظمهما عرفت الصوره فى الجميع، فاعلم أنه إذا وقع فى الإثبات فهو متلقى من العقل، و إذا عرض فى المثبت فهو

متلقّى من اللغه، فإن طلبت الحجّه على صحه هذه الدّعوى، فإنّ فيما قدّمت من القول ما يبيّنها لک، و يختصر لک الطريق إلى معرفتها.

و ذلک أن الإثبات إذا كان من شرطه أن يقيّد مرّتين كقولک: «إثبات شى ء لشى ء»، و لزم من ذلک أن لا يحصل إلا بالجمله التى هى تأليف بين حديث و محدّث عنه، و مسند و مسند إليه، علمت أن مأخذه العقل، و أنه القاضى فيه دون اللغه، لأن اللغه لم تأت لتحكم بحكم أو لتثبت و تنفى، و تنقض و تبرم. فالحكم بأن الضّرب

---

(١) البيت فى ديوانه ص ١٢۴ من قصيده يمدح بها سيف الدوله و يهنئه بعيد الأضحى، مطلعها:

لكلّ امرئ من دهره ما تعودا و عاده سيف الدوله الطعن فى العدا

انظر البيت فى الإيضاح بتحقيق د. عبد الحميد هنداوى، و شرح التبيان للعكبرى ١/ ١٩۵، و الإشارات و التنبيهات ص ٢۶. و الصوارم: السيوف، و القنا: جمع قناه و هى الرمح، و الجدا: العطاء و الجدا مقصور الجدوى، و الجدا: المطر العام و المعنى الأول هو الأنسب للبيت، و قد ذكره شارح ديوانه، إذ لا محل لكونه بمعنى المطر هنا و يثبته أيضا تعليق الخطيب بعده.

فعل لزيد، أو ليس بفعل له، و أن المرض صفه له، أو ليس بصفه له، شى ء يضعه المتكلم و دعوى يدّعيها. و

مـا يعترض على هـذه الـدعوى من تصـديق أو تكـذيب، أو اعتراف أو إنكار، و تصـحيح أو إفساد، فهو اعتراض على المتكلّم، و ليس اللغه من ذلک بسبيل، و لا منه فى قليل و لا كثير.

و إذا كان كذلک، كان كلّ وصف يستحقّه هذا الحكم من صحه و فساد، و حقيقه و مجاز، و احتمال و استحاله، فالمرجع فيه و الـوجه إلى العقـل المحض و ليس للغه فيه حظّ، فلا تحلى و لا تمرّ، و العربىّ فيه كـالعجمىّ، و العجمىّ كـالتركىّ، لأن قضـايا العقول هى القواعد و الأسس التى يبنى غيرها عليها، و الأصول التى يردّ ما سواها إليها.

فأمـا إذا كـان المجـاز فى المثبت كنحو قوله تعـالى: فَأَحْيَيْنا بِهِ الْأَرْضَ [سوره فاطر: ٩]، فإنمـا كان مأخـذه اللغه، لأجل أنّ طريقه المجاز بأن أجرى اسم الحياه على ما ليس بحياه، تشبيها و تمثيلا، ثم اشتقّ منها- و هى فى هذا التقدير- الفعل الذى هو «أحيا»، و اللغه هى التى اقتضت أن تكون الحياه اسـما للصّفه التى هى ضـدّ الموت، فإذا تجوّز فى الاسم فأجرى على غيرها، فالحـديث مع اللغه، فاعرفه.

إن قال قائل فى أصل الكلام الذى وضعته على أن المجاز يقع تاره فى الإثبات، و تاره فى المثبت، و أنه إذا وقع فى الإثبات فهو طالع عليک من جهه العقل، و باد لک من أفقه و إذا عرض فى المثبت فهو آتيک من ناحيه اللغه:

مـا قولكم إن سوّيت بين المسـألتين، و ادّعيت أن المجاز بينهما جميعا فى المثبت و أنزّل هكـذا فأقول: «الفعل» الـذى هو مصـدر «فعل» قد وضع فى اللغه للتأثير فى وجود الحادث، كما أن الحياه موضوعه للصفه المعلومه، فإذا قيل: «فعل الرّبيع النّور»، جعل

تعلّق النّور فى الوجود بالربيع من طريق السّبب و العاده «فعلا»، كما تجعل خضره الأرض و بهجتها حياه، و العلم فى قلب المؤمن نورا و حياه. و إذا كان كذلك، كان المجاز فى أن جعل ما ليس بفعل فعلا، و أطلق اسم الفعل على غير ما وضع له فى اللغه، كما جعل ما ليس بحياه حياه و أجرى اسمها عليه، فإذا كان ذلك مجازا لغويّا، فينبغى أن يكون هذا كذلك.

فالجواب أنّ الذى يدفع هذه الشبهه، أن تنظر إلى مدخل المجاز فى المسألتين.

فإن كان مدخلهما من جانب واحد، فالأمر كما ظننت، و إن لم يكن كذلك استبان لك الخطأ فى ظنّك.

و الذى بيّن اختلاف دخوله فيهما، أنك تحصل على المجاز فى مسأله «الفعل»

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۶۵

بالإضافه لا بنفس الاسم، فلو قلت: «أثبتّ النّور فعلا» لم تقع فى مجاز، لأنه فعل للّه تعالى، و إنما تصير إلى المجاز إذا قلت: «أثبتّ النّور فعلا للربيع».

و أما فى مسأله «الحياه»، فإنك تحصل على المجاز بإطلاق الاسم فحسب من غير إضافه، و ذلك قولك: «أثبت بهجه الأرض حياه» أو «جعلها حياه»، أ فلا ترى المجاز قد ظهر لك فى «الحياه» من غير أن أضفتها إلى شى ء، أى: من غير أن قلت:

«لكذا»؟

و هكذا إذا عبّرت بالنفس، تقول فى مسأله الفعل: «جعل ما ليس بفعل للربيع فعلا له»، و تقول فى هذه: «جعل ما ليس بحياه حياه» و تسكت، و لا تحتاج أن تقول: «جعل ما ليس بحياه للأرض حياه للأرض»، بل لا

معنى لهذا الكلام، لأن يقتضى أنك أضفت حياه حقيقه إلى الأرض، و جعلتها مثلا تحيا بحياه غيرها، و ذلك بيّن الإحاله.

و من حقّ المسائل الدقيقه أن تتأمّل فيها العبارات التى تجرى بين السائل و المجيب، و تحقّق، فإنّ ذلك يكشف عن الغرض، و يبيّن جهه الغلط. و قولك:

«جعل ما ليس بفعل فعلا» احتذاء لقولنا: «جعل ما ليس بحياه حياه» لا يصحّ- لأن معنى هذه العباره أن يراد بالاسم غير معناه لشبه يدّعى أو شى ء كالشبه، لا أن يعطّل الاسم من الفائده، فيراد بها ما ليس بمعقول.

فنحن إذا تجوّزنا فى «الحياه»، فأردنا بها العلم، فقد أودعنا الاسم معنى، و أردنا به صفه معقوله كالحياه نفسها و لا يمكنك أن تشير فى قولك: «فعل الربيع النّور»، إلى معنى تزعم أن لفظ «الفعل» ينقل عن معناه إليه، فيراد به، حتى يكون ذلك المعنى معقولا منه، كما عقل التأثير فى الوجود، و حتى تقول: «لم أرد به التأثير فى الوجود، و لكن أردت المعنى الفلانىّ الذى هو شبيه به أو كالشبيه، أو ليس بشبيه مثلا، إلا أنه معنى خلف معنى آخر على الاسم، إذ ليس وجود النور بعقب المطر، أو فى زمان دون زمان، مما يعطيك معنى فى المطر أو فى الزمان، فتريده بلفظ «الفعل»، فليس إلا أن تقول: «لما كان النّور لا يوجد إلا بوجود الربيع، توهّم للربيع تأثير فى وجوده، فأثبتّ له ذلك»، و إثبات الحكم أو الوصف لما ليس له قضيّه عقليه، لا تعلّق لها فى صحّه و فساد باللغه، فاعرفه.

و مما يجب ضبطه فى هذا الباب: أن كل حكم يجب فى العقل وجوبا حتى لا

يجوز خلافه، فإضافته إلى دلاله اللّغه و جعله مشروطا فيها محال لأن اللغه تجرى مجرى العلامات و السّمات، و لا معنى للعلامه و السّمه حتى يحتمل الشى ء ما جعلت العلامه دليلا عليه و خلافه، فإنما كانت «ما» مثلا علما للنفس، لأن هاهنا نقيضا له و هو الإثبات. و هكذا إنما كانت «من» لما يعقل، لأن هاهنا ما لا يعقل، فمن ذهب يدّعى أن فى قولنا: «فعل» و «صنع» و نحوه دلاله من جهه اللغه على القادر، فقد أساء من حيث قصد الإحسان، لأنه- و العياذ باللّه- يقتضى جواز أن يكون هاهنا تأثير فى وجود الحادث لغير القادر، حتى يحتاج إلى تضمين اللفظ الدلاله على اختصاصه بالقادر، و ذلك خطأ عظيم.

فالواجب أن يقال: «الفعل» موضوع للتأثير فى وجود الحادث فى اللغه، و العقل قد قضى و بتّ الحكم بأن لا حظّ فى هذا التأثير لغير القادر.

و ما يقوله أهل النظر من أنّ من لم يعلم الحادث موجودا من جهه القادر عليه، فهو لم يعلمه فعلا لا يخالف هذه الجمله، بل لا يصحّ حقّ صحّته إلا مع اعتبارها.

و ذلك أن «الفعل» إذا كان موضوعا للتأثير فى وجود الحادث، و كان العقل قد بيّن بالحجج القاطعه و البراهين الساطعه استحاله أن يكون لغير القادر تأثير فى وجود الحادث، و أن يقع شى ء مما ليس له صفه القادر، فمن ظنّ الشى ء واقعا من غير القادر، فهو لم يعلمه فعلا، لأنه لا يكون مستحقّا هذا الاسم حتى يكون واقعا من غيره. و من نسب وقوعه إلى ما لا يصح

وقوعه منه، و لا يتصوّر أن يكون له تأثير فى وجوده و خروجه من العدم، فلم يعلمه واقعا من شى ء البته. و إذا لم يعلمه واقعا من شى ء، لم يعلمه فعلا، كما أنه إذا لم يعلمه كائنا بعد أن لم يكن، لم يعلمه واقعا و لا حادثا، فاعرفه.

و اعلم أنك إن أردت أن ترى المجاز و قد وقع فى نفس الفعل و الخلق، و لحقهما من حيث هما لا- إثباتهما، و إضافتهما، فالمثال فى ذلك قولهم فى الرجل يشفى على هلكه ثم يتخلّص منها: «هو إنما خلق الآن» و «إنما أنشئ اليوم» و «قد عدم ثم أنشئ نشأه ثانيه»، و ذلك أنك تثبت هاهنا خلقا و إنشاء، من غير أن يعقل ثابتا على الحقيقه، بل على تأويل و تنزيل، و هو أن جعلت حاله إشفائه على الهلكه عدما و فناء و خروجا من الوجود، حتى أنتج هذا التقدير أن يكون خلاصه منها ابتداء وجود و خلقا و إنشاء.

أ فيمكنك أن تقول فى نحو: «فعل الربيع النور» بمثل هذا التأويل، فتزعم أنك

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۶۷

أثبتّ فعلا وقع على النّور من غير أن كان ثمّ فعل، و من غير أن يكون النّور مفعولا؟

أو هو مما يتعوّذ باللّه منه، و تقول: الفعل واقع على النّور حقيقه، و هو مفعول مجهول على الصّحه، إلا أن حقّ الفعل فيه أن يثبت للّه تعالى، و قد تجوّز بإثباته للربيع؟ أ فليس قد بان أن التجوّز هاهنا فى إثبات الفعل للربيع لا فى الفعل

نفسه، فإن التجوّز فى مسأله المتخلّص من الهلكه حيث قلت: «إنه خلق مره ثانيه» فى الفعل نفسه، لا فى إثباته؟ فلك كيف نظرت فرق بين المجاز فى الإثبات، و بينه فى المثبت.

و ينبغى أن تعلم أن قولى: «فى المثبت مجاز»، ليس مرادى أن فيه مجازا من حيث هو مثبت، و لكن المعنى أن المجاز فى نفس الشى ء الذى تناوله الإثبات نحو أنك أثبتّ الحياه صفه للأرض فى قوله تعالى: يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها [سوره الحديد: ١٧]، و المراد غيرها، فكان المجاز فى نفس الحياه لا فى إثباتها هذا، و إذا كان لا يتصوّر إثبات شى ء لا لشى ء، استحال أن يوصف المثبت من حيث هو مثبت بأنه مجاز أو حقيقه.

و مما ينتهى فى البيان إلى الغايه أن يقال للسائل: هبك تغالطنا بأن مصدر «فعل» نقل أوّلا من موضعه فى اللغه، ثم اشتقّ منه، فقل لنا ما نصنع بالأفعال المشتقّه من معان خاصّه، كنسج، و صاغ، و وشّى، و نقش؟ أ تقول إذا قيل «نسج الربيع» و «صاغ الربيع» و «وشّى»: إن المجاز فى مصادر هذه الأفعال التى هى النّسج و الوشى و الصّوغ، أم تعترف أنه فى إثباتها فعلا للربيع؟ و كيف تقول: «إن فى أنفسها مجازا»، و هى موجوده بحقيقتها؟ بل ما ذا يغنى عنك دعوى المجاز فيها، لو أمكنك، و لا يمكنك أن تقتصر عليها فى كون الكلام مجازا- أعنى لا يمكنك أن تقول: «إن الكلام مجاز من حيث لم يكن ائتلاف تلك الأنوار نسجا و وشيا»، و تدع حديث نسبتها إلى الربيع جانبا؟

هذا، و هاهنا مالا وجه لك لدعوى المجاز فى مصدر الفعل منه كقولك:

«سرّنى الخبر»، فإن السرور بحقيقته موجود، و الكلام

مع ذلك مجاز. و إذا كان كذلك، علمت ضروره ليس المجاز إلّا فى إثبات السرور فعلا للخبر، و إيهام أنه أثّر فى حدوثه و حصوله. و يعلم كلّ عاقل أن المجاز لو كان من طريق اللغه، لجعل ما ليس بالسرور سرورا، فأمّا الحكم بأنه فعل للخبر، فلا يجرى فى وهم أنه يكون من اللغه بسبيل، فاعرفه.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۶۸

فإن قال: «النسج فعل معنى، و هو المضامّه بين أشياء، و كذلك الصّوغ فعل الصوره فى الفضّه و نحوها، و إذا كان كذلك، قدّرت أن لفظ الصّوغ مجاز من حيث دلّ على الفعل و التأثير فى الوجود، حقيقه من حيث دلّ على الصّوره، كما قدّرت أنت فى «أحيا اللّه الأرض»، أنّ «أحيا» من حيث دلّ على معنى فعل حقيقه، و من حيث دلّ على الحياه مجاز».

قيل: ليس لك أن تجى ء إلى لفظ أمرين، فتفرّق دلالته و تجعله منقولا عن أصله فى أحدهما دون الآخر. لو جاز هذا لجاز أن تقول فى اللطم الذى هو ضرب باليد، أنه يجعل مجازا من حيث هو ضرب، و حقيقه من حيث هو باليد، و ذلك محال- لأن كون الضرب باليد لا ينفصل عن الضرب، فكذلك كون الفعل فعلا للصوره لا ينفصل عن الصوره. و ليس الأمر كذلك فى قولنا: «أحيا اللّه الأرض»، لأن معنا هنا لفظين: أحدهما مشتقّ و هو «أحيا»- و الآخر: مشتقّ منه و هو «الحياه»، فنحن نقدّر فى المشتقّ أنه نقل عن معناه الأصلى فى اللّغه إلى معنى آخر، ثم

اشتقّ منه «أحيا» بعد هذا التقدير و معه، و هو مثل أنّ لفظ اليد ينقل إلى النعمه، ثم يشتقّ منه «يديت»، فاعرفه.

و مما يجب أن تعلم فى هذا الباب: أن الإضافه فى الاسم كالإسناد فى الفعل.

فكلّ حكم يجب فى إضافه المصدر من حقيقه أو مجاز، فهو واجب فى إسناد الفعل. فانظر الآن إلى قولك: «أعجبنى وشى الربيع الرياض، و صوغه تبرها، و حوكه ديباجها»، هل تعلم لك سبيلا فى هذه الإضافات إلى التعليق باللغه، و أخذ الحكم عليها منها، أم تعلم امتناع ذلك عليك؟

و كيف، و الإضافه لا- تكون حتى تستقرّ اللغه، و يستحيل أن يكون للغه حكم فى الإضافه و رسم، حتى يعلم أنّ حقّ الاسم أن يضاف إلى هذا دون ذلك؟

و إذا عرفت ذلك فى هذه المصادر التى هى «الصوغ» و «الوشى» و «الحوك» فضع مصدر فعل الذى- هو عمدتك فى سؤالك، و أصل شبهتك- موضعها و قل:

«أما ترى إلى فعل الربيع لهذه المحاسن»، ثم تأمّل هل تجد فصلا بين إضافته و إضافه تلك؟ فإذا لم تجد الفصل البته، فاعلم صحه قضيّتنا، و انفض يدك بمسألتك، و دع النّزاع عنك، و إلى اللّه تعالى الرغبه فى التوفيق.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۶۹

فصل

فصل

قال أبو القاسم الآمدى فى قول البحترى «۱»: [من البسيط]

فصاغ ما صاغ من تبر و من ورق و حاك ما حاك من

وشى و ديباج

صوغ الغيث النبت و حوكه النبات، ليس باستعاره بل هو حقيقه، و لذلك لا- يقال: «هو صائغ» و لا «كأنه صائغ» و كذلك لا يقال: «حائك» و «كأنه حائك»، على أن لفظه «حائك» خاصّه فى غايه الركاكه، إذا أخرج على ما أخرجه عليه أبو تمام فى قوله «۲»: [من الطويل]

إذا الغيث غادى نسجه خلت أنّه خلت حقب حرس له و هو حائك

و هذا قبيح جدّا، و الذى قاله البحترى: «و حاك ما حاك»، حسن مستعمل، فانظر ما بين الكلامين لتعلم ما بين الرّجلين.

قد كتبت هذا الفصل على وجهه، و المقصود منه منعه أن تطلق الاستعاره على «الصوغ» و «الحوك»، و قد جعلا فعلا للربيع، و استدلاله على ذلك بامتناع أن يقال:

«كأنه صائغ» و «كأنه حائك».

اعلم أن هذا الاستدلال كأحسن ما يكون، إلا أن الفائده تتمّ بأن تبيّن جهته، و من أين كان كذلك؟ و القول فيه: إن التشبيه كما لا يخفى يقتضى شيئين مشبّها و مشبّها به. ثم ينقسم إلى الصريح و غير الصريح، فالصريح أن تقول: «كأنّ زيدا الأسد»، فتذكر كل واحد من المشبّه و المشبّه به باسمه- و غير الصريح أن تسقط المشبّه به من الذكر، و تجرى اسمه على المشبّه كقولك: «رأيت أسدا»، تريد رجلا شبيها بالأسد، إلا أنك تعيره اسمه مبالغه و إيهاما أن لا فصل بينه و بين الأسد، و أنه قد استحال إلى الأسديه.

---

(۱) البيت فى ديوانه فانظره. و التّبر: الذهب كله و قيل: الذهب المكسور، و قيل: الفتات من الذهب

و الفضه و الورق و الورق: الدراهم المضروبه. و الوشى: من الثياب و هو يكون من كل لون و الجمع:

و شاء. و الديباج: ضرب من الثياب و الدّبج: النقش و التزيين و الديباج جمعها: دبابيج و ديابيج.

(٢) البيت فى ديوانه ص ٢١١، و البيت فيه «أتت» بدل «خلت» و هو من قصيده يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى مطلعها:

قرى دراهم منّى الدموع السوافك و إن عاد صبحى بعدهم و هو حالك

و السوافك: المنصبه، و الحالك: الأسود. و قال الشيخ شاكر: انتهى كلام أبى القاسم الآمدى هنا و هو فى كتابه الموازنه ١/ ٤٩٧، ٤٩٨ (المعارف). و نقله الشيخ (يقصد عبد القاهر) فى دلائل الإعجاز رقم ٦٤٧ ص ٥٥٣ اه. و الحقبه: مده من الدهر جمعها حقب، و الحرس: الدهر.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٢٧٠

فإذا كان الأمر كذلك و أنت تشبّه شخصا بشخص، فإنك إذا شبّهت فعلا بفعل كان هذا حكمه، فأنت تقول مرّه: «كأن تزيينه لكلامه نظم درّ»، فتصرّح بالمشبّه و المشبّه به، و تقول أخرى: «إنما ينظم درّا»، تجعله كأنه ناظم درّا على الحقيقه.

و تقول فى وصف الفرس: «كأن سيره سباحه»، و «كأن جريه طيران طائر»، هذا إذا صرّحت، و إذا أخفيت و استعرت قلت: «يسبح براكبه»، و «يطير بفارسه»، فتجعل حركته سباحه و طيرانا.

و من لطيف ذلك ما كان كقول أبى دلامه

يصف بغلته «۱»: [من الوافر]

أرى الشهباء تعجبن إذ غدونا برجليها، و تخبز باليمين

شبّه حركه رجليها حين لم تثبتهما على موضع تعتمد بهما عليه و هوتا ذاهبتين نحو يديها، بحركه يدى العاجن، فإنه لا يثبت اليد فى موضع، بل يزلّها إلى قدّام، و تزلّ من عند نفسها لرخاوه العجين- و شبّه حركه يديها بحركه يد الخابز، من حيث كان الخابز يثنى يده نحو بطنه، و يحدث فيها ضربا من التقويس، كما تجد فى يد الدابّه إذا اضطربت فى سيرها، و لم تقف على ضبط يديها، و لن ترمى بها إلى قدّام، و لن تشدّ اعتمادها، حتى تثبت فى الموضع الذى تقع عليه فلا تزول عنه و لا تنثنى و أعود إلى المقصود.

فإذا كان لا تشبيه حتى يكون معك شيئان، و كان معنى الاستعاره أن تعير المشبّه لفظ المشبّه به، و لم يكن معنا فى «صاغ الربيع» أو «حاك الربيع» إلا شى ء واحد، و هو الصّوغ أو الحوك، كان تقدير الاستعاره فيه محالا جاريا مجرى أن تشبّه الشى ء بنفسه، و تجعل اسمه عاريّه فيه، و ذلك بيّن الفساد.

فإن قلت: أ ليس الكلام على الجمله معقودا على تشبيه الربيع بالقادر، فى تعلّق وجود الصوغ و النسج به؟ فكيف لم يجز دخول «كأنّ» فى الكلام من هذه الجهه؟

فإن هذا التشبيه ليس هو التشبيه الذى يعقد فى الكلام و يفاد بكأن و الكاف و نحوهما، و إنما هو عباره عن الجهه التى راعاها المتكلم حين أعطى الربيع حكم القادر فى إسناد الفعل إليه. وزانه وزان قولنا: إنهم

يشبّهون «ما» بليس، فيرفعون بها

---

(١) البيت لأبى دلامه و قيل: إنه قاله فى مدح بغلته التى كانت تسمى الشهباء، و العاجن من الرجال: المعتمد على الأرض بجمعه إذا أراد النهوض، و عجنت الناقه: تضرب بيديها إلى الأرض فى سيرها.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٢٧١

المبتدأ و ينصبون بها الخبر فيقولون: «ما زيد منطلقا»، كما يقولون: «ليس زيد منطلقا»، فنخبر عن تقدير قدّروه فى نفوسهم، وجهه راعوها فى إعطاء «ما» حكم «ليس» فى العمل. فكما لا- يتصوّر أن يكون قولنا: «ما زيد منطلقا»، تشبيها على حدّ «كأنّ زيدا الأسد»، كذلك لا يكون «صاغ الربيع» من التشبيه. فكلامنا إذن فى تشبيه مقول منطوق به، و أنت فى تشبيه معقول غير داخل فى النطق. هذا، و إن يكن هاهنا تشبيه، فهو فى الربيع لا- فى الفعل المسند إليه، و اختلافنا فى «صاغ» و «حاك» هل يكون تشبيها و استعاره أم لا؟ فلا يلتقى التشبيهان، أو يلتقى المشئم و المعرق.

و هذا هو القول على الجمله إذا كانت حقيقه أو مجازا، و كيف وجه الحدّ فيها؟

فكلّ جمله وضعتها على أن الحكم المفاد بها على ما هو عليه فى العقل، و واقع موقعه منه، فهى حقيقه. و لن تكون كذلك حتى تعرى من التأوّل، و لا فصل بين أن تكون مصيبا فيما أفدت بها من الحكم أو مخطئا و صادقا أو غير صادق.

فمثال وقوع الحكم المفاد موقعه من العقل على الصحه و اليقين و القطع قولنا:

«خلق اللّه تعالى الخلق، و أنشأ العالم، و أوجد كل

موجود سواه». فهـذه من أحقّ الحقائق و أرسـخها فى العقول، و أقعدها نسـبا فى العقول، و التى إن رمت أن تغيب عنها غبت عن عقلك، و متى هممت بالتوقّف فى ثبوتها استولى النّفى على معقولك، و وجدتك كالمرمىّ به من حالق إلى حيث لا مقرّ لقدم، و لا- مساغ لتأخّر و تقـدّم، كما قال أصـدق القائلين جلّت أسـماؤه، و عظمت كبرياؤه: وَ مَنْ يُشْـرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّما خَرَّ مِنَ السَّماءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ الرِّيحُ فِى مَكانٍ سَحِيقٍ [الحج: ٣١].

و أمّا مثال أن توضع الجمله على أن الحكم المفاد بها واقع موقعه من العقل، و ليس كذلك، إلا أنه صادر من اعتقاد فاسد و ظنّ كـاذب، فمثـل مـا يجى ء فى التنزيل من الحكايه عن الكفار نحو: وَ ما يُهْلِكُنا إِلَّا الـدَّهْرُ [الجاثيه: ٢۴]، فهـذا و نحوه من حيث لم يتكلم به قائله على أنّه متأوّل، بل أطلقه بجهله و عماه إطلاق من يضع الصّفه فى موضعها، لا يوصف بالمجاز، و لكن يقال: «عند قائله أنه حقيقه»، و هو كذب و باطل، و إثبات لما ليس بثابت، أو نفى لما ليس بمنتف، و حكم لا يصحّحه العقل فى الجمله، بل يردّه و يدفعه، إلّا أن قائله جهل مكان الكذب و البطلان فيه، أو جحد و باهت.

و لا يتخلّص لك الفصل بين الباطل و بين المجاز، حتى تعرف حدّ المجاز،

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٢٧٢

و حدّه: أنّ كلّ جمله أخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه من العقل لضرب من التأوّل، فهى

مجاز.

و مثاله ما مضى من قولهم: «فعل الربيع»، و كما جاء فى الخبر «إنّ ممّا ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلمّ»، قد أثبت الإنبات للربيع، و ذلك خارج عن موضعه من العقل، لأن إثبات الفعل لغير القادر لا يصحّ فى قضايا العقول، إلّا أن ذلك على سبيل التأوّل، و على العرف الجارى بين الناس، أن يجعلوا الشى ء، إذا كان سببا أو كالسبب فى وجود الفعل من فاعله، كأنه فاعل. فلما أجرى اللّه سبحانه العاده و أنفذ القضيّه أن تورق الأشجار، و تظهر الأنوار، و تلبس الأرض ثوب شبابها فى زمان الربيع، صار يتوهّم فى ظاهر الأمر و مجرى العاده، كأنّ لوجود هذه الأشياء حاجه إلى الربيع، فأسند الفعل إليه على هذا التأوّل و التنزيل.

و هذا الضرب من المجاز كثير فى القرآن، فمنه قوله تعالى: تُؤْتِي أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّها [إبراهيم: ۲۵]، و قوله عزّ اسمه: وَ إِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً [الأنفال: ۲]، و فى الأخرى: فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زادَتْهُ هذِهِ إِيماناً [التوبه: ۱۲۴]، و قوله: وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقالَها [الزلزله: ۲]، و قوله عز و جل:

حَتَّى إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالًا سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ [الأعراف: ۵۷] أثبت الفعل فى جميع ذلك لما لا يثبت له فعل إذا رجعنا إلى المعقول، على معنى السّبب. و إلّا فمعلوم أن النخله ليست تحدث الأكل، و لا الآيات توجد العلم فى قلب السامع لها، و لا الأرض تخرج الكامن فى بطنها من الأثقال، و لكن إذا حدثت فيها الحركه بقدره اللّه، ظهر ما كنز فيها و أودع جوفها.

و إذا ثبت ذلك، فالمبطل و الكاذب لا يتأوّل فى إخراج الحكم عن موضعه و إعطائه غير المستحق،

و لا- يشبه كون المقصود سببا بكون الفاعل فاعلا، بل يثبت القضيه من غير أن ينظر فيها من شى ء إلى شى ء، و يردّ فرعا إلى أصل، و تراه أعمى أكمه يظنّ ما لا يصحّ صحيحا، و ما لا يثبت ثابتا، و ما ليس فى موضعه من الحكم موضوعا موضعه. و هكذا المتعمّد للكذب يدّعى أن الأمر على ما وضعه تلبيسا و تمويها، و ليس هو من التّأويل فى شى ء.

و النكته أن المجاز لم يكن مجازا لأنه إثبات الحكم لغير مستحقّه، بل لأنه أثبت لما لا يستحق تشبيها و ردّا له إلى ما يستحقّ، و أنه ينظر من هذا إلى ذاك، و إثباته ما أثبت للفرع الذى ليس بمستحقّ، و يتضمّن الإثبات للأصل الذى هو

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٢٧٣

المستحقّ، فلا- يتصوّر الجمع بين شيئين فى وصف أو حكم من طريق التشبيه و التأويل، حتى يبدأ بالأصل فى إثبات ذلك الوصف و الحكم له. أ لا تراك لا تقدر على أن تشبّه الرجل بالأسد فى الشجاعه، ما لم تجعل كونها من أخصّ أوصاف الأسد و أغلبها عليه نصب عينيك؟ و كذلك لا يتصوّر أن يثبت المثبت الفعل للشى ء على أنه سبب، ما لم ينظر إلى ما هو راسخ فى العقل من أن لا- فعل على الحقيقه إلا- للقادر، لأنه لو كان نسب الفعل إلى هذا السبب نسبه مطلقه- لا يرجع فيها إلى الحكم القادر، و الجمع بينهما من حيث تعلّق وجوده بهذا السبب من طريق العاده، كما يتعلق بالقادر من

طريق الوجوب- لما اعترف بأنه سبب، و لا يدّعى أنه أصل بنفسه، مؤثّر فى وجود الحادث كالقادر. و إن تجاهل متجاهل فقال بذلك- على ظهور الفضيحه و إسراعها إلى مدّعيه- كان الكلام عنده حقيقه، و لم يكن من مسألتنا فى شى ء، و لحق بنحو قول الكفار: وَ ما يُهْلِكُنا إِلَّا الدَّهْرُ [الجاثيه:

۲۴]. و ليس ذلك المقصود فى مسألتنا، لأن الغرض هاهنا ما وضع فيه الحكم واضعه على طريق التأوّل، فاعرفه.

و من أوضح ما يدلّ على أنّ إثبات الفعل للشى ء على أنه سبب يتضمّن إثباته للمسبّب، من حيث لا يتصوّر دون تصوّره، أن تنظر إلى الأفعال المسنده إلى الأدوات و الآلات، كقولك: «قطع السكّين» و «قتل السيف»، فإنك تعلم أنه لا يقع فى النفس من هذا الإثبات صوره، ما لم تنظر إلى إثبات الفعل للمعمل الأداه و الفاعل بها. فلو فرضت أن لا يكون هاهنا قاطع بالسكّين و مصرّف لها، أعياك أن تعقل من قولك: «قطع السكين» معنى بوجه من الوجوه. و هذا من الوضوح، بحيث لا يشكّ عاقل فيه.

و هذه الأفعال المسنده إلى من تقع تلك الأفعال بأمره، كقولك: «ضرب الأمير الدرهم» و «بنى السّور»، لا تقوم فى نفسك صوره لإثبات الضّرب و البناء فعلا للأمير، بمعنى الأمر به، حتى تنظر إلى ثبوتهما للمباشر لهما على الحقيقه. و الأمثله فى هذا المعنى كثيره تتلقّاك من كل جهه، و تجدها أنّى شئت.

و اعلم أنه لا يجوز الحكم على الجمله بأنها مجاز إلا بأحد أمرين:

فإمّا أنه يكون الشى ء الذى أثبت له الفعل مما لا يدّعى أحد من المحقّين و المبطلين أن مما يصحّ أن يكون له تأثير فى وجود المعنى الذى أثبت له، و ذلك نحو قول الرجل:

«محبّتک جاءت بی إلیک»، و کقول عمرو بن العاص فی ذکر الکلمات التی استحسنها: «هنّ مخرجاتی من الشأم»، فهذا ما لا یشتبه علی أحد أنّه مجاز.

أسرار البلاغه فی علم البیان، ص: ۲۷۴

و إمّا أنه یکون قد علم من اعتقاد المتکلّم أنه لا یثبت الفعل إلا للقادر، و أنه ممن لا یعتقد الاعتقادات الفاسده، کنحو ما قاله المشرکون و ظنّوه من ثبوت الهلاک فعلا للدهر، فإذا سمعنا نحو قوله «۱»: [من المتقارب]

أشاب الصغیر و أفنی الکبی ر کرّ الغداه و مرّ العشی

و قول ذی الإصبع «۲»: [من المنسرح]

أهلکنا اللیل و النهار معا و الدّهر یعدو مصمّما جذعا

کان طریق الحکم علیه بالمجاز، أن تعلم اعتقادهم التوحید، إما بمعرفه أحوالهم السابقه، أو بأن تجد فی کلامهم من بعد إطلاق هذا النحو، ما یکشف عن قصد المجاز فیه، کنحو ما صنع أبو النجم، فإنه قال أوّلا «۳»: [من الرجز]

قد أصبحت أمّ الخیار تدّعی علیّ ذنبا کلّه لم أصنع

من أن رأت رأسی کرأس الأصلع

ميّز عنه قنزعا عن قنزع

جذب الليالى: أبطئى أو أسرعى فهذا على المجاز و جعل الفعل للّيالى و مرورها، إلّا أنه خفىّ غير بادى الصفحه، ثم فسّر و كشف عن وجه التأوّل و أفاد أنه بنى أول كلامه على التخيّل فقال:

---

(١) البيت للصلتان العبدى و هو فى الكامل بتحقيق د. عبد الحميد هنداوى ٣/ ٢٥، و البيت سبق تخريجه فارجع له إن شئت.

(٢) البيت فى ديوانه، و فى الأغانى ٣/ ٩٣، و جاء الأول لأربعه أبيات قالها بعد ما كبر و خرف فهجره أصهاره و لاموه فقال:

أهلكنا الليل و النهار معا و الدهر يعدو مصمّما جذعا

فليس فيما أصابنى عجب إن كنت شيبا أنكرت أو صلعا

و كنت إذ رونق الشباب به ماء شبابى تخاله شرعا

و الحىّ فيه الفتاه ترمقنى حتى مضى شأو ذاك فانقشعا

و الجذع من الرجال: الشاب الحدث، و انقشع: انجلى عنه.

(٣) الأبيات لأبى النجم و أورده محمد بن على الجرجانى فى الإشارات

ص ۲۵، و عزاه لأبى النجم، و بدر الدين بن مالك فى المصباح ص ۱۴۴، و الطيبى فى التبيان ۱/ ۳۲۱ بتحقيق د. عبد الحميد هنداوى، و هو فى الإيضاح ص ۲۸، و المفتاح ص ۵۰۴، بتحقيق د. عبد الحميد هنداوى، و دلائل الإعجاز ص ۲۷۸. و البيت الثانى معروف فيه روايتان إحداهما: «طيّر عنها قنزعا» و الأخرى «سيّر عنه». و الأصلع: من لا شعر له. و القنزع: ما ارتفع من الشعر و طال، و قيل: هو القليل من الشعر إذا كان فى وسط الرأس خاصه. و قيل: هو الشّعر حوالى الرأس و الجمع قنازع.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۷۵

أفناه قيل اللّه للشمس اطلعى حتّى إذا و اراک أفق فارجعى «۱»

فبيّن أن الفعل للّه تعالى، و أنه المعيد و المبدى، و المنشئ و المفنى، لأنّ المعنى فى «قيل اللّه»، أمر اللّه، و إذا جعل الفناء بأمره فقد صرّح بالحقيقه و بيّن ما كان عليه من الطريقه.

و اعلم أنه لا يصحّ أن يكون قول الكفّار: وَ ما يُهْلِكُنا إِلَّا الدَّهْرُ، و من باب التأويل و المجاز، و أن يكون الإنكار عليهم من جهه ظاهر اللفظ، و أنّ فيه إيهاما للخطأ. كيف؟ و قد قال تعالى بعقب الحكايه عنهم: وَ ما لَهُمْ بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ [سوره الجاثيه: ۲۴]، و المتجوّز أو المخطئ فى العباره لا

يوصف بـالظن، إنّمـا الظـانّ من يعتقـد أن الأمر على ما قاله و كما يوجبه ظاهر كلامه. و كيف يجوز أن يكون الإنكار من طريق إطلاق اللفظ دون إثبات الدهر فاعلا للهلاك، و أنت ترى فى نصّ القرآن ما جرى فيه اللفظ على إضافه فعل الهلاك إلى الريح مع استحاله أن تكون فاعله، و ذلك قوله عز و جل: «مَثَلُ ما يُنْفِقُونَ فِي هذِهِ الْحَياةِ الدُّنْيا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيها صِرٌّ أَصابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ [آل عمران: ١١٧]، و أمثال ذلك كثير؟ و من قـدح فى المجاز، و همّ أن يصفه بغير الصـدق، فقـد خبط خبطا عظيما، و يهرف بما لا يخفى.

و لو لم يجب البحث عن حقيقه المجاز و العنايه به، حتى تحصّل ضروبه، و تضبط أقسامه، إلا للسلامه من مثل هـذه المقاله، و الخلاص ممّا نحا نحو هذه الشّبهه، لكان من حقّ العاقل أن يتوفّر عليه، و يصرف العنايه إليه، فكيف و بطالب الدّين حاجه ماسّه إليه من جهات يطول عـدّها، و للشيطان من جانب الجهل به مداخل خفيّه يأتيهم منها، فيسرق دينهم من حيث لا يشعرون، و يلقيهم فى الضلاله من حيث ظنّوا أنهم يهتدون؟ و قد اقتسمهم البلاء فيه من جانبى الإفراط و التفريط، فمن مغرور مغرى بنفيه دفعه، و البراءه منه جمله، يشمئزّ من ذكره، و ينبو عن اسمه، يرى أن لزوم الظواهر فرض لازم، و ضرب الخيام حولها حتم واجب، و آخر يغلو فيه و يفرط، و يتجاوز حدّه و يخبط، فيعدل عن الظاهر و المعنى عليه، و يسوم نفسه التعمّق فى التأويل و لا سبب يدعو إليه.

---

(١) البيت لأبى النجم أيضا، و هو يعقب الأبيات السابقه فانظره

فى الإيضاح بتحقيق د. هنداوى، و المفتاح كذلك بتحقيقنا و البيت فى نفس المصادر السابقه فارجع لها إن شئت. و أفناه: قيل الضمير لجذب، و قيل: لشعر رأسه، و قيل: لأبى النجم و هو المناسب لما بعده، و قيل اللّه: أمره.

خزانه الأدب ۱/ ۳۶۵.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۷۶

أمّا التفريط، فما تجد عليه قوما فى نحو قوله تعالى: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ [البقره: ۲۱۰]، و قوله: وَ جاءَ رَبُّكَ [الفجر: ۲۲]، و: الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى [طه: ۵]، و أشباه ذلک من النّبوّ عن أقوال أهل التحقيق. فإذا قيل لهم: «الإتيان» و «المجى ء» انتقال من مكان إلى مكان، و صفه من صفات الأجسام، و أن «الاستواء» إن حمل على ظاهره لم يصحّ إلّا فى جسم يشغل حيّزا و يأخذ مكانا، و اللّه عز و جل خالق الأماكن و الأزمنه، و منشئ كل ما تصحّ عليه الحركه و النّقله، و التمكن و السكون، و الانفصال و الاتصال، و المماسّه و المحاذاه، و أن المعنى على: «إلّا أن يأتيهم أمر اللّه» و «جاء أمر ربك»، و أنّ حقه أن يعبّر بقوله تعالى: فَأَتاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا [الحشر: ۲]، و قول الرجل: «آتيک من حيث لا تشعر»، يريد أنزل بک المكروه، و أفعل ما يكون جزاء لسوء صنيعک، فى حال غفله منک، و من حيث تأمن حلوله بک. و على ذلک قوله: [من الطويل]

أتيناهم من أيمن الشّقّ عندهم

و يأتى الشقىّ الحين من حيث لا يدرى

نعم، إذا قلت ذلك للواحد منهم، رأيته إن أعطاك الوفاق بلسانه، فبين جنبيه قلب يتردّد فى الحيره و يتقلّب، و نفس تفرّ من الصواب و تهرب، و فكر واقف لا يجى ء و لا يذهب، يحضره الطبيب بما يبرئه من دائه، و يريه المرشد وجه الخلاص من عميائه، و يأبى إلا نفارا عن العقل، و رجوعا إلى الجهل، لا يحضره التوفيق بقدر ما يعلم به أنه إذا كان لا يجرى فى قوله تعالى: وَ سْئَلِ الْقَرْيَهَ [يوسف: ۸۲]، على الظاهر، لأجل علمه أن الجماد لا يسأل مع أنه لو تجاهل متجاهل فادّعى أن اللّه تعالى خلق الحياه فى تلك القريه حتى عقلت السؤال، و أجابت عنه و نطقت، لم يكن قال قولا يكفر به، و لم يزد على شى ء يعلم كذبه فيه فمن حقّه أن لا يجثم هاهنا على الظاهر، و لا يضرب الحجاب دون سمعه و بصره حتى لا يعى و لا يراعى، مع ما فيه، إذا أخذ على ظاهره، من التعرض للهلاك و الوقوع فى الشرك.

فأمّا الإفراط، فما يتعاطاه قوم يحبّون الإغراب فى التأويل، و يحرصون على تكثير الوجوه، و ينسون أن احتمال اللفظ شرط فى كل ما يعدل به عن الظاهر، فهم يستكرهون الألفاظ على ما لا تقلّه من المعانى، يدعون السليم من المعنى إلى السقيم، و يرون الفائده حاضره قد أبدت صفحتها و كشفت قناعها، فيعرضون عنها حبّا للتشوّف، أو قصدا إلى التمويه و ذهابا فى الضلاله.

و ليس القصد هاهنا بيان ذلك فأذكر أمثلته، على أن كثيرا من هذا الفنّ مما

يرغب عن ذكره لسخفه، و إنما غرضى بما ذكرت أن أريك عظم الآفه فى الجهل بحقيقه المجاز و تحصيله، و أن الخطأ فيه مورّط صاحبه، و فاضح له، و مسقط قدره، و جاعله ضحكه يتفكّه به، و كاسيه عارا يبقى على وجه الدهر، و فى مثل هذا قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، و انتحال المبطلين، و تأويل الجاهلين» «١»، و ليس حمله روايته و سرد ألفاظه، بل العلم بمعانيه و مخارجه، و طرقه و مناهجه، و الفرق بين الجائز منه و الممتنع، و المنقاد المصحب، و النّابى النافر.

و أقلّ ما كان ينبغى أن تعرفه الطائفه الأولى، و هم المنكرون للمجاز، أن التنزيل كما لم يقلب اللغه فى أوضاعها المفرده عن أصولها، و لم يخرج الألفاظ عن دلالتها، و أنّ شيئا من ذلك إن زيد إليه ما لم يكن قبل الشرع يدلّ عليه، أو ضمّن ما لم يتضمّنه أتبع ببيان من عند النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و ذلك كبيانه للصلاه و الحج و الزكاه و الصوم. كذلك لم يقض بتبديل عادات أهلها، و لم ينقلهم عن أساليبهم و طرقهم، و لم يمنعهم ما يتعارفونه من التشبيه و التمثيل و الحذف، و الاتساع.

و كذلك كان من حق الطائفه الأخرى أن تعلم، أنه عزّ و جلّ لم يرض لنظم كتابه الذى سمّاه هدى و شفاء، و نورا و ضياء، و حياه تحيا بها

القلوب، و روحا تنشرح عنه الصدور ما هو عند القوم الذين خوطبوا به خلاف البيان، و فى حدّ الإغلاق و البعد من التبيان، و أنه تعالى لم يكن ليعجز بكتابه من طريق الإلباس و التعميه، كما يتعاطاه الملغز من الشعراء و المحاجى من الناس، كيف و قد وصفه بأنه عربىّ مبين؟

هذا، و ليس التعسّف الذى يرتكبه بعض من يجهل التأويل من جنس ما يقصده أولو الألغاز و أصحاب الأحاجى، بل هو شى ء يخرج عن كلّ طريق، و يباين كلّ مذهب، و إنما هو سوء نظر منهم، و وضع للشى ء فى غير موضعه، و إخلال بالشريطه، و خروج عن القانون، و توهّم أن المعنى إذا دار فى نفوسهم، و عقل من تفسيرهم، فقد فهم من لفظ المفسّر، و حتى كأنّ الألفاظ تنقلب عن سجيّتها، و تزول عن موضوعها، فتحتمل ما ليس من شأنها أن تحتمله، و تؤدّى ما لا يوجب حكمها أن تؤدّيه.

---

(۱) المراد بالغالين: المبتدعه، و بالمبطلين الذين يتعمدون الباطل و ينتحلون من كتاب اللّه و سنه رسوله صلّى اللّه عليه و سلّم ما يؤيد باطلهم. (رشيد).

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۷۸

هذا كلام فى ذكر المجاز و فى بيان معناه و حقيقته

اشاره

بسم اللّه الرحمن الرحيم

هذا كلام فى ذكر المجاز و فى بيان معناه و حقيقته

«المجاز» «مفعل» من «جاز الشى ء يجوزه»، إذا تعدّاه. و إذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغه، وصف بأنه «مجاز»، على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلىّ، أو جاز هو مكانه الذى وضع فيه أوّلا.

ثمّ اعلم بعد أنّ فى إطلاق «المجاز» على اللفظ المنقول

عن أصله شرطا، و هو أن يقع نقله على وجه لا يعرى معه من ملاحظه الأصل. و معنى «الملاحظه»، أن الاسم يقع لما تقول إنه مجاز فيه، بسبب بينه و بين الذين تجعله حقيقه فيه، نحو أن «اليد» تقع للنعمه، و أصلها الجارحه، لأجل أن الاعتبارات اللغويه تتبع أحوال المخلوقين و عاداتهم، و ما يقتضيه ظاهر البنيه و موضوع الجبلّه، و من شأن النعمه أن تصدر عن «اليد»، و منها تصل إلى المقصود بها، و الموهوبه هى منه.

و كذلك الحكم إذا أريد باليد القوه و القدره، لأن القدره أثر ما يظهر سلطانها فى اليد، و بها يكون البطش و الأخذ و الدفع و المنع و الجذب و الضرب و القطع، و غير ذلك من الأفاعيل التى تخبر فضل إخبار عن وجوه القدره، و تنبئ عن مكانها، و لذلك تجدهم لا يريدون باليد شيئا لا ملابسه بينه و بين هذه الجارحه بوجه.

و لوجوب اعتبار هذه النكته فى وصف اللّفظ بأنه «مجاز»، لم يجز استعماله فى الألفاظ التى يقع فيها اشتراك من غير سبب يكون بين المشتركين، كبعض الأسماء المجموعه فى الملاحن، مثل أن «الثّور» يكون اسما للقطعه الكبيره من الأقط «۱»، و «النهار» اسم لفرخ الحبارى، و «الليل»، لولد الكروان، كما قال: [من المتقارب]

أكلت النّهار بنصف النّهار و ليلا أكلت بليل بهيم «۲»

---

(۱) الأقط: شى ء يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمصل، و القطعه منه أقطه، و قيل: هو من ألبان الإبل خاصه. اللسان (أقط).

(۲) البيت لم أعثر على قائله،

و هو فى اللسان بغير نسبه (ليل).

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٢٧٩

و ذلك أن اسم «الثور» لم يقع على الأقط لأمر بينه و بين الحيوان المعلم، و لا «النهار» على الفرخ لأمر بينه و بين ضوء الشمس، أدّاه إليه و ساقه نحوه.

و الغرض المقصود بهذه العباره- أعنى قولنا: «المجاز»- أن نبيّن أن للّفظ أصلا مبدوءا به فى الوضع و مقصودا، و أنّ جريه على الثانى إنما هو على سبيل الحكم يتأدّى إلى الشى ء من غيره، و كما يعبق الشى ء برائحه ما يجاوره، و ينصبغ بلون ما يدانيه. و لذلك لم ترهم يطلقون «المجاز» فى الأعلام، إطلاقهم لفظ النّقل فيها حيث قالوا: «العلم على ضربين: منقول و مرتجل، و أن المنقول منها يكون منقولا عن اسم جنس، كأسد و ثور و زيد و عمرو، أو صفه، كعاصم و حارث، أو فعل، كيزيد و يشكر أو صوت كببّه، فأثبتوا لهذا كله النّقل من غير العلميه إلى العلميه، و لم يروا أن يصفوه بالمجاز فيقولوا مثلا: إن «يشكر» حقيقه فى مضارع «شكر»، و مجاز فى كونه اسم رجل و أن «حجرا» حقيقه فى الجماد، و مجاز فى اسم الرجل. و ذلك أن «الحجر» لم يقع اسما للرجل لالتباس كان بينه و بين الصخر، على حسب ما كان بين اليد و النعمه، و بينها و بين القدره و لا كما كان بين الظّهر الكامل و بين المحمول فى نحو تسميتهم المزاده «راويه»، و هى اسم للبعير الذى يحملها فى الأصل و كتسميتهم البعير

«حفضا»، و هو اسم لمتاع البيت الـذى حمل عليه و لا كنحو ما بين الجزء من الشـخص و بين جمله الشـخص، كتسـميتهم الرجل «عينا»، إذا كان ربيئه، و الناقه «نابا» و لا كما بين النّبت و الغيث، و بين السماء و المطر، حيث قالوا:

«رعينـا الغيث»، يريـدون النبت الـذى الغيث سـبب فى كونه و قالوا: «أصابنا السـماء»، يريـدون المطر. و قال «۱»: [مـن الرجز] تلقّه الأرواح و السميّ

---

(۱) الرجز للعجاج فى ديوانه ۱/ ۵۱۲ و عجزه:

فى دف ء أرطأه لها حنىّ و هو فى صـفه ثور الوحش و قد غمره المطر، شرح الإيضاح ص ۵۴۲، و شرح المفصل ۵/ ۴۴، و لسان العرب (سـما)، و تـاج العروس (غيف) و كتاب العين ۳/ ۳۰۲، و بلا نسـبه فى شرح المفصل ۱۰/ ۳۰، و الممتع فى التصـريف ۱/ ۲۳۶، و ديوان الأدب ۴/ ۴۷، و المخصص ۹/ ۴، ۱۱۶.

و السماء: المطر، يقال: ما زلنا نطأ السماء حتى أتيناكم. أى: المطر، قال الشاعر:

إذا سقط السماء بأرض قوم رعيناه و إن كانوا غضابا

و الأرواح: الرياح.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۸۰

و ذلـك أن فى هـذا كله تأوّلا، و هو الـذى أفضـى بالاسم إلى مـا ليس بأصل فيه «فالعين» لما كانت المقصوده فى كون الرجل ربيئه، صارت كأنها الشخص كلّه، إذ كان ما عداها لا يغنى شيئا مع فقدها و «الغيث»، لمّا كان

النبت يكون عنه، صار كأنه هو و «المطر» لما كان ينزل من السماء، عبروا عنه باسمها.

و اعلم أن هذه الأسباب الكائنه بين المنقول و المنقول عنه، تختلف فى القوه و الضعف و الظهور و خلافه. فهذه الأسماء التى ذكرتها، إذا نظرت إلى المعانى التى وصلت بين ما هى له، و بين ما ردّت إليه، وجدتها أقوى من نحو ما تراه فى تسميتهم الشاه التى تذبح عن الصبىّ إذا حلقت عقيقته، عقيقه «۱» و تجد حالها بعد أقوى من حال «العقيره»، فى وقوعها للصوت فى قولهم: «رفع عقيرته»، و ذلک أنّه شى ء جرى اتفاقا، و لا معنى يصل بين الصّوت و بين الرجل المعقوره.

على أن القياس يقتضى أن لا يسمّى «مجازا»، و لكن يجرى مجرى الشى ء يحكى بعد وقوعه، كالمثل إذا حكى فيه كلام صدر عن قائله من غير قصد إلى قياس و تشبيه، بل للإخبار عن أمر من قصده بالخطاب كقولهم: «الصّيف ضيّعت اللّبن»، و لهذا الموضع تحقيق لا يتمّ إلّا بأن يوضع له فصل مفرد.

و المقصود الآن غير ذلک، لأن قصدى فى هذا الفصل أن أبيّن أن «المجاز» أعمّ من «الاستعاره»، و أن الصحيح من القضيّه فى ذلک: أن كلّ استعاره مجاز، و ليس كلّ مجاز استعاره. و ذلک أنّا نرى كلام العارفين بهذا الشأن أعنى علم الخطابه و نقد الشعر، و الّذين وضعوا الكتب فى أقسام البديع، يجرى على أن «الاستعاره» نقل الاسم من أصله إلى غيره للتشبيه على حدّ المبالغه.

قال القاضى أبو الحسن فى الحسن فى أثناء فصل يذكرها فيه: «و ملاک الاستعاره، تقريب الشّبه، و مناسبه المستعار للمستعار منه». و هكذا تراهم يعدّونها فى أقسام البديع، حيث يذكر «التجنيس» و «التطبيق»

و «الترشيح» و «ردّ العجز على الصدر» و غير ذلك، من غير أن يشترطوا شرطا، و يعقبوا ذكرها بتقييد فيقولوا: «و من البديع الاستعاره التى من شأنها كذا». فلولا أنها عندهم لنقل الاسم بشرط التشبيه على المبالغه، و إمّا قطعا و إمّا قريبا من المقطوع عليه، لما استجازوا ذكرها. مطلقه غير مقيّده.

يبيّن ذلك أنها إن كانت تساوق المجاز و تجرى مجراه حتى تصلح لكل ما

---

(١) العقيقه: أصلها الشّعر الذى يكون على رأس الصبى حين يولد و إنما سميت تلك الشاه التى تذبح عقيقه لأنه يحلق عنه ذلك الشعر عند الذبح و هذا من الأشياء التى ربّما سميت باسم غيرها إذا كانت معها أو من سببها، فسميت الشاه عقيقه لعقيقه الشّعر.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٢٨١

يصلح له، فذكرها فى أقسام البديع يقتضى أن كل موصوف بأنه مجاز، فهو بديع عندهم، حتى يكون إجراء «اليد» على النعمه بديعا، و تسميه البعير «حفضا»، و الناقه «نابا»، و الربيئه «عينا»، و الشاه «عقيقه»، بديعا كله، و ذلك بيّن الفساد.

و أمّا ما تجده فى كتب اللغه من إدخال ما ليس طريق نقله التشبيه فى الاستعاره، كما صنع أبو بكر بن دريد فى الجمهره، فإنه ابتدأ بابا فقال: «باب الاستعارات» ثم ذكر فيه: أن «الوغى» اختلاط الأصوات فى الحرب، ثم كثر و صارت الحرب «وغى»، و أنشد «١»: [من السريع]

إضمامه من ذودها الثّلاثين

لها وغى مثل وغى الثّمانين

يعنى اختلاط أصواتها و ذكر قولهم: «رعينا الغيث و السّماء»، يعنى المطر و ذكر ما هو أبعد من ذلك فقال: «الخرس»، ما تطعمه النّفساء، ثم صارت الدّعوه للولاده «خرسا» و «الإعذار» الختان، و سمّى الطعام للختان إعذارا و أن «الظعينه» أصلها المرأه فى الهودج، ثم صار البعير و الهودج ظعينه و «الخطر» ضرب البعير بذنبه جانبى وركيه، ثم صار ما لصق من البول بالوركين خطرا، و ذكر أيضا «الرّاويه» بمعنى المزاده، و «العقيقه».

و ذكر فيما بين ذكره لهذه الكلم أشياء هى استعاره على الحقيقه، على طريقه أهل الخطابه و نقد الشعر، لأنه قال: «الظمأ»، العطش و شهوه الماء، ثم كثر ذلك حتى قالوا: «ظمئت إلى لقائك»، و قال: «الوجور» ما أوجرته الإنسان من دواء أو غيره، ثم قالوا: «أوجره الرمح»، إذا طعنه فى فيه.

فالوجه فى هذا الذى رأوه من إطلاق «الاستعاره» على ما هو تشبيه، كما هو شرط أهل العلم بالشعر، و على ما ليس من التشبيه فى شى ء، و لكنه نقل اللفظ عن الشى ء إلى الشى ء بسبب اختصاص و ضرب من الملابسه بينهما، و خلط أحدهما بالآخر أنهم كانوا نظروا إلى ما يتعارفه الناس فى معنى العاريّه، و أنها شى ء حوّل عن مالكه و نقل عن مقرّه الذى هو أصل فى استحقاقه، إلى ما ليس بأصل، و لم يراعوا عرف القوم. و وزانهم فى ذلك وزان من يترك عرف النحويين فى «التمييز»، و اختصاصهم له بما احتمل أجناسا مختلفه كالمقادير و الأعداد و ما شاركهما، فى أن

---

(١) البيت ذكره ابن دريد فى جمهره اللغه ص ١٢٥٥، و أسرار البلاغه ص ٤٠٠. و إضمامه: جماعه من الناس ليس

أصلهم واحدا، و لكنهم لفيف و الجمع الأضاميم.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۸۲

الإبهام الذى يراد كشفه منه هو احتماله الأجناس، فيسمّى الحال مثلا- تمييزا، من حيث أنك إذا قلت: «راكبا»، فقد ميّزت المقصود و بيّنته، كما فعلت ذلك فى قولك:

«عشرون درهما» و «منوان سمنا» و «قفيزان برّا» و «لى مثله رجلا» و «للّه درّه رجلا».

و ليس هذا المذهب بالمذهب المرضىّ، بل الصواب أن تقصر «الاستعاره» على ما نقله نقل التشبيه للمبالغه، لأن هذا نقل يطّرد على حدّ واحد، و له فوائد عظيمه و نتائج شريفه، فالتطفل به على غيره فى الذكر، و تركه مغمورا فيما بين أشياء ليس لها فى نقلها مثل نظامه و لا أمثال فوائده، ضعف من الرأى و تقصير فى النظر.

و ربما وقع فى كلام العلماء بهذا الشأن «الاستعاره» على تلك الطريقه العامّيه، إلا أنه لا يكون عند ذكر القوانين و حيث تقرّر الأصول. و مثاله أن أبا القاسم الآمدى قال فى أثناء فصل يجيب فيه عن شى ء اعترض به على البحترى فى قوله «۱»: [من الكامل]

فكأنّ مجلسه المحجّب محفل و كأنّ خلوته الخفيّه مشهد

أن المكان لا يسمّى مجلسا إلّا و فيه قوم. ثم قال: «أ لا ترى إلى قول مهلهل «۲»:

[من الكامل] و استبّ بعدك يا كليب المجلس

---

(۱) البيت للبحترى فى ديوانه، ذكره الآمدى فى الموازنه و قال أيضا:

و مما نسبوا فيه البحترى إلى سواء القسمه قوله:

فكأن مجلسه المحجب محفل و كأن خلوته الخفيه مشهد

و قالوا: «إنه ليس فى المصراع الثانى من الفائده إلا ما فى الأول لأن مجلسه المحجب هى خلوته الخفيه، و قوله محفل كقوله مشهد، و المعنى عندى صحيح لأن المجلس المحجب قد يكون فيه الجماعه الذين يخصهم و فى الأكثر الأعم لا يسمى مجلسا إلا و فيه قوم. أ لا ترى إلى قول مهلهل:

و استب بعدك يا كليب المجلس. أى أهل المجلس على الاستعاره فجعل البحترى مجلسه الذى احتجب فيه مع من يخصه كالحفل و المحفل هو الجمع الكثير و الخلوه الخفيه قد يكون منفردا أو يكون معه محبوبه فبينها و بين المجلس فرق أى: فكأنه إذا خلا خلوه خفيه ففيها معه من يشاهده و من يشاهده يجوز أن يكون واحدا أو اثنين، و المحفل لا يكون إلا عددا كثيرا، فهذا أيضا فرق صحيح بين المحفل و المشهد. و إنما أراد البحترى أنه لا يفعل فى مجلس المحجب إلا ما يفعله إذا حضره من يشاهده ينسبه إلى شده التصون و كرم السريره» اه. (رشيد).

(٢) البيت هو للمهلهل فى رثاء أخيه كليب و صدر البيت:

نبئت أن النار بعدك أوقدت و فى تاج العروس (جلس)، و أمالى القالى ١/ ٩٥، و سمط اللآلى ص ٢٩٨.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٢٨٣

على الاستعاره»، فأطلق

لفظ «الاستعاره» على وقوع «المجلس» هنا، بمعنى القوم الذين يجتمعون فى الأمور، و ليس «المجلس» إذا وقع على القوم من طريق التشبيه، بل على حدّ وقوع الشى ء على ما يتّصل به، و تكثر ملابسته إياه. و أىّ شبه يكون بين القوم و مكانهم الذى يجتمعون فيه؟ إلّا أنه لا يعتدّ بمثل هذا، فإنّ ذلك قد يتّفق حيث ترسل العباره.

و قال الآمدىّ نفسه: «ثم قد يأتى فى الشعر ثلاثه أنواع أخر، يكتسى المعنى العامّ بها بهاء و حسنا، حتى يخرج بعد عمومه إلى أن يصير مخصوصا ثم قال: و هذه الأنواع هى التى وقع عليها اسم البديع، و هى الاستعاره و الطباق و التجنيس».

فهذا نصّ فى وضع القوانين على أن «الاستعاره» من أقسام البديع، و لن يكون النّقل بديعا حتى يكون من أجل الشبيه على المبالغه كما بيّنت لك. و إذا كان كذلك، ثم جعل «الاستعاره» على الإطلاق بديعا، فقد أعلمك أنها اسم للضرب المخصص من النّقل دون كلّ نقل، فاعرف.

و اعلم أنّا إذا أنعمنا النظر، وجدنا المنقول من أجل التشبيه على المبالغه، أحقّ بأن يوصف بالاستعاره من طريق المعنى.

بيان ذلك: أن ملك المعير لا يزول عن المستعار، و استحقاقه إيّاه لا يرتفع.

فالعاريّه إنما كانت عاريّه، لأن يد المستعير يد عليها، ما دامت يد المعير باقيه، و ملكه غير زائل، فلا يتصوّر أن يكون للمستعير تصرّف لم يستفده من المالك الذى أعاره، و لا أن تستقرّ يده مع زوال اليد المنقول عنها، و هذه جمله لا تراها إلّا فى المنقول نقل التشبيه، لأنك لا تستطيع أن تتصوّر جرى الاسم على الفرع من غير أن تحوجه إلى الأصل. كيف؟ و لا يعقل تشبيه حتى يكون هاهنا مشبّه

و مشبّه به. هذا، و التشبيه ساذج مرسل، فكيف إذا كان على معنى المبالغه، على أن يجعل الثانى أنه انقلب مثلا إلى جنس الأوّل، فصار الرجل أسدا و بحرا و بدرا، و العلم نورا، و الجهل ظلمه، لأنّه إذا كان على هذا الوجه، كانت حاجتك إلى أن تنظر به إلى الأصل أمسّ، لأنه إذا لم يتصوّر أن يكون هاهنا سبع من شأنه الجرأه العظيمه و البطش الشديد، كان تقديرك شيئا آخر تحوّل إلى صفته و صار فى حكمه، من أبعد المحال.

و أمّا ما كان منقولا لا لأجل التشبيه، كاليد فى نقلها إلى النعمه، فلا يوجد ذلك فيه، لأنك لا تثبت للنعمه بإجراء اسم «اليد» عليها شيئا من صفات الجارحه المعلومه، و لا تروم تشبيها بها البته، لا مبالغا و لا غير مبالغ. فلو فرضنا أن تكون

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۸۴

اليد» اسما وضع للنعمه ابتداء، ثم نقلت إلى الجارحه، لم يكن ذلك مستحيلا.

و كذلك لو ادّعى مدّع أنّ جرى اليد على النعمه أصل و لغه على حدتها، و ليست مجازا، لم يكن مدّعيا شيئا يحيله العقل. و لو حاول محاول أن يقول فى مسألتنا قولا شبيها بهذا، فرام تقدير شى ء يجرى عليه اسم الأسد على المعنى الذى يريده بالاستعاره، مع فقد السبع المعلوم، و من غير أن يسبق استحقاقه لهذا الاسم فى وضع اللغه، رام شيئا فى غايه البعد.

و عباره أخرى: العاريّه من شأنها أن تكون عند المستعير على صفه شبيهه بصفتها و هى عند المالك، و لسنا نجد

هـذه الصوره إلاـ فيمـا نقـل التشبيه للمبـالغه دون مـا سواه. أ لاـ ترى أن الاسم المسـتعار يتناول المسـتعار له، ليـدلّ على مشاركته المسـتعار منه فى صـفه هى أخصّ الصـفات التى من أجلهـا وضع الاـسم الأـول؟ أعنى أن الشـجاعه أقوى المعانى التى من أجلها سمّى الأسد أسدا، و أنت تستعير الاسم للشى ء على معنى إثباتها له على حدّها فى الأسد.

فأما «اليـد» و نقلها إلى النعمه، فليست من هـذا فى شـى ء، لأنها لم تتناول النعمه لتـدلّ على صـفه من صـفات اليد بحال. و يحرّر ذلك نكته: و هى أنك تريـد بقولك: «رأيت أسـدا»، أن تثبت للرجل الأسـديه، و لست تريـد بقولك: «له عنـدى يد»، أن تثبت للنعمه اليديّه، و هذا واضح جدّا.

و اعلم أنّ الواجب كان أن لا أعدّ وضع «الشـفه» موضع «الجحفله»، و «الجحفله» فى مكان «المشـفر»، و نظائره التى قدّمت ذكرها فى الاسـتعاره، و أضنّ باسـمها أن يقع عليه، و لكنى رأيتهم قد خلطوه بالاستعارات و عدّوه معدّها، فكرهت التشدّد فى الخلاف، و اعتـددت به فى الجمله، و نبّهت على ضـعف أمره بأن سـمّيته «اسـتعاره غير مفيده». و كان وزان ذلك وزان أن يقال: «المفعول على ضـربين مفعول صحيح، و مشبّه بالمفعول». فيتجوّز باعتداد المشبّه بالمفعول فى الجمله، ثم يفصل بالوصف. و وجه شبه هذا النحو الـذى هو نقـل «الشـفه» إلى موضع «الجحفله» بالاسـتعاره الحقيقيه، لأنـک تنقـل الاـسم إلى مجانس له. أ لا ترى أنّ المراد بالشـفه و الجحفله عضو واحد، و إنما الفرق أنّ هذا من الفرس، و ذاک من الإنسان، و المجانسه و المشابهه من واد واحد؟ فأنت تقول: أعير الشى ء اسمه الموضوع له هنالک أى فى الإنسان- هاهنا- أى فى الفرس-، لأن

أحدهما مثل صاحبه و شريكه فى جنسه، كما أعرت الرجل اسم الأسد، لأنه شاركه فى صفته الخاصّه به، و هى الشجاعه

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۸۵

البليغه. و ليس لليد مع النعمه هذا الشبه، إذ لا مجانسه بين الجارحه و بين النعمه، و كذا لا شبه و لا جنسيه بين البعير و متاع البيت، و بين المزاده و بين البعير، و لا بين العين و بين جمله الشخص فإطلاق اسم «الاستعاره» عليه بعيد.

و لو كان اللفظ يستحقّ الوصف بالاستعاره بمجرّد النقل، لجاز أن توصف الأسماء المنقوله من الأجناس إلى الأعلام بأنها مستعاره، فيقال: «حجر»، مستعار فى اسم الرجل، و لزم كذلك فى الفعل المنقول نحو: «يزيد و يشكر» و فى الصوت نحو: «ببّه» فى قوله «۱»: [من الرجز]

لأنكحنّ ببّه جاريه خدبّه

مكرمه محبّه تجبّ أهل الكعبه

و ذلك ارتكاب قبيح، و فرط تعصّب على الصواب.

و يلوح هاهنا شى ء. هو أنّا و إن جعلنا «الاستعاره» من صفه اللفظ فقلنا: «اسم مستعار»، و «هذا اللفظ استعاره هاهنا و حقيقه هناك»، فإنّا على ذلك نشير بها إلى المعنى، من حيث قصدنا باستعاره الاسم، أن نثبت أخصّ معانيه للمستعار له.

يدلّك على ذلك قولنا: «جعله أسدا» و «جعله بدرا»

و «جعل للشمال يدا»، فلو لا أنّ استعاره الاسم للشى ء تتضمّن استعاره معناه له، لما كان هذا الكلام معنى.

لأن «جعل»، لا يصلح إلا حيث يراد إثبات صفه للشى ء، كقولنا: «جعله أميرا، و جعله لصّا»، نريد أنه أثبت له الإماره و اللصوصيه. و حكم «جعل» إذا تعدّى إلى مفعولين، حكم «صيّر»، فكما لا تقول: صيّرته أميرا» إلا على معنى أنك أثبتّ له صفه الإماره، و كذلك لم تقل: «جعله أسدا» إلا على أنه أثبت له معنى من معانى الأسود، و لا يقال: «جعلته زيدا»، بمعنى سمّيته زيدا، و لا يقال للرجل: «اجعل

---

(١) البيتان لهند بنت أبى سفيان فى لسان العرب (ببب)، و التنبيه و الإيضاح ١/ ٤٢، و تاج العروس (ببب)، و بلا نسبه فى جمهره اللغه ص ٢٦٣، و تهذيب اللغه ١٥/ ٣٩٣، و الأبيات بروايه أخرى لفظها:

و اللّه ربّ الكعبه لأنكحن ببّه

جاريه خدبّه مكرمه محبّه

تحبّ من أحبه تجبّ أهل الكعبه

و ببه: لقب عبد اللّه بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم و كانت أمه هند بنت أبى سفيان ترقصه بهذه الأبيات فلزمه اسم «ببّه» و «تجبّ أهل الكعبه» تغلب نساء قريش فى الحسن.

ابنک زیدا» بمعنى سمّه زیدا، و لا يقال: «ولد لفلان ابن فجعله زيدا» أى: سمّاه زيدا. و إنما يدخل الغلط فى ذلک على من لا يحصّل هذا الشأن.

فأما قوله تعالى: وَ جَعَلُوا الْمَلائِكَهَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً [الزخرف:

۱۹]، فإنما جاء على الحقيقه التى وصفتها، و ذلک أنهم أثبتوا للملائكه صفه الإناث، و اعتقدوا وجودها فيهم. و عن هذا الاعتقاد صدر عنهم ما صدر من الاسم- أعنى إطلاق اسم البنات، و ليس المعنى أنهم وضعوا لها لفظ الإناث، أو لفظ البنات، اسما من غير اعتقاد معنى، و إثبات صفه، هذا محال لا يقوله عاقل- أو ما يسمعون قول اللّه عز و جل: أَ شَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهادَتُهُمْ وَ يُسْئَلُونَ [الزخرف:

۱۹]، فإن كانوا لم يزيدوا على إجراء الاسم على الملائكه و لم يعتقدوا إثبات صفه و معنى، فأىّ معنى لأن يقال: «أشهدوا خلقهم»؟ هذا، و لو كانوا لم يقصدوا إثبات صفه، و لم يفعلوا أكثر من أن وضعوا اسما، لما استحقّوا إلّا اليسير من الذّم، و لما كان هذا القول كفرا منهم. و الأمر فى ذلک أظهر من أن يخفى و لكن قد يكون للشى ء المستحيل وجوه فى الاستحاله فتذكر كلّها، و إن كان فى الواحد منها ما يزيل الشبهه و يتمّ الحجّه.

فصل فى تقسيم المجاز إلى اللغوى و العقلى، و اللغوى إلى الاستعاره و غيرها

فصل فى تقسيم المجاز إلى اللغوى و العقلى، و اللغوى إلى الاستعاره و غيرها

و اعلم أن «المجاز» على ضربين: مجاز من طريق اللغه، و مجاز من طريق المعنى و المعقول. فإذا وصفنا بالمجاز الكلمه المفرده كقولنا: «اليد

مجاز فى النعمه» و «الأسد مجاز فى الإنسان و كلّ ما ليس بالسبع المعروف»، كان حكما أجريناه على ما جرى عليه من طريق اللغه، لأنا أردنا أنّ المتكلم قد جاز باللفظه أصلها الذى وقعت له ابتداء فى اللغه، و أوقعها على غير ذلك، إمّا تشبيها، و إمّا لصله و ملابسه بين ما نقلها إليه و ما نقلها عنه.

و متى وصفنا بالمجاز الجمله من الكلام، كان مجازا من طريق المعقول دون اللغه، و ذلك أن الأوصاف اللّاحقه للجمل من حيث هى جمل، لا يصحّ ردّها إلى اللّغه، و لا وجه لنسبتها إلى واضعها، لأن التأليف هو إسناد فعل إلى اسم، و اسم إلى اسم، و ذلك شى ء يحصل بقصد المتكلم، فلا يصير «ضرب» خبرا عن «زيد» بواضع اللغه، بل بمن قصد إثبات الضرب فعلا له، و هكذا: «ليضرب زيد»، لا يكون أمرا

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۸۷

لزيد باللغه، و لا «اضرب» أمرا للرجل الذى تخاطبه و تقبل عليه من بين كل من يصحّ خطابه باللغه، بل بك أيّها المتكلم. فالذى يعود إلى واضع اللغه، أنّ «ضرب» لإثبات الضرب، و ليس لإثبات الخروج، و أنه لإثباته فى زمان ماض، و ليس لإثباته فى زمان مستقبل. فأمّا تعيين من يثبت له، فيتعلّق بمن أراد ذلك من المخبرين بالأمور، و المعبّرين عن ودائع الصّدور، و الكاشفين عن المقاصد و الدّعاوى، صادقه كانت تلك الدعاوى أو كاذبه و مجراه على صحتها، أو مزاله عن مكانها من الحقيقه و جهتها و مطلقه بحسب ما تأذن

فیه العقول و ترسمه أو معدولا بها عن مراسمها نظما لها فی سلک التّخییل، و سلوکا بها فی مذهب التأویل.

فإذا قلنا مثلا: «خطّ أحسن مما وشّاه الربیع» أو «صنعه الربیع»، و کنّا قد ادعینا فی ظاهر اللفظ أن للربیع فعلا أو صنعا، و أنه شارک الحیّ القادر فی صحّه الفعل منه. و ذلک تجوّز من حیث المعقول لا من حیث اللغه، لأنه إن قلنا: «إنه مجاز من حیث اللغه»، صرنا کأنّا نقول: إن اللغه هی التی أوجبت أن یختصّ الفعل بالحیّ القادر دون الجماد، و إنها لو حکمت بأنّ الجماد یصحّ منه الفعل و الصّنع و الوشی و التزیین، و الصّبغ و التحسین، لکان ما هو مجاز الآن حقیقه، و لعاد ما هو الآن متأوّل، معدودا فیما هو حقّ محصّل، و ذلک محال.

و إنما یتصوّر مثل هذا القول فی الکلم المفرده، نحو «الید» للنعمه، و ذاک أنه یصحّ أن یقال: لو کان واضع اللغه وضع «الید» أوّلا للنعمه، ثم عدّاها إلی الجارحه، لکان حقیقه فیما هو الآن مجاز، و مجازا فیما هو حقیقه فلم یکن بواجب من حیث المعقول أن یکون لفظ «الید» اسما للجارحه دون النعمه، و لا فی العقل أن شیئا بلفظ، أن یکون دلیلا علیه أولی منه بلفظ، لا سیما فی الأسماء الأول التی لیست بمشتقّه. و إنما وزان ذلک وزان أشکال الخطّ التی جعلت أمارات لأجراس الحروف المسموعه، فی أنه لا یتصوّر أن یکون العقل اقتضی اختصاص کل شکل منها بما اختصّ به، دون أن یکون ذلک لاصطلاح وقع و تواضع اتّفق. و لو کان کذلک، لم تختلف المواضعات فی الألفاظ و الخطوط، و لکانت اللغات واحده، کما وجب فی عقل

كل عاقل يحصّل ما يقول، أن لا يثبت الفعل على الحقيقه إلا للحىّ القادر.

فإن قلت: فإن اللغه رسمت أن يكون «فعل» لإثبات الفعل للشى ء كما زعمت، و لكنّا إذا قلنا: «فعل الربيع الوشى» أو «وشّى الربيع»، فإننا نريد بذلك معنى معقولا، و هو أن الربيع سبب فى كون الأنوار التى تشبه الوشى .. فقد نقلنا الفعل عن

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٢٨٨

حكم معقول وضع له، إلى حكم آخر معقول شبيه بذلك الحكم، فصار ذلك كنقل الأسد عن السبع إلى الرجل الشبيه به فى الشجاعه. أ فتقول: «الأسد» على الرجل مجاز من حيث المعقول، لا من حيث اللغه، كما قلت فى صيغه: «فعل» إذا أسندت إلى ما لا يصحّ أن يكون له فعل إنّها مجاز من جهه العقل، لا من جهه اللغه؟

فالجواب أن بينهما فرقا، و إن ظننتهما متساويين. و ذلك أن «فعل» موضوع لإثبات الفعل للشى ء على الإطلاق، و الحكم فى بيان من يستحق هذا الإثبات و تعيينه إلى العقل. و أما «الأسد» فموضوع للسبع قطعا، و اللغه هى التى عيّنت المستحقّ له، و برسمها و حكمها ثبت هذا الاستحقاق و الاختصاص، و لو لا نصّها لم يتصوّر أن يكون هذا السّبع بهذا الاسم أولى من غيره. فأمّا استحقاق الحىّ القادر أن يثبت الفعل له و اختصاصه بهذا الإثبات دون كل شى ء سواه، فبفرض العقل و نصّه لا باللغه، فقد نقلت «الأسد» عن شى ء هو أصل فيه باللغه لا بالعقل. و أمّا «فعل» فلم تنقله عن الموضع الذى وضعته

اللغه فيه، لأنه كما مضى، موضوع لإثبات الفعل للشى ء فى زمان ماض، و هو فى قولك: «فعل الربيع» باق على هذه الحقيقه غير زائل عنها. و لن يستحقّ اللفظ الوصف بأنه مجاز، حتى يجرى على شى ء لم يوضع له فى الأصل. و إثبات الفعل لغير مستحقّه، و لما ليس بفاعل على الحقيقه، لا يخرج «فعل» عن أصله، و لا يجعله جاريا على شى ء لم يوضع له، لأن الذى وضع له «فعل» هو إثبات الفعل للشى ء فقط، فأمّا وصف ذلك الشى ء الذى يقع هذا الإثبات له، فخارج عن دلالته، و غير داخل فى الموضع اللغوىّ، بل لا يجوز دخوله فيه، لما قدّمت من استحاله أن يقال: «إنّ اللغه هى التى أوجبت أن يختصّ الفعل بالحىّ القادر دون الجماد»، و ما فى ذلك من الفساد العظيم، فاعرفه فرقا واضحا، و برهانا قاطعا.

و هاهنا نكته جامعه، و هى أن «المجاز» فى مقابله «الحقيقه»، فما كان طريقا فى أحدهما من لغه أو عقل، فهو طريق فى الآخر. و لست تشكّ فى أنّ طريق كون «الأسد» حقيقه فى السبع، اللّغه دون العقل، و إذا كانت اللغه طريقا للحقيقه فيه، وجب أن تكون هى أيضا الطريق فى كونه مجازا فى المشبّه بالسّبع، إذا أنت أجريت اسم الأسد عليه فقلت: «رأيت أسدا»، تريد رجلا لا تميّزه عن الأسد فى بسالته و إقدامه و بطشه.

و كذلك إذا علمت أن طريق الحقيقه فى إثبات الفعل للشى ء هو العقل، فينبغى أن تعلم أنه أيضا الطريق إلى المجاز فيه. فكما أن العقل هو الذى دلّك حين

قلت: «فعل الحىّ القادر»، أنک لم تتجوّز، و أنک واضع قدمک على محض الحقيقه، كذلك ينبغى أن يكون هو الدالّ و المقتضى، إذا قلت: «فعل الربيع»، أنک قد تجوّزت و زلت عن الحقيقه، فاعرفه.

فإن قال قائل: كان سياق هذا الكلام و تقريره يقتضى أنّ طريق المجاز كلّه العقل، و أن لا حظّ للّغه فيه، و ذاک أنّا لا نجرى اسم الأسد على المشبّه بالأسد، حتى ندّعى له الأسديه، و حتى نوهم أنه حين أعطاک من البساله و البأس و البطش، ما تجده عند الأسد، صار كأنه واحد من الأسود قد استبدل بصورته صوره الإنسان، و قد قدّمت أنت فيما مضى ما بيّن أنک لا تتجوّز فى إجراء اسم المشبّه به على المشبّه، حتى تخيّل إلى نفسک أنه هو بعينه فإذا كان الأمر كذلك فأنت فى قولک: «رأيت أسدا»، متجوّز من طريق المعقول، كما أنک كذلك فى «فعل الربيع». و إذا كان كذلك، عاد الحديث إلى أنّ المجاز فيهما جميعا عقلىّ، فكيف قسّمته قسمين لغوىّ و عقلى؟

فالجواب: أنّ هذا الذى زعمت- من أنک لا تجرى اسم المشبّه به على المشبّه حتى تدّعى أنه قد صار من ذلک الجنس، نحو أن تجعل الرجل كأنه فى حقيقه الأسد صحيح كما زعمت، لا يدفعه أحد. كيف السبيل إلى دفعه، و عليه المعوّل فى كونه التشبيه على حدّ المبالغه، و هو الفرق بين الاستعاره و بين التشبيه المرسل؟ إلّا أن هاهنا نكته أخرى قد أغفلتها، و هى أنّ تجوّزک هذا الذى طريقه العقل، يفضى بک إلى أن تجرى الاسم على شى ء لم يوضع له فى اللغه على كل حال، فتجوز

بالاسم على الجمله الشى ء الذى وضع له، فمن هاهنا جعلنا اللغه طريقا فيه.

فإن قلت: لا أسلّم أنه جرى على شى ء لم يوضع له فى اللغه، لأنک إذا قلت:

«لا تجريه على الرجل حتى تـدّعى له أنه فى معنى الأسـد»، لم تكن قد أجريته على ما لم يوضع له، و إنما كان يكون جاريا على غير ما وضع له، أن لو كنت أجريته على شـى ء لتفيـد به معنى غير الأسـديه. و ذلک ما لا يعقل، لأنک لا تفيد بالأسد فى التشبيه أنه رجل مثلا، أو عاقل، أو على وصف لم يوضع هذا الاسم للدلاله عليه البته.

قيل لک: قصارى حـديثک هـذا أنّا أجرينا اسم الأسـد على الرجل المشبّه بالأسد على طريق التأويل و التخييل، أ فليس على كل حال قد أجريناه على ما ليس بأسد على الحقيقه؟ و ألسنا قد جعلنا له مذهبا لم يكن له فى أصل الوضع؟

و هبنا قد ادّعينا للرجل الأسديه حتى استحق بذلک أن نجرى عليه اسم الأسد،

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۹۰

أ ترانا نتجاوز فى هـذه الـدعوى حديث الشـجاعه، حتى ندّعى للرجل صوره الأسد و هيئته و عباله عنقه و مخالبه، و سائر أوصافه الظاهره الباديه للعيون؟ و لئن كانت الشـجاعه من أخصّ أوصاف الأسد و أمكنها، فإن اللغه لم تضع الاسم لها وحدها، بل لها فى مثـل تلک الجثّه و هاتيک الصوره و الهيئه و تلک الأنياب و المخالب، إلى سائر ما يعلم من الصوره الخاصّه فى جوارحه كلّها. و لو كانت وضعته لتلک الشجاعه

التی تعرفها وحدها، لکان صفه لا اسما، و لکان کل شی ء یفضی فی شجاعته إلی ذلک الحدّ مستحقّا للاسم استحقاقا حقیقیّا، لا علی طریق التشبیه و التأویل.

و إذا کان کذلک، فإنّا و إن کنّا لم ندلّ به علی معنی لم یتضمّنه اسم الأسد فی أصل وضعه، فقد سلبناه بعض ما وضع له، و جعلناه للمعانی التی هی باطنه فی الأسد و غریزه و طبع به و خلق، مجرّده عن المعانی الظاهره التی هی جثّه و هیئه و خلق، و فی ذلک کفایه فی إزالته عن أصل وقع له فی اللغه، و نقله عن حدّ جریه فیه إلی حدّ آخر مخالف له.

و لیس فی «فعل»، إذا تجوّز فیه شی ء من ذلک، لأنّا لم نسلبه لا بالتأویل و لا غیر التأویل شیئا وضعته اللغه له، لأنه کما ذکرت غیر مرّه: لإثبات الفعل للشی ء من غیر أن یتعرّض لذلک الشی ء ما هو، أو هو مستحقّ لأن یثبت له الفعل أو غیر مستحق. و إذا کان کذلک، کان الذی أرادت اللغه به موجودا فیه ثابتا له فی قولک:

«فعل الربیع»، ثبوته إذا قلت: «فعل الحیّ القادر»، لم یتغیّر له صوره، و لم ینقص منه شی ء، و لم یزل عن حدّ إلی حدّ، فاعرفه.

فإن قلت: قد علمنا أنّ طریق المجاز ینقسم إلی ما ذکرت من اللغه و المعقول، و أنّ «فعل» فی نحو: «فعل الربیع»، مما طریقه المعقول، و أنّ نحو: «الأسد» إذا قصد به التشبیه، و استعیر لغیر السبع، طریق مجازه اللغه، و بقی أن نعلم لم خصّصت المجاز- إذا کان طریقه العقل- بأن توصف به الجمله من الکلام دون الکلمه الواحده. و هلّا جوّزت أن یکون «فعل» علی

الانفراد موصوفا به؟

فإنّ سبب ذلک أن المعنى الذى له وضع «فعل» لا يتصوّر الحكم عليه بمجاز أو حقيقه حتى يسند إلى الاسم، و هكذا كل مثال من أمثله الفعل، لأنه موضوع لإثبات الفعل للشى ء، فما لم نبيّن ذلک الشى ء الذى نثبته له و نذكره، لم يعقل أنّ الإثبات واقع موقعه الذى نجده مرسوما به فى صحف العقول، أم قد زال عنه و جازه إلى غيره.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۹۱

هذا، و قولک: هلّا جوّزت أن يكون «فعل» على الانفراد موصوفا به، محال، بعد أن نثبت أن لا مجاز فى دلاله اللفظ، و إنما المجاز فى أمر خارج عنه.

فإن قلت: أردت: هلّا جوّزت أن ينسب المجاز إلى معناه وحده، و هو إثبات الفعل فيقال: «هو إثبات فعل على سبيل المجاز»؟

فإنّ ذلک لا يتأتّى أيضا إلا بعد ذكر الفاعل، لأن المجاز أو الحقيقه، إنما يظهر و يتصوّر من المثبت و المثبت له و الإثبات، و إثبات الفعل من غير أن يقيّد بما وقع الإثبات له، لا يصحّ الحكم عليه بمجاز أو حقيقه، فلا يمكنک أن تقول: «إثبات الفعل مجاز أو حقيقه» هكذا مرسلا، إنما تقول: «إثبات الفعل للربيع مجاز، و إثباته للحىّ القادر حقيقه».

و إذا كان الأمر كذلک علمت أن لا سبيل إلى الحكم بأنّ هاهنا مجازا أو حقيقه من طريق العقل، إلا فى جمله من الكلام. و كيف يتصوّر خلاف ذلک؟ و وزان الحقيقه و المجاز العقليين، و زان الصدق و الكذب، فكما يستحيل وصف الكلم المفرده بالصدق و الكذب،

و أن يجرى ذلك فى معانيها مفرّقه غير مؤلّفه، فيقال:

«رجل- على الانفراد- كذب أو صدق»، كذلك يستحيل أن يكون هاهنا حكم بالمجاز أو الحقيقه، و أنت تنحو نحو العقل إلا فى الجمله المفيده. فاعرفه أصلا كبيرا و اللّه الموفق للصواب، و المسئول أن يعصم من الزّلل بمنّه و فضله.

فصل فى الحذف و الزياده، و هل هما من المجاز أم لا

فصل فى الحذف و الزياده، و هل هما من المجاز أم لا

و اعلم أن الكلمه كما توصف بالمجاز، لنقلك لها عن معناها، كما مضى، فقد توصف به لنقلها عن حكم كان لها، إلى حكم ليس هو بحقيقه فيها.

و مثال ذلك: أن المضاف إليه يكتسى إعراب المضاف فى نحو: وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ [يوسف: ٨٢]، و الأصل: «و اسأل أهل القريه»، فالحكم الذى يجب للقريه فى الأصل و على الحقيقه هو الجرّ، و النصب فيها مجاز. و هكذا قولهم: «بنو فلان تطؤهم الطريق»، يريدون أهل الطريق، الرّفع فى «الطريق» مجاز، لأنه منقول إليه عن المضاف المحذوف الذى هو «الأهل»، و الذى يستحقّه فى أصله هو الجرّ.

و لا ينبغى أن يقال: «إن وجه المجاز فى هذا، الحذف»، فإن الحذف إذا تجرّد

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٢٩٢

عن تغيير حكم من أحكام ما بقى بعد الحذف لم يسمّ مجازا. أ لا ترى أنك تقول:

«زيد منطلق و عمرو»، فتحذف الخبر، ثم لا توصف جمله الكلام من أجل ذلك بأنه مجاز؟ و ذلك لأنه لم يؤدّ إلى تغيير حكم فيما بقى من الكلام.

و يزيده تقريرا: أن المجاز إذا كان معناه: «أن تجوز بالشى ء موضعه و

أصله»، فالحذف بمجرّده لا يستحقّ الوصف به، لأنّ ترک الذکر و إسقاط الکلمه من الکلام، لا یکون نقلا لها عن أصلها، إنما يتصوّر النقل فيما دخل تحت النطق.

و إذا امتنع أن یوصف المحذوف بالمجاز، بقی القول فیما لم یحذف. و ما لم یحذف و دخل تحت الذکر، لا یزول عن أصله و مکانه حتی یغیّر حکم من أحکامه أو یغیّر عن معانیه، فأما و هو علی حاله، و المحذوف مذکور، فتوهّم ذلک فیه من أبعد المحال، فاعرفه.

و إذا صحّ امتناع أن یکون مجرّد الحذف مجازا، أو تحقّ صفه باقی الکلام بالمجاز، من أجل حذف کان علی الإطلاق، دون أن یحدث هناک بسبب ذلک الحذف تغیّر حکم علی وجه من الوجوه علمت منه أنّ الزیاده فی هذه القضیه کالحذف، فلا یجوز أن یقال إن زیاده «ما» فی نحو: فَبِما رَحْمَهٍ [آل عمران: ١٥٩] مجاز، أو أن جمله الکلام تصیر مجازا من أجل زیادته فیه. و ذلک أنّ حقیقه الزیاده فی الکلمه أن تعری من معناها، و تذکر و لا فائده لها سوی الصّله، و یکون سقوطها و ثبوتها سواء.

و محال أن یکون ذلک مجازا، لأن المجاز أن یراد بالکلمه غیر ما وضعت له فی الأصل أو یزاد فیه أو یوهم شی ء لیس من شأنه، کإیهامک بظاهر النّصب فی «القریه» أن السؤال واقع علیها. و الزائد الذی سقوطه کثبوته لا یتصوّر فیه ذلک.

فأما غیر الزائد من أجزاء الکلام الذی زید فیه، فیجب أن ینظر فیه، فإن حدث هناک بسبب ذلک الزائد حکم تزول به الکلمه عن أصلها، جاز حینئذ أن یوصف ذلک الحکم، أو ما وقع فیه، بأنه مجاز، کقولک فی نحو قوله تعالی: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْ ءٌ

[الشورى: ۱۱]: إن الجرّ فى «المثل» مجاز، لأن أصله النصب، و الجرّ حكم عرض من أجل زياده «الكاف»، و لو كانوا إذ جعلوا «الكاف» مزيده لم يعملوها، لما كان لحديث المجاز سبيل على هذا الكلام.

و يزيده وضوحا أن الزياده على الإطلاق لو كانت تستحق الوصف بأنها مجاز، لكان ينبغى أن يكون كل ما ليس بمزيد من الكلم مستحقّا الوصف بأنه حقيقه، حتى يكون «الأسد» فى قولك: «رأيت أسدا» و أنت تريد رجلا، حقيقه.

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۹۳

فإن قلت: المجاز على أقسام، و الزياده من أحدها.

قيل: هذا لك إذا حدّدت المجاز بحدّ تدخل الزياده فيه، و لا سبيل لك إلى ذلك، لأن قولنا: «المجاز»، يفيد أن تجوز بالكلمه موضعها فى أصل الوضع، و تنقلها عن دلاله إلى دلاله، أو ما قارب ذلك.

و على الجمله، فإنه لا يعقل من «المجاز» أن تسلب الكلمه دلالتها، ثم لا تعطيها دلاله أخرى، و أن تخليها من أن يراد بها شى ء على وجه من الوجوه. و وصف اللفظه بالزياده، يفيد أن لا يراد بها معنى، و أن تجعل كأن لم يكن لها دلاله قطّ.

فإن قلت: أو ليس يقال إن الكلمه لا تعرى من فائده ما، و لا تصير لغوا على الإطلاق، حتى قالوا: إنّ «ما» فى نحو: «فبما رحمه من اللّه»، تفيد التوكيد؟

فأنا أقول إنّ كون «ما» تأكيدا، نقل لها عن أصلها و مجاز فيها. و كذلك أقول:

إن كون الباء المزيده فى «ليس زيد بخارج»، لتأكيد النفى، مجاز فى الكلمه، لأن أصلها أن تكون

للإلصاق فإنّ ذلك على بعده لا يقدح فيما أردت تصحيحه، لأنه لا يتصوّر أن تصف الكلمه من حيث جعلت زائده بأنها مجاز، و متى ادّعينا لها شيئا من المعنى، فإنّا نجعلها من تلك الجهه غير مزيده.

و لذلك يقول الشيخ أبو على فى الكلمه إذا كانت تزول عن أصلها من وجه و لا تزول من آخر: «معتدّ بها من وجه، غير معتدّ بها من وجه»، كما قال فى اللّام من قولهم: «لا أبا لزيد»، و جعلها من حيث منعت أن يتعرّف «الأب» بزيد، معتدّا بها من حيث عارضها لام الفعل من «الأب» التى لا تعود إلا فى الإضافه نحو: «أبو زيد» و «أبا زيد»، غير معتدّ بها، و فى حكم المقحمه الزائده.

و كذلك توصف «لا» فى قولنا: «مررت برجل لا طويل و لا قصير»، بأنها مزيده و لكن على هذا الحدّ، فيقال: «هى مزيده غير معتدّ بها من حيث الإعراب، و معتدّ بها من حيث أوجبت نفى الطول و القصر عن الرجل، و لولاها لكانا ثابتين له».

و تطلق الزياده على «لا» فى نحو قوله تعالى: لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ [الحديد: ٢٩]، لأنها لا تفيد النفى فيما دخلت عليه، و لا يستقيم المعنى إلّا على إسقاطها. ثم إن قلنا إنّ «لا» هذه المزيده تفيد تأكيد النفى الذى يجى ء من بعد فى قوله: أَلَّا يَقْدِرُونَ، و تؤذن به، فإنّا نجعلها من حيث أفادت هذا التأكيد غير مزيده، و إنما نجعلها مزيده من حيث لم تفد النفى الصريح فيما دخلت عليه، كما أفادته فى المسأله.

أسرار البلاغه فی علم البیان، ص: ۲۹۴

و إذا ثبت أنّ وصف الکلمه بالزیاده، نقیض وصفها بالإفاده، علمت أن الزیاده، من حیث هی زیاده، لا توجب الوصف بالمجاز.

فإن قلت: تکون سببا لنقل الکلمه عن معنی هو أصل فیها إلی معنی لیس بأصل کدت تقول قولا یجوز الإصغاء إلیه، و ذلک، إن صحّ، نظیر ما قدّمت من أن الحذف أو الزیاده قد تکون سببا لحدوث حکم فی الکلمه تدخل من أجله فی المجاز، کنصب القریه فی الآیه و جرّ المثل فی الأخری، فاعرفه.

و اعلم أن من أصول هذا الباب: أن من حقّ المحذوف أن المزید أن ینسب إلی جمله الکلام، لا إلی الکلمه المجاوره له، فأنت تقول إذا سئلت عن: «اسأل القریه»:

فی الکلام حذف، و الأصل: «أهل القریه»، ثم حذف «الأهل»، تعنی حذف من بین الکلام.

و کذلک تقول: «الکاف» زائده فی الکلام و الأصل: «لیس مثله شی ء».

و لا تقول هی زائده فی «مثل»، إذ لو جاز ذلک، لجاز أن یقال إنّ «ما» فی «فبما رحمه»، مزیده فی الرحمه، أو فی «الباء» و أن «لا» مزیده فی «یعلم»، و ذلک بیّن الفساد، لأن هذه العباره إنما تصلح حیث یراد أن حرفا زید فی صیغه اسم أو فعل، علی أن لا یکون لذلک الحرف علی الانفراد معنی، و لا تعدّه وحده کلمه، کقولک: «زیدت الیاء للتصغیر فی رجیل، و التاء للتأنیث فی ضاربه». و لو جاز غیر ذلک، لجاز أن یکون خبر المبتدأ إذ حذف فی نحو: «زید منطلق و عمرو»، محذوفا من المبتدأ نفسه، علی حدّ حذف اللام من ید و دم، و ذلک ما لا یقوله عاقل.

فنحن إذا قلنا: إن «الکاف» مزیده فی «مثل»، فإنما

نعنى أنها لمّا زيدت فى الجمله وضعت فى هذا الموضع منها. و الأصحّ فى العباره أن يقال: «الكاف فى «مثل» مزيده»، يعنى الكاف الكائنه فى «مثل» مزيده، كما تقول: «الكاف التى تراها فى «مثل» مزيده» و كذلك تقول: «حذف المضاف من الكلام»، و لا تقول:

«حذف المضاف من المضاف إليه». و هذا أوضح من أن يخفى، و لكنّى استقصيته، لأنى رأيت فى بعض العبارات المستعمله فى المجاز و الحقيقه ما يوهم ذلك، فاعرفه.

و مما يجب ضبطه هنا أيضا: أن الكلام إذا امتنع حمله على ظاهره حتى يدعو إلى تقدير حذف، أو إسقاط مذكور، كان على وجهين:

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۲۹۵

أحدهما: أن يكون امتناع تركه على ظاهره، لأمر يرجع إلى غرض المتكلم، و مثاله الآيتان المتقدم تلاوتهما. أ لا ترى أنك لو رأيت «اسأل القريه» فى غير التنزيل، لم تقطع بأن هاهنا محذوفا، لجواز أن يكون كلام رجل مرّ بقريه قد خربت و باد أهلها، فأراد أن يقول لصاحبه واعظا و مذكّرا، أو لنفسه متّعظا و معتبرا: «اسأل القريه عن أهلها، و قل لها ما صنعوا»، على حد قولهم: «سل الأرض من شقّ أنهارک، و غرس أشجارک، و جنى ثمارک، فإنها إن لم تجبک حوارا، أجابتک اعتبارا» و كذلك:

إن سمعت الرجل يقول: «ليس كمثل زيد أحد»، لم تقطع بزياده الكاف، و جوّزت أن يريد: ليس كالرجل المعروف بمماثله زيد أحد.

الوجه الثانى: أن يكون امتناع ترک الكلام على ظاهره، و لزوم الحكم بحذف أو زياده، من أجل الكلام نفسه، لا

من حيث غرض المتكلم به، و ذلك مثل أن يكون المحذوف أحد جزءى الجمله، كالمبتدإ فى نحو قوله تعالى: فَصَبْرٌ جَمِيلٌ [يوسف: ١٨ و ٨٣]، و قوله: مَتاعٌ قَلِيلٌ [النحل: ١١٧]، لا بدّ من تقدير محذوف، و لا سبيل إلى أن يكون له معنى دونه، سواء كان فى التنزيل أو فى غيره، فإذا نظرت إلى: «صبر جميل» فى قول الشاعر «١»: [من الرجز]

يشكو إلىّ جملى طول السّرى صبر جميل، فكلانا مبتلى

وجدته يقتضى تقدير محذوف، كما اقتضاه فى التنزيل، و ذلك أن الداعى إلى تقدير المحذوف هاهنا، هو أن الاسم الواحد لا يفيد، و الصفه و الموصوف حكمهما حكم الاسم الواحد، و «جميل» صفه «للصبر».

و تقول للرجل: «من هذا؟»، فيقول: «زيد»، يريد: هو زيد، فتجد هذا الإضمار واجبا، لأن الاسم الواحد لا يفيد. و كيف يتصوّر أن يفيد الاسم الواحد، و مدار الفائده على إثبات أو نفى، و كلاهما يقتضى شيئين: مثبت و مثبت له، و منفىّ و منفىّ عنه؟

---

(١) البيت لم أعرف قائله و هو فى كتاب سيبويه ١/ ٣٢١، و فى شروح سقط الزند ص ٦٢٠ بروايه:

«صبرا جميلا»، و أمالى المرتضى ١/ ١٠٧، و يروى «شكا إلى». و بين الشطر الأول و الثانى عند المرتضى:

يا جملى ليس إلىّ المشتكى الدرهمان كلفانى ما ترى

و السرى: السير ليلا.

أسرار البلاغه فی علم البیان، ص: ۲۹۶

و أما وجوب الحکم بالزیاده لهذه الجهه، فکنحو قولهم: «بحسبک أن تفعل»، و: کَفی بِاللَّهِ [سوره النساء: ۶، و آیات أخر]، إن لم تقض بزیاده «الباء»، لم تجد للکلام وجها تصرفه إلیه، و تأویلا تتأوله علیه البته، فلا بدّ لک من أن تقول: إن الأصل: «حسبک أن تفعل»، و «کفی اللّه»، و ذلک أن «الباء» إذا کانت غیر مزیده، کانت لتعدیه الفعل إلی الاسم، و لیس فی «بحسبک أن تفعل» فعل تعدّیه الباء إلی حسبک. و من أین یتصوّر أن یتعدّی إلی المبتدأ فعل، و المبتدأ هو المعرّی من العوامل اللفظیه؟ و هکذا الأمر فی «کفی» أو أقوی، و ذلک أن الاسم الداخل علیه الباء فی نحو: «کفی بزید»، فاعل کفی، و محال أن تعدّی الفعل إلی الفاعل بالباء أو غیر الباء، ففی الفعل من الاقتضاء للفاعل ما لا حاجه معه إلی متوسّط و موصل و معدّ، فاعرفه، و اللّه أعلم بالصواب.

تم بعون اللّه و توفیقه طبع کتاب (أسرار البلاغه) للإمام عبد القاهر الجرجانی

أسرار البلاغه فی علم البیان، ص: ۲۹۷

فهارس الکتاب

فهرس الآیات القرآنیه

فهرس الآیات القرآنیه

سوره الفاتحه «اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِیمَ» ۵/ ۵۴ سوره البقره «مَثَلُهُمْ کَمَثَلِ الَّذِی اسْتَوْقَدَ ناراً فَلَمَّا أَضاءَتْ ما حَوْلَهُ» ۱۷/ ۸۵ «أَوْ کَصَیِّبٍ مِنَ السَّماءِ فِیهِ ظُلُماتٌ وَ رَعْدٌ وَ بَرْقٌ» ۱۹/ ۱۸۱ «حَتَّی یَتَبَیَّنَ لَکُمُ الْخَیْطُ الْأَبْیَضُ مِنَ الْخَیْطِ الْأَسْوَدِ». ۱۸۷/ ۲۳۰

«یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْأَهِلَّهِ قُلْ هِیَ» ۱۸۹/ ۲۲۴

«هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ» ۲۱۰/ ۲۷۶ «قالَ بَلى وَ لكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي» ۲۶۰/ ۹۶ سوره آل عمران «مَثَلُ ما يُنْفِقُونَ فِي هذِهِ الْحَياةِ الدُّنْيا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيها صِرٌّ أَصابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ» ۱۱۷/ ۲۷۵ «فَبِما رَحْمَةٍ» ۱۵۹/ ۲۹۳ سوره النّساء «كَفى بِاللَّهِ» ۶/ ۲۹۷ «لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْواهُمْ» ۱۱۴/ ۲۴۵ سوره الأنعام «أَ وَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ»./ ۱۲۲/ ۶۰، ۲۶۳

سوره الأعراف «حَتَّى إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالًا سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ» ۵۷/ ۲۷۲ «وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ» ۱۵۷/ ۵۴ «وَ قَطَّعْناهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَماً» ۱۵۸/ ۵۰

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۳۰۰

سوره الأنفال «وَ إِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً» ۲/ ۲۷۲ سوره التوبه «فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زادَتْهُ هذِهِ إِيماناً» ۱۲۴/ ۲۷۲ سوره يونس «إِنَّما مَثَلُ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَ الْأَنْعامُ حَتَّى إِذا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَها وَ ازَّيَّنَتْ وَ ظَنَّ أَهْلُها أَنَّهُمْ قادِرُونَ عَلَيْها أَتاها أَمْرُنا لَيْلًا أَوْ نَهاراً فَجَعَلْناها حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ» ۲۴/ ۸۱، ۸۴، ۱۸۰ سوره هود «وَ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا» ۳۷/ ۴۴ سوره يوسف «فَصَبْرٌ جَمِيلٌ» ۱۸، ۸۳/ ۲۹۶ «وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ» ۸۲/ ۱۸۰، ۲۷۶، ۲۹۲ سوره إبراهيم «تُؤْتِي أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّها» ۲۵/ ۲۷۲ سوره النّحل «مَتاعٌ قَلِيلٌ» ۱۱۷/ ۲۹۶ سوره مريم «وَ اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً» ۴/ ۱۹۷ سوره طه «الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى» ۵/ ۲۷۶ «وَ

لِتُصْنَعَ عَلی عَیْنِی» ۳۹/ ۴۴ سوره الحج «وَ مَنْ یُشْرِکْ بِاللَّهِ فَکَأَنَّما خَرَّ مِنَ السَّماءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّیْرُ أَوْ تَهْوِی بِهِ الرِّیحُ فِی مَکانٍ سَحِیقٍ» ۳۱/ ۲۷۱

أسرار البلاغه فی علم البیان، ص: ۳۰۱

سوره العنکبوت «کَمَثَلِ الْعَنْکَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَیْتاً» ۴۱/ ۸۵ سوره سبأ «وَ مَزَّقْناهُمْ کُلَّ مُمَزَّقٍ» ۱۹/ ۵۰ سوره فاطر «فَأَحْیَیْنا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها» ۹/ ۲۶۴ سوره الزّمر «وَ السَّماواتُ مَطْوِیَّاتٌ بِیَمِینِهِ» ۶۷/ ۲۵۳ «وَ الْأَرْضُ جَمِیعاً قَبْضَتُهُ» ۶۷/ ۲۵۳ سوره فصّلت «لَهُمْ فِیها دارُ الْخُلْدِ» ۲۸/ ۲۳۸ «إِنَّ الَّذِی أَحْیاها لَمُحْیِ الْمَوْتی» ۳۹/ ۲۶۳ سوره الشّوری «لَیْسَ کَمِثْلِهِ شَیْ ءٌ» ۱۱/ ۲۹۳ «وَ کَذلِکَ أَوْحَیْنا إِلَیْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا» ۵۲/ ۲۶۳ «وَ إِنَّکَ لَتَهْدِی إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ» ۵۲/ ۵۴ سوره الزّخرف «وَ جَعَلُوا الْمَلائِکَهَ الَّذِینَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً» ۱۹/ ۲۸۷ «أَ شَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُکْتَبُ شَهادَتُهُمْ وَ یُسْئَلُونَ» ۱۹/ ۲۸۷ سوره الجاثیه «وَ ما یُهْلِکُنا إِلَّا الدَّهْرُ وَ ما لَهُمْ بِذلِکَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا یَظُنُّونَ» ۲۴/ ۲۷۲، ۲۷۳، ۲۷۵ سوره الحجرات «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَیْنَ یَدَیِ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ» ۱/ ۲۵۲ «إِنَّ أَکْرَمَکُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاکُمْ» ۱۳/ ۱۹۱ سوره ق «إِنَّ فِی ذلِکَ لَذِکْری لِمَنْ کانَ لَهُ قَلْبٌ» ۳۷/ ۲۵۶

أسرار البلاغه فی علم البیان، ص: ۳۰۲

سوره الرحمن «الرَّحْمنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ. خَلَقَ الْإِنْسانَ. عَلَّمَهُ الْبَیانَ» ۱- ۴/ ۱۳ سوره الحدید «یُحْیِ

الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها» ۱۷/ ۲۶۷ «لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ» ۲۹/ ۲۹۴ سوره الحشر «فَأَتاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا» ۲/ ۲۷۶ سوره الجمعه «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً» ۵/ ۷۷ سوره القيامه «بَلى قادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ ۴/ ۲۵۱ سوره الفجر «وَ جاءَ رَبُّكَ» ۲۲/ ۲۷۶ سوره الزّلزله «وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقالَها» ۲/ ۲۷۲

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۳۰۳

فهرس الأحاديث النبويه

فهرس الأحاديث النبويه

«أ تدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا يا رسول اللّه، من لا درهم له و لا متاع»/ ۶۷ «أتيتكم بالحنيفيّه البيضاء، ليلها كنهارها»/ ۱۶۶ «قالت له نساؤه: أيّتنا أسرع لحاقا بك يا رسول اللّه؟ قال: أطولكنّ يدا»/ ۲۵۲ «إنّ أحدكم إذا تصدّق بالتّمره من الطّيّب- و لا يقبل اللّه إلّا الطيّب- جعل اللّه ذلك فى كفّه، فيربّيها كما يربّى أحدكم فلوه، حتى يبلغ بالتمره مثل أحد»/ ۲۵۸ «إنّ ممّا ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلمّ»/ ۲۷۲ «عن عدىّ بن حاتم: «أخذت عقالا أسود و عقالا أبيض فوضعتهما تحت و سادتى، فنظرت فلم أتبيّن، فذكرت ذلك للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم فقال: إنّ وسادك لطويل عريض، إنما هو الليل و النهار»/ ۲۳۰ «إنّ مثل المؤمن كمثل النخله، أكلت طيّبا، و وقعت فلم تكسر و لم تفسد» انظر:

«مثل المؤمن»./ ۱۷۹

«إيّاكم و خضراء الدّمن، قيل: و ما خضراء الدّمن؟ قال: المرأه الحسناء فى المنبت السّوء»/ ۵۵، ۱۹۷ «جبلت القلوب على حب ....»/ ۱۹۱

قال صلّى اللّه عليه و

سلّم فی الأنصار: «حبّهم إیمان، و بغضهم نفاق» ۵۸ «رب حامل فقه .....»/ ۷۹

«الظلم ظلمات یوم القیامه»/ ۲۰ «العین تزنی»/ ۲۱۵ «کلّکم لآدم، و آدم من تراب»/ ۱۹۱ «لا تزال أمتی بخیر ما لم تر الغنی مغنما»/ ۲۰ «لیدخلنّ هذا الدّین ما دخل علیه اللیل»/ ۱۸۵ «المؤمن مرآه المؤمن»/ ۱۹۷

«المؤمنون تتکامل دماؤه»/ ۲۵۲ «مثل أصحابی کمثل الملح فی الطعام، لا یصلح الطعام إلّا بالملح»/ ۵۷ «مثل الفتیله تضی ء للناس و تحرق نفسها»/ ۹۲ «مثل الذی یعلم الناس الخیر و لا یعمل به، مثل السّراج یضی ء للناس و یحرق نفسه»/ ۹۲ «مثل المؤمن کمثل النخله، ما أخذت منها من شی ء نفعک»: انظر: «إن مثل المؤمن» ۱۸۰ «من أبطأ به عمله، لم یسرع به نسبه»/ ۱۹۱ «من فی الدنیا ضیف، و ما فی یدیه عاریّه، و الضّیف مرتحل، و العاریّه مستردّه»/ ۹۲ «الناس کإبل مائه، لا تکاد تجد فیها راحله»/ ۸۴- ۱۷۸ «و لو فرسن شاه»/ ۵۳ «یا أیها الناس أفشوا السّلام»/ ۲۰ «یا بنی هاشم، لا یجیئنی الناس بالأعمال و تجیئونی بالأنساب»/ ۱۹۱ «یحمل هذا العلم من کل خلف عدوله، ینفون عنه تحریف الغالین، و انتحال المبطلین، و تأویل الجاهلین»/ ۷۹- ۲۷۷

فهرس بعض الأقوال و الأمثال

فهرس بعض الأقوال و الأمثال

«بلغنی أنّک تقدّم رجلا و

تؤخّر أخرى، فإذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيّهما شئت، و السلام»- رساله أمير المؤمنين يزيد بن الوليد إلى مروان بن محمد./ ۸۳

«حلّت ركابى، و شقّقت ثيابى، و ضربت صحابى»- مقاله أعرابىّ./ ۲۰

«سل الأرض فقل: من شقّ أنهارک، و غرس أشجارک، و جنى ثمارک، فإن لم تجبک حوارا، أجابتک اعتبارا»- الفضل بن عيسى الرقاشى./ ۲۰

«شكرا شكرا، إنّا و اللّه ما خرجنا لنحفر فيكم نهرا، و لا لنبنى فيكم قصرا، فالآن عاد الأمر إلى نصابه، و طلعت الشمس من مطلعها، و الآن قد أخذ القوس باريها، و عاد النّبل إلى النزعه، و عاد الأمر إلى مستقرّه فى أهل بيت نبيّكم، أهل بيت الرّأفه و الرّحمه»- خطبه داود بن على العباسى./ ۱۸۷

«كانوا إذا اصطفّوا سفرت بينهم السّهام، و إذا تصافحوا بالسيوف قفز الحمام»- أعرابى./ ۳۰

«كيف الطّلا و أمّه»، «ما أصنع به؟ آكله أم أشربه»، «غرثان فاربكوا له»- أعرابى./ ۳۰

«كيف الطّلا و أمّه»، «ما أصنع به؟ آكله أم أشربه»، «غرثان فاربكوا له»- من قصه ابن لسان الحمّره./ ۳۸

«اللّهمّ هب لى حمدا، و هب لى مجدا، فلا مجد إلّا بفعال، و لا فعال إلّا بمال.

اللّهمّ لا يصلحنى القليل و لا أصلح عليه»- دعاء سعد بن عباده رضى اللّه عنه/ ۱۹ «ما الإنسان لو لا اللّسان، إلا صوره ممثّله، أو بهيمه مهمله»- من كلام خالد بن صفوان الخطيب./ ۲۰

«مات خزّان الأموال، و العلماء باقون ما بقى الدهر، أعيانهم مفقوده، و أمثالهم فى القلوب موجوده»- من قول على بن أبى طالب رضى اللّه عنه- انظر: «هلك

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۳۰۶

خزان الأموال»./ ۶۴

«هلك خزّان الأموال»- من قول على بن أبى طالب رضى اللّه عنه- انظر:

«مات خزان الأموال»/ ۶۴ «هنّ مخرجاتى من الشام»- من كلام عمرو بن العاص رضى اللّه عنه./ ۲۷۴

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۳۰۷

فهرس الأبيات الشعريه

فهرس الأبيات الشعريه

آخر البيت/ قائله/ البحر/ الصفحه قافيه الهمزه .. عه إنّها أوقى رداء/ بعض المتأخرين/ الكامل/ ۲۲ و إن كان قد شفّ الوجوه لقاء/ محرز بن المكعبر الضبىّ/ الطويل/ ۲۴۱ أبوهم آدم و الأمّ حوّاء/ محمد بن الربيع الموصلى/ البسيط/ ۱۹۱ حمّت به فصبيبها الرّحضاء/ المتنبى/ الكامل/ ۲۰۰ إلّا بوجه ليس فيه حياء/ المتنبى/ الكامل/ ۲۴۲ ... جه سكرا لما شربن الدماء/ البحترى/ الخفيف/ ۲۰۸ سوى فرط التوقّد و الذّكاء/ ابن بابك/ الوافر/ ۲۰۳ و تزوره فى غاره شعواء/ البحترى/ الكامل/ ۱۹ فى كلّ معركه متون نهاء/ البحترى/ الكامل/ ۱۵۳ فغدت تبسّم عن نجوم سماء/ البحترى/ الكامل/ ۱۵۴ و أبى بعد ذاك بذل العطاء/ ابن الرومى/ الخفيف/ ۱۱۴ .... ن و يأبى الإثمار كلّ الإباء/ ابن الرومى/ الخفيف/ ۹۰ بأنّ له حاجه فى السماء/ أبو تمام/ المتقارب/ ۲۱۶ فاقتصّ منه فخاص فى أحشائه/ ابن نباته/ الكامل/ ۲۰۵ قافيه الباء قمرا يكر على الرجال بكوكب/ البحترى/ الكامل/ ۱۵۹ بمحتسب إلّا بآخر مكتسب/ ابن الرومى/ الطويل/ ۱۹۰ ... ء و حاجه الشّعث التوالب/ الأعلم الهذلى/ الكامل/ ۳۷ بطن شجاع فى كثيب يضطرب/ ابن المعتز/ الرجز/ ۱۲۷ أنها من فرط

برد فی العصب/ کشاجم/ الرمل/ ۲۰۳ فإن خاف نقص المحاق انتقب/ ابن بابک/ المتقارب/ ۱۰۵ بأبیض کالقبس الملتهب/ عنتره العبسی/ المتقارب/ ۱۲۳

أسرار البلاغه فی علم البیان، ص: ۳۰۸

.. ح و اللیل من خوفه قد هرب/ ابن المعتز/ المتقارب/ ۲۱۰ ألا إنّها تلک العزوم الثواقب/ الشاشی/ الطویل/ ۲۰۲ منازله تعتسّ فیها الثعالب/ القتال الکلابی/ الطویل/ ۴۶ أسنّته فی جانبیها الکواکب/ المتنبی/ الطویل/ ۱۳۰ إذا طلعت لم یبد منهنّ کوکب/ النابغه/ الطویل/ ۱۰۷ و کل امرئ یولی الجمیل محبب/ المتنبی/ الطویل/ ۱۹۱ غزال کحیل المقلتین ربیب/ ابن الدمینه/ الطویل/ ۱۷۶ فإنی و قیّارا بها لغریب/ ضابئ بن الحارث البرجمیّ/ الطویل/ ۱۴۵ إن السماء ترجّی حین تحتجب/ أبو تمام/ البسیط/ ۱۹۹ کأنها فضّه قد مسّها ذهب/ ذو الرّمه/ البسیط/ ۱۲۸ و تعم مطیه الجهل الشباب/ النابغه/ الوافر/ ۴۳ و لا تبکی و قد قطع الحبیب/ إنشاد الشبلیّ/ الوافر/ ۲۰۰ و هل ترقی إلی الفلک الخطوب/ المتنبی/ الوافر/ ۲۰۳ فیه الظنون أ مذهب أم مذهب/ أبو تمام/ الکامل/ ۱۶ یتّقی إخلاف ما ترجو الذئاب/ المتنبی/ الرمل/ ۲۱۲ حین یوفی و الضوء فیه اقتراب/ بشار بن برد/ الخفیف/ ۲۲۱ من کثره القتل نالها الوصب/ ابن المعتز أو ابن الرومی/ المنسرح/ ۲۰۲ مشرقه لیس لها حاجب/ الوزیر المهلبی/ المنسرح/ ۱۳۵ عراکا إذا الهیّابه النّکس کذّبا/ البحتری/ الطویل/ ۲۲۸ جداول فی غاب سما فتأشّبا/ السریّ الرفّاء/ الطویل/ ۱۵۹ و نکّب عن ذکر العواقب جانبا/ سعد بن ناشب المازنی/ الطویل/ ۹۸ و من یسوّی بأنف النّاقه الذّنبا/ الحطیئه/

البسيط/ ۲۴۴ شعاعها و يراه الطّرف مقتربا/ المتنبى/ البسيط/ ۲۲۱ فى دار حسّان أصطاد اليعاسيبا/ عبد الرحمن بن حسان بن ثابت/ البسيط/ ۱۴۲ مراميها فراميها أصابا/ أبو فراس/ الوافر/ ۱۹۷ كساها دفنهم فى الترب طيبا/ المتنبى/ الوافر/ ۲۰۰ يهدى إلى عينيك نورا ثاقبا/ المتنبى/ الكامل/ ۱۰۶ نسقا يطأن تجلّدا مغلوبا/ البحترى/ الكامل/ ۱۹

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۳۰۹

و إذا ما أردت كنت قليبا/ أبو تمام/ الخفيف/ ۱۸۴ لفّ الصّبا بقضيب قضيبا/ البحترى/ المتقارب/ ۱۵۰ خلائق أصفار من المجد خيّب/ البحترى/ الطويل/ ۱۶۸ و فى السّر منها و الصريح المهذّب/ عامر بن الطفيل/ الطويل/ ۱۹۰ تصول بأسياف قواض قواضب/ أبو تمام/ الطويل/ ۲۳ و شيئا من النّور أو روضا من العشب/ البحترى/ البسيط/ ۱۵۴ فإن ذاك ابتسام الرّأى و الأدب/ أبو تمام/ البسيط/ ۲۰۴ و ليت غائبه الشّمسين لم تغب/ المتنبى/ البسيط/ ۲۲۹ على أيدى العشيره و القلوب/ البحترى/ الوافر/ ۱۹ توارى الشمس فيه بالحجاب/ السّرىّ الرفّاء/ الوافر/ ۱۵۸ بيوم مثل سالفه الذّباب/ ابن المعتز/ الوافر/ ۹۸ رجيّه محموده الإسكاب/ ابن المعتز/ الكامل/ ۱۳۶ و قضيت من لذّاته آرابى/ ابن المعتز/ الكامل/ ۲۱۱ كالفجر فاض على نجوم الغيهب/ البحترى/ الكامل/ ۴۸ عن كلّ ندّ فى النّدى و ضريب/ البحترى/ الكامل/ ۹۰ فى شارق يضحك من غير عجب/ ابن المعتز/ الرجز/ ۲۱۱ للعصيه السّارين جدّ قريب/ البحترى/ الكامل/ ۲۲۴ فى سؤدد أربا لغير أريب/ البحترى/ الكامل/ ۱۹ و البغض عندى كثره الإعراب/ أبو بكر الخوارزمى/ الرجز/ ۵۹ إن تأمّلت من سواد

الغراب/ البحترى/ الخفيف/ ١٩٤ ... دى الرزايا إلى ذوى الأحساب/ أبو تمام/ الخفيف/ ١٩٨ ... بخت علما لم يأتهم بالحساب/ ابن الرومىّ/ الخفيف/ ٢١٦ ... رجلته حدائد الضّرّاب/ ابن المعتز/ الخفيف/ ١٦۴ و الليل قد همّ منه بالهرب/ الخالدى/ المنسرح/ ٢١٠ سلام على الحاضر الغائب/ الوأواء الدمشقىّ/ المتقارب/ ١٠١ و أسيافنا ليل تهاوى كواكبه/ بشار/ الطويل/ ١٣٠- ١۴٧ أبو أمّه حىّ أبوه يقاربه/ الفرزدق/ الطويل/ ٢٥- ۵٩ فى الشّعر، يكفى من صدقه كذبه/ البحترى/ المنسرح/ ١٩٥

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٣١٠

فأهلا بها و بتأنيبها/ ..../ المتقارب/ ٢١٥ فشكّت الأنفس فى غربه/ المتنبى/ السريع/ ٢٢٣ قافيه التاء و طرت بمنصلى فى اليعملات/ مضرس بن ربعى/ الوافر/ ۴٧ فلما رأوها أقشعت و تجلّت/ ...../ الوافر/ ٨٢ بين الرياض على حمر اليواقيت/ الزاهى/ البسيط/ ٩٩ لحقّ أنت إحدى المعجزات/ أبو الحسن الأنبارى/ الوافر/ ٢۴۶ ليلا كظلّ الرّمح غير موات/ ابن المعتز/ الكامل/ ٩٨ مثل البغىّ تبرّجت لزناه/ ابن المعتز/ الكامل/ ٢١٠ و باجتى تكرم ديباجتى/ أبو الفتح البستى/ السريع/ ٢٣ و أوهى الزمان قوى منّتى/ ابن بابك/ المتقارب/ ٢٠٧ ما عذرها فى تركها خيراتها/ المتنبّى/ الكامل/ ٢٠٣ قافيه الجيم و حاك ما حاك من وشى و ديباج/ البحترى/ البسيط/ ٢۶٩ أواخر الميس إنقاض الفراريج/ ذو الرمه/ البسيط/ ٧٠ قافيه الحاء و مسّح بالأركان من هو ماسح/ كثير، أو غيره/ الطويل/ ٢۶- ٢٧ يقال لها دم الودج الذبيح/ أبو ذؤيب/ الوافر/ ٢٥١ سعد، و لكن أنت سعد الذابح/ جحظه/ الكامل/ ٢۴۵ وجه الخليفه

حين يمتدح/ محمد بن وهيب/ الكامل/ ۱۶۴ سكران من نومته طافح/ ابن المعتز/ السريع/ ۱۵۹ قتل البخل و أحيى السماحا/ ابن المعتز/ المديد/ ۴۶ فانطباقا مرّه و انفتاحا/ ابن المعتز/ المديد/ ۱۱۶، ۱۱۹، ۱۳۶ مجد، يهتزّ للسماح ارتياحا/ أبو طالب المأمونىّ/ الخفيف/ ۲۱۲ فاض جنح الدّجى كلا جنح/ الصنوبرىّ/ المنسرح/ ۱۵۹ قافيه الدال ... ق إذا تصوّب أو تصعّد/ الصنوبرى/ الكامل/ ۱۲۰ ... ف لها سواق كالمبارد/ كشاجم/ الكامل/ ۱۵۷

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۳۱۱

بثّت الإشراق فى كلّ بلد/ العباس بن الأحنف/ الرمل/ ۱۸۵- ۲۲۱ من نضار يتوقّد/ ...../ الرمل/ ۲۰۸ تقطّع السيف إذا ما ورد/ ابن المعتز/ السريع/ ۲۰۷ و نرجسها مما دهى حسنه ورد/ الببغاء/ الطويل/ ۲۰۲ و لا رجلا قامت تعانقه الأسد/ المتنبى/ الطويل/ ۲۱۸ قريب، و لكن فى تناولها بعد/ محمد بن أبى عيينه/ الطويل/ ۲۲۰ كما احمرّت من الخجل الخدود/ ابن المعتز/ الوافر/ ۱۴۶ و كأن خلوته الحفيّه مشهد/ البحترى/ الكامل/ ۲۸۳ موت فريص الموت منه ترعد/ المتنبى/ الكامل/ ۲۳۵ خجلا تورّدها عليه شاهد/ ابن الرومى/ الكامل/ ۲۰۴ و إن أنت أكرمت اللئيم تمرّدا/ المتنبى/ الطويل/ ۱۹۲ و يقتل ما تحيى التبسّم و الجدا/ المتنبى/ الطويل/ ۲۶۳ آل المهلّب دون الناس أجسادا/ عمر بن لجأ/ البسيط/ ۱۱۴ ... ك، و لم أخلها فى العدا/ الصولى/ الكامل/ ۲۰۱ أ بجدّ ذا الهجر أم ليس جدّا/ ابن المعتز/ الخفيف/ ۲۱۴ إلى المجد مدّ إليه يدا/ الخنساء/ المتقارب/ ۲۵۶ و ملّ بنجد فالقنافذ عوّدى/ أوس بن حجر/

الطویل/ ۲۵۴ لدیباجتیه فاغترب تتجدّد/ أبو تمام/ الطویل/ ۹۶ دموع التصابی فی خدود الخرائد/ البحتری/ الطویل/ ۱۶۰ و یخبأن رمّان الثدیّ النواهد/ النابغه/ الطویل/ ۱۵۶ تسلّطه یوما علی ذلک الوجد/ البحتری/ الطویل/ ۶۶ فیا دمع أنجدنی علی ساکنی نجد/ أبو تمام/ الطویل/ ۲۱ و أنت أنزر من لا- شی ء فی العدد/ أبو تمام/ البسیط/ ۶۱ و لا- قرار علی زأر من الأسد/ النابغه/ البسیط/ ۲۳۹ بیاض خدّین من عدل و توحید/ بعض المتأخرین/ البسیط/ ۱۷۰ جوانبه من ظلمه بمداد/ البحتری/ الطویل/ ۱۶۳ زهر الریاض و أن هذا طارد/ ابن الرومی/ البسیط/ ۲۱۱ أعجب بشی ء علی البغضاء مودود/ مسلم بن الولید/ ابن المعتز/ البسیط/ ۱۹۳

أسرار البلاغه فی علم البیان، ص: ۳۱۲

ما کان خاط علیهم کلّ زرّاد/ القطامیّ/ البسیط/ ۴۷- ۵۱ مواقع الماء من ذی الغلّه الصادی/ القطامیّ/ البسیط/ ۱۰۶ حرکات غصن البانه المتأوّد/ البحتری/ الکامل/ ۲۴۳ بهواک آرام الظباء الغید/ البحتری/ الکامل/ ۴۱ طوبت أتاح لها لسان حسود/ أبو تمام/ الکامل/ ۹۱ قدم تبدّت فی ثیاب حداد/ ابن المعتز/ الکامل/ ۷۳ بصفاء ماء طیّب البرد/ ابن المعتز/ الکامل/ ۱۷۰ و هنّ یطفئن لوعه الوجد/ ابن الرومی/ المنسرح/ ۱۶۰ بشّر سقم الهلال بالعید/ ابن المعتز/ المنسرح/ ۷۴ رقّ فیا بردها علی کبدی/ ابن الرومی/ المنسرح/ ۱۱۸ وعدتنا عن مثل ذاک العوادی/ ابو تمام/ الخفیف/ ۱۹۹ کثغور تعضّ ورد الخدود/ القاضی التنوخی/ المتقارب/ ۱۵۲ هنّ فیه أحلی من التوحید/ المتنبی/ المنسرح/ ۱۷۱ نحو نیلوفر ندی/ الصنوبری/ الکامل/ ۱۲۹ و غضّ به کلّ واد

صدى/ ابن المعتز/ الكامل/ ۱۳۸ أخفش ما قلته فما حمده/ ابن الرومىّ/ الطويل/ ۱۱۰ عرف الديار توهّما فاعتادها/ عدى بن الرقاع/ الطويل/ ۱۱۶ قلم أصاب من الدواه مدادها/ عدى بن الرقاع/ الطويل/ ۱۱۷ قافيه الراء كين، و قلب اللّيل منه على حذر/ ابن المعتز/ الطويل/ ۲۱۰ و روّح رعيان و نوّم سمّر/ عمر بن أبى ربيعه/ الطويل/ ۲۲۴ أمّر مذاق العود و العود أخضر/ ....../ الطويل/ ۹۱ يأبى الظّلامه منه النّوفل الزّفر/ أعشى باهله/ بسيط/ ۲۳۸ دخانا للصّنيعه و هى نار/ أبو تمام/ الوافر/ ۲۳۷ و كلّ فعاله برّ/ أبو الفتح البستى/ الوافر/ ۲۲ سقفا كواكبه البيض المباتير/ العتابىّ/ الكامل/ ۱۳۰ بك و الليالى كلّها أسحار/ أبو تمام/ الكامل/ ۱۸۶

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۳۱۳

ليل يصيح بجانبيه نهار/ الفرزدق/ الكامل/ ۱۴۷ و حياه المرء ثوب مستعار/ الأفوه الأودى/ الرمل/ ۹۳ إذ توارى كما توارى البدور/ الصابئ/ الخفيف/ ۲۲۲ نجم دجى شيّعه البدر/ البحترى/ السريع/ ۱۵۹ له رواء و ما له ثمر/ ابن لنكك/ المنسرح/ ۹۰ و قد كحل الليل السماك فأبصرا/ ابن بابك/ الطويل/ ۱۶۹ كعنقود ملّاحيّه حين نوّرا/ أبو قيس بن الأسلت/ الطويل/ ۷۳ صليل زيوف ينتقدن بعبقرا/ امرؤ القيس/ الطويل/ ۱۲۲ حصانين مختالين جونا و أشقرا/ ....../ الطويل/ ۱۴۹ أباها، و هيّأنا لموضعها و كرا/ ذو الرمه/ الطويل/ ۱۲۱ سلاحى لا أفلّ و لا فطارا/ عنتره/ الوافر/ ۱۵۲ و نجل الأعين البقر الصّوارا/ بعض العرب/ الوافر/ ۲۴۲ عهدوه بالبيضاء أو ببلنجرا/ البحترى/ الكامل/ ۱۰۴ لو كان منك

لكان أكرم معشرا/ المتنبى/ الكامل/ ۳۸ و الحرص يورث أهله الفقرا/ ...../ الكامل/ ۶۶ نزّع من شفتيه الصّفارا/ أبو دؤاد الإيادى/ المتقارب/ ۳۲ بهذا المحيا من محىّ و زائر/ جبيهاء الأسدى/ الطويل/ ۳۶ بثدى كعاب أو بحقّه مرمر/ ابن شاه/ الطويل/ ۱۵۷ متى تخلف الجوزاء و الدّلو يمطر/ الفرزدق/ الطويل/ ۲۲۷ على البكر يمريه بساق و حافر/ جبيهاء الأشجعى/ مزرّد/ الطويل/ ۳۵ دم الزقّ عنّا و اصطفاق المزاهر/ شبرمه بن الطفيل/ الطويل/ ۹۷ و لكنّ زنجيّا غليظ المشافر/ الفرزدق/ الطويل/ ۳۵ بجيّدها إلا كعلم الأباعر/ مروان بن أبى حفصه/ الطويل/ ۹۰- ۱۱۰ تدور علينا الكأس فى فتيه زهر/ ابن المعتز/ الطويل/ ۱۵۶ لترضع أولاد الرياحين و الزّهر/ ابن المعتز/ الطويل/ ۲۰۷ و يأتى الشقىّ الحين من حيث لا يدرى/ ...../ الطويل/ ۲۷۶ لدم الغلام وراء الغيب بالحجر/ تميم بن أبىّ بن مقبل/ البسيط/ ۱۲۲ رأيت صورته من أقبح الصّور/ ابن لنكك/ البسيط/ ۹۱

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۳۱۴

ما قال: «لا خير فى كثير/ ...../ البسيط/ ۲۴۵ تلقّاها عرابه باقتدار/ (صنع المؤلف)/ الوافر/ ۲۵۴ لا-ثنين ثان إذ هما فى الغار/ أبو تمام/ الكامل/ ۱۰۹ كمعلّق درّا على خنزير/ ...../ الكامل/ ۱۴۸ عنّى، بخفّته على ظهرى/ أبو العتاهيه/ الكامل/ ۱۱۸ و صغت ضمائرها على الغدر/ ابن المعتز/ الكامل/ ۲۰۳ يجنين رمّان النّحور/ النميرىّ/ الكامل/ ۱۵۶ فإذا ما وفى قضيت نذورى/ سعيد بن حميد/ الخفيف/ ۲۲۵ ... ض فصار النثار من كافور/ الصاحب بن عباد/ الخفيف/ ۲۰۸ و استرحنا من رعده المقرور/

ابن المعتز/ الخفيف/ ۲۱۱ ... ض و شكر الرياض للأمطار/ ابن المعتز/ الخفيف/ ۱۹۹ ... ب حريب من الغرام و مثرى/ البحترى/ الخفيف/ ۵۱ قد زرّ أزراره على القمر/ ابن طباطبا/ المنسرح/ ۲۱۹ إذ غار قلبى عليك من بصرى/ ابن المعتز/ المنسرح/ ۲۱۴ حتى إذا جئت جئت بالدّرر/ ...../ المنسرح/ ۲۲۷ من الغرام و مثرى/ البحترى/ المجتث/ ۵۱ سلام على الغائب الحاضر/ الناشئ/ المتقارب/ ۱۶۰ و قلّص عن برد الشراب مشافره/ الحطيئه/ الطويل/ ۳۵ و لكنّ زنجيّا غليظا مشافره/ الفرزدق/ الطويل/ ۳۵ نفس تعاف الضيم مرّه/ ابن نباته/ الكامل/ ۱۰۳ أنا آتيک سحره/ سعيد بن حميد/ الخفيف/ ۲۲۵ تسير و لم تبرح الحضره/ القاضى الجرجانى/ المتقارب/ ۱۰۲ نجما و نجما فى القناه يجرّه/ ابن المعتز/ الكامل/ ۱۵۹ بكفّ الإله مقاديرها/ الأعور الشّنّى/ عمر بن الخطاب/ المتقارب/ ۲۵۷ قافيه السين إذا كثرت للطارقات الوساوس/ الذهلول بن كعب العنبرى و غيره/ الطويل/ ۴۶ و استبّ بعدك يا كليب المجلس/ مهلهل/ الكامل/ ۲۸۳ على لبّات زرقاء اللّباس/ ابن المعتز/ الوافر/ ۲۰۸

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۳۱۵

كبهاره فى روضه من نرجس/ ابن المعتز/ الكامل/ ۱۵۴ نفس أعزّ علىّ من نفسى/ ابن العميد/ الكامل/ ۲۱۷ كالعود يسقى الماء فى غرسه/ صالح بن عبد القدوس/ السريع/ ۷۴ قافيه الصاد يا مثكلى طيب الكرى و منغّصى/ ابن المعتز/ الكامل/ ۲۴۵ ح حشاه كالجادف المقصوص/ ابن المعتز/ الخفيف/ ۱۶۲ قافيه الضاد تفتّح نور أو لجام مفضّض/ ابن المعتز/ الطويل/ ۱۲۳- ۱۵۴ سماوه جون كالخباء المقوّض/ ذو الرمه/

الطويل/ ۱۶۱ قافيه الطاء حواجبا ظلّت تمطّ/ الصنوبرىّ/ الرجز/ ۱۳۵ و طغيا من اللّهق الناشط/ أسامه بن الحارث الهذلىّ/ المتقارب/ ۳۴ قافيه العين ... س فقل للعين تدمع/ أبو الشيص/ أشجع السّلمىّ/ الرمل/ ۲۲۳ حبيبا فما ترقا لهنّ مدامع/ أبو تمام/ الطويل/ ۲۰۸ لنا قمراها و النجوم الطوالع/ الفرزدق/ الطويل/ ۲۲۶ و لا بدّ يوما أن تردّ الودائع/ لبيد/ الطويل/ ۹۳ و إن خلت أنّ المنتأى عنک واسع/ النابغه/ الطويل/ ۱۰۷ و لكنّه فى القلب أسود أسفع/ أبو تمام/ الطويل/ ۱۰۱ و هاب رجال حلقه الباب قعقعوا/ أبو الرّبيس الثعلبى/ و غيره// الطويل/ ۱۰۸ ينزو الرّباح خلا له كرع/ الأعشى/ الكامل/ ۱۳۶ أصمّ عمّا ساءه سمع/ ...../ السريع/ ۶۲ سنن لاح بينهنّ ابتداع/ القاضى التنوخىّ/ الخفيف/ ۱۶۵- ۱۶۷ يهدى إلى عينيک نورا ساطعا/ الراعى/ الطويل/ ۲۵۰ فأرتنى القمرين فى وقت معا/ المتنبى/ الطويل/ ۲۲۶ بحديث و اتّق الدّرعا/ بشار/ الطويل/ ۲۲۳ قد مات ضيفاه جميعا/ ابن الحجاج/ الطويل/ ۲۰۹ فإذا عاسرت ذقت السّلعا/ ...../ الرمل/ ۵۶

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۳۱۶

تصمت بالماء تولبا جدعا/ أوس بن حجر/ المنسرح/ ۳۷ و الدهر يعدو مصمّما جذعا/ ذو الإصبع العدوانىّ/ المنسرح/ ۲۷۴ جداول أمثال السيوف القواطع/ ذو الرمه/ الطويل/ ۱۵۸ على الماء خانته فروج الأصابع/ معاذ العقيلىّ/ الطويل/ ۹۵- ۹۶ و ها أنا هذا أرتجى مرّ أربع/ عمرو بن حممه الدوسى/ الطويل/ ۱۶۰ نجاه من البأساء بعد وقوع/ ابن طباطبا/ الطويل/ ۱۶۸ كأن المجد يدرک بالصّراع/ أبو تمام/ الوافر/ ۲۵۵ و حنين

والهه كقوس النازع/ إبراهيم بن المهدى/ الكامل/ ۲۰۹ أتبعته الأنفاس للتشيع/ المتنبى/ الكامل/ ۲۱۳ و الماء فى بركـ البديع/ أبو نواس/ الكامل/ ۱۵۴ له جذوه من زبرج اللّاذ لامعه/ ابن بابكـ/ الطويل/ ۱۱۹ قدّامه شامخ الرّفعه/ القاضى التنوخىّ/ السريع/ ۱۴۶-۱۴۷ و لم يكـ بخلها بـدعه/ الخليل بن أحمد/ المتقارب/ ۱۱۷ بها وجـدها من غاده و ولوعها/ البحترى/ الطويل/ ۱۱۲ قافيه الفاء يكسين أعلام المطارف/ الحمانى/ الكامل/ ۱۵۲ ثنائى على تلكـ العوارف وارف/ بعض المتأخرين/ الطويل/ ۲۴ يميل بها بدر و يمسكها حقف/ المتنبى/ الطويـل/ ۱۵۶ كمـا تعـانق لاـم الكـاتب الألفـا/ بكر بن النطّاح/ و غيره/ البسـيط/ ۱۵۰ صـواد إلى تلكـ الوجوه الصوادف/ البحترى/ الطويل/ ۲۳ فلاـ و اللّه ما نطقت بحرف/ ...../ الوافر/ ۲۴۳ شـغواء تغذو فرخين فى لجف/ أبو نواس/ المنسرح/ ۱۶۱ و للقوافى رقى لطيفه/ ابن سـكّره/ البسيط/ ۲۴۴ و همـا ربيع مؤمّل و خريفه/ البحترى/ الكامل/ ۲۲۸ عنّا، و بدر و الصـدود كسوفه/ البحترى/ الكامـل/ ۲۳۴ قـافيه القـاف و للسـيف حـدّ حين يسـطو و رونق/ البحـترى/ الطويـل/ ۱۰۷ مـداهن درّ حشوهنّ عقيق/ ابن المعتز/ الطويل/ ۷۳، ۱۶۰

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۳۱۷

يبدو ضـئيلا ضـعيفا ثم يتّسق/ محمد بن يزداد الكاتب/ البسـيط/ ۱۰۴ منها الشـموس و ليس فيها المشـرق/ المتنبى/ الكامل/ ۲۱۸ كما يعرّى الفرس الأبلق/ ابن بابكـ/ السـريع/ ۱۲۸ كـأنّ الزمان له عاشق/ محمـد بن وهيب/ المتقارب/ ۲۰۱ صفاه الهدى من أن ترقّ فتخرقا/ البحترى/ الطويل/ ۵۰ أكلناه بالإجاف حتى تمحّقا/ البحترى/ الطويل/ ۲۲۴ بيت

يقال إذا أنشدته صدقا/ حسان بن ثابت/ البسيط/ ۱۹۶ و عسكر الحرّ كيف انصاع منطلقا/ القاضى التنوخى/ البسيط/ ۱۶۹ بغير حجاب دونه أو تملّق/ جرير/ الطويل/ ۱۰۸ إلى ملك أظلافه لم تشقّق/ عقفان بن قيس بن عاصم/ الطويل/ ۳۶ سنا الشّمس من أفق و وجهك من أفق/ البحترى/ الطويل/ ۲۱۷ هلال أوّل شهر غاب فى شفق/ ابن المعتز/ البسيط/ ۱۴۶ لما رأيت عليه عقد منتطق/ مترجم من الفارسيه/ البسيط/ ۲۰۰ يوم النوى و فؤاد من لم يعشق/ أبو طالب الرّقّى/ الكامل/ ۱۶۷ درر نثرن على بساط أزرق/ أبو طالب الرّقّى/ الكامل/ ۱۲۰- ۱۲۸ ۱۲۹- ۱۴۳ ... ق، و إن سكنت إلى العناق/ أبو العباس الضبى/ الكامل/ ۲۰۰ ممات سطر بغير تعريق/ ابن المعتز/ المنسرح/ ۱۲۵ مع قرب عهد لقائه مشتاقه/ الصاحب بن عباد/ الكامل/ ۱۷۱ و لا يشتهى الموت من ذاقه/ المتنبى/ المتقارب/ ۶۴ قافيه الكاف خلت حقب حرس له و هو حائك/ أبو تمام/ الطويل/ ۲۶۹ كخنجر عيّار صناعته الفتك/ ابن المعتز/ الطويل/ ۱۳۱ و قدّمت الهوى شركا/ بشار بن برد/ الوافر/ ۲۲۲ ضحك المشيب برأسه فبكى/ دعبل/ الكامل/ ۲۱۱ صياح البوازى من صريف اللوائك/ ذو الرمه/ الطويل/ ۷۰- ۱۲۲ كأنّ سطوره أغصان شوك/ ابن المعتز/ الوافر/ ۱۱۹ فإنك كالليل الذى هو مدركى/ النابغه/ الطويل/ ۳۰- ۱۷۷

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۳۱۸

قافيه اللام نسيمك مسروق و وصفك منتحل/ ابن بابك/ الطويل/ ۲۰۰ كما سلّت من الخلل المناصل/ ابن بابك/ الوافر/ ۱۵۷ خضر الحرير على قوام معتدل/ سعيد بن

حمید/ الکامل/ ۱۵۵ لاحق الآطال نهد ذو خصل/ امرأه من بنی الحارث بن کعب/ الرمل/ ۴۸ و إنما الموت سؤال الرجال/ ...../ السریع/ ۶۳ إلی أن تلوّن منه زحل/ أبو الحسن السلامی/ المتقارب/ ۱۵۲ لها رفرف فوق الأنامل من عل/ أوس بن حجر/ الطویل/ ۱۵۳ إذا ما انقضی حبل أتیح له حبل/ ابن الرومی/ الطویل/ ۱۴۰ و مثل کثیر فی الرجال قلیل/ الصاحب بن عباد/ الطویل/ ۲۴۵ شمس ترجّل فیهم ثمّ ترتحل/ البحتری/ البسیط/ ۲۲۹ من راحتیک دری ما الصاب و العسل/ أبو تمام/ البسیط/ ۱۱۰ .... أنت الصاب و العسل/ ...../ البسیط/ ۱۸۳ ما فاته و فضول العیش إشغال/ المتنبی/ البسیط/ ۱۰۳ کأنّما لیله باللیل موصول/ حندج بن حندج المرّی/ البسیط/ ۹۷ عند الصباح و هم قوم معازیل/ عبده بن الطبیب/ البسیط/ ۳۸ من أنها عمل السیوف عوامل/ المتنبّی/ الکامل/ ۱۰۹ و البدر فی شطر المسافه یکمل/ ابن بابک/ الکامل/ ۱۰۴ و بدا النهار لوقته یترجّل/ ...../ الکامل/ ۲۲۶ نصب أدقّهما و ضمّ الشاکل/ المتنبی/ الکامل/ ۱۴۶ و غال شهر الصّیام مغتال/ السریّ الوفاء/ المنسرح/ ۲۰۸ للأعادی و رقعها آجال/ البحتری/ الخفیف/ ۲۴ و بأسا و باعا فی اللقاء و مقصلا/ ابن بابک/ الخفیف/ ۱۵۸ و الطیر تسجع أهزاجا و أرمالا/ ...../ البسیط/ ۱۵۸ کأنهم یرون به هلالا/ الفرزدق/ الوافر/ ۲۴۰ یجد مرّا به الماء الزلالا/ المتنبی/ الوافر/ ۹۱ و فاحت عنبرا و زنت غزالا/ المتنبی/ الوافر/ ۱۴۴ لو أمهلت حتی تصیر شمائلا/ أبو تمام/ الکامل/ ۱۰۴

أسرار البلاغه فی علم

البيان، ص: ۳۱۹

لاـ تصدق الأوهام فيه قيلا/ أبو طالب المأمونى/ الكامل/ ۱۶۹ .... ر الروض فى الشّطين فصلا/ أبو فراس/ الكامل/ ۱۵۷ يشرب كأسا بكفّ من بخلا/ الأعشى/ المنسرح/ ۲۳۹ و لا تبدّلت بعدكم بدلا/ ابن الرومى/ المنسرح/ ۲۱۷ فعزّ الفؤاد عزاء جميلاـ/ العباس بن الأحنف/ المتقارب/ ۲۲۰ تسمع للسّيف فيها صليلا/ عبد قيس بن خفاق/ المتقارب/ ۱۵۳ قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل/ امرؤ القيس/ الطويل/ ۱۴ بمنجرد قيد الأوابد هيكل/ امرؤ القيس/ الطويل/ ۱۰۸ تعرّض أثناء الوشاح المفصّل/ امرؤ القيس/ الطويل/ ۱۲۶ لدى و كرها العنّاب و الحشف البالى/ امرؤ القيس/ الطويل/ ۱۴۲ سعيت و أوضعت المطيه فى الجهل/ الفرزدق/ الطويل/ ۴۳ يوم الوداع إلى توديع مرتحل/ الأخيطل/ البسيط/ ۱۳۸ إن القنوع الغنى لا كثره المال/ محمد بن يسير/ البسيط/ ۶۶ و نقصك إذ نظرت إلى الهلال/ أبو العتاهيه/ الوافر/ ۲۲۴ فمرتجع بموت أو زوال/ أبو الفتح البستى/ الوافر/ ۲۲ فإن المسك بعض دم الغزال/ المتنبى/ الوافر/ ۹۴ و لا التذكير فخر للهلال/ المتنبى/ الوافر/ ۱۰۷- ۲۴۶ كأنها من خلع الهلال/ المتنبى/ الرجز/ ۲۱۲ كأنّك مستقيم فى محال/ المتنبى/ الوافر/ ۱۰۷ لطرف أشهب ملقى الجلال/ ابن المعتز/ الوافر/ ۱۲۷- ۱۴۳ فالسيل حرب للمكان العال/ أبو تمام/ الكامل/ ۱۹۳- ۱۹۹ فيه بناظرها، حديد الأسفل/ البحترى/ الكامل/ ۱۹ يوم الوغى من صارم لم يصقل/ البحترى/ الكامل/ ۱۹۵ ما الحبّ إلّا للحبيب الأوّل/ أبو تمام/ الكامل/ ۹۴ و محسّن الضّحكات و الهزل/ أبو نواس/ الكامل/ ۴۳ ... ن و فى بعد المنال/ ابن الرومى/ الرمل/ ۲۰۹ مرح البلق جلن فى الأجلال/ كثير/ الخفيف/ ۱۲۸ ... ن و يونان و العصور الخوالى/ ابن نباته/ الخفيف/

أسرار البلاغه فی علم البیان، ص: ٣٢٠

أقابل بـدر الأفق حین أقابله/ البحتری/ الطویل/ ٢۴٣ هلالـ قریب النور نـاء منازله/ أبو تمام/ الطویل/ ٢٢۴ و عرّی أفراس الصبا و رواحله/ زهیر بن أبی سلمی/ الطویل/ ٢٩- ۴٢ لکلّ خطیب یقمع الحقّ باطله/ أبو الطّروق الضبیّ/ الطویل/ ٢۴۴ ... د فإنّ صبرک قاتله/ ابن المعتز/ الکامل/ ٧۴ تعصره من بلّه بلّه/ أبو الفتح البستی/ السریع/ ٢٢ قـافیه المیم أ أنثر درّا بین سارحه الغنم/ الشافعی/ الطویل/ ٩٢ عن أیّ ثغر تبتسم/ البحتری/ الکامل/ ١١٢ ... نیر، و أطراف الأکفّ عنم/ المرقّش الأکبر/ السریع/ ٨٢ و لا المجد فی کفّ امرئ و الدراهم/ أبو تمام/ الطویل/ ٢١٣ و یقضی بما یقضی به و هو ظالم/ أبو تمام/ الطویل/ ٢۴۴ کما نثرت فوق العروس الـدراهم/ المتنبی/ الطویل/ ۴٩ و تـترک أمـوال علیهـا الخواتم/ ...../ الطویـل/ ٢۵١ و بحر عـدانی فیضـه و هـو مفعم/ البحـتری/ الطویل/ ٢۴۴ بیت أطافت به خرقاء مهجوم/ علقمه/ البسـیط/ ١۶١ حتّی یراق علی جوانبه الـدّم/ المتنبی/ الکامل/ ١٩٢ من حائهنّ فإنّهنّ حمام/ أبو تمام/ الکامل/ ٢١ حتی ظننّا أنه محموم/ أبو تمام/ الکامل/ ١٨۴ مثله لیس یرام/ کاتب المأمون/ الرمل/ ١۵۵ ... بح من ضـیفه رأته السوام/ المتنبی/ الخفیف/ ١٠١- ١٨٣ به مثلما ألّفت عقـدا منظّما/ أبو تمام/ الخفیف/ ۴٨ بعثت معی قطعا من اللیـل مظلما/ ابن طباطبا/ الخفیف/ ١٧٨ رداء موشّـی بالکواکب معلما/ ابن المعتز/ الخفیف/ ١۶٣ مقیما، و إن أعسـرت زرت لما ما/ أبو بکر الخوارزمیّ/ الخفیف/ ١٠۵

لمـا تخرّم أهل الكفر مخترما/ أبو تمام/ البسيط/ ٢٢ أمسيت من كبدى و منها معدما/ المتنبى/ الكامل/ ٥٠ .. ت أغرّ أيـام كنت بهيما/ أبو تمام/ الخفيف/ ١٠١

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ٣٢١

فى الغروب مرامـا/ ابن المعتز/ مجزوء الخفيف/ ٧٣ عجارف غيث رائـح متهزّم/ عمر بن أحمر الباهلى/ الطويل/ ١٢٢ لعلّ بها مثل الذى بى من السّـقم/ المتنبى/ الطويل/ ٢٠٢ نيلا أدقّ من المعـدوم فى العدم/ ابن نباته/ البسـيط/ ٦١ من الصـباح طراز غير مرقوم/ ابن المعتز/ البسـيط/ ١٦٣ صـعود البرق فى الغيم الجهـام/ البحترى/ الوافر/ ١٤٥ و الرّجّـح الأحسـاب و الأحلام/ أبو تمام/ الكامل/ ١٧٧ جذع البصـيره قارح الإقدام/ قطرى بن الفجاءه/ الكامل/ ١٠٨ ... رى فمـا زدتنى سوى التّعظيم/ ابن الرومى/ الخفيف/ ١١۴ و ليلاـ أكلت بليـل بهيم/ .…./ المتقارب/ ٢٧٩ إذ أصـبحت بين الشّـمال زمامها/ لبيد/ الكامل/ ۴١ قـافيه النون فقلت و الشكّ عـدوّ اليقين/ ابن بابك/ السريع/ ٢٠٧ بخير و ما كلّ العطاء يزين/ أميه بن أبى الصلت/ الطويل/ ٢١٣ و أنشزن نفسى فوق حيث تكون/ جميل/ الطويل/ ٢۶٢ إذا ما منحناه العيون عيون/ أبو نواس/ الطويل/ ١۵١ و سرّى فيك إعلان/ البحترى/ الهزج/ ١١٢ كمن يبشّره بالماء عطشانا/ المتنبى/ البسيط/ ٢١٣ و مكرمه مددت لها اليمينا/ صنع المؤلف/ الوافر/ ٢۵۵ و تخال ما طعنوا به أشطانا/ محمد بن الحارث التميمى المصـرى/ الكامل/ ١۵٨ لهـا حـدق لم تتّصـل بجفون/ ابن المعتز/ الطويل/ ١٢٨ نطير غرابـا ذا قـوادم جون/ ابن المعتز/ الطويل/ ١٣٢ سنا لهب لم

يتّصل بـدخان/ امرؤ القيس/ الطويل/ ۱۲۳ إليه اليوم فى يـدك اليمين/ البحـترى/ الوافر/ ۲۵۵ بجليها، و تخبز باليـدين/ أبو دلامه/ الوافر/ ۲۷۰ كفـانى أمركم و كفاكمونى/ سـليمان بن قته العـدوى/ الوافر/ ۲۵۵ تلقّاهـا عرابه باليمين/ الشـماخ/ الوافر/ ۲۵۳ شرابا صفوه صفو اليقين/ ...../ الوافر/ ۱۷۰

أسرار البلاغه فى علم البيان، ص: ۳۲۲

هى فى رقّه دينى/ أبو نواس/ الرمل/ ۱۷۰ أو دعانى أمت بما أو دعانى/ شمسويه البصرى/ الخفيف/ ۱۶ ... ك و قد رحت عنك بالحرمـان/ ابن طباطبا/ الخفيف/ ۱۶۹ .... سـد، مـاء جـار مع الإخوان./ ...../ الخفيف/ ۱۰۰ إن غب عنكم مغرّبـا بـدنه/ البحترى/ المنسرح/ ۱۰۱ حسـنا فسلّوا من قفاه لسانه/ أبو هلال العسـكرى/ الكامل/ ۲۰ قـافيه الهاء فلو رأتنا عيون ما خشـيناها/ أبو إسـحاق الفارسـى/ البسيط/ ۱۵۰ يحيى لـدى يحيى بن عبـد اللّه/ أبو تمـام/ الكامـل/ ۲۳ قـافيه الياء .... ر كرّ الغـداه و مر العشـى/ الصـلتان العبدى/ المتقارب/ ۲۶۲- ۲۷۴ لعـلّ خيالاـ منك يلقى خياليا/ المجنون/ الطويل/ ۲۱۳ و تطلع بين عينيه الثّريّا/ ابن نبـاته/ الوافر/ ۱۵۵ - ۲۰۵ مثل الجواشن مصـقولا حواشـيها/ البحترى/ البسـيط/ ۱۵۴ نور من البـدر أحيانـا فيبليهـا/ أبو المطاع بن ناصـر الـدوله/ البسيط/ ۲۱۹ إلى نـداك فقاسـته بما فيها/ أبو نواس/ البسـيط/ ۲۴۲ الأـلف المقصوره جرى دمعهـا فى خـدود الثّرى/ ابن المعتز/ المتقارب/ ۱۵۲ شـطر بيت و اللّه لاـ طلعت شـمس و لا غربت/ ...../ المتقارب/ ۲۲۳ و رمحـا طويل القناه عسولا/ عبـد القيس بن خفان/ البسيط/ ۱۶۰ عن أى ثغر تبتسم/ البحترى/ الكامل/ ۱۱۲

فهرس الرجز يتضمن الرجز من بحر الرجز، و الرجز من بحر السريع

فهرس الرجز يتضمن الرجز من بحر الرجز، و الرجز من بحر السريع

مثل ابتسام الشفه اللمياء/ ابن المعتز/ سريع/ ٧٤ مداهن من ذهب/ ابن المعتز/ ١٣١ حتى بدا الصباح من نقاب/ ابن المعتز/ ٢١٠ جاريه خذبه/ هند بنت أبی سفيان/ ٢٨٦ أعددت للجار و للعفاه/ ابن المعتز/ سريع/ ١٥٧ و فاحما و مرسنا مسرّجا/ العجاج/ ٣١ كأن عينيه إذا ما أتأرا/ أبو نواس/ ١٣٣ و الصّبح فی طرّه ليل مسفر/ ابن المعتز/ ١٥٥ علی حفافی جدول مسجور/ ابن الرومی/ ١٥٨ و الأقحوان كالثّنايا الغرّ/ ابن المعتز/ ١٥٢ حتّی إذا جنّ الظلام و اختلط/ ...... / سريع/ ٢٣٩ لم أر صفّا مثل صفّ الزطّ/ دعبل بن علی الخزاعی/ ١٣٩ علی ذنبا كله لم أصنع/ أبو النجم/ ٢٧٤ لو كان حیّ وائلا- من التّلف/ أبو نواس/ ١٦١ بطارح النظره فی كل أفق/ ابن المعتز/ ١٢٥ فيها خطوط من سواد و بلق/ رؤبه/ ١٤٤ أرقت أم نمت لضوء بارق/ كشاجم/ ١١٩ و الشمس كالمرآه فی كفّ الأشلّ/ جبّار بن جزء بن ضرار/ ١١٩- ١٣٤ و نثره تهزأ بالنّصال/ ...../ ٢١٢

صلب العصا جاف عن التّغزّل/ ...../ ٢٥٠

يقعی جلوس البدویّ المصطلی/ المتنبی/ ١٣٨ تسمع للماء كصوت المسحل/ أبو النجم العجلی/ ٣٢ حبر أبی حفص لعاب الليل/ ابن الرومی/ سريع/ ١٦٣ و الحشو من جفانها كالحنظل/ أبو النجم/ الرجز/ ٣٢

صحو و غيم و ضياء و ظلم/ ابن طباطبا/ ۱۶۸ يقتاعها كلّ فصيل مكرم/ ابن طباطبا/ ۱۳۷ و الصبح مثل غرّه فى أدهم/ ابن طباطبا/ ۱۴۹ جاء سليلا من أب و أمّ/ ابن المعتز/ ۱۵۵ إذا أتاها طالب يستامها/ ...../ ۱۰۰

قد رفع العجاج ذكرى فادعنى/ رؤبه/ ۴۵ صلب العصا بالضرب قد دمّاها/ ...../ ۲۵۰

تلقّه الأرواح و السّيمىّ/ العجاج/ ۲۸۰ حتّى نجا من خوفه و ما نجا/ الألف المقصوره/ ۱۶ يشكو إلىّ جملى طول السّرى/ ...../ ۲۹۶

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمه محمد رشيد رضا ۳ مقدمه المحقق ۹ مقدمه المؤلف ۱۳ فصل فى قسمه التجنيس و تنويعه ۲۴ المقصد (غرض المؤلف) ۲۸ القول فى الاستعاره المفيده ۳۹ فصل ۴۰ فصل: (الاستعاره تعتمد على التشبيه) ۴۷ فصل: (اعتراض على تسميه تنزيل الوجود منزل العدم تشبيها) ۶۸ التشبيه و التمثيل: (أقسام التشبيه) ۶۹ الفرق بين التشبيه و التمثيل ۷۳ فصل ۷۵ فصل: (الشبه العقلى المنتزع) ۷۶ فصل: الشبه المنتزع من الشى ء نفسه و المنتزع ما بين شيئين أو أكثر ۷۸ فصل فى مواقع التمثيل و تأثيره ۸۵ فصل ۱۰۶ فصل (هذا فن آخر من القول يجمع التشبيه و التمثيل جميعا) ۱۱۸ فصل ۱۳۴ فصل التشبيه المتعدد و الفرق بينه و بين المركب ۱۴۲

فصل (هـذا فن غير ما تقدم فى الموازنه بين التشبيه و التمثيل) ۱۵۱ فصل فى الفرق بين الاستعاره و التمثيل ۱۷۳ فصل ۱۸۷ فصل فى الأخذ و السرقه و ما فى ذلك من التعليل و ضروب الحقيقه و التخييل ۱۹۰ القسم العقلى ۱۹۰ القسم التخييلى ۱۹۲ فصل نوع آخر فى التعليل ۲۱۲ فصل فى التخييل بغير التعليل ۲۱۶ فصل فى الفرق بين التشبيه و الاستعاره ۲۲۹ فصل فى الاتفاق فى الأخذ و السرقه و الاستمداد و الاستعانه ۲۴۰ فصل فى حدى الحقيقه و المجاز ۲۴۷ فصل فى المجاز العقلى و المجاز اللغوى و الفرق بينهما ۲۵۸ فصل ۲۶۹ فصل: هذا كلام فى ذكر المجاز و فى بيان معناه و حقيقته ۲۷۹ فصل: فى تقسيم المجاز إلى اللغوى و العقلى و اللغوى إلى الاستعاره و غيرها ۲۸۷ فصل: فى الحذف و الزياده و هل هما من المجاز أم لا ۲۹۱ فهرس الآيات القرآنيه ۲۹۹ فهر الأحاديث النبويه ۳۰۳ فهرس بعض الأقوال و الأمثال ۳۰۵ فهرس الأبيات الشعريه ۳۰۷ فهرس الموضوعات ۳۲۵

تعریف مرکز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ۹

المقدمة:
تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامى عام ۱۴۲۶ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:
نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فى العلوم الإسلامية وتبعثرها فى أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فى العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهى منظمة فى برامج إلكترونية وجاهزة فى مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.
وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:
نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبىّ عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوازت العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:
مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مرکز القائمیه اصفهان
للبحوث والتحریات الکمبیوتریة
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩